

دار الكتب
الملك

في

تاريخ مصر القديم والحديث

للمؤلف

ميخائيل شارويم بك

رئيس النيابة العمومية بمحكمة المنصورة الاهلية سابقا
والمفتش بنظارة المالية الخليفة حالا

عفي عنه

الجزء الثالث

(حقوق الطبع محفوظة)

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٨٩٨ - سنة ١٣١٥

ميلاديه هجرية

(بالقسم الادبي)

هَدِيَّة
سَمُو الشَّيْخَ فَا لِمُحَمَّدٍ نَا حَمْرَ الْخِثَانِي
الْمُتَش
مَكْتَبَةُ مَكْرَزِ الْوُثَاثِ وَالْعِلْمِ
الْبُيُوتِي

(فهرست)

الجزء الثالث

من

(تاریخ الکافی)

(فهرس الجـزء الثالث من تاريخ الكافي)

صفحة	صفحة
٢٥ المقالة التاسعة وفيها فصول	٢ المقالة السابعة فيمن هم الترك وفي نسبهم
٢٥ الفصل الاول - فيما جرى بعد دخول السلطان سليم القاهرة وفي سلطنته على ديار مصر وابسه شعار الخلافة	٤ وفيمن تفرع عنهم من الممالك والامم الى ظهور ملوك آل عثمان
٢٩ مطلب قتل السلطان الملك الاشرف طوبان باي	٤ المقالة الثامنة في تأسيس الدولة العثمانية وفي ظهور ملوكها الى هجى السلطان سليم الى ديار مصر واستخلاصها من أيدي الممالك الشرا كسة المعروفين بدولة المماليك الثانية
٣٢ » خروج السلطان سليم من مصر الى مقر سلطنة بالقسطنطينية	١١ مطلب ما جرى بعد موت السلطان بايزيد من الاختلال
٣٣ » الفصل الثاني - في سلطنة السلطان سليمان ابن السلطان سليم	١٢ فصل في استقلال السلطان محمد الغاري بالملك
٣٤ مطلب نظر السلطان الى ترتيب الدواوين والمجالس وتنظيم الاحكام الشرعية وتقرير قاعدة لذلك بديار مصر	١٨ مطلب قيام البابا كالسنوس الثالث وحسنه المسيحيين على قتل السلطان محمد
٣٤ مطلب تقرير خيربك على عمالة مصر وما جرى له	١٨ » زحف السلطان محمد على ولاية اثينا وما كان من وراء ذلك
٣٨ مطلب خروج الغزالي بالشام عن طاعة السلطان وعزمه على الزحف على مصر وضمها الى الشام	٢٠ » تدويخ بلاد البوسنا وأخذها عنوة
٣٩ مطلب قتل الغزالي وارسال رأسه الى دار السلطنة	٢١ » فيما أصاب عسكر السلطان في بلاد البغدان وفي هزيمتهم
٤١ » كم كان خراج مصر في دولة السلطان سليمان ومن بعده الى هذا النين	٢١ » حصار سفن السلطان لرووس والرجوع عنها
٤٢ » ابطال السلطان سليمان لقضاة المذاهب الاربعة	٢١ » وفات السلطان محمد وولاية ابنه بايزيد
	٢٣ مطلب وتاقت نفس السلطان بايزيد الى فتح الديار المصرية
	٢٤ » خروج الامير سليم على أبيه السلطان بايزيد في طلب الملك

صفحة	صفحة
٥٤ الفصل الثالث - في سلطنة السلطان سليم الثاني	٤٣ مطلب ما تقرر من الرسوم على التركات
٥٦ مطلب ولاية سنان باشا	ليت المال وما أحدث من
٥٦ » ولاية اسكندر باشا الفقيه	الاجداثات
الشركسي بدلا من سنان باشا	٤٤ » خروج قاضي القضاة الى الحج
٥٧ » ولاية حسين باشا	٤٤ » موت الامير خير بك
٥٩ الفصل الرابع - في سلطنة السلطان مراد ابن السلطان سليم	٤٥ » ولاية الوزير مصطفى باشا
٥٩ مطلب ولاية مسيح باشا	٤٦ » أبطال نظام قلعة الجبل القديم
٦٠ » ولاية حسن باشا الخادم	٤٦ » ولاية أحمد باشا
٦٠ » الوزير ابراهيم باشا	٤٧ » ولاية قسام جزل باشا وخلعه
٦١ » سنان باشا الدفتردار	وولاية ابراهيم باشا
٦١ » أويس باشا	٤٨ » ولاية سليمان باشا الخادم وفيما
٦٢ » أحمد حافظ باشا الخادم	رسم به السلطان من مساحة
٦٣ » قبودر باشا	أطيان سائر البلاد وجعلها ملكا
٦٤ الفصل الخامس - في سلطنة السلطان محمد بن السلطان مراد	للسلطان
٦٦ مطلب ولاية خضر باشا	٤٩ » ولاية حسرو باشا وخلعه ورجوع
٦٦ » » علي باشا	سليمان باشا الى الولاية ثانية
٦٧ الفصل السادس - في سلطنة السلطان أحمد ابن السلطان محمد خان	٤٩ » ولاية داود باشا
٦٨ مطلب ولاية ابراهيم باشا المعروف بالمقتول	٤٩ » ولاية مصطفى باشا صفصغان
٧٠ » جرجي محمد باشا الخادم	وخلعه وولاية علي باشا
٧٠ » حسن باشا الدفتردار	٤٩ » ولاية محمد باشا المعروف بدوقتركين
٧١ » الوزير محمد باشا	زاده
٧٢ » حاجي باشا وخلعه وولاية	٥٠ » ولاية اسكندر باشا
محمد باشا المعروف بالصوفي	٥٠ » ولاية علي باشا الخادم وخلعه
٧٤ » أحمد باشا الدفتردار	وولاية شاهين باشا
	٥٠ » ولاية علي باشا الصوفي
	٥٠ » في سبب اقامة السور من قنطرة
	الحاجب الى الجامع الابيض
	٥٠ » ولاية محمد علي باشا المعروف
	بالمقتول

صحيفة

- ٧٥ الفصل السابع - في سلطنة السلطان مصطفى ابن السلطان محمد خان
- ٧٦ الفصل الثامن - في سلطنة السلطان عثمان ابن السلطان محمد خان الثاني
- ٧٧ مطلب ولاية مصطفى باشا السلحدار
- ٧٧ » » جعفر باشا
- ٧٨ » » مصطفى باشا
- ٧٨ » » حسين باشا
- ٧٩ » » محمد باشا البستنجي
- ٧٩ الفصل التاسع - في سلطنة السلطان مصطفى الثانية
- ٨٠ مطلب ولاية ابراهيم باشا السلحدار
- ٨١ » » مصطفى باشا
- ٨١ الفصل العاشر - في سلطنة السلطان مراد الرابع ابن السلطان أحمد
- ٨٣ مطلب ولاية بيرم باشا
- ٨٤ » » محمد باشا الوزير
- ٨٥ » » الوزير موسى باشا
- ٨٥ » » خليل باشا
- ٨٦ » » أحمد باشا الجورجي
- ٨٧ » » الوزير حسين باشا
- ٨٧ » » الوزير محمد باشا ابن أحمد باشا
- ٨٩ الفصل الحادي عشر في سلطنة السلطان ابراهيم خان الاول
- ٩٠ مطلب ولاية مصطفى باشا البستنجي
- ٩١ » » مقصود باشا
- ٩٢ » » أيوب باشا
- ٩٣ » » الوزير محمد باشا بن حيدر

صحيفة

- ٩٥ الفصل الثاني عشر - في سلطنة السلطان محمد الرابع ابن السلطان ابراهيم
- ٩٦ مطلب ولاية الوزير أحمد باشا
- ٩٦ » » عزل أحمد باشا وولاية الوزير عبد الرحمن باشا
- ٩٦ » » الوزير محمد باشا
- ٩٧ » » غازي باشا وعزله وولاية عمر باشا
- ٩٧ » » أحمد باشا (أوهو)
- ٩٧ ابراهيم باشا وعزله وولاية حسين باشا
- ٩٧ » » حسين باشا جانبلاط
- ٩٨ » » عثمان باشا
- ١٠٠ الفصل الثالث عشر - في سلطنة السلطان سليمان خان الثاني
- ١٠١ مطلب ولاية حسن باشا السلحدار
- ١٠١ » » أحمد باشا
- ١٠٢ الفصل الرابع عشر - في سلطنة السلطان أحمد الثاني ابن ابراهيم
- ١٠٣ مطلب ولاية علي باشا قلج
- ١٠٣ الفصل الخامس عشر في سلطنة السلطان مصطفى الثاني ابن السلطان محمد الرابع
- ١٠٤ مطلب ولاية مسلم باشا اسماعيل
- ١٠٥ » » حسين باشا
- ١٠٦ » » قرة محمد باشا
- ١٠٧ الفصل السادس عشر - في سلطنة السلطان أحمد ابن السلطان محمد
- ١٠٩ مطلب ولاية رامي باشا
- ١٠٩ » » علي باشا

صفحة	صفحة
١٣٧	١١٠ مطلب ولاية حسين باشا
مطلب ولاية محمد راجب باشا	١١٣ » » ابراهيم باشا وخلعه
١٣٩	مطلب ولاية أحمد باشا كوروزير
١٣٩	مطلب عزل أحمد باشا وولاية عبد
الله باشا	١٢٠ » » والى باشا
١٤٠ » » عبد الله باشا وولاية امين باشا	١٢٣ » » على باشا
١٤٠	مطلب ولاية مصطفى باشا
١٤١	الفصل الثامن عشر - في سلطنة
السلطان عثمان الثالث ابن السلطان	١٢٤ » » علي باشا
أحمد خان	١٢٧
١٤٢	مطلب عزل محمد باشا البستانجي
باشا حكيم أوغلي	وولاية شاكرباشا
١٤٢	الفصل السابع عشر - في سلطنة
السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان	السلطان محمود خان الاول
أحمد	١٣٣
١٤٤	مطلب عزل علي باشا حكيم أوغلي
وولاية محمد باشا سعيد	١٣٣ » » عبد الله باشا وولاية محمد
١٤٤ » » محمد باشا وولاية مصطفى	باشا السليدار
باشا الصدر الاعظم وعزله	١٣٣ » » محمد باشا السليدار وولاية
أيضا وولاية أحمد باشا	عثمان باشا الحلبي
سبيلان	١٣٤ » » عثمان باشا وولاية باكير
١٤٥ » » أحمد باشا كامل وولاية	باشا الولاية الثانية
بكير باشا وموته وولاية	١٣٦ » » باكير باشا وولاية مصطفى
حسن باشا	باشا أمير اخور
١٤٦ » » حسن باشا وولاية حمزه باشا	١٣٧ » » مصطفى باشا وولاية سليمان
١٤٩ » » حمزه باشا وولاية محمود	باشا الشامي المعروف بابن
باشا راقم	العظم
١٥٠	١٣٧ » » سليمان باشا وولاية علي
مطلب ولاية محمد باشا الاورفلي وعزله	باشا حلیم أوغلي
وولاية الوزير احمد باشا	١٣٧ » » علي باشا وولاية يحيى باشا
١٥٩ » » الوزير خليل باشا	١٣٧ » » يحيى باشا وولاية محمد باشا
	البد كشي

صحيفة

- ١٦٠ الفصل العشرون في سلطنة السلطان
عبد الحميد ابن السلطان احمد
- ١٦١ مطلب عزل الوزير خليل باشا وولاية
مصطفى باشا التابلسي
- ١٦٣ » » مصطفى باشا وولاية الوزير
ابراهيم باشا كرلي وموته
وولاية محمد باشا المعروف
بالعزلي الكبير
- ١٦٦ » » محمد باشا العزلي وولاية
الوزير اسمعيل باشا
- ١٧١ مطلب خلع الوزير اسمعيل باشا وولاية
اسمعيل باشا الثاني
- ١٧١ مطلب ورود الامر السلطاني بعزل
اسمعيل باشا ثم رجوعه الى الولاية
ثاني
- ١٧٢ مطلب عزل اسمعيل باشا وولاية
محمد باشا
- ١٧٣ » » محمد باشا ملك وولاية على
باشا القصاب
- ١٧٣ » » على باشا القصاب وحضور
محمد باشا السلحدار وقيل
الصابونجي واليا
- ١٧٩ » » محمد باشا وولاية محمد
يكن باشا
- ١٩١ » » محمد باشا يكن وولاية
عابدي باشا
- ٢٠١ الفصل الحادي والعشرون - في
سلطنة السلطان سليم الثالث
ابن السلطان مصطفى

صحيفة

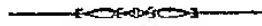
- ٢٠٤ مطلب عزل عابدي باشا وولاية اسمعيل
باشا
- ٢٠٦ » » اسمعيل باشا وولاية محمد
عزت باشا
- ٢١٠ » » محمد عزت باشا وولاية
صالح باشا
- ٢١٠ » » صالح باشا وولاية أبي بكر
باشا
- ٢١١ فصل في نزول نابوليون بونا بارت
بجيشه على مصر وما جرى بعد ذلك
من الحوادث والحزن
- ٢٦٢ مطلب مقتل الجنرال كلاير قائد
الجيش الفرنسي وما جرى بعد
قتله
- ٢٧٥ مطلب جلاء الجيش الفرنسي
عن مصر والقاهرة وسائر الديار المصرية
- ٢٧٦ فصل في بقية مدة سلطنة السلطان
سليم وما فيها من الحوادث والاخبار
- ٢٨٩ مطلب طرد محمد باشا من الولاية
وتولية طاهر باشا
- ٢٩٠ مطلب قتل طاهر باشا وتصريف أحمد
باشا والي المدينة المنورة
- ٢٩١ مطلب طرد أحمد باشا والي المدينة
وتصريف ابراهيم بيك الكبير
- ٢٩٣ مطلب منع تصريف ابراهيم بيك
وولاية على باشا الطرابلسي
- ٣٠٠ مطلب قسنة الارنؤط وظهور كلمة محمد
على سرخسمة

صيفة

صيفة

٣٠٣ مطلب اخراج محمد خسرو باشا من
معهله وتوليته الامارة على مصر بمعونة
محمد علي سرجسته
٣٠٣ مطلب بتعيين محمد خسرو باشا وولاية
أحمد خورشيد باشا
٣٠٩ مطلب ولاية محمد علي علي جسة
وتوجيه رتبة الباشوية اليه وما جرى
بسبب ذلك من الحوادث والمحن

٣١٠ مطلب ما فعله العامة والشيخ
الشرقاوي والسيد عمر النقيب مع
محمد علي باشا
٣١٤ مطلب خلع أحمد باشا وولاية محمد
علي باشا على ديار مصر



﴿فت﴾



الجزء الثالث

(المقالة السابعة)

(فيمين هم الترك وفي نسبهم وفيمين تفرع عنهم من الممالك والاعم الى ظهور ملوك آل عثمان)

اعلم أن الترك أمة من أقدم الأمم وأعظمها وقد اجتمعت كلمة أكثر المؤرخين من عرب وأجناد على أنهم من ولد يافت بن فوح وأبوههم ترك هو الذي سماه هيرودس المؤرخ باسم ترجيشاوس وجاء في التوراة باسم توجرما قال ابن الاثير والترك من ولد تيرش أو طيراش بن يافت وقيل أيضا ان ترك هذا انما هو من ولد طوج بن أفريدون ينتهي الى جومرت أو كيومرت ويرجع الى تيرش بن يافت ابن نوح قال * قال ابن خلدون وينسبهم العرب الى غامور بن سويل بن يافت وهو غلط لان غامور مصنف من كورم أو جومر فأبدل العرب الكاف غينا فصارت غامور وجومر هذا من ولد توجرما وقال مؤرخو التتر المغول بل هم من ولد ترومغول وهما أخوان من نسل ترك ابن يافت وهم لا يقصدون بذلك الاعلاء شرف عائلتهم اه وقد ذكر هيرودس المؤرخ وبلنيوس وبمبيونيوس ميلا اسم الترك قديما وذكروا أيضا في مواضع أخر باسم توغريوس فصحفه الكتاب وأهل النقل الى أمور غيوس ويقال ان بلنيوس سماهم أيضا ترسي وسماهم بمبيونيوس باسم برسي وكان البزانتيون أي الروم المشاركة يسمونهم باسم فرس أو انغرد يعني المجر قال بعض الكتاب مع أنه لم يكن بين الترك والفرس قرابة ولا بين الفرس والمجر * قال العلامة البستاني صاحب دائرة المعارف ما محصله وقد خرجت من جبال التابي قبائل تركية وتفرقت في أنحاء آسية العليا التي هي الآن تركستان فسميها الصينيون باسم تو كو كما سمي الفرس بلاد تركستان باسم توران فكان لفظ ترك أو تورانية اسما جنسيا للقبائل المتوحشة وصارت كلمة توران عند جماعة اليونان بلفظ تيران ومعناها طاغية أوغات اه وقد ورد في بعض الروايات ان أغورخان بن فراخان هو الذي أسس بفتوحاته وشرائعه دولة الترك وشيد ركن

تعدنها وان أوغورخان هذا كان معاصرا للخليل ابراهيم عليه السلام وانه ترك عبادة الاصنام ولاذ الى عبادة أصح منها ثم ركب على أخيه فقاتله قتالا دينيا ومازالت الحرب قائمة بينهما زهاء سبعين سنة وهو يقاتل أخاه حتى ظفربه وهزمه شرهزيمة فخص له حينئذ سائر تركستان وهو القسم الممتد من ارتلاز وسيرام الى بخارى وخلف أوغورخان هذا ستة بنين فلما مات اقساموا المملكة بينهم وكان لكل واحد منهم أربعة أولاد فكانوا آباء أربع وعشرين قبيلة تركية فسكن منهم ثلاثة في تركستان ولم يلبثوا أن اكتسحوا كل البلاد الواقعة بين جيحون وسيحون وتقدموا نحو خناقلعة والطونة وعاتوا وأفسدوا فكانوا يلقبون بالمدمرين قال بعض الكتاب وقد سمي بعضهم هذه الامة بالتتار أيضا ولكن التتار فرع منهم وقال آخرون ان من الترك أهم فروع العائلة التورانية وآخرون يقولون ان اسمهم مرادف للتورانية وزعم بعضهم أنهم من الامة الايرانية مع أن المتأخرين تحققوا أن لا اتصال لهم بهذه الامة البتة وكان أول ظهورهم في آسية الشمالية والوسطى بين رعاة الطونة والتتر الذين أكثروا من شن الغارة على الصينيين عدة قرون قبل الميلاد المسيحي وبعدة وفي القرن السادس ظهرت طائفة منهم أيضا في آسية وأصلها على ما يقال من البلاد المسماة الآن تركستان فوطئت بساط السلام آونة ثم عادت فجذدت حروبها مع أهل الصين شرقا وأهل فارس جنوبا ولما كانوا كلهم أخلاطا مؤلفين من ليف قبائل متباينة في الاخلاق والعادات ميالة بالطبع الى الغزو والغارات جافية متوحشة لم تتفق لهم كلمة وانقضت عروة اتحادهم فتمفرقوا في تلك الانحاء الواسعة واستوطنوها على ما هم عليه من الخشونة فكان ذلك داعيا لضعفهم ولما كانت سنة أربع وأربعين وسبعائة للميلاد المسيحي استظهرت على مملكتهم أمة منهم يقال لهم الويغور قال بعض أهل التحقيق وهم أول قبيلة تركية استعملت لغة مكتوبة وكانوا أولا بوزين تجسوا على مذهب زرادشت ثم أسلموا في القرن التاسع والعاشر * هذا ما كان من أمرهم في الشرق * أما ما كان من أمرهم في الغرب فانهم في أواسط القرن التاسع انحطوا وتضعفوا وسادت عليهم طائفة الفرغيز وهي طائفة منهم وقيل بل هي من التتر فلما ظهر جنكيز خان الذي كان على يديه انحطاط دولتهم في آسية الوسطى أيضا واذلالها صارت من هذا الحين سائر الدول القائمة بتلك الانحاء وفي جهة العراق وماوراءها أيضا من الممالك الاسلامية تترية بعد أن كانت تركية بيد السلاجقة وغيرهم وما زالوا على هذه الحال الى موت تيمورلنك فظهروا في ممالكهم واستولوا على أرمينية وما بين النهرين ولبثوا هكذا الى أواسط القرن السادس عشر للميلاد حتى قام عليهم الصوفية وطردوهم وظهرت في تلك الابام الازبكية وهي أمة يقال انها بقايا الويغور كانت نازلة في جنوبي تركستان الصينية تحت جبال تيان شان فاستولت على تركستان الشرقية وما جاورها من المدن والبلدان الى حدود القرات ولم يعض عليها قرن أو بعض قرن حتى استظهرت عليها أمة أخرى تركية تعرف بالتركان * قال أصحاب التاريخ وليس للترك بقية مهمة الآن الا الازبكية والتركان المقيمون

الآن في مواطنهم القديمة

واعلم أن أشهر الدول التركية التي ملكت ببلاد الاسلام والروم مما وراء النهر وخراسان هم بنو ساسان وقد ملكوا زهاء مائة وسبعين سنة وكان انقراضهم في سنة تسعين وثلاثمائة للهجرة وبنو سبكتكين وهم المعروفون بالدولة الغزنوية لانتخاذهم مدينة غزنة قاعدة لمملكتهم وقد ملكوا بلاد السامانية وكانت مدة ملكهم مائة واثنين وسبعين سنة ثم انقضوا في سنة تسع وعشرين وأربعمائة للهجرة ثم نشأت الدولة السلجوقية فكانت مدة ملكهم مائة وأربعين سنة ابتداءها من سنة تسع وثمانين وخمسائة للهجرة وهي أعظم دولهم وأوسعها كلمة ثم تفرع منها عدة دول أخرى منها الدولة الخوارزمية التي قام على رأسها خوارزم شاه وهذه قد ملكت ما وراء النهر بعد السلاجقة وكانت مدة ملكها مائة وثمانيا وثلاثين سنة وانتهىؤها سنة ثمان وعشرين وستمائة للهجرة وقد ملك حلب والشام فرع من هذه الدولة أيضا يعرف بدولة تنش بن ألب ارسلان وكان أولهم أنسرين أبق ملك حوالي سنة أربعمائة وثمان وستين وما زالوا الى أن انقضوا على يدى تمرش بن إيلغازى سنة ست عشرة وخمسائة ومنهم أيضا بنو أرئق ملوك ماردين وديار بكر وأولهم أرئق بن أكسب ولكنهم لم يلبثوا أن انقضوا على يدى هولاكو سنة سبعين وستمائة للهجرة ومنهم الاتابكية ملوك حلب والشام وأولهم قسيم الدولة آق سنقر مملوك السلطان ملكشاه تولى الملك في صدر سنة اثنين وثمانين وستمائة للهجرة ومنهم دولة بنى طغتكين بالشام وأولهم طغتكين أحد رجال تنش ابن ألب ارسلان ملك في القرن الخامس ثم انقض ملكهم بعد أواسط القرن السادس ومنهم فرع آخر ملك في بلاد الروم وأولهم قطلمش تولى الملك في أواسط القرن الخامس ثم انقضوا بظهور الدولة العثمانية وذلك حوالي سنة تسع وتسعين وستمائة للهجرة أى سنة تسع وتسعين ومائتين وألف ميلادية

(المقالة الثامنة)

(في تأسيس الدولة العثمانية وفي ظهور ملوكها الى مجي السلطان سليم الى ديار مصر)
واستخلاصها من أيدي المماليك الشركية المعروفين بدولة المماليك الثانية

قد علمت مما تقدم كيف اجتمعت كلمة بعض أصحاب التاريخ على أن ترك الذي هو جد الاتراك هو من ولدياقت بن نوح عليه السلام ثم هم يقولون أيضا بان أوغز بن قراخان الذي هو من ولد ترك هذا كان ملكا جليل القدر عظيم الشوكة تسلط على بعض البلاد في أيام الخليل ابراهيم عليه السلام وتصرف فيها فكانت تركستان التي هي توران داخلة تحت سلطانه قالوا وانقسمت مملكة أوغز هذا بعد موته الى خانيات منها ثلاثة ويقال لها الاسهم الثلاثة فاختصت بالاوغز الشرقى الى حدود الصين ثم ثلاثة أخرى ويقال لها الخاطمة احداها

خانية الجبال والثانية خانية البحر والثالثة خانية السماء أو خانية القبة الزرقاء ومن هذه الخانية نشأ سبط كابي الذي جاء منه آل عثمان فلما كانت سنة خمسمائة للهجرة أى سنة ست ومائة وألف لليلاد شبت نيران الحروب بين أسباط تلك الخانيات واشتدت وعلا لهيبها فأبادت لفيقهم أو كادت ومزقت من بقى منهم كل ممزق فسار أحد أولاد كابي المذكور الى ماهان واستوطنها فاجتمع حوله بعض بقايا تلك الأسباط وخضعوا لكلمته ولبث ماشاء الله ثم مات عن عدة بنين منهم كابي ألب وكان عظيما مهيبا ثم مات كابي ألب المذكور عن ابن اسمه سليمان وكان سليمان هذا مغازيا حسن التدبير مهيبا مطاع الكلمة فلما كان حوالى سنة احدى وعشرين وستمائة للهجرة أى حوالى الجيل الثالث عشر لليلاد قدم جنكيزخان سلطان المغل فى عسكر جرار ونزل على خراسان وضيق عليها حتى أخضعها فلم يطق سليمان شاه ابن كابي ألب المذكور الصبر على ذلك وكان مقيما بماهان كما تقدم فرحل عنها على رأس خمسين ألفا من قومه الى أرزنجان وخلاط من بلاد الارمن ولبث مهاجرا سبع سنين حتى طرق السلاجقة الغز خراسان وخوارزم وفتحوها فلما علم بذلك قفل عن كان معه الى بلده فبينما هو يجتاز الفرات عند جعير اذ غرق فخرن عليه قومه وبنوا له قبرا يقال انه باق الى يومنا هذا يعرف بترك مزارى وخلف سليمان شاه المذكور أربعة بنين وهم سغور زنى وكونطغدى وارطغريل ومعناه المستقيم وكوندز فانقسموا مع من كان معهم من القوم بعد دفن سليمان شاه وافترقت كلمتهم فنهزم من شاء العود الى الوطن ومنهم من فضل الغربية والنزول على بعض الجهات الغربية وهؤلاء قد انضم اليهم الامير ارطغريل والامير كوندز وكانوا زهاء أربعائة عشيرة فيها أربعائة وأربعة وأربعون فارسا مدججين بالسلاح فساروا فى طريقهم قاصدين الجهات الغربية وبينما هم على هذا الحال اذ رأوا فى طريقهم جيشين يقتتلان قتالا عنيفا وكان أحدهما قليل العدد والعدد وكان هذا الجيش الضعيف للسلطان علاء الدين السلجوقى من ولد ملكشاه بن قلق أرسلان والثانى من المغل الذين هم أعداء للترك فقال الامير ارطغريل بقومه الى معاونة جيش السلطان علاء الدين وانضم اليه فاشتد القتال بين الفريقين شدة بالغة وما زالوا يقاتلون حتى دارت الدائرة على المغل وتم النصر للسلاجقة وجاء الخبر بذلك الى السلطان علاء الدين ففرح واستدعى اليه الامير ارطغريل وأحسن لقاءه وأدناه من مجلسه وخلع عليه وعلى أخيه كوندز وأنزلهما وقومهما بمراعى نومانية وأرمينية أو بجبال قرا جاطاغ عند أنقرة وأخلص ارطغريل فى خدمة السلطان علاء الدين وبالع فى طاعته وقاتل معه فى حروبه المتتابعة مع الروم والمغل وأبلى فى كل منها بلاء حسنا فأقطعه اباله عظمية واقعة بين بلاده وبلاد الروم يقال لها سلطانية فنزل فيها بجماعة ممن لازوا به وأحسن السيرة فى أهلها فعملت كلمته فلما كان حوالى سنة سبعائة للهجرة أى سنة سبع وتسعين ومائتين وألف ميلادية مات ارطغريل وقيل بل كانت وفاته حوالى سنة تسع وتسعين وسبعائة للهجرة أى سنة ست وتسعين وثمانائة وألف ميلادية بعد أن تغلب على قوطاهية وأخذها من الروم سنة ثمانين وستمائة هجرية أى سنة

احدى وثمانين ومائتين وألف ميلادية وفي قول بعض المؤرخين من المتقدمين ومنهم المؤرخ جورجي فرانزس الرومي المولود بمدينة القسطنطينية ان أصل الدولة العثمانية آت عن ملوك الروم بالسلالة وملوك الفرس بالكلالة * قال بعد كلام فلما كانت سنة ثلاثين ومائة وألف ميلادية خرج الامبراطور يوحنا كونيوس امبراطور الروم ومعه ابن أخيه أوغسطس المدعو يوحنا أيضا لقتال الملوك السلجوقيين فقاتلهم أياما حتى تغلب على كثيرين قلاعهم وحصونهم وأقام على هذا الحال حتى نفذت الذخيرة أوكدت وعز القوت في تلك الاصقاع الباردة ومات أكثر دواب الحمل والخيول من قلة العلف فخاف الامبراطور شر العاقبة اذا ظل على هذا الحال وجعل يدبر حيلة للخلاص ورسم بتوزيع ما بقى من الخيل على أعظم فرسانه وأشدتهم بأسا وهم من طوائف الروم والايطاليان وجعل يجول بين الصفوف ويتقى منهم من يتوسم فيه منه الفتوة والشجاعة فبينما هو على هذا الحال اذ رأى بين الصفوف فارسا من الطليان حسن الشكل أعجبه منظره فنظر الى ابن أخيه أوغسطس وقال له ادفع فرسك الى هذا الشاب ليمتطيه فاستعظم أوغسطس هذا الامر فشدد عليه الامبراطور في ذلك فترجل أوغسطس عن فرسه وهو يتميز غيظا ودفعه الى الشاب وسار من ساعته مغضبا قاصدا ملك العجم فلما علم ملك العجم بقدمه وما وقع له مع عمه فرح به وأحسن لقاءه وقربه اليه ورفع منزلته فدان أوغسطس بدين الاسلام فزوجه ملك العجم بابنته وأقطعها بلادا كثيرة وأجزل عطاءهما وكان أوغسطس هذا شابا جريلا رقيق الشمائل عارفا بعلم اليونان ولغة العرب مهذبا طلق الوجه كريما مقداما لين الجانب فلقبه الفرس بالشلي وأحبه الناس كثيرا ومالوا اليه بقلوبهم فعملت كلمته وطارت شهرته وامت مهابته سائر مدن آسية وولدت له زوجته ولدا فسماه سليمان وهذبه وعلمه العربية واليونانية وبالغ في تهذيبه فترعرع وشب على مكارم الاخلاق وأحسن الطباع فأحبته الرعية ومالت اليه فلما مات أبوه تولى مكانه وسار في قومه سيرة حسنة وكان ميالا الى الفتح والجهاد فاستولى على الكثير من البلدان وضم الى مملكته كثيرا من مملكة الروم المجاورة لبلاده فانتسح نطاق مملكته وارتفعت كلمته وطار صيته في الآفاق قال فكان أوغسطس هذا الذي هو يوحنا جدًا للامير ارطغريل خان الذي هو أبو الامير عثمان رأس ملوك آل عثمان * وأوهم بعض أهل التاريخ من المتأخرين ومنهم ادواردس فوكس الذي ترجم تاريخ أبي الفرج الملقب الى اللاتينية وجعله هدية لكارلوس الثاني ملك الانكليز عام ثمان وأربعين وستمائة وألف ميلادية أي عام ثمان وخمسين وألف هجرية فقال بعد كلام * ولم يتسن لاصحاب التاريخ الى الآن معرفة شيء حقيقي عن سليمان شاه جد آل عثمان ولا الى من ينتهي نسبهم وحاصل ما نقلوه من أخباره هو أنه لما تغلب جنكيزخان ملك التتر على أكثر البلاد ودان له أكثر مدن آسية خرج سليمان شاه المذكور حوالي سنة احدى عشرة وستمائة للهجرة في نفر من قومه وسار الى تحت الدولة السلجوقية وكان معه أربعة بنين وهم سمنقور زنكي وكدنطغدي وارطغريل وكوندز فبينما هم يعبرون

الفرات اذ غرق سليمان شاه المذكور فافترق بنوه واختلفت كلمتهم فذهب اثنان منهم وهم سنقور زنكي وكدنطغدي ببعض القوم الى الجهة الجنوبية من الفرات وسار ارطغريل بك وكوندزمع من بقي الى تحت السلطان علاء الدين السلجوقي صاحب قونية ونزلوا في جواره فأحلهم محلا رجبا وأقطعهم قرجيطاغ فما زالوا بها حتى مات ارطغريل حوالي سنة سبع وثمانين وستمائة هجرية أي سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف ميلادية اه وقال العلامة ابن خلدون بعد كلام طويل والتظاهر أن ملوك بني عثمان كانت الى هذا العصر من أعقاب علي بك وعلى بك صهر محمد بك أحد أمراء التركمان من بني جق أو أقاربه يعني أعقاب أقاربه قال ويشهد بذلك اتصال هذه الامارة فيهم يعني الامارة على التركمان مدة هذه المائة سنة قال فلما اضطلع التتر من بلاد الروم واستقر بنو ارتنا بسيواس وأعمالها غلب هؤلاء التركمان على ماوراء الدروب الى خليج القسطنطينية ونزل ملكهم مدينة برصا من تلك الناحية وكان يسمى ارخان بن عثمان جق فأنخذها دارا لملكهم ولم يفارق الخيام الى القصور وانما ينزل في خيامه في بسيطها وضواحيها الى أن قال اه

قلت ومع اجتماع كلمة بعضهم على أن الترك انما هم من ولياقت بن نوح عليه السلام واختلاف السواد الاعظم منهم فيمن هو جد آل عثمان الاول فقد عادوا بعد تأويل وتعليل الى القول بأن سليمان شاه هو رأس هذه العائلة العظيمة التي دوقت بحروبها وغاراتها المتتابعة ثلاثة أرباع المعمور من الارض وقلبت تحت الممالك العظيمة وأبادت الكثير من الامم والشعوب الذين قاموا في وجهها فاستولت على ممالك الدولة العباسية وعلى بعض مملكة الدولة الغزنوية لآل سبكتكين والدولة السلجوقية في الروم وفي كرمان والشام ودولة المماليك في مصر والشام ودولة الاتابكية في الموصل ثم الفرنجة في بعض مدن الشام وقارة أوروبا وجزائر العرب وجزء عظيم من قارة افريقية وجزائر بحر الروم وغيرها مما هو باق بعضه في حوزتها الى يومنا هذا وانه بموت سليمان شاه المذكور ظهرت كلمة ابنه ارطغريل واتسعت شهرته ودوخ أكثر البلدان المجاورة لولايته الصغيرة التي أقطعه اياها علاء الدين وما زال على دأبه من الغزو والجهاد وتوسيع أرجاء مملكته كل أيام حياته حتى مات في سنة ثمانين وستمائة هجرية أي سنة احدى وثمانين ومائتين وألف ميلادية فكانت مدة تصرفه في هذه الامارة زهاء اثنتين وخمسين سنة بالتبعية لسلطين قونية السلجوقيين

وبموته قام بعده ولده الامير عثمان وكان يقال له عثمان جق كما رواه ابن خلدون فحذا حذو أبيه في الغزو والجهاد ولبث يقاتل الروم ويهاجم بلادهم حتى استخلص من أيديهم بلادا كثيرة ووقعت هيئته في قلوبهم وخافوه فأرسل اليه سلطان السلجوقيين منشورا ولواء أبيض وطبولا إعلانا بامارته وولايته على تلك الاصقاع ولقبه بالغازي فعلت من ذلك الحين كلمته وكبرت مهابته وأحسن السياسة والتدبير وما زال مثابرا على الغزو والجهاد وفتح

البلدان وتدويع المدن حتى أحس بزوال الدولة السلجوقية ورأى من اختلال أحوالها وزوال هيبة القيصرية الرومية وضععة أمورها بسبب الخلاف الواقع في أمر الدين بين جماعة المسيحيين مادفعه إلى طلب الملك ومال به إلى جانب الظهور والاستبداد تلك السلجوقيين فجعل حينئذ يهدد الأسباب ويأتى على كل أمر منها من أقرب الأبواب حتى فسدر الله بانقراض الدولة السلجوقية في سنة تسع وتسعين وثمانئة هجرية أى سنة تسع وتسعين ومائتين وألف ميلادية واندرست معالمها من الانطولى ولم يبق أحد من سلاطينها واستقل كل من كان تحت حكمها من الأمراء وتقاسموا البلاد فاخص الأمير عثمان المذكور بجزء من مملكة بروسة وخطب له في بعض أعمالها ولما استقرت به الإمارة أحسن السياسة ورتب أمور البلاد على ما فيه المصلحة ثم تجرد للغزو وفتح المدن والامصار وكان شهما جليل القدر عارفا بفتون الحروب والقتال ففتح الفتوحات العظيمة بنفسه وعلى يدي ولده أورهان بك وأخذ كثيرا من مدن القياصرة فكبرت مملكته واتسعت أرجاؤها وظهرت وعرفت من ذلك الحين بالدولة العثمانية ثم نقل تخت مملكته هذه إلى مدينة بنى شهر وأقام بها على أحسن ما يكون من الصولة والبأس حتى مات في سنة ست وعشرين وسبعائة هجرية أى سنة خمس وعشرين وثلثمائة وألف ميلادية وكان كريما على الهمة أبى النفس جوادا قيل ولذلك لم يترك بعد موته شيئا لامن الاموال ولا من النفائس التي جمعها في غزوانه وفتوحاته الكثيرة ولم يوجد عنده الا بعض الملبوس ومسبحة كانت أعز شيء لديه وكانت مدة ملكه خمسا وعشرين سنة وقيل بل سبعا وعشرين

وقام بالامر بعده ولده أورهان الغازى تولى السلطنة في السنة التي مات فيها أبوه سنة ست وعشرين وسبعائة هجرية أى سنة خمس وعشرين وثلثمائة وألف ميلادية فأحسن التدبير ونظم الامور وعدل في الرعية فاجتمعت القلوب على محبته وولى أخاه علاء الدين الوزارة فقام بها خير قيام وأخذ في تنظيم الامور وسن القوانين واعلاء شأن المملكة وكان الغازى أورهان المذكور محبا للغزو والفتح كأبيه ميالا لتوسيع نطاق المملكة ففتح مدينة بروسة وبالغ في تحسينها بالمباني الفاخرة والآثار العجيبة ثم نقل كرسى مملكته إليها ولم تقعه كثرة حروبه عن تنظيم عسكره وترتيبهم على أسلوب جديد بعد أن كانوا في أيام أبيه أخلاطا من فرسان التركان وغيرهم فاشأ وجاق الانكشارية ورتبه وأحسن ترتيبه فكان له عون على كثرة الفتوح والغزى وهابه الملوكة وبلغت شهرته مبلغا عظيما ولكن عاد أولئك الانكشارية بعد قليل فصاروا أعداء لمن تولى السلطنة فكان السلطان لا يأتى أمرا الا بإشارتهم ولا يعمل عملا الا برضا كبارهم فتبدل خيبرهم شرا ونفعهم ضرا وكثرتهم وبالا وما زالوا على هذا الحال من التصرف في معظم الامور واختصاصهم بالرياسة والسياسة حتى أذلهم السلطان محمد الثانى ومزق شملهم وفرق كلمتهم وشردهم تشريدا * ولما دانت للسلطان أورهان الامور عد إلى غزو بلاد اليونان فجهز عليها جيشا عظيما للغاية وقاتلها

ففتح مدنها وبلدانها وأحسن معاملته أهلها فالت إلى محبته القلوب واجتمعت على طاعته الخواطر وسار في غزواته يرافقه الاقبال حتى بلغ خليج القسطنطينية وبوغاز كاليبولى وكانت الامبراطورية الرومية في هذا الحين آخذة في الانحطاط إلى حضيض الدمار لاسيما بعد أن ضعضعتها الحروب الداخلية التي سببتها فتنة يوحنا كاتا كوزين نائب الامبراطور يوحنا باليولوغوس ووصيه * وتحري الخبير بالايجاز أنه لما كثرت عبت كاتا كوزين المذكور بأمور الدولة وأساء التصرف أبغضه الناس بغضا شديدا وهم الروم بخلافه فلما آنس منهم ذلك راسل آل عثمان واستمدتهم فأمدوه وقويت عزية الترك على التوغل في وسط أوروبا فغزوا وفتحوا عدة مدن منها وكثيرا من القلاع والحصون واستولوا عليها وتصرفوا فيها وسار الامير سليمان أكبر أولاد السلطان أورخان فاجتاز بوغاز شتى قلعه في سنة ستين وسبعائة هجرية أى نحو سنة تسع وخسين وثلاثمائة وألف ميلادية وفتح مدينة غاليبولى التي هي مفتاح القسطنطينية ثم اختبرته المنية فزن عليه أبوه حزنا عظيما وأفرط في البكاء والتخيب فمات غما في السنة التي مات فيها ولده أى سنة اثنتين وستين وسبعائة هجرية

فقام بالامر بعده ولده السلطان مراد الاول وكان شجاعا مهيبا مغازيا فلما استقرت به السلطنة عمد إلى فتح أدرنه ففتحها وسار إلى الصرب والبغار فأخضعهما وكانت بلاد الاناطولى لم تزال مستقلة في حكمها تابعة لبعض الامراء من الترك يتصرفون في حكمها كما يشاؤون فخاربهم وأخضعهم وأدخلهم تحت طاعته وزوج ابنه الامير بايزيد بابنة أمير كرميان ترلفا إلى ولاية آسية الصغرى وتقربا منهم ليتسنى له بذلك ضم بلادهم إلى أملاكه ففاز بذلك وضم إلى بلاده مقاطعة كرميان وغيرها من مدن آسية الصغرى واستولى على مدينة كوتاهيا وكان أمير كرميان وهبها لابنته يوم زفافها ثم سار بعسكره بعد ذلك للحمل على مقاطعتي مقدونية وبلاد الارنؤد فأخضع كثيرا من مدنها واستفحل أمره واتسعت كلمته وتهدب منه جميع الامراء المجاورين له فنهض أهل الصرب والفلاح وأهل دلماطيا والجرج والبغار وتحالفوا على قتاله وابقاه عند حده وخرجوا في جيش جرار فركب عليهم وقاتلهم جميعا وهزمهم وشت شملهم وأبلى فيهم بلاء حسنا وبينما هو يغدو ويروح في ساحة القتال ويكثر بجواده اذ وثب عليه جندي من البغار كان بين جنث القتلى وطعنه بخنجر في أحشائه فمات لحينه فتقهقرت عساكره وانكفوا عن القتال * قال بعض أصحاب التاريخ وهذا القرن هو الدور الاول للدولة العثمانية فانها في مدة المائة سنة هذه قد عظم أمرها وتمكنت وثبتت أركانها وظهرت في منظر الدول الكبار بعد أن كانت امارة صغيرة ولم يتم لها هذا الا بمحافضة سلاطينها على وصية الغازي عثمان قالوا وذلك أنه لما حضرته الوفاة دعا إليه ولده أورخان وأوصاه بوصايا ثلاث فقال له يا بني تسلك في كل أمورك بالشريعة الغراء وشاور في المهمات أهل الرأي والهداه * وأعط كل ذى حق حقه من الشكر والانعام لاسيما العلماء الاعلام الذين هم دعائم الدين مصداقا لقول صاحب الشريعة خير الناس من ينفع الناس * وتبته لما هو أعظم من ذلك

وهو التظيم لاوامر الله والرأفة بعباد الله واطلب خير النتائج من اعلاء كلمة الله والغزولوجه
الله فانك خليفة من بعدى اه قالوا فكانت هذه الوصية سنة مرعية بين سلاطين آل عثمان
يتلقاها الخلف عن السلف والملك لله يؤتبه من يشاء

ولما مات السلطان مراد الاول قام بالامر بعده ولده السلطان بايزيد الاول في السنة
التي مات فيها والده وكان بطلا مقدما عارفا بفنون الحرب والقتال وضروب السياسة
مبالا الى الغزو والجهاد فلما استقرت به السلطنة عمد الى اخضاع ما بقى من الممالك الصغيرة
التي كانت الى هذا الحين مستقلة في لانا طولى فدوخها وأخضعها لسلطانه ثم سار في عسكر
جرار الى ابالات مقدونية والبلغار والروم ايلي ففتحها وأدخلها تحت طاعته فكبر أمره وعظمت
هيئته ودانت له الامور فلما أنس من الايام النصر تها لفتح القسطنطينية واخضاع ممالك
الفرنجية فزحف بجيش كبير الى نواحي أوروبا واستولى على مدينة سالونيك وشن الغارة على
بلاد المجر وانتصر على جيوش الفرنجية في موقعة هائلة ثم سار الى القسطنطينية فحاصرها
وكان امبراطورها يومئذ مانوئيل يخاف وهاله كثرة عساكر السلطان بايزيد فأرسل الى من
جاوره من الملوك يطلب منهم المدد على قتال الترك يخاف السلطان بايزيد من اتحادهم وخشى
عاقبة أمرهم فعقد مع الروم صلحا لعشر سنين وأن يعطوا له في كل سنة ثلاثين ألف ريال وأن
يجعل في القسطنطينية قاضيا من المسلمين ويبني فيها مسجدا ثم رحل عن القسطنطينية ولبث
قليلاً حتى تبين من الفرص أنفعها فعاد الى حصارها وشد في الحصار ولم يراع ميثاقا ولا عهدا
وبينما هو يرسل الرمي على أسوارها وحصونها اذ جاءته الاخبار بركوب تيمورلنك بعسكره الى
بلادهم وفتح الكثير منها وضمها الى سلطنة التتار فاضطرب السلطان بايزيد من ذلك واستعظمه
جدا ورحل عن القسطنطينية ليدفع تيمورلنك عن بلاده فالتقى الفريقان عند مدينة أنقرة
واقتملا قتالا عنيفا يوما كاملا وقد مات في ذلك اليوم خلق كثير جدا حتى خاضت الخيول في
الدماء ثم انكشفت المعركة عن نصرة تيمورلنك وهزيمة السلطان بايزيد وسقوطه في قبضة
تيمورلنك فسجنه في قفص من الحديد وما زال في سجنه هذا الى أن مات سنة خمس وثمانمائة
هجرية أي نحو سنة احدى وأربعمائة وألف ميلادية * قال بعض كتاب الاخبار وكان قد تغلب
السلطان بايزيد في آخر أيامه هوى النفس فتهاقت على مالا يليق من الاسراف والتبذير
والاسترسال في اللهو والخلاعة وغير ذلك من دواعي التأخر فاغتتم تيمورلنك هذه الفرصة
وسار على ملكة بايزيد في سبعمائة ألف مقاتل فقابلها السلطان بايزيد وقاتله فوقع في يده أسيرا
وفرّح ملوك أوروبا بسقوط السلطان بايزيد في قبضة تيمورلنك فرحا عظيما وأرسلوا الى تيمورلنك
رسائل التهاني فكان ممن أرسل ذلك شارلس الثالث ملك الفرنسيين فرد عليه تيمورلنك ردا
حسننا جدا وأوصاه خيرا بمن يقدم الى بلاد الفرنسيين من تجار الفرس كما أنه ضمن لتجار
الفرنسيين الذين يقدمون على بلاد فارس كمال الراحة والرفاهية

(مطلب)

(ما جرى بعد موت السلطان بايزيد من الاختلال)

ولما مات السلطان بايزيد كاد يختل نظام الملك اذ قامت الفتنة بين اولاده واستبعت كل واحد منهم بقسم من مملكة أبيه فتجزأت المملكة الى عدة امارات صغيرة وجرى عليها ما جرى لدولة آل سلجوق وخرجت عن الطاعة في خلال هذه الفتنة ولايات البلغار والصرب والقلاخ واستمر النزاع بين اولاد السلطان بايزيد زهاء احدى عشرة سنة وكان أحد اولاد بايزيد المدعو عيسى قد استبعت بحكم البلاد الواقعة على مقربة من أنقرة وسينوب والبحر الاسود فوثب عليه أخوه محمد وقتله بعد حروب يطول شرحها واستولى على جميع تلك الاصقاع وسار بلا منازع من اخوته الى آسية الصغرى واستخلص أخاه موسى وكان في أسر تيمورلنك وسيره في جيش عظيم الى قارة أوروبا لقتال أخيه سليمان فلم يقو عليه بل انهزم أمامه وعاد الى آسية مدحورا ثم أصلح حال جيوشه وعاد بهم مرة ثانية لقتال أخيه سليمان المذکور فالتقى الجمعان واقتتلا قتالا شديدا فقتل سليمان خارج أسوار مدينة أدرنة وتم الظفر السلطان محمد * وكان آل عثمان لما اشتد الخصام بين اولاد السلطان بايزيد وعمت الفتنة واستفحل أمرها اختاروا الامير سليمان هذا سلطانا عليهم في مملكة أبيه التي بقارة أوروبا فبايعوه بالسلطنة وولوه أمورهم ولكنه كان ضعيف الرأي سيئ التصرف منهمكا في الملاذ مولعا بالملاهي والفجور خجل الفكر فلم تطل سلطنته حيث مات في سنة اثنى عشرة وثمانمائة هجرية أي نحو سنة عشر وأربعمائة وألف ميلادية * ولما تم الظفر لموسى المذکور سارع من معه من العساكر وركب على بلاد الصرب وعاقب أهلها على خروجهم وتوردهم وقايل سمون ملك المجر حيث أنجد أهل الصرب عليه وكاد يظفر به فظهر من هذا الحين نباهة وعلت كلمته واتسعت شهرته فدخله الطمع وطمعت نفسه الى الاستقلال بالملك والخروج عن طاعة أخيه السلطان محمد وأخذ جميع بلاد أبيه التي بقارة أوروبا وسار بعسكره لحصار القسطنطينية فحاصرها وضيق عليها ليفتحها ويجعلها تحت ملكه فأحس السلطان محمد بما وراء ذلك وخشى العاقبة وأتت اليه رسل قيصر الروم تشكوا من فعال أخيه موسى وتستنجد به فسار الى القسطنطينية في جيش عظيم جدا وقايل أخاه فكانت الحرب بينهما سجالا ثم تقوى السلطان محمد بعسكره فزحزح الامير موسى عن القسطنطينية وتحالف السلطان محمد مع قيصر الروم وأمير الصرب على اذلال الامير موسى وتزريق شمل من معه من الجنود فأعملوا الفتنة وبثوا الدسائس بين عسكر الامير موسى حتى نفرت منه قلوب الجند وخانه كبار القواد ثم ركب عليه السلطان محمد بعسكره وانتصر عليه نصرة عظيمة وفر موسى هاربا فتبعه فارس من فرسان أخيه محمد وقتله واحتز رأسه وأتى به الى أخيه وذلك سنة ست عشرة وثمانمائة

هجريّة أي نحو سنة ثلاث عشرة وأربع مائة وألف ميلادية وفي رواية أنه قتل بين يدي
أخيه صبوا

(فصل)

(في استقلال السلطان محمد الغازي بالملك)

ولما مات الأمير موسى انفرد محمد بالسلطنة على ما بقي من ملك آل عثمان وبايعه
الناس كافة فكان هو الخامس من ملوك آل عثمان على المتفق عليه عند أصحاب التاريخ
وقد عرف عندهم بالسلطان محمد جلبي الغازي وكان ملكا جليل القدر واسع المعرفة حليما
فصفت له الأيام ودانت له الامور وجاءت اليه رسل ملوك الفرنجة برسائل التهاني والتبريك
نأكرمهم وأحسن وفادتهم وأخذ يهد الامور ويدبر أحوال المملكة فعقد الصلح مع الاجانب
وقوى معهم روابط المودة والاتحاد وحافظ على مخالفة مانوئيل قيصر الروم الذي لولاه لخيف
على ملك آل عثمان من الدمار ورد اليه جميع ما أخذه أسلافه من القلاع والحصون الرومية
فالت اليه الخواطر واجتمعت على محبته القلوب وعلت كلمته وكان عادلا ذا شفقة على الرعية
موفقا في غزواته ونقل كرسى مملكته الى مدينة أدرنة وأنشأ السفن البحرية وجعل لها جنودا
يقاتلون على ظهور تلك السفن وأعاد رونق السلطنة الى ما كان عليه بعد أن كاد ينولها الدمار
بأسباب غارات تيمورلنك * وظهر في أيامه رجل اسمه بدر الدين من كبار علماء زمانه وكان
متوليا القضاء في عسكر الأمير موسى أخى السلطان محمد فلما انهزم عسكر الأمير موسى وغرق
شملهم حكم على بدر الدين القاضي المذكور بإزالة مدينة أزيك فلبث بها حينما ثم هرب
منها واختفى خبره أياما ثم ظهر يدعو الى مذهبه وهو المساواة بين الناس على اختلاف طبقاتهم
في الاموال والمتاع وعدم التفرقة في ذلك بين الغني والفقير والمسلم والمسيحي فتبعه خلق عظيم
من المسلمين والمسيحيين وكان يقول ان الناس جميعا اخوة لاب واحد وأم واحدة فذاع خبره
وكرت أحزابه ولبى دعوته القاصي والداني وخيف على بهجة الدولة العثمانية من الزوال بسبب
دعوته فسير اليه السلطان محمد جيشا عظيما ومقدمه ابن أمير البلغار الذي كان أسلم
وتولى العمالة على مدينة سمسون فخرج عليه أحد زعماء مذهب بدر الدين المذكور في جيش
كبير وقاتله وهزم عسكره شرهزيمة وقبض على ابن أمير البلغار وقتله فلما جاء الخبر بذلك الى
السلطان محمد اضطرب واستعظم هذا الامر جدا وجعل جيشا عظيما وجعل رئيسه الوزير
الاول بايزيد فسار بايزيد لقنال ذلك الزعيم فلاقاه على مقربة من زمير وكان بدر الدين قد
سار الى بلاد مقدونية فاقتتل عساكر الوزير مع عساكر بدر الدين واشتد القتال بين الفريقين
وانكشف عن هزيمة عسكر بدر الدين وسقوط مقدمهم المدعو مصطفى في قبضة الوزير فأمر

بقتله فقتلوه بين يديه وقتلوا عددا كثيرا ممن كانوا معه وسيروا من يقبض على بدر الدين في بلاد مقدونية فحترز بدر الدين وكانت بينهم وبينه وقائع كثيرة وحروب يطول شرحها ثم قبض عليه وقتل شنقا في سنة عشرين وثمانمائة هجرية أي سنة سبع عشرة وأربعمائة وألف ميلادية بعد استصدار فتوى في شأن ذلك قال عمر في تاريخه ونص الفتوى من أتاكم وأمركم جميعا على رجل يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه * فسكنت بقتله الفتنة وزالت أسبابها واطمأنت قلوب الناس وبقى السلطان محمد عزيزا مهيبا محبوبا مطاعا إلى أن أدركته الوفاة سنة أربع وعشرين وثمانمائة هجرية أي سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وألف ميلادية * قال بعض كتاب الاخبار والسلطان محمد هذا أول من أرسل الهدية إلى أمير مكة قدرا من الذهب في كل عام للنفقة على فقراء مكة والمدينة وهي التي يطلق عليها اسم الصرة الآن ولكنها لم تكن تبلغ ما بلغت الآن وقال آخران السلطان سليم الأول هو أول من أرسل الصرة المذكورة سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة هجرية بعد فتح الديار المصرية وإزالة دولة الجراكسة الثانية والقول الأول هو الذي عليه المعول

وموت السلطان محمد جلبي قام بالامر بعده (ولده السلطان مراد الثاني) ببيع له بالملك سنة أربع وعشرين وثمانمائة هجرية أي نحو سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وألف ميلادية وعمره يومئذ ثمان عشرة سنة فلما استقرت به السلطنة قام بتدبيرها أحسن قيام ووسع نطاقها وأبرم صلحا مع أمير القرمات وقرر اتفاقا مع ملك الجز على هدنة خمس سنوات وتفرغ لتدوين من عصى وخرج عن الطاعة من ولايات آسية فلم يتم له ذلك حتى جاءته رسل مانوئيل قيصر الروم في طلب العهد منه على أن لا يحارب القيصريّة الرومية بوجهما وأن يسير إلى القسطنطينية اثنين من أولاد السلطان محمد الغازي رهينة على وفاء العهد فان أبي ذلك أطلق القيصر سراح الأمير مصطفى بن السلطان بايزيد وكان الأمير مصطفى المذكور قد اختفى خبره ولم يوقف له على أثر بعد واقعة أنقرة التي أسرف فيها أبوه السلطان بايزيد الأول ثم ظهر في أيام السلطان محمد الغازي عقب واقعة بدر الدين الخارجى وطالب أخاه السلطان محمد بالملك وأعانه على ذلك أمير القلاخ تعظيما للفتنة واضراما لنارها فأغار الأمير مصطفى المذكور على إقليم تساليا من أملاك اليونان فطارده جنود أخيه السلطان محمد ففر إلى سلايك وكانت قد عادت إلى مملكة الروم مع غيرها من بعض الايلات التي أرجعها السلطان محمد إلى قيصر الروم ونزل على عاملها مستجيرا فأجاره وطلبه السلطان محمد فلم يجبه قيصر إلى ذلك ووعد أنه يبقيه عنده ولا يفتك سراحه ما دام السلطان على قيد الحياة فقبل السلطان منه ذلك ورب ل أخيه شيئا في كل سنة فلبث في جوار قيصر حتى سیر قيصر رساله إلى السلطان مراد في طلب ذلك العهد فامتنع السلطان مراد من اجابة قيصر إلى ما طلب فسير قيصر الأمير مصطفى المذكور ومعه عشر مراكب حربية فأتى بها وحاصر مدينة جاليسولى وضيق عليها فاستسلمت وامتنعت عليه فلعنتها فأحاطها بطائفة من العسكر لينع عنها المدد وسار بمن بقي معه يريد أدركه فسير

اليه السلطان مراد جيشا عظيما ومقدمه وزيره بايزيد فلما التقى الجمعان برز الامير مصطفى أمام صفوف ابن أخيه السلطان مراد ونادى على العسكر وخطب فيهم وقال انه هو أولى بالملك وأحق بالسلطنة من ابن أخيه واستنهض العسكر الى نصرته فلبت الجيوش دعوته وقاموا لنصرته وقبض جماعة منهم على بايزيد وزير السلطان وقتله ثم سار الامير مصطفى للقاء السلطان وكان السلطان متحصنا مع عسكره عند نهر صغير فلم يقترب الامير مصطفى من ذلك المكان حتى وقعت الفتنة بين عسكره وخانه بعض قواده وزكه أغلب العسكر فكثرت راجعا الى چالبيولى ولم يدخلها حتى قبض عليه بعض أتباع السلطان وأتوا به اليه فأمر به فقتلوه شنقا * ولما سكنت الفتنة بموت الامير مصطفى عم السلطان مراد الى الانتقام من قيصر الروم فسار الى حصار القسطنطينية بجيش جرار وحاصرها وضيق عليها أياما ثم عاد عنها مدحورا لقيام الفتنة وخروج بعض الايلات عن طاعته وما زال يراقب الفرص حتى مات مانوئيل قيصر وخلفه على سرير الملك يوحنا باليولوغوس فراسل يوحنا المذكور في دفع مبلغ من المال في كل عام جزية وأن يسلم اليه جميع البلاد التابعة للقسطنطينية ويستثنى من ذلك القسطنطينية وضواحيها أو أنه يتأهب لقتاله فقبل يوحنا هذه الشروط وسلم الى السلطان مراد جميع القلاع والحصون التي كانت الى هذا الحين في حيازة الروم على سواحل البحر الاسود وسواحل الروم ايلي وعلمكتي مقدونية وتساليا ثم ركب بعد ذلك بعسكره واستخلص أيضا جميع المدن والبلدان التي هي داخل برزخ كورنثوس ومازال يتقدم في غزواته حتى توغل في بلاد المورة وضم أكثرها الى أملاكه * ولما شاع بين ملوك أور وباختر فتوحات آل عثمان ومباراة ملوكهم على الغزو والجهاد خافوا من سقوط القسطنطينية في قبضة الترك ومن زحفهم على بقية الممالك المسيحية فنهض عند ذلك أوجينيوس البابا وشرع في عقد محالفة بين ممالك الفرنجة على مقاومة الترك ومنعهم وقام لادسلاس ملك بولونيا والججر وأخذ على نفسه مقاومة الترك وجيش لذلك جيشا عظيما ومقدمه يوحنا هودباس القائد الشهير وانضم الى هذا الجيش جمهور من الحربيين والمنطوقة من الفرنسيين والجرمانيين وساروا للقاء الترك فالتقى الفريقان واقتتلا قتالا عنيفا ظفر فيه يوحنا في معركتين عظيمتين واستظهر على الترك فخشي السلطان مراد شر العاقبة وعمد الى المصالحة فتقررت القاعدات على أن ينسحب السلطان مراد بمن بقي من جيوشه فانسحب راجعا الى كرسي مملكته فلما سكنت الفتن وزالت أسباب القلاقل خلع السلطان نفسه عن الملك وتنازل عنه لولده محمد فبايعه الناس وطبروا الخبر بذلك الى الآفاق ولقبوه بالفاتح واعتكف السلطان مراد عن الناس واعتزلهم والتزم العبادة والتهجد فلما علم لادسلاس صاحب بولونيا والججر بخبره خالف العهد ونبد الهدنة ظهريا وتقدم بعساكره لقتال الترك وجب الى ملك القرمات شن الغارة عليهم أيضا ليقعوا بين نارين فتقدم عند ذلك بكار الدولة الى السلطان مراد في رجوعه الى منصب السلطنة لرد العدو عن البلاد فعاد الى المنصب وجيش جيشا عظيما وسار به لقتال

الاعداء فالتقى الفريقان عند مدينة وارنه واقتتلا قتالا عنيفا وثبتت جيوش المسيحيين أمام
عسكر الترك واشتد القتال شدة بالغة وجرى الدم بين الصفوف مجرى الماء * قال بعض كتاب
الاخبار وكانت العساكر المسيحية قليلة في هذه الواقعة لانفصال المحاربين من الفرنسيين
والالمان عنهم بعد نصرتهم الاولى وكان لادسلاس في حومة القتال ينادى على العساكر
ويحرضهم ويستنهض همهم ويكرين المواقب وصفوف الترك كانه الأسد الضارى حتى
أصابه سهم فسقط ميتا وذاع خبر موته بين جنوده ففترت همهم وتفرق شملهم فهتم مقدمهم
هودياس بجمع شتاتهم والرجوع بهم الى ساحة القتال فلم يفلح وقد أعمل فيهم الترك القتل بحد
السيف فكانت قتلاهم زهاء عشرة آلاف في هذه الواقعة الهائلة على مارواه بعض أصحاب
التاريخ وعاد السلطان مراد بعد هذه الواقعة ورأية النصر تخفق على رأسه وتنازل عن
السلطنة ثانية لولده وعكف على العبادة فلم ترض بذلك جاعة الانكشارية وأبوا الاعوده
الى المنصب فعاد اليه ككارها ثم لم يلبث أن جيش جيشا عظيما وساربه الى بلاد الارنؤد
ليضمها الى مملكته وكان ممن تولى الحكم على شئ من تلك البلاد باتوريت أمير اسمه
يوحنا كاتريو فلما علم بقدم السلطان مراد بجيوشه وتحقق أن لا قبل له على رده راسله في
أمر الصلح وعاهده على دفع الجزية فأجاب السلطان الى ذلك وعاهده وأبقى على ما بيده من
البلاد وأخذ أولاده الاربعة رهينة عنده فاختلط ثلاثة منهم بماليك السلطان حتى صاروا
لايمتازون عنهم في شئ والتزم رابعهم وهو أصغرهم واسمه جورج بخدمة باب السلطان وما
زال حتى تقدم وارثي المناصب العالية لشجاعته وبأسه وذكائه ثم أسلم بعد ذلك وتجرد للغزو
والجهاد وعرف باسم اسكندربك فكانت له مواقع هائلة وحروب عظيمة في خدمة الترك قال
بعض كتاب الاخبار ثم عاد بعد ذلك فقدم على ما فرط منه من قتال المسيحيين وارتد الى دينه
ونعصب وصار من أكبر أعداء المسلمين وأشد البغضين لآل عثمان فخرض الالهالى على
الخروج وشق عصا الطاعة فكان من وراء ذلك من الحوادث والخطوب مالا يحصى لذكره هنا
وركب أيضا السلطان مراد على قسطنطين صاحب المورة وباقي الاقاليم المتاخمة لتلك البلاد
فدوخهم وأخضعهم للملكة ورتب عليهم الجزية وجرت بسبب ذلك حروب هائلة كثيرة بينه
وبين الارنؤد والجرج وما زال يغزو ويفتح البلاد حتى أصابته سكرة فمات في سنة خمس وخمسين
وثمانمائة هجرية أى نحو سنة احدى وخمسين وأربعمائة وألف ودفن بمدينة بورسه

فقام بالامر بعده ولده ((السلطان محمد الثانى)) بايعه أهل الدولة في اليوم الذى مات فيه
أبوه فكان سابع سلاطين آل عثمان قال أصحاب التاريخ وهو من أعظمهم همة وأعلامهم
قدرا وكان بطلا مقصدا شجاعا قوى الجنان موصوفا بالمغازى والحروب وكان أبوه السلطان
مراد قد أوصاه قبل موته أن لا ينجده سيف ولا يبطل له جهادا حتى يفتح مدينة القسطنطينية
فجيش جيشا عظيما وأخذ يتأهب لحصارها وكان نظام القيصريه الرومية في هذا الحين على

شفا جرف هار بسبب المنافسات الدينية ولذلك أصبحت القيصريّة في غاية الضعف فزال
هيبتها وانحطت عظمتها فلم يبق للقيصر من السلطنة الا مجرد الرسوم والعبادات البسيطة *
قال بعض كتاب الاخبار وبلغ من خلل أحوال الامبراطورية الرومية وانحطاط قدرها أنه لما
وردت الاخبار الى القسطنطينية بان السلطان محمد الثاني ابني قلعة بوزاز كسن وكان قد
ابتنها لغرض سد خليج القسطنطينية على سفن الامبراطورية والتضييق عليها خاف الروم
واضطربت أحوالهم وعقدوا للذاكرة في ذلك مجلسا كبيرا في كنيسة أياصوفيه فلما اجتمعوا
أخذوا يتزاجون ويتقدم بعضهم على بعض في الجلوس ولم يراعوا درجات بعضهم فأدى بهم
ذلك الى السباب والملاكمة وانفرط عقد اجتماعهم ولم يعملوا عملا يذكر اه

وكان الامبراطور على القسطنطينية يومئذ قسطنطين دراغابيس بن ايمانويل فأرسل الى
السلطان محمد رسلا يستعطفونه ويستميلونه الى تقرير قاعدة للصلح فطردهم السلطان ولم يسمع
كلامهم وأخذ في التآهب والاستعداد ورسم بناء الحصون والقلاع على شاطئ بوزاز
القسطنطينية فزاد خوف قسطنطين وهاله الامر جدا وأرسل الى السلطان سفراء آخرين
يقول على أيديهم ان ما وراء بناء هذه القلاع الا القتال واضرام نار الحرب فان لم تراع
ما كان بين بلادي وبلادك من العهود والمواثيق وتقرر بيننا قاعدة للصلح فذلك اليك وقد
فوّضت أمري الى الله فان هداك سبحانه وعطف قلبك كان ذلك غاية المراد وان كان قد
قضى لك بفتح القسطنطينية فلا مفر مما قدره وقضاه والا فلا أسلم فيها وفي لسان ينطق
فلما وصلت رسله وقالوا للسلطان مقاتله لم يلتفت لقولهم وشدد في بناء الحصون والقلاع
وبالغ في التآهب والاستعداد فكتب قسطنطين الى دول الفرنجة يطلب منهم المعونة والاسعاف
ويستحثهم على نصرته وأقسم أنه ينجز لهم ما وعدهم به أسلافه من ضم الكنيسة الشرقية
الى الكنيسة الغربية فسر البابا بذلك سرورا عظيما وسير اليه نجدة عظيمة من طوائف
الفرنجة فاغضبت فعال قسطنطين جماعة الروم لكراهتهم ضم كنيستهم الشرقية الى
الكنيسة الرومانية لما بين الفريقين من العداوة القديمة والشحناء المستمرة ونقوا على
امبراطورهم وتفرقوا عنه وخذلوه وفضلوا سقوط المدينة في أيدي المسلمين على خلاصها وضم
الكنيسين الى بعضهم وقال الدوق فوتاراس كبير وزراء القسطنطينية يومئذ جهارا أحب
الي أن أرى في هذه المدينة يريد القسطنطينية تاج السلطان محمد من أن أرى فيها اكليل البابا
ثم تخلى أكثرهم عن حامية أسوار المدينة وتفرقوا عنها فلم يبق منهم الا نحو عشرة آلاف بين
روم وفرنجة وبينما هم على هذا الحال من فتور لهمة واختلاف الكلمة وتفرق الرعية عن
راعيا اذ أقبل السلطان محمد في مائتين وستين ألفا من المقاتلين وذلك في سنة ثلاث وخمسين
وأربعمائة وألف ميلادية أي سنة سبع وخمسين وثمانمائة هجرية ومعه عمارة حربية مؤلفة من
ثلاثمائة سفينة كبيرة فنزل بجيوشه على أسوار المدينة وحاصرها من جميع الجهات وأرسل

الى قيصر يطلب اليه أن يسلم البلد تحت شروط كلها شدة وإهانة فأبى قسطنطين وصمم على القتال جهدا لاستطاعة فغضب السلطان محمد لذلك وأمر فشددوا في الحصار وجاءت الاخبار الى قسطنطين بعزم السلطان محمد على الهجوم على الاسوار وأخذ المدينة عنوة في يوم كذا فهاله الامر جدا وجع اليه خواصه وبكار قومه ومن كان عليهم معتمده من الروم وشكى اليهم حاله وبالح في الشكوى وبكى وانتحب وعظم البلى فبكوا جميعا لمكانه وأقسموا على الذب والدفاع واقتحام نار الوغى حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ثم قاموا وتعانقوا وقبل بعضهم بعضا قبلة الوداع وطمعوا على الاسوار وتحصنوا فيها وكذلك فعل قسطنطين وكان ممن لبى دعوة قسطنطين وقام لنصرته على المسلمين أهالي جنوه فسيروا لتجده عمارة بحرية ومقدمها الامير جوستنياني فأتى بها يريد الدخول الى مياه القسطنطينية فعارضته السفن التركية فاقتتلوا قتالا عنيفا وانتصر جوستنياني نصرة عظيمة فدخل المينا غانما فاستعظم السلطان هذا الامر جدا وصمم على ادخال مرا كبه الى المينا أيضا ومحاصرة المدينة برا وبحرا قال بعض الكتاب وفكر كثيرا في هذا الامر فخطر على باله أن ينقل المراكب على البر حتى تجتاز السلاسل الحديد الموضوعة على مضيق البوغاز فهد لذلك طريقا على البرطولة فرسخان وقيل أكثر وغطاه بالخشب وصب عليه الزيت والدهن ونقل عليه في ليلة واحدة أكثر من سبعين سفينة * قلت ولعل في ذلك مبالغة * ولما حل الاجل المعهود هجم عساكر المسلمين على الاسوار هجمة الاسود وكانوا زهاء مائة وخمسين ألفا من الابطال المشهود لهم فلقبهم الروم بقلوب مطمئنة واشتبك القتال وحى الوطيس نفرت الابطال من فوق الاسوار وكان قسطنطين قائما ما بين النارين ينادى على الروم بالتجسد والتبات واعمال السيف في أعناق الاعداء وهو يقاتل قتال الابطال والمسلمون يندفعون على الاسوار من كل فج عميق فلما أيس قسطنطين من الظفر وأيقن بالغلبة وسقوط المدينة في أيدي المسلمين نزع عنه أسلحته المذهبة وألقى بنفسه بين صفوف المسلمين فقطعوه بحمد السيف ولم يعلموا من هو فلما شاع بين من بقى على الاسوار من الروم خبر موت قسطنطين انفسلوا فطفر بهم المسلمون وتغلبوا على الاسوار وأخذوها ثم اقتحموا المدينة وأعملوا في أهلها السيف ودخلوا كنيسة القديسة صوفية وقد كان فيها بطرق القسطنطينية يصلى وحوله خلق عظيم وقتلوا من فيها بحمد السيف ولم يبقوا على أحد ونهبوا وأسروا وأحرقوا وخربوا ما في المدينة من الابنية العظيمة والامار الفاخرة وأحرقوا جميع مكاتبها فكان عدد ما أكلته نار الحريق منها مائة ألف مجلد وعشرين ألفا

ورأى السلطان محمد من أبنية القسطنطينية ومراسمها ومنتهاتها ما حجب اليه نقل كرسى مملكته اليها فنزع الروم عنها فرارا من التلذذ وكادت تخلو من السكان فرسم لكل من عاد اليها من الروم أن يبقى على دينه وعاداته ولا يتعرض له أحد بسوء فلم يأت اليها الا القليل بل كثر النازحون منها لاسيما بعد اقامة الأذان والصلاة في كنيسة آيا صوفية وتبديل حالها

فقال السلطان هذا الامر واستعظمه وأتى اليها بكثير من أهل القرى والضواحي ثم أقام للروم بطركا ليجمعوا حوله وسلم له عصا البطريركية وخطتها كما كانت تفعل القيصرية في سالف الازمان وقسم مافي المدينة من الكنائس بين النصارى والمسلمين وجعل لكل فريق منهم حدا لا يتعداه وفرض على النصارى قدرا من المال يقومون به الى الخزينة السلطانية في كل عام قال بعض كتاب الاخبار وبقي الحال على ذلك زهاء ستين سنة حتى جاء السلطان سليم الاول فنسخه وسيرهم على ما أراد

ولما استقامت للسلطان محمد الامور بعد فتح القسطنطينية عمد الى فتح جزيرة رودس فسير الى أهلها يهددهم ويطلب منهم الجزية وكان عظيمهم يومئذ يوحنا دولستيك فأرسل اليه يوحنا يقول كف عنا فوالله ان فرسان رودس لم يأخذوها الا بسيفوفهم ومعونة الله سبحانه وتعالى ولم تطأ أرجلهم أرضها بعناية أحد من ملوك الارض فلن نسلم لك فيها وفيها رفق * وعرض للسلطان محمد بعد ذلك ماشغله عنها فوجه عنايته الى فتح الصرب فسار اليها في جيش عظيم وتوغل في جوفها فقام عند ذلك البابا كالستوس الثالث يستنض جميع ملوك المسيحية على قتال المسلمين ويحضرهم على استخلاص البلاد من أيديهم ويحثهم على الجهاد في سبيل الله وجاءت الاخبار بذلك الى السلطان محمد فسار في مائة ألف وخمسين ألفا من الجنود المدربة وحاصر مدينة بلغراد وضيق عليها برا وبحرا حتى كادت تسقط في يديه وطارت الاخبار بذلك الى الآفاق فأخذت حجة الدين أحمد رهبان القديس فرنسيس فطاف يحث النصارى ويحضرهم على الجهاد واستخلاص بلغراد من أيدي المسلمين وأكثر من التطواف والحض والمناداة فاجتمع حوله زهاء أربعين ألفا من الجنود النمساوية فسار بهم الى القائد هونيادس الشهير قائد الجيوش المجرية وجعله المقدم عليهم فسار بهم هونيادس وقاتل السلطان محمد قتالا عنيفا للغاية فاتصر عليه وأتلف سفنه الحربية وأغرق أكثرها فلبث السلطان محمد يهاجم المدينة أربعين يوما فلم ينل منها ورجع عن بقي من عسكره وقد مات منهم خلق عظيم وأصابته هونيادس قائد العساكر المسيحية بعد نصرته جراحات بليغة فاعتل ومات بها بعد انسحاب السلطان محمد بعسكره فلما علم السلطان بموته فرح وسير وزيره محمد باشا الى فتحها فحاصرها ولبث يقاتل عليها سنة ونصف سنة حتى تم له النصر وسقطت في يده فخرت بذلك استقلالها وأصبح حكمها بحكم بقيصة المدن التي وقعت في قبضة العثمانيين

مطلب
قيام البابا كالستوس
الثالث وحثه المسيحيين
على قتال السلطان محمد

ولما كانت سنة احدى وستين وثمانمائة هجرية أي نحو سنة ست وخمسين وأربعمائة وألف ميلادية زحف السلطان محمد على ولاية أثينا وفتحها بعد حروب هائلة وضمها الى أملاكه وانفق في هذه الاثناء ان وقع الخلاف ما بين الملك توما والملك ديمتريوس بالمولوغيوس أخى قيصر الروم بشأن مملكة المورة التي كانا يحكمونها بالاشتراك معا ويدفعان عنها الخراج

مطلب
زحف السلطان محمد على
ولاية أثينا ولما كان من
وراء ذلك

للسلطان محمد واشتد بينهما الخصام واستفحل أمره فقامت الحرب بينهما على ساق فظفر
 توما بدمتريوس وهزمه فاستنجد دمتريوس بالسلطان محمد وطلب منه المدد وزوجه
 بانيته ليستميله اليه فلبى لذلك دعوته وأنجده على توما وسير اليه جيشا ضخما فهرب
 توما بعد انهزامه شر هزيمة وخلا الجولدمتريوس فجعل يتصرف في الامور ولكن
 لم تكده تستقر به الراحة بعد تلك الحروب الهائلة حتى داخل السلطان الطمع ومالت نفسه
 الى ضم مملكة دمتريوس الى بلاده فركب على دمتريوس بخيله ورجله وقبض عليه ونفاه
 الى احدى الديارات واستولى على بلاد المورة الا بعض الحصون التي كان سملها توما الى
 البابا وأهل البندقية قبل فراره من وجه دمتريوس * ولم تأت سنة سبع وستين وثمانمائة
 هجرية أى سنة احدى وستين وأربعمائة وألف ميلادية الا وقد زالت آثار السلطنة
 المشرقية العظيمة ولم يبق منها سوى مملكة طرابزون فعمد السلطان محمد في تلك السنة الى أخذها
 وضمها الى مملكته وجيش جيشا وسار به اليها وقائلها حتى أخضعها لحكمه ودخلت في عداد
 ممالكه ثم سار منها فأخذ ولاية سنوب وجاء بصاحبها داود كوموين أسيرا الى القسطنطينية
 ومثل به شرميل ثم أمر فقتلوه صبوا وكان فداتهم بكتابة ملك فارس والتألب معه وقتل
 كذلك أولاده بين يديه وكانوا ثمانية وعاد الى القسطنطينية ظافرا غانما * ثم جيش بعد قليل
 جيشا عظيما وسار به لقتال أمير الفلاخ وكان سبب ذلك تعدى بعض أهالي الفلاخ
 على جماعة من التجار العثمانية النازلين هناك فلما علم صاحب الفلاخ بحضوره أرسل
 اليه رسلا في طلب الصلح وقيامه بدفع جزية في كل سنة قدرها عشرة آلاف دوكاوان
 يصادق على جميع الشروط التي تقررت في معاهدة سنة ست وتسعين وسبعمائة هجرية
 أى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة وألف ميلادية ما بين السلطان بايزيد وأمير الفلاخ يومئذ
 فقبل السلطان محمد الثاني بذلك وانسحب بجميع جيوشه وكان هذا القول من أمير الفلاخ
 خدعة ليمكن من عقد محالفة مع ملك المجر على قتال الترك فلما تم له ما أراد وعلم السلطان
 بالخبر سير اليه رسولين يسألانه في ذلك فقبض عليهما وقتلهما ثم لم يلبث ان زحف في
 جيش عظيم وأغار على بلاد بلغاريا التي هي من أملاك آل عثمان فعات فيها وأفسد وخرب
 وأحرق وعاد بخمس وعشرين ألف أسير فسير اليه السلطان رسلا في طلب فك الاسرى
 والرجوع الى الطاعة وعدم مخالفة العهد فلما مثلوا بين يديه قيل انه أمرهم بخلع عمامتهم
 عن رؤسهم اجلالا له وتعظيما فأبوا ذلك فأمر بأن تسمى عمامتهم على رؤسهم بمسامير من
 حديد ففعلوا بهم ذلك وهم بين يديه وجاءت الاخبار الى السلطان بما وقع لرسله فكاد
 يتميز غيظا ونادى في جنده بالتأهب ثم خرج في مائة ألف لقتال أمير الفلاخ وما زال حتى
 اخترق جوف بلاده ووصل الى مدينة بخارست عاصمة مملكته بعد أن هزمه شر هزيمة
 ومزق شمل عسكره فهرب صاحب الفلاخ ونزل على ملك المجر مستجيلا فنادى السلطان

محمد بنخلعه من منصب الامارة وأقام أخاه راوول مكانه وكان راوول هذا قد تربى في حضنة السلطان محمد وللسلطان به ثقة فصارت بذلك بلاد الفسلاخ تابعة لأُملاك السلطنة العثمانية

مطلب
تدوين بلاد البوسنة
وأخذها عنوة

وركب في سنة سبع وستين وثمانمائة هجرية أى سنة اثنين وستين وأربعمائة وألف ميلادية على البوسنة لامتناع أميرها عن دفع الجزية فخاربه وانتصر عليه وقتله هو وولده بعد قتال عنيف للغاية فدانت له بقتله جميع بلاد البشناق وكبر الامر على صاحب الجرفهم باستخلاص البوسنة من أيدي العثمانيين وخرج في عسكر عظيم فركب عليه السلطان في جيش جرار وهزمه وفرق شمل عساكره فعاد خائباً وشدد السلطان على أهل البوسنة فسلبهم جميع ما كان لهم من الامتيازات والحقوق وأدخل في الصفوف الانكشارية زهاء ثلاثين ألفاً من شبان البوسنة وشدد على كبار أهلها وأشرفهم فتدين أكثرهم بالدين الاسلامي وصارت البلاد ولاية كبتقية الولايات الداخلة في حكم آل عثمان * ولما كانت سنة ثمان وستين وثمانمائة هجرية أى سنة ثلاث وستين وأربعمائة وألف ميلادية ابتدأ الخلاف بين العثمانيين وأهل البنادقة وكان سبب هذا الخلاف ان عظيمًا من العثمانيين هرب الى ناحية كورون التابعة للبنادقة فطلب فلم يسلوا فيه وامتنعوا وقالوا انه تنصر واعتنق الدين المسيحي فلا يحل اعتباره عبداً رقيقاً وكان في نفس السلطان أن يشن الغارة على جميع أعمال البندقية ويضمها الى أملاكه فالتخذ ذلك حجة للقتال وجيش جيشاً عظيماً وسار به في سنة خمس وسبعين وثمانمائة هجرية ونزل على جزيرة اغريوز المعروفة أيضاً بارجوس يريد قتالها فقاتله أهلها قتالاً عنيفاً وأرسلوا يستجدون حكومتهم فسيرت لجندتهم عمارة عظيمة فوصلت الى بلاد المورة وأنزات الى البر من بهامن الجنود والمقاتلة فتقوت بهم عزائم سكانها وثاروا معهم على من كان عندهم من عسكر السلطان فأجسأوهم عن البلاد ثم رموا ما كان تهدم من أسوار برزخ كورنشيه وحاصروا مدينة كورنشيه واستخلصوا مدينة اغريوز فاستعظم السلطان هذا الامر وأكبره جداً وزحف في زهاء ثمانين ألفاً يخاف أهل البندقية وسقط في أيديهم وتركوا البرزخ المذكور ورجعوا القهقري فوصل السلطان بعسكره ودخل البلاد بعد قتال خفيف واسترجع كل ما أخذوه وأرجع الامور الى سابق مجراها

واشتد بغض أمم أوروبا للعثمانيين وكرهوا جوارهم فقام البابا بيوس الثاني يدعو المسيحيين الى قتال المسلمين ويستحثهم على نصرته الدين ومحو آثار العثمانيين من قارة أوروبا وأكثر أتباعه من النداء والتحريض فهاجت الخواطر وامتلات القلوب بغضا فقام صاحب البانيا بعسكر جرار وشن الغارة على المماليكة العثمانية وقاتل العثمانيين قتال الأبطال فحرب وأحرق وأهلك الحرث والنسل وأراق الدماء الكثيرة وما زال يقاتل حتى أدركته المنية فلما

سنة ثمان وستين وثمانمائة هجرية حثف أنفه وقد كان من أشد خصوم العثمانيين وألد أعداء سلاطين آل عثمان فخارهم خسا وعشرين سنة لا يغد له فيها سيف ولا يثني له عزم ولم يقو السلطان محمد على قعره وادخله تحت الطاعة * وسير السلطان بعد ذلك بقليل عمارة حربية لفخ مينا آق كرمان ففتحها وأفلعت السفن تريد مصاب نهر الدافوب لاعادة الكرة على بلاد البغدان وأخذها فلاقته العساكر البغدانية وفي مقدمها الامير اصطفن الرابع صاحب البغدان عند نهر الدافوب فاجتاز السلطان النهر فلم تقف امامه عساكر اصطفن وتقهقروا خديعة ومكرا ولم يقااتلوا السلطان فتبعهم السلطان بعساكره وساق خلفهم بخيله ورجله حتى دخلوا في غابة كثيفة للغاية لاتعترف مفاوزها فلم يهملهم اصطفن المذكور حتى انتقض عليهم بعسكره وقهرهم وأعمل فيهم القتل بحمد السيف ففر السلطان ونجا وتمزق شمل من بقي من عسكره وانتصر اصطفن في هذه الموقعة نصرة عظيمة وكان ذلك في سنة احدى وثمانين وثمانمائة هجرية أى سنة ست وسبعين وأربعمائة وألف ميلادية ففرح المسيحيون بنصرة اصطفن فرحا عظيما وسير اليه البابا رسولا يهنئونه بالنصر ويقول له ان البابا قد سماه من هذا اليوم بطل النصرانية وحامي حامي الديانة المسيحية

مطلب
فيما أصاب عسكر السلطان
في بلاد البغدان وفي هزيمتهم

مطلب
حصار سفن السلطان
لرودس والرجوع عنها

وجهرز في سنة خمس وثمانين وثمانمائة هجرية أى سنة ثمانين وأربعمائة وألف ميلادية عمارة أخرى عظيمة وعليها مائة ألف مقاتل وشئ كثير من الذخيرة ومعدات الحرب وسيرها مع ميشطس باشا أحد العائلة الباليولوجية الامبراطورية الرومية وكان قد اعتنق الدين الاسلامي بعد فتح القسطنطينية فسار بها الى جزيرة رودس وحاصرها وضيق عليها وأقام تحت أسوارها تسعين يوما فلم ينل منها فجاهه الامر بالارتحال عنها فارتحل ولم يقدر الله للسلطان محمد قتالها بعد ذلك * قال أصحاب التاريخ ولما وصلت عمارة السلطان محمد الى جزيرة رودس كان صاحبها قد تمكن من ابرام صلح مع سلطان مصر وباى تونس بعد ان وقعت الحرب بينهما وبينه أياما كثيرة ليتفرغ بذلك الى دفع غارات العثمانيين عن الجزيرة التي هي مقر رهبنة القديس يوحنا الاورشليمي فحاصرتها عمارة السلطان محمد حصارا تاما ومنعت عنها المدد وضيق عليها من كل جانب ووات الرمي عليها بالمكاحل فكان أهلها يصلحون في الليل ما تخربه المدافع من أسوارها في النهار فطال حصارها تسعين يوما وفي كل يوم يهجم العثمانيون على الأسوار فلم تنل منها وقد قتل منهم خلق كثير للغاية فلم يبق الا القليل وجاء مرسوم السلطان برفع الحصار والارتحال عنها فارتحلوا وما زال السلطان محمد على قدم الغزو والجهاد لا ينكف عن القتال وتدوخ البلاد حتى أدركته المنية وهو سائر بعسكره جوار لقتال ملك فارس مات في مدينة ازنكيد في سنة ست وثمانين وثمانمائة هجرية أى سنة احدى وثمانين وأربعمائة وألف ميلادية

مطلب
وفات السلطان محمد وولايته
ابنه بايزيد

في سلخ ربيع الاول وله من العمر ثلاث وخمسون سنة فكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة قال
 أصحاب التاريخ وله الفعال الماثورة في داخل بلاده فهو الذي دعا الحكومة العثمانية بالباب العالي
 وقسم هيئتها الى أربعة أقسام وهي الوزير وقاضى عسكروالدفتردار والنيشانجى أى كاتب
 سرالسلطان ورتب وظائف الجند على أسلوب جديد فجعل لطائفة الانكشارية كبرا سماه
 الانا وسلمه حراسة القسطنطينية وضبط أحوالها الداخلية وآخر لأصحاب المكاحل وآخر
 لما تحتاجه الجيوش من الذخيرة والمؤنة ومعدات الحرب واهتم بترتيب وظائف القضاء وسن
 القوانين النظامية المناسبة للزمان والمكان * وأعقب ولدين وهما بايزيد وجم فبايع الناس
 بايزيد بالسلطنة في اليوم الذى مات فيه أبوه وهو الرابع من ربيع الاول سنة ست وثمانين
 وثمانمائة هجرية أى سنة احدى وثمانين وأربعمائة وألف ميلادية وطبروا الخبر بذلك الى
 الآفاق فأخذت له البيعة العامة في خلال سنة ست وثمانين هجرية وكان سلطانا جليل القدر
 عالما شاعرا لبيبا مواظبا على العلم حسن السيرة * قال أصحاب التاريخ لما مات السلطان
 أبو الفتح محمد وكان أكبر أولاده بايزيد وولى عهده من بعده مقبلا باماسيا يحكمها من قبل
 أبيه أخفى الوزير قرمانى محمد باشا خبر موت السلطان حتى يأتى ابنه بايزيد المذكور ولكنه
 لما كان بينه وبين أصغر أولاد السلطان مودة ومحبة أكيدة وكان يفضل على بقية اخوته
 سير اليه سرا من يعلمه بخبر موت أبيه ويستقدمه على عجل ليسلمه مقاليد السلطنة قبل أخيه
 بايزيد فشاع خبر ذلك بين الناس وعلم به جماعة الانكشارية فثاروا على الوزير وقتلوه وعاثوا
 يومئذ في المدينة وأفسدوا وقتلوا ونهبوا وولوا الامير كركود ابن السلطان بايزيد السلطنة مكان
 أبيه حتى يأتى أبوه فلما كان الثالث عشر من ربيع الاول وصل الرسول الى بايزيد وأعلمه بخبر
 موت أبيه فركب في اليوم الثانى في أربعة آلاف وسار مجدا فدخل مدينة القسطنطينية بعد
 مسير مائة فرسخ وستين فرسخا في تسعة أيام فخرج أمراء الدولة وكبارها وأعيانها للقاءه
 ودخل المدينة في أبهة وجلالة عظيمة للغاية وأخذ في مباشرة الامور * أما الامير جم فانه
 لما وصل اليه الخبر بموت أبيه ركب من فوره في جماعة من أصحابه وسار قاصدا مدينة
 بروسه فبأنعه من دخولها من كان بها من المرابطين فقاتلهم عن معيه وانتصر عليهم نصرة
 عظيمة ودخلها عنوة وأقام بها ولم يستقر به المقام حتى جاءه أخوه السلطان بايزيد في جيش
 عظيم وقاتله وقهره وساق خلفه بجياله ورجله حتى أوصله الى تخوم ديار مصر فلما رجع
 ظافرا منصورا سأله الانكشارية أن يبيع لهم بروسه لينتقموا منها فلم يوافقهم على ذلك ولكنه
 خاف عاقبة أمرهم فأقطع كل رجل منهم قرشين

وأقام جم بمصر ماشاء ثم عاد الى حلب واتحد مع الامير قاسم بك آخر سلالة أمراء
 القرمان على قتال أخيه بايزيد فلم ينالا شيئا فراسل أخاه في طلب الصلح بشرط أن يقطعه
 بعض الولايات ليقم بها فلم يقبل بايزيد منه ذلك تخاف جم العاقبة وسار الى جزيرة رودس

وطلب الى رئيس رهبنة القديس يوحنا الاورشليمي أن يساعده على أخيه بايزيد فقبله عنده وأنزله منزلا رحبا فجاءت وفود السلطان بايزيد الى رئيس الرهبنة وكلوه في أمر يحمي المذكور وأنه ان بقي عندهم بالجزيرة تحت الحفظ تعهد لهم السلطان بعدم مس استقلال جزيرتهم مدة حياته وأن يحمل لهم في كل سنة مبلغا من المال قدره خمسة وأربعون ألف دو كاقبل الرئيس ذلك ووفى بالوعد فلم يمكن حيا من الخروج ولم يسمح له بالذهاب الى ملك المجر ولا امبراطور الالمان وقد كان كل منهما يطلبه ليتخذ واسطة لتذليل السلطان بايزيد واذهاب هيئته وسيره الى مدينة نيس ليبقي بها محجورا عليه لا يفارقها ثم نقله الى شميرى وجعل بعد ذلك ينتقل من بلد الى آخر من بلدان فرنسا زهاء سبع سنوات فلما كانت سنة خمس وتسعين وثمانمائة هجرية بعثه رئيس رهبنة القديس يوحنا الى البابا توسان الثامن ليبقي عنده فراسل البابا السلطان بايزيد في أمره وطلب اليه أن يبعث بالمال الذي كان يحمل في كل سنة الى رئيس رهبنة القديس يوحنا فأجاب السلطان الى ما طلب وظل الامر على ذلك حتى مات البابا توسان وقام بعده البابا اسكندر بورجا واشتغل السلطان بايزيد بما جاءه من أخبار اغارات شارل الثامن ملك الفرنسيين على بلاد ايطاليا وعقده النية على فتح القسطنطينية وقد اشتدت رغبة شارل في ذلك فبعث البعوث الى بلاد مقدونية واليونان لاضرام نار الفتنة والخروج على السلطان بايزيد فلما علم ملك نابولي وجهورية البنادقة بما ينوي به شارل خافوا من تعاضم شأن دولة الفرنسيين واستفحال أمرها وأرسلوا الى السلطان بايزيد يحذرونه شر العقوبة ويحثونه على الاخذ بأسباب التأني والحزامة وأن يسير الى بلاد ايطاليا طائفة من عسكره ليصدها جيوش ملك الفرنسيين فأحسن شارل بذلك وأكبره فسار الى مدينة رومة وحاصرها وضيق عليها من كل جانب وطلب من البابا اسكندر أن يسلمه حيا أيا السلطان بايزيد فلم ير بدا من تسليمه فسار يجمع مع جيوش الفرنسيين حيث ساروا حتى أدركتهم المنية في مدينة نابولي فدفنوه في بلدة من بلاد ايطاليا ثم نقل الى مقابر أجداده بمدينة بروسه

ونافت نفس السلطان بايزيد الى فتح الديار المصرية وضمها الى أملاكه فسار في جيش عظيم لقتال سلطانها فالتقىا جهة القرمان واقتتلا قتالا شديدا فلم يفلح السلطان بايزيد وراسلها ماى توتس بالكف عن القتال بدعوى أنه لا يصح قيام الحرب بين ملكين مسلمين فتقررت بين الفريقين قاعدة للصالح وعاد السلطان بايزيد بعسكره وعادت كذلك العساكر المصرية ويتبعها هو يغزو ويحارب ويفتح المدن والامصار والتوفيق ملازمه ان قامت الفتنة داخل بلاده بخروج اثنين من أولاده عن طاعته واضرامهم نار الحرب قال بعض كتاب الاخبار وقد كان له ثمانية أولاد ذكور مات منهم خمسة في حوادثهم وعاش ثلاثة وهم كركود وأحمد وسليم وكان كركود مولعا بالعلوم والآداب ميالا لمخالطة العلماء والأدباء فكانت العساكر لا تميل اليه لهذا السبب وكان الثاني عاقلا رزينا محبوبا من الامراء والاعيان موقرا

مطلب

ونافت نفس السلطان
بايزيد الى فتح الديار المصرية

عند كبير الوزراء مكرما وكان الثالث ميالا للغزوات والحروب فكانت طوائف الجنود والانكشارية تحبه وتجتمع عند كلته ولذلك ولى السلطان بايزيد كلا منهم منصبا يليق بحاله فولى الامير كركود احدى الولايات البعيدة وولى الامير أحمد ولاية اماسيا وولى الامير سليما ولاية طرابزون فلم يقبل الامير سليم هذا المنصب واستصغره وسار من طرابزون الى كافا وسير منها رسلا الى أبيه يطلب اعطائه احدى الولايات الكبرى من مملكته التي في أوروبا فاستعظم السلطان ذلك وأكبره ولم يجبه الى ما طلب ورد الزسل كما حضروا فكبر الامر على الامير سليم وركب في جيش من التتار وسار لقتال أبيه فأرسل أبوه كذلك جيشا لارهابه فلم يرعوا واشتد في التأهب والاستعداد لاضرام نار الوغى نفشى السلطان شر العقابة وأجابه الى ما طلب وعقد له الولاية على مدينتي ودين وسمندرية فدخل نفس الامير كركود من ذلك ماداخلها وأغار على ولاية صاروخان وجعلها له مقرا حتى لا يكون بعيدا عن تحت مملكة أبيه عند الحاجة

مطلب

خروج الامير سليم على أبيه
السلطان بايزيد في طلب الملك

ولم يستقر بالامير سليم المقام في سمندرية حتى تافت نفسه الى ارتقاء منصب السلطنة والانفراد بالملك فسار من سمندرية في جيش الى أدرنه واستقر بها ونادى بسلطنته عليها وطير الاخبار بذلك الى الآفاق فلما وصل الخبر الى السلطان بايزيد هاله جدا وأغضبه فسير جيشا لاختضاع الامير سليم وارجاعه الى الطاعة فقاتله فانتصرت عساكر السلطان بايزيد وفر الامير سليم الى بلاد القرم واختفى وتفرق من كان معه من العساكر والاحزاب ولما تم للسلطان بايزيد النصر على ابنه سليم سير جيشا آخر لقتال ولده كركود بصاروخان فخرج كركود لقتال عسكر أبيه فالتقى الجمعان واقتتلا فانهزم أصحاب كركود شمرهزيمة واختفى كركود حتى كان من أمره ما سيذكر في محله * ولم يكذب يتم الظفر للسلطان حتى قامت طوائف الانكشارية على قدم وساق وسأله العفو عن ولده الامير سليم وارجاعه الى ولاية سمندرية فطاولهم فأكثروا من الاصلاح وشددوا وارهبوا وهددوا وما زالوا حتى أجابههم السلطان الى ما طلبوا وسير الى الامير سليم فرمان الرضا والولاية على سمندرية كما كان فظهر الامير سليم عند ذلك من محبته وسار في تقرير سمندرية فخرج للقائه جماعة من الانكشارية وساروا في ركابه وعرجوا به الى القسطنطينية ودخلوها في كبكبة وضجة زائدة وما زالوا على ما هم عليه من الجلبة والصباح حتى صاروا تحت قصر السلطان بايزيد وسيروا اليه جماعة يطلبون اليه خلع نفسه والتنازل لولده الامير سليم عن الملك وأكثروا من النداء والصباح وشددوا في الطلب فاجتمع الناس وكثر الزحام وعلت الضوضاء وعم الخوف سائر من في المدينة وأشدت الهرج نحف السلطان بايزيد شر العقابة وأجابههم الى ما طلبوا وخلع نفسه في اليوم الثامن من صفر سنة ثمان عشرة وتسعمائة هجرية أي سنة اثنتي عشرة وخمسمائة وألف ميلادية وله من العمر يومئذ سبع وستون سنة

وفي رواية انه لما قامت الفتنة في داخلية البلاد بخروج اثنين من أولاده عن طاعته أمر بقتلهما فقتلا فكثرت لذلك القلاقل وعلت كلمة الانكشارية فعاهدوا الامير سليما بالملك وكلوه في أمر السلطنة فاجتاز بوزار القسطنطينية لاستخلاص الملك من أبيه فخاربه أبوه وهزمه فهرب الى بلاد القرم وأقام بها ثم قصد القسطنطينية ثانية في جيش وجرى بينه وبين أبيه وقائع كثيرة فلما اشتد الحال بالسلطان بايزيد خلع نفسه من السلطنة وعهد بها الى ابنه سليم المذكور وسار الى أدرنة فدرس له ابنه من سقاء السم خوفا من رجوعه الى دست السلطنة فلما مات بايعوا بعده السلطان سليما البيعة العامة واستقرت به السلطنة فقبض على أخويه أجد وكر كود وقتلهم ومثل بهما ليخلوه الجوثم سار لقتال ملك فارس ثم كان ما كان من انتشاب الحرب بينه وبين السلطان فانصوه الغوري صاحب مصر وتغلغل به بعساكره في داخل البلاد حتى وطئت خيله القاهرة وتصرفه في الامور بعد ان بدد شمل عساكر الملك الاشرف طومان باي وظنه موت الاشرف مع من قتل من الامراء والاجناد والمماليك في الواقعة التي حصلت عند الريدانية كما مر بك بيان هذا كله في محله

(المقالة التاسعة وفيها فصول)

(الفصل الاول)

(فيما جرى بعد دخول السلطان سليم القاهرة وفي سلطنة

على ديار مصر ولبسه شعار الخلافة)

لما استقر بالسلطان سليم المقام بالقاهرة بعد انتصاره على السلطان الملك الاشرف طومان باي ومن معه من كبار الامراء والمماليك وتبديد شملهم وإعمال السيف فيمن بقي منهم ظن موت السلطان الملك الاشرف وان قد دانت له البلاد فجد الى ترتيب الامور وتقرير قواعدها ورسم في يوم الثلاثاء رابع المحرم افتتاح سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة هجرية بتقليد بعض أصحابه المناصب العالية وأمر ونهى وقضى يومه هذا في أنس وصفاء وهو لا يعتقد الاهلاك الاشرف فما أذن لوقت العشاء من ليلة الاربعاء حتى أطبقت عساكر الاشرف على السلطان سليم من كل جانب والاشرف ينادى فيهم بالجل وإعمال السيف وأن لا يبقوا أحدا فاندفعت عساكر الاشرف على عساكر السلطان اندفاع الوحوش الضواري وأعملوا فيهم السيف

وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأحرقوا بعض خيامهم وبحسوا عن السلطان سليم فلم يقفوا له
 على أثر من شدة الظلام وهرع العامة وعياق بولاق من النوتية وغيرهم وأحاطوا بخيام
 عسكر السلطان وصاروا يرجون بالمقالع وفيها الجبارة وكثر الصياح وعلت الاصوات
 واشتدت الجلبة واستمروا على هذا الحال الليل كله حتى مطلع الفجر فتمزق عساكر
 السلطان سليم كل ممزق وتفرقوا في الشوارع والحارات يريدون النجاة وذهب فريق منهم
 الى ناحية النصرية فلاقاهم الأمير عيلان الدوادار الكبير عند الميدان وقاتلهم قتالا عنيفا
 ومازال حتى استرد منهم الطريق من رأس الجزيرة الوسطى الى قنطرة باب البحر وإلى
 قنطرة قديدار واستمر القتال بين الفريقين من مطلع الفجر الى ما بعد الغروب واشتدت
 عزائم الجرا كسة وقويت قلوبهم فافشوا في قتل العثمانيين وأخرجوهم من جميع
 الاماكن التي كانوا محتفين بها وجعلوا يحترقون رؤسهم كما فعلوا هم بهم عند الريدانية وكانوا
 يأتون بالرؤس بين يدي السلطان الملك الاشرف وهو يسكن المماليك على القتال والاختار
 بالشار وأصبحوا يوم الاربعاء الخامس من المحرم والقتال قائم على ساق بين الفريقين
 والمناداة من السلطان الملك الاشرف متواصلة بالقبض على كل من يجذونه من عساكر
 السلطان سليم فجاء الناس كافة في طلبهم والقبض على من يجذونه منهم فكان يوما شره
 مستطير * ورتب السلطان سليم من بقي من عسكره ونادى فيهم بالقتال فقويت قلوبهم
 وصدموا المماليك عند بولاق وجزيرة الفيل صدمة قوية للغاية فاجلوهما عنهما وأخذوهما
 وهجماه على زاوية الشيخ عماد الدين بالنصرية وقبضوا على من كان بها من المماليك
 الشراكسة وأحرقوا البيوت التي حول الزاوية وقتلوا جماعة كثيرة من العامة والنساء
 والاطفال والشيوخ وأجلوا من بقي من المماليك عن النصرية فتوجهوا الى قناطر السباع
 ونزل الاشرف طومان باي الى جامع شيخون بالصليبة وأخذ يجمع من تفرق من عسكره
 ثم رسم بحفر خندق في راس الصليبة وآخر عند قناطر السباع وآخر عند راس الرميلة
 وآخر عند جامع ابن طولون وآخر عند جزيرة البقر ورسم باحراق خان الخليلي فغنه بعض
 الامراء من ذلك ثم قسم عساكره الى أربع طوائف طائفة تقايل عند قناطر السباع
 وطائفة عند الرميلة وطائفة عند جامع ابن طولون وطائفة عند راس الصليبة ولكن قد كان
 الخوف استولى على قلوب عساكره ففترت همهم وكبر خوفهم لمثابة عسكر السلطان سليم
 على القتال وكان القتلى من الفريقين مطروحين في الطرق من بولاق الى قنطرة السباع وإلى
 الرميلة وإلى تحت قلعة الجبل وبقي الحال على هذا الوصف الى يوم السبت ثامن المحرم فلم
 يشعر السلطان الملك الاشرف الا وقد اخفى من بقي من أصحابه ولم يبق معه في ساحة القتال
 الا بعض العبيد الرماة والمماليك السلطانية وقليل من الامراء * فلما رأى أنه مأخوذ لا محالة ترك
 القتال وهرب الى بركة الحبش وشاع الخبر بفراجه فانقض عسكر السلطان سليم على الصليبة
 وأحرقوا جميع البيوت التي حولها من درب ابن عبد العزيز وقتلوا كثيرا من العامة وأفشوا

في القتل والنهب والاحراق وعاثوا في البيوت والمساجد والاضرحة سيما وراء المماليك فن وجدوه منهم ضربوا عنقه في الحال وفعّلوا بالجامع الازهر مالا يحسن وكذلك فعلوا بجامع الحياكم وجامع ابن طولون وغيرهما من الجوامع فكانت الكلاب من كثرة الرمح تنهش فيها نهشا وتغزقها غزيقا وكان المنظر مدهشا مريعا جدا والناس في شغل عن دفن تلك الجثث لانتشار عسكر السلطان سليم في الحارات وقتلهم كل من يجدونه في طريقهم

ورسم السلطان سليم بالمناداة في العسكر بالكف عن القتل واراقة الدماء فانكفوا وعاد السلطان الى خيمته في الجزيرة الوسطى واشتغل الناس بدفن الموتي فكافوا لا يكادون يميزون بعضهم عن بعض وانتشر البكاء والعويل في مصر والقاهرة وقامت المآتم ببعض البيوت الكبيرة فكان الخطب عظيم والمصاب شديدا * وأخذ السلطان سليم بمشورة أمير المؤمنين الخليفة المتوكل على الله العباسي وعمل بقوله فظهرت كلمة الخليفة يومئذ وعظمت شوكته ووقف في دهليزه الامراء من المقدمين وامراء الطبليخانات والعشروات فسرارا من عسكر السلطان سليم وكذلك المخدرات من النساء واصحاب البيوتات العالية ونزلت عنده خويته ابنة الامير آق بردى زوجة السلطان الملك الاشرف طومان باي وقد فرض عليها السلطان سليم مبلغا من المال غرامة فلم تقدر على وفائه واستغاثت بالخليفة على استرضاء السلطان فاخذ يتطلف به حتى تجاوز عن شيء منه وألزمته بايفاء الباقي وما زال الحال في شدة والناس في خوف ما عليه من مزيد حتى يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم نادى منادى السلطان سليم بالامان لجميع من بقي من الامراء المقدمين وامراء الطبليخانات وامراء العشروات والمباشرين واصحاب الوظائف الديوانية فخرجوا من مخبئهم وأتوا الى معسكر السلطان فأمّنهم ورسم لهم بالذهاب الى مدرسة الغورى فلما اجتمعوا بها جاءت طائفة من العساكر العثمانية واحاطت بالمدرسة فتخوف الامراء من ذلك وظنوا الغدر بهم ثم رسم لهم بعد أيام بالصعود الى قلعة الجبل فصعدوا اليها والجنود تحرسهم فاقاموا بها تحت طلب السلطان فلما كان يوم الخميس عشرى المحرم صعد السلطان الى القلعة في موكب حافل للغاية وأمامه الجنائب والطبول والزمر وطوائف الجنود من المماليك الذين كانوا مع خير بيك والغزالي والعساكر العثمانية ومتر من الصليبية فانطلق العامة بالدعاء له

ولما استقر به المقام رتب من قومه كشافا على الغربية والشرقية ونظر في بعض المهمات من الامور وقيد بعض الامورين بمساحة الشرقية وكشف ما فيها من اقطاعات المماليك الشراكسة وغير ذلك من الرزق والاقواف وكذلك فعّل بالغربية والحلة وجميع الجهات القبلية واحتجب عن الناس بالقلعة ولم يجلس على الدكة السلطانية للنظر في الظلمات كما كانت تفعل ملوك مصر وسلاطينها قبله * وبينما هو على هذا الحال اذ جاءت الاخبار من الاقاليم القبلية بظهور السلطان الملك الاشرف طومان باي ومعه جوع كثيرة من المماليك والغلمان السود والعربان والعامة والكثير من الخيل والدواب والاسلحة وانه عازم على الجي

الى القاهرة ليقا تل السلطان سليما ويجليه عن البلاد وشاع هذا الخبر بين الناس وتأكد
بوصول مكاتبة من الاشرف الى السلطان سليم يقول له فيها

وبعد فان شئت أن أجعل الخطبة باسمك وكذلك السكة وأكون نائبا عنك بمصر
وأجل اليك في كل سنة الخراج حسبما يقع الاتفاق عليه بيننا فأرحل عن مصر الى الصالحية
أنت وعسكرك وصن دماء المسلمين بيننا ولا تحمل وزر اراقه دماء الشيوخ والنساء والاطفال
بغير سابق ذنب والا فخرج للقاء بعسكرك في الجزيرة والله سبحانه يعطى النصر لمن يشاء
فلما وقف السلطان سليم على ما في المكاتبة جمع اليه أمير المؤمنين الخليفة المتوكل على الله
والقضاة الاربعة وجماعة من وزرائه وكتب بحضرتهم صورة عين الى الملك الاشرف وكتبه
بخطه ووقع عليها ثم تكلموا في الامر طويلا فوقع الاتفاق بينهم على تسيير الخليفة والقضاة
الاربعة الى الاشرف بذلك اليمين وخلع السلطان سليم على القضاة وأمرهم بالتأهب للسفر
فتزلوا من عنده على ذلك اما الخليفة فانه امتنع عن السفر فرسم السلطان بتسيير دوا داره بدلا
عنه فسافروا ولما صاروا على مقربة من البهنسا خرج عليهم جماعة من الشراكسة وقبضوا
عليهم وسلبوا ما كان معهم من متاع وسلاح وهدايا وخيول وجمال وغير ذلك وقتلوهم
فلم ينج منهم سوى القضاة الاربعة ودوا دار السلطان ورجعوا الى القاهرة وهم في أسوأ
حال فلما علم السلطان سليم بما جرى لهم أمر فنقلوا معسكره من الجزيرة الوسطى الى بركة
الحبش ونزل في يوم السبت حادى عشر صفر من قلعة الجبل ومعه الجم الغفير من العساكر
والمبشرين والغلمان ورماة البنادق وقد أشيع خبر انحدار عسكر الاشرف طومان باى
من البهنسا الى ترسه بالجزيرة فرسم السلطان بعمل سقائل على النيل بناحية طرا ومصر
القديمة وبولاق لعبور العساكر عند الاقتضاء وأخذ في التأهب والاستعداد وقد ظهرت عليه
وعلى جميع قومه علامات الاضطراب وخاف الناس كثيرا لاسيما وهم لم يتناسوا ما حل
بهم باسباب الوفاة التى وقعت بالصليبية والناصرية وغيرهما

ولما كان يوم الاربعاء ثانى شهر ربيع الثانى أمر السلطان سليم فجاء بجميع الامراء
الذين كانوا بقلعة الجبل وقد كانوا ظهروا بأمان من السلطان كما تقدم القول فانزلوهم مكبلين
بالحديد والجند من حولهم الى بركة الحبش فلما مشوا بين يدي السلطان أخبرهم بما فعله
الملك الأشرف بالقضاة والدوا داره وامتناعه من الصلح بعد ان طلبه وأكثر من تأنيبهم
وتوبيخهم ثم أمر بضرب أعناقهم جميعا فضربوا أعناقهم بين يديه وكانت عدتهم اربعة
وخمسين أميرا مابين مئتين ألف وأمرأ طبلخانات وعشروات وغير ذلك وألقوا
جثثهم للكلاب فكانت نساؤهم تسعى فى أخذها بدفع شئ من المال الى الموكلين بالعمل
ثم قام السلطان سليم من ساعته الى بركة الحبش وعبر النيل بعسكره الى الجزيرة فجاءته
الاخبار بوصول عسكر الاشرف الى المناوات فأقام بالجزيرة الى يوم الخميس عاشر ربيع الثانى
فظهرت طلائع عسكر الاشرف ولاقتها عساكر السلطان عند المناوات وقيل بل عند وردان

فالتحم القتال بين الفريقين واشتد وحى الوطيس والتقت السنايك بالسنايك والرماح بالرماح
والصفاح بالصفاح فاستظهر المماليك على عساكر السلطان وقتلوا منهم خلقا كثيرا وساقوهم
حتى ألقوا أكثرهم بأنفسهم إلى النيل فماتوا غرقا وكاد يتم النصر للاشرف طومان باي
وعسكره وجوعه فجاءت في وسط هذه الشدة لعساكر السلطان نجدة من أصحاب البنادق
ورموا بالبنادق على المماليك واصلوا الرمي بشدة حتى ردوهم ومازالوا بهم حتى فرقوا جمعهم
ومزقوا شملهم وعادت الهزيمة عليهم فولوا الادبار وولى الاشرف مهزوما يريد قرية من أعلى
تروجة اسمها البوطة فلما تم للسلطان سليم النصر عاد إلى القاهرة ودخلت عساكره ومعهم
العدد الكثير من رؤس القتلى وهم في كبكبة عظيمة ثم نودي بالزينة فزينت البلد ثلاثة
أيام والناس مع ذلك في شغل بما سيكون من وراء ذلك لعلمهم بما هو عليه الاشرف من
البسالة والجلد على الحروب * أما الاشرف فإنه نزل بقرية البوطة فأقام بها ثلاثة أيام
وهو متحز في نفر من أصحابه ثم حضر إليه الشيخ حسن بن مرعي وشكر ابن أخيه
مشايخ عربان البحيرة وكان بين المذكور وبين الاشرف صداقة قديمة فدعاه حسن للضيافة
وألح عليه في ذلك فركن إليه الاشرف ونزل عنده فلما استقر به المقام طلب مصحفا
ووضعه بين يدي حسن واستخلفه عليه هو وابن أخيه انهما لا يخونانه ولا يغدرانه ولا
يدلان عليه ولا يخبران بخبره أحدا ولا يسعيان ضده عند السلطان سليم خلفا على ذلك
ثلاثا فطاب قلب الملك الاشرف وسكن جاشه وبات ليلته وأصبح وقد أحاط العربان بالمكان
الذي هو فيه وأحدقوا به من كل جانب تخاف من كان معه من الغلمان والمماليك وتفرقوا
عنه وأرسل ابن مرعي المذكور إلى السلطان سليم يعلمه بالقبض على الاشرف ففرح السلطان
بذلك فرحا عظيما وسير طائفة من عسكره فقبضوا عليه وقيدوه بالحديد وأتوا به بين يدي
السلطان وهو في زى العربان فقام له السلطان اجلالا وعاتبه ثم أشار إلى بعض الواقفين
من أصحابه فخرجوا بالاشرف من حضرته وأدخلوه في خيمة أعدت له وأقاموا حولها
الحرس من الغلمان الرماة والاتكشارية فلبث إلى يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الآخر
ثم نحو سبعة عشر يوما والاخبار عنه بين الناس كل يوم في شان * فلما كان يوم الاثنين المذكور
أركبوه على اكديش بعسد ان عبروا به النيل من انبابه إلى بولاق وهو مكبل بالحديد في
زى العربان الهوارة وامامه زهاء الاربعائة من العثمانيين وساروا من سوق مرجوش
ومروا به من القاهرة فتسابق الناس لرؤيته وهم في دعاء له وصياح وجلبة عظيمة وكان
يحييهم بلطفه المعهود وهو لا يدرى أين هو ذاهب فلما جاؤا به عند باب زويلة وقفوا له
وأنزروه عن الاكديش وارخوا حبالا قد نصبوها له على السبيل الذي هناء ووقفت حوله
العساكر بالسيوف فلما رأى ما فعلوه قال أو أنتم قاتلي اليوم قالوا بلى فتبسم والتفت
إلى من حوله من جمهور الناس وقال وهو ثابت الجنان راسخ القلب افرؤا لي الفاتحة
يا اخواني ثلاثا واعفوا عما فرط مني فضج الناس وارتفعت أصواتهم بالبكاء والنحيب

مطلب
قتل السلطان الملك
الاشرف طومان باي

وعلت الضوضاء وارتفعت أصوات النساء من أعلى البيوت والتفت الاشرف الى الجلال وقال له تقدم وافعل ما شئت فالتفت الى الامر فتقدم الجلال ووضع الحبل في عنق الاشرف وجذبه فانقطع الحبل وسقط الاشرف فضج الناس وصاحوا ولولوا فصرعوه ثانيا فانقطع الحبل فاشتد صياح الناس وعلت أصواتهم بالبكاء ففارقته روحه فبكاه الناس بكاء مراً وكان عند ذلك مكشوف الرأس وعليه ثياب من الجوخ الاحمر وفوقها ملوطة وفي رجله سراويل من جوخ أزرق ثم تركوا جثته معلقة ثلاثة أيام حتى فسدت وانتنت فانزلوها وساروا بها الى مدرسة عمه السلطان الغوري فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه في الحوش الذي خلف المدرسة رحمه الله رحمه الواسعة * قال أهل التاريخ وقد كان شابا حسن الوجه لا يتجاوز الرابعة والاربعين من العمر بطلا مقدما حازما تولى النيابة في الغيبة لما خرج عنه السلطان الغوري الى قتال السلطان سليم بحلب فاحسن التدبير وأمن السبيل ودفع النظام وأبطل الاحداث والبدع وكان محبا للرعية شفوفا كثيرا بالبر والاحسان وقورا * قال بعض كتاب الاخبار ولما جهز لقتال السلطان سليم حجب اليه بعض الامراء أن يجبي الاموال من الرزق والاقطاعات مجبلا لنفقة الحرب فقال لا ولا أجعلها نقطة سوداء في صحيفة أعمالي وكانت مدة سلطنته ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما اذ كانت ولايته في الرابع عشر من رمضان وهروبه في التاسع والعشرين من ذي الحجة وهي كلها حروب وكروب وخطوب * روى أنه لما كثرت مظالم ممالك الغوري وزاد عبثهم بأموال الرعية وكثر فسادهم في الارض أبغضهم الناس جدا وضجوا الى الله يطلبون الخلاص واتفق أن رجلا من خيار الناس رأى جنديا من عسكر الغوري أخذ متاعا من دلال ولم يرضه في قيمته فتبعه الدلال بطالبه بحقه وهو ممتنع فقال الدلال بيني وبينك شرع الله فضربه الجندي بدبوس شج رأسه وسقط مغشيا عليه فرفع الرجل يديه الى السماء وقال الهي أنت أعلم بما تفعل هذه الفئة فاحكم فأنت خير الحاكمين ثم نام في تلك الليلة وهو حزين مما رأى فرأى في منامه أن ملائكة نزلت من السماء وبايديهم مكانس وهم يكنسون الشراكسة كنسا فاستيقظ مدهوشا واذا بقارئ يقرأ قوله تعالى فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين * فعلم الرجل أن الله يأخذهم أخذا وببلا فلم يمض الا القليل من الايام حتى قدم السلطان سليم وبدد شملهم وأباد سلطانهم ومزقهم أيدي سبا فزالتموت الاشرف طومان باي دولة الشراكسة المعروفة في عرف أصحاب التاريخ بالدولة الثانية فكانت مدة تصرفهم مائة سنة واحدى وعشرين سنة وجملة سلاطينهم اثنان وعشرون سلطانا أولهم برفوق وآخرهم الاشرف طومان باي

ولما دانت الامور للسلطان سليم بموت الاشرف أخذ يرتب أمور البلاد على ما يشاء فجعل ادارة البلاد ثلاث طبقات وجعل في كل طبقة منها رئيسا وجميعهم طوع أمروا وير الديوان

الكبير ورتب هذا الديوان من الوالى المنتدب من قبل السلطنة على البلاد ومن بكوات سبع وجافات عسكرية وخص الوالى المذكور بتبليغ الاوامر السلطانية الى الديوان وحماية البلاد وتوصيل الخراج الى الخزينة السلطانية وفصل الحصومات بين أرباب الديوان وبعضهم وايقاف كل عند حده وخص أرباب الديوان بنقض أوامر الوالى عند الحاجة وخلعه من المنصب عند الضرورة والتصديق على ما يصدر منه من المراسيم الديوانية المتعلقة بامور البلاد وقسم البلاد القبلية والبحرية الى أربع وعشرين مديرية وولى جماعة من المماليك عليها فكان عليهم جمع الخراج وجباية الاموال ورد العربان عند خروجهم عن الطاعة وقيد هؤلاء الحكام ولم يطلق لهم العمل الا بمشورة أرباب الديوان العالى ولقب أحدهم المقيم بالقاهرة بشيخ البلد * ثم قسم الخراج الذى يتحصل فى كل سنة الى ثلاثة أقسام الاول لمرتبات الخدم من المشاة والفرسان والثانى لحاجات الحرمين والثالث للخزينة السلطانية وأقام من المرابطين لحراسة البلاد عشرين ألفا من المشاة واثني عشر ألفا من الفرسان وجعل مقدمهم خير الدين أغا الانكشارى ورسم له بلازمة قلعة الجبل وعدم البراح منها * قال بعض كتاب الاخبار ولم يلتفت الى تحسين أحوال الرعية ولا نظر فى رفع تلك المضار السائدة على أهل البلاد ولا خفف عنهم شيئا مما أتت به الحروب المتوالية والخطوب المتراكمة فكان هذا كله أكبر الاسباب التى آلت بهذا النظام الى الزوال وبشوكة السلطنة العثمانية الى الضعف والذبول على نوالى الايام * ثم انتقل بجنيامه من الجزيرة الوسطى الى الروضة وابتنى له كشكا فوق قاعات المقياس وهو مشرف على النيل والروضة والمقياس فكان يجلس فيه محتجبا الا عن بعض خواصه وبكار دولته ثم نزل من ذلك الكشك وسكن فى دار الاشرف طومان باى التى خلف حمام العراق المطل على بركة الفيصل وكان سبب ذلك ان بعض الانكشارية تآمروا على قتله فأحس بذلك ونزل من الروضة وسكن فى الدار المذكورة وأمر فقبضوا عليهم وكانوا كثيرين وأعمالوا فيهم القتل والتفريق والشنق على أبواب القاهرة كباب زويلة وباب النصر وباب الفتوح حتى أفنأهم

وجاءت الاخبار الى السلطان سليم بتأهب ملك فارس لقتاله ورد ما أخذ من أملاكه فاهمه هذا الامر جدا وأخذ يتأهب للخروج من مصر الى الشام فعرض جميع الخزائن وحواصل الحكومة وأخرج ما فيها من سلاح ومنايع وكراع وغير ذلك ونقل جميع التحف والنفائس التى بالديوان الكبير بقلعة الجبل وكذلك التى كانت فى قاعة البيسارية والذهبشة وغيرهما وجمع جميع الكتب التى كانت فى خزائن المدارس على اختلافها وخاف أن يترك أمير المؤمنين المتوكل على الله فى منصب الخلافة فتطمع نفسه فى السلطنة فقبض عليه ليحمله معه الى القسطنطينية وقبيل بل أمره بالشخص اليها فخرج يوم الثلاثاء عاشر جمادى الاولى وخرج معه ابنا عمه خليل وهما أبو بكر وأحمد وخرج معه أيضا الناصرى محمد العلائى على بن خاص بيك صهر الخليفة وكذلك الشرفى يونس ابن الاتابكى سودون

وقبل خروج الخليفة نزع السلطان سليم منه الخلافة قهرا ولبس شعارها في محفل حافل
فخرجت في هذا اليوم الخلافة من بنى العباس الى آل عثمان وزالت عنهم كما زال الملك
من ديار مصر بزوال دولة الغورى فسبحان من بيده تصريف الامور وهو المعز المذل يؤتى
الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء انه على كل شئ قدير

وتأهب السلطان للرحيل عن مصر فسير امامه الى القسطنطينية من اولاد الملوك والساطين
الذين كانوا بديار مصر وبكار الامراء والقضاة ونواب القضاة والشهود والعدول والمباشرين
والكتتاب من القبطة وهم المعلم بانوب كاتب الخزانة السلطانية والمعلم يوحنا الصغير والمعلم أبو
المكارم وغيرهم وكثير من الاعيان وبكار التجار وأرباب الصنائع من مثل المهندسين والبنائين
والتجارين والحدادين والمرخين وصغار الفعلة فساروا بهم في يوم الجمعة سابع عشر رجب الفرد
الى الاسكندرية ثم الى القسطنطينية وأنزلوا معهم شيا كثيرا من الرخام والعمد مما أنزلوه من
قلعة الجبل والقاعات الكبرى وأخذوه من بيوت الامراء والاعيان من القاهرة ومصر القديمة
وكانت شيا كثيرا جدا * قال بعض كتاب الاخبار كان عدد من خرج من الامراء وأولاد
الملوك والقضاة وغيرهم زهاء ألف وثلاثمائة وقيل بل أكثر من ذلك جدا فكانت شدة
عظيمة للغاية * ولما كان يوم الخميس ثالث عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة خرج
السلطان سليم يريد الرحيل الى القسطنطينية فسار من بيت الاشرف ومتر من الصليبة الى
الرميلة وهو في موكب وجلالة وامامه العساكر والاجناد من المشاة والفرسان وطوائف
الامراء وبكار الجند وعدة جنائب حربية والامير خير بيك نائب مصر وجان بردى الغزالي
وكان السلطان را بكا على بغلة قيل انها كانت للسلطان الغورى كان يركبها في الاسفار
وحوله جماعة الوزراء وبينهم يونس باشا والدفتر دار فسار بموكبه على السور وممر بترية
الاشرف قايتباي ووقف امام القبر لحظة لطيفة ثم متر من بين المقابر الى تربة العادل التي
بالقضاء واستمر على ذلك حتى نزل بالمخيم الذي نصبوه له ببركة الحج ولم تعلم العامة بخروجه
في ذلك اليوم فلم تقف للقائه والدعاء اليه كعادتهم في مثل هذه المواكب * ثم سار من بركة
الحج الى الخانقاه السرياقوسية قال بعض كتاب الاخبار ولما وضع رجله بالركاب يريد
المسير تقدم اليه خير بيك بمفتاح البلد فردها عليه وقال له وليتك اياها الى ان تموت بها
فساوره على أن أبناء الشراكسة يريدون الدخول في خدمة الاجناد فأجابه الى ذلك فساوره
أيضا في ابقاء أوقاف الشراكسة وهي نحو عشرة قراريط من أرض مصر فأجابه بابقائها
على ما كانت عليه فأستاء وزيره وقال فني مالنا وعسكرنا ونسلهم بلادهم وندخلهم في
عسكرنا ونبقى أوقافهم يستعينون بها علينا * قال فغضب السلطان وقال أين الجلال فضرب
عنق الوزير ووضع رجله الثانية في الركاب وسار * قلت ويقال ان لقتل الوزير المذكور
سببا آخر * ولما نزل السلطان الخانقاه لاطفوه وسألوه عن سبب قتل الوزير فقال عاهدناهم

مطلب

خروج السلطان سليم
من مصر الى مقر سلطنته
بالقسطنطينية

على أنهم ان ملكونا بلادهم أبقيناها لهم وجعلناهم عليها فهل يحمل بنا ان نخون العهد
واذا أدخلنا أبناءهم في جندنا فهم مسلمون أولاد مسلمين واما أرضهم فأصلها ملك الفاتحين
ومنهم من أوقف ومنهم من قامت ذريته من بعده فهل يجوز لنا أن ننزع الملك في
أملأهم وانما أزلت الوزير كراهة ان يغير على اعتقادي بتكرار كلامه

وسار من الخانقاه يريد بلبيس فلما صار على مقربة منها أصابه مرض حال بينه وبين
ركوب دابته فأرسل الى الامير خير بك يطلب منه ان يعجل بارسال محفة فأرسلها
اليه فركبها وسار الى الشام لقتال ملك فارس فأقام هناك شهرا وقد اشتدت به عنته
فسار الى القسطنطينية فكانت مدة اقامته بمصر ثمانية أشهر الا أياما وكان من يوم
قتاله للسلطان الملك الاشرف قانصوه الغوري في مرج دابق الى قيامه من القاهرة سنة
واحدة وشهرا واحدا وقد تلك في هذه المدة من الفرات الى مصر والعراقين وما حولهما قال
بعض كتاب الاخبار وكان دخول السلطان سليم بجيوشه الى مصر من أكبر الضربات على
البلاد وأهلها فقد هلك بسببه العدد العديد من الرجال والنساء والاطفال حتى الدواب
وتخرب الكثير من المساكن والشوارع والحارات وكسدت التجارة وتعطلت الصناعة حتى
بطل منها خسون مصنعة من أعظم الصنائع وأشرفها وزالت منها الخلافة كازالت السلطنة
وأصبحت ايلة تابعة لدار السلطنة العثمانية

ولما ارتحل السلطان بعسكره الى القسطنطينية اشتد به المرض وظهرت في ظهره قرحة
عظيمة عجز الاطباء عن علاجها فكانت توضع الداججة في قرحته هذه فتذوب وشوهت
معاليق أكباده من خلف وما زال يشتد به المرض حتى مات سنة ست وعشرين وتسعمائة
فكانت مدة سلطنته تسع سنين فتولى الملك بعده ولده السلطان سليمان

(الفصل الثاني)

(في سلطنة السلطان سليمان ابن السلطان سليم)

ثم قام بالامر بعده ولده السلطان سليمان بويج له بالملك يوم موت أبيه سنة ست
وعشرين وتسعمائة هجرية أى سنة تسع عشرة وخسمائة وألف ميلادية وعمره يومئذ ست
وعشرون سنة فكان عاشر ملوك آل عثمان وكان يوم مات أبوه مقيما بأفليم سارخان فأخفى
الوزراء خبر موت السلطان سليم حتى يحضر خوفا من قيام الانكشارية واضرام نار الفتنة
فلما جاء الخبر عوت أبيه سار الى القسطنطينية فدخلها في سادس عشر شوال وكانت
طوائف الانكشارية في انتظار قدومه فلما رأوه صاحوا بأصوات التهليل وطالبوه بالعطايا
حسب العادة فطيب خواطرهم ووعدهم بالاحسان وفي غد ذلك اليوم أغدق عليهم من إنعامه

وطير الخبر بخلافته الى الاتفاق وراسل جميع العمال والولاة وأمراء مكة والمدينة في أمر الحكم بين الناس بالعدل فكان يستهل رسائله بآية * لأنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم

وعلم السلطان سليمان بما كان من اخلاص خيربك في خدمة أبيه السلطان سليم فأعجبه ذلك ونظر الى مصر نظرة الراجب في فلاحها فأخذ في تقرير أمورها على أحسن القواعد ورتب فيها ديوانين يتطران في مصالح الرعية ويفصلان في الخصومات فكان إذا انعقد هذان الديوانان جلس الولى خلف ستار المنبر لسمع ما تدور عليه رعى الحديث بعد أن يرسم الكتخدا والدفتردار بذلك فإذا تمت مباحثات المجلس رفع الكتخدا والدفتردار ما استقر عليه الرأى الى الولى فيرسم بتنفيذه بلا نقض ولا ابرام فيقضيه الكتخدا مع الدفتردار * ويختص الديوان الكبير من هذين الديوانين برؤية أهم الامور التى لاعلاقة لها بدار السلطنة العثمانية فكان لذلك يتألف من أغوات الوجاقات الست والدفترداريين والرزناجيين والنواب في جميع وجاقات العساكر وأمير الحاج وقاضى القضاة والمشايخ والعلماء والاشراف وأصحاب الفتوى الأربعة والائمة الأربعة * وكان لا يجتمع الا فى المهمات من الامور ولا يصح اجتماعه الا بناء على طلب الولى وكانت تأتى اليه المراسيم السلطانية على يد الولى * وأما الديوان الثانى فكان ينعقد كل يوم فى بيت الولى من الكتخدا والدفتردار والاغا وكبار وجاق المتفرقة ونائب من كل وجاق فينظر فى الاعمال وما يحتاج اليه البلاد من الامور النافعة * ورسم السلطان بأن يكون مقر الولى بقلعة الجبل وان لا تزيد ولايته عن سنة واحدة ثم تعطى لغيره ممن يقع الاختيار عليه ورسم أيضا بابطال بعض المكوس والمغارم وأزل بعض العوائد والرسوم وهباً الحصون ومهد المسالك وزاد فى نظام الجند فأنشأ وجاقاً سابعاً ممن بقى من المماليك الشراكسة ورتب لكل وجاق ديواناً يتطرق فى شؤنه ويتألف هذا الديوان من كبار الوجاق وافراد من ضباطه وكان لكل منهم لباس مخصوص وعلامة مخصوصة تدل على مرتبته ووظيفته وكان عدد جند هذه الوجاقات كلها عشرين ألفاً وربما زادوا أو نقصوا وكان لوجاق الانكشارية الافضلية على سائر الوجاقات وكبيره مقدم على جميع كبارهم وله الكلمة النافذة عليهم فى كل حال وهم يجلبونه ولا يخالفون له أمراً

ولما أتم نظام الامور على ما أراد أقر خيربك على عمالة البلاد واجاز له التصرف فى الامور بما فيه المصلحة وان يعدل فى الرعية ولا يحدث شيئاً من المغارم والمكوس فجعل خيربك يتصرف تصرف الملوك والسلطين وبدأت منه دلائل الجفاء والشدة * قال بعض كتاب الاخبار ثم لم يلبث ان طغى وظلم وأخذ الناس بالشبهات وأساء الى طوائف الجند فأبغضوه وتربصوا به الشر فلما أحس منهم بذلك أخذ فى تدبير الحيلة وجمع اليه من بقى من طوائف المماليك الشراكسة وقربهم اليه وأدنى كبارهم منه وأباح لهم ركوب الخيل وحمل السلاح وقد كان ذلك محرماً عليهم منذ دخول السلطان سليم القاهرة بعسكره ورسم فنادوا بذلك فى

مطلب

نظر السلطان الى ترتيب
الدواوين والمجالس وتنظيم
الاحكام الشرعية وتقرير
قاعدة لذلك بديار مصر

مطلب

تقرير الامير خيربك على
عمالة مصر وما جرى له

القاهرة ومصر القديمة وسوق السلاح وقلعة الجبل فشق هذا الامر على طوائف الجند وأحسوا بما وراء ذلك من الخيبة انهم ظلوا متقاعسين فقاموا قومة رجل واحد وسيروا طائفة منهم فوقفوا لخير بك في حوش الديوان وكلوه في ذلك وأغلظوا عليه في القول ومنعوه من الدخول الى بيته وسبوه وهم بعضهم بقتله فأفلت منهم وانزوى في بيته فعاثوا في قلعة الجبل وأزجوا من فيها وتناولت أيديهم الى النهب وناروا على خير الدين نائب القلعة وهموا بقتله فأغلق دونهم الابواب واختفى منهم في ذلك اليوم فنزلوا الى المدينة وتفرقوا وهم حاقدون على خير بك ناقون عليه واشتدوا على الرعية فصاروا يشوشون على جميع الخلق بلا فرق ولا تمييز حتى على السوق والباعة وكانوا يأخذون مافي البيوت من الابواب والشبابيك وخشب الاسقف للوقود وكان اذا احتاج أحدهم الى وقود للحريق ذهب الى أقرب البيوت لبيته وأخذ منه ما يحتاجه ليومه أو ليوميه وغده على مرأى من صاحب البيت حتى أخذوا جميع مافي الاماكن التي في زقاق الكحل والسطاحي والتي في الجسر وحكر الشامي والازبكية من الاخشاب وكانوا يبيعون ما فضل منهم بأبخس الاثمان * قال بعض كتاب الاخبار فضج الناس وعجوا واجتمع أصحاب البيوت وتبعهم العامة وساروا الى بيت قاضي القضاة العثماني وشكوا اليه من فعال أولئك الجند وصاحوا واستغاثوا وقالوا ما يحصل ذلك يامولانا فشق الامر على القاضي وركب من ساعته وسار الى بيت الامير قايتباي الدويدار وأخذه وسار الى خير بك بمقره وأعلماء بالخبر وأغلظ القاضي في القول وهدد خير بك ان لم ينشط الى العمل فجمع خير بك كبار الجند واختيارية الوجاهات وكلهم في ذلك فطيبوا خاطره وهونوا عليه الامر وطلبوا منه ان يمنع فتح الحوانيت ليلا فأمر فنادوا بذلك فكانت السوق تقفل الحوانيت قبل غروب الشمس

واتفق في هذه الاثناء ان جاء رسول من دار السلطنة في طلب بعض الامراء المصريين وعدد من العساكر الشاهانية يعني الانكشارية والاصهبانية نجدة ففرح خير بك بذلك ونادى في العسكر بالتأهب للرحيل فغضبوا وظنوها خدعة من خير بك وأبوا الرحيل وزادوا في الافساد والاضرار بخلق الله فكانوا كلما كثروا فيهم المنادة زادوا تمردا وطغيانا ثم خرج منهم جماعة الى الشرقية وآخرون الى الغربية فعاثوا وأفسدوا وأحرقوا الحشر والنسل وانضم منهم جماعة أيضا الى بعض العربان وقطعوا السبل على المارة واختفى منهم جماعة بالقاهرة ومصر القديمة فشدد خير بك في التفتيش عليهم وقبض على جماعة منهم وحبسهم في قلعة الجبل ورسم لرسول دار السلطنة بالتأهب للسفر معهم بلا ابطاء فلما كانت الليلة التي قبضوا في نهارها عليهم اجتمع جميع الذين كانوا في القلعة منهم بالحوش وكسروا باب القلعة ونزلوا منها ليلا الى مصر القديمة وركبوا بعض السفن التي وجدوها هناك وساروا الى الصعيد متفرقين نفثي خير بك شر العاقبة ورسم للامير قايتباي الدويدار بالخروج خلفهم بجياله ورجله وان يقتل كل من لقيه منهم في الطريق بغير معاودة فقام قايتباي ومعه

الامير جانم الجزاوى والامير على العثمانى وعبروا النيل الى الجسيرة فلبثوا بها يومهم حتى تكامل خروج عسكرهم ثم ساروا الى ناحية الميرون بالقرب من جزيرة عدى فالتقوا هنالك مع الانكشارية فقاتلوهم قتالا عنيفا وانتصر الامير قايتباى عليهم نصرة عظيمة وحرق مرابهم وقتل منهم خلقا كثيرا بالمكاحل والبنادق وقبضوا على من بقى منهم وحزوا رؤس كبارهم وأصحاب الكلمة فيهم وعادوا الى القاهرة ففرح خيربك بذلك ورسم لوالى القاهرة برفع تلك الرؤس على أبواب المدينة فلم يمكنه كبار الانكشارية من ذلك وكادت الفتنة تقوم بالقاهرة وخاف من بقى من الانكشارية والاصهبانية وانكشوا وأطاعوا وخرج منهم طائفة كبيرة مع رسول دار السلطنة الى الريدانية ثم رحلوا عنها بعد أيام الى الشام مع بعض الامراء المصريين الذين جاءهم الطلب فكانت هذه الواقعة أول فتن الانكشارية بعد أن تسلموا حراسة البلاد والذب عنها ولما ظهرت الفتنة على النحو المذكور ضعفت شوكة خيربك وكادت هيئته تزول وطمع العربان في البلاد وخرج حسن بن مرعى شيخ عربان البحيرة في طائفة كبيرة من قومه وانضم الى جماعة من عربان الشرقية وغيرهم وعاثوا في بلاد البحيرة وأفسدوا ونهبوا وقتلوا وسلبوا وقطعوا السبل على المارة وسار بهم ابن مرعى المذكور يربد القاهرة ووردت الاخبار بذلك الى خيربك فاضطرب ونزل من قلعة الجبل الى الميدان وعرض جميع الممالك الشراكسة والعساكر العثمانية واختار منهم جماعة وسيرهم مع الامير قايتباى الدويدار والامير خورشيد كبير العثمانيين وكانت الامور قد ضاقت جدا على أهالى الشرقية والغربية واتسع نطاق الفتنة واستفحل أمر الفساد وفعل أولئك الناس بالقرى ما لا يطاق من الجور وظهور عبد الدائم بن بقر واخوته وهو من زعماء عربان الشرقية فعمات أيضا وأفسد وخرب بلادا كثيرة من الشرقية والغربية وعمت الفتنة البر والبحر فكبر خوف الامير خيربك وشدد على قايتباى الدويدار وخورشيد بالقيام الى البحيرة أولا وقطع شافة ابن مرعى وأصحابه فغنوا السير فلما أحس ابن مرعى بقدمهم وعلم أن لا قبل له على قتالهم أرسل أخاه شكرا الى الامير خيربك يطلب له الامان فكتب اليه خيربك يؤمنه وبعث اليه صورة عين ليخلفه على يدى القاضى نحر الدين بن عوض وأرسل اليه كذلك قفطان حرير مخمل وخلع على أخيه شكر خلعة أخرى وكتب الى الامير قايتباى أن يتربص بعساكره فتربصوا فى المكان الذى أدر كههم فيه انخبر وجاء حسن بن مرعى صحبة القاضى نحر الدين بن عوض وصعد الى قلعة الجبل فأكرم خيربك لقاءه وخلع عليه خلعة سنية ثم أنزله فى موكب حافل وعادت الامور فى البحيرة والغربية الى سابق مجراها واطمأنت قلوب الرعية وتحول قايتباى عن معه من العساكر نحو الشرقية فلما علم بقدمه عبد الدائم بن بقر زعيم العصاة بها أرسل الى خيربك يطلب الامان فأجابته الى ذلك وأرسل يستقدمه فحضر الى القاهرة ومعه جماعة من العربان وحضر معه أبوه أحمد بن بقر فلما مثل بين يدى خيربك أكرم لقاءه ولقاء أبيه وهم أن يخلع عليهما ويقرر عبد الدائم المذكور على شياخة عربان

الشرقية فقال أبوه ان أنت فعلت ذلك أيها الأمير جلبت على أهل الشرقية وبالا ومكنت ولدى هذا من رقاب الأبرياء وزدت نار الفتنة اضراما فحجب خير بك بكلامه وأمر في الحال فقبضوا على عبيد الدائم وكبلوه بالحديد وقبضوا على جميع من جاؤا معه من أصحابه وسلموهم الى خير الدين بك نائب القلعة ففرح الناس بذلك فرحا لا يوصف لاسيما أهل الشرقية والغربية واطمأنت قلوب الخلق وزالت عنهم المخاوف ثم بعد أيام قلائل أخرجوا من أولئك العربان عدة أشخاص وأما توهم شنقا بعضهم على قنطرة الحاجب وبعضهم على رأس الحسينية وبعضهم عند باب النصر وقتلوا آخرين بغير ذلك أيضا * وأما حسن بن مرعي شيخ عربان الغربية فانه بعد ان خلع عليه خلعة الرضا وأعاده الى الغربية معززا لم يلبث بها الا قليلا حتى دس خير بك الى اينال السيفي طراباى كاشف الغربية بأن يقتله مع أخيه شكر فأخذ اينال المذكور يكتب ابن مرعي ويتودد اليه ويظهر له غاية الاخلاص والمودة حتى أمن جانبه ومال اليه ثم أدب له مأدبة عظيمة في بلدة قريبة من دمنهور ودعاه اليها مع أخيه شكر فأجابا دعوته وأتيا اليه فأحسن لقاءهما وبالع في الترحيب بهما حتى حضر الطعام فأكلوا جميعا ثم انتقلوا الى مجلس الشراب فشربوا فيبيناهم كذلك اذ خرج على حسن وأخيه جماعة من المماليك الشراكسة من مكان كانوا مختفين به وعاجلوهما بضرب السيوف واحتزوا رأسيهما فأرسل بهما اينال الكاشف الى خير بك ففرح ورسم لوالى القاهرة برفعهما على باب النصر فرفعهما وتراحم الناس لمشاهدتهما * قال بعض كتاب الاخبار وحسن ابن مرعي هذا هو الذى غدر بالسلطان الملك الاشرف طومان باى وقبض عليه وسلمه الى السلطان سليم واتفق انه لما سار حسن المذكور الى مأدبة الكاشف اينال السيفي كان راكبا على فرس السلطان الملك الاشرف التى كان أخذها يوم سلمه الى جنود السلطان سليم بعد أن أقسم انه لا يخونه ولا يدس عليه فلما احتز المماليك رأسه ورأس أخيه شكر ربطوهما فى عنق ذلك الفرس ودخلوا بهما القاهرة على هذه الصورة فعند ذلك من النوادر العجيبة فى بابها

وفرح خير بك بموت ابن مرعي وعده من أكبر أسباب الظفر وبث العيون والارصاد حول جماعة العربان فى البحيرة والغربية والشرقية وشدد فى ذلك فانه كمشوا وخافوا وتمكن كاشف المنوفية من قتل شيخ العرب على الاسمر بن أبى الشوارب فاخترق من بقى من كبار العربان وأصحاب الكلمة فيهم وسلكت بعض الطرق التى قطعها العربان واطمأنت قلوب الناس ولكن لم تطل هذه الايام حتى عاد عربان السوالم الى الخروج بالشرقية وكاد يستفحل أمرهم وعاد الناس الى التخوف فاعمل اياس كاشف الشرقية الحيلة للقبض على مشايخهم وما زال يتقرب منهم ويتودد اليهم حتى استدعاهم الى مأدبة لأعدها لهم فركبوا اليه واطمأنت من قبله قلوبهم وأتوا اليه فأكرم لقاءهم وأحسن وفادتهم ولم يقضوا معه يومهم حتى قبض عليهم وقتلهم وسلخ جلودهم وحشاها بالنبن وأرسل يعلم الأمير خير بك بالخبر

فسير اليه خير بك طائفة من الانكشارية والاصهبانية والچراكسة فأحاطوا بمنزل عربان السوالم وقتلوا من وجدوه بها من الشيوخ والنساء والاطفال وغنموا ما فيها من الخيل والابل والاغنام والاماء والعبيد والملبوس والمفروش وقبضوا على الشيخ نجم شيخ عربان العائد لاتهامه بامداد عرب السوالم وأتوا برؤس من قتلوا مع جلود المشايخ الى القاهرة فتنفرق من بقي وطلع جماعة الى الجبال * ونزل جماعة الى الصالحية فأحرقوها وأحرقوا ما جاورها من القرى والكفور وقتلوا ونهبوا أخذوا بالنار واشتدت الفتنة وعت جميع انحاء الشرقية فولى خير بك اخا نجم شيخ عربان العائد شيخا بدل أخيه نجم وجهاز لقتال السوالم طائفة من الانكشارية والاصهبانية وأخرى من المماليك الشراكسة وطائفة من الرماة بالبنادق وبعض المكاحل وكان لما قبضوا على نجم شيخ عربان العائد قام أيضا اصحابه وعانوا في بلاد الشرقية وقطعوا الطرق على أبناء السبيل وانحدروا حتى أتوا على رأس المطرية فكافوا يقبضون على المارة ويسلبون ما يجردونه معهم فلما وصلت العساكر الى الشرقية هرب من بقي من السوالم وأطاع من بكارهم من لم يهرب وسلموا بأنفسهم الى اياس كاشف الشرقية فنزل بهم الى القاهرة ودخل بهم على الامير خير بك فأكرم لقاءهم وخلع عليهم خلع الرضا وأقرهم على المشيخة بشرط الطاعة وحسن الولاء والاخلاص في خدمة الدولة فأطاعوا

مطلب

خروج الغزالي والى الشام
عن طاعة السلطان وعزمه
على الزحف على مصر
وضمها الى الشام

ورسم خير بك بشنق شيخ العرب أبو الشوارب فشنق ومعه آخرون من بكار العربان ثم عاد فعفا عن نجم شيخ العائد وأفرج عنه وولاه المشيخة ثانية وأطلق آخرين من بكار السوالم وكان الحامل له على ذلك ما ورد اليه من الاخبار بخروج جان بردى الغزالي والى الشام عن طاعة السلطان واستقلاله بملك الشام واتخاذ لنفسه شعار السلطنة وأنه قد خضع له جميع الولاة والعمال وقبلوا الارض بين يديه وزينت له جميع المدن والبلدان أياما ثلاثة فلقب نفسه بالملك الاشرف أبي الفتوح وكتب الى جميع الولاة يستحثهم على تجنيد الجند واعداد آلات الحرب لقتال خير بك بمصر وأخذ البلاد منه وضمها الى الشام كما كانت على عهد من سلف من الملوك والسلاطين * وكان الحامل له على قتال خير بك انه لما هم بالخروج وشنق عصا طاعة السلطان راسل خير بك في ذلك وحجب اليه الخروج وألح عليه في الطلب وهون عليه الامر فقدمه خير بك وسير كتب الغزالي الى السلطان وعلم الغزالي بخبر ذلك فأكبره وأعظمه جدا وتجرد لقتال خير بك تخاف خير بك من هذه الاخبار وخشى سوء العاقبة فأطلق لذلك من أطلقهم من مشايخ وبكار العربان الذين كانوا في السجون وعاهداهم وأمداهم بالسلحة والكرع ورسم لهم بقتال جان بردى الغزالي في طريقه قبل أن يصل الى الديار المصرية فخرج منهم جماعة وساروا الى الشام لمنع الغزالي ولومه وكان الغزالي قد جمع اليه جموعا كثيرة من الاكراد وعربان جبل حوران ونابلس وعربان بني عطا وبني عطية وغيرهم من طوائف العربان وخرج من دمشق في جيش عظيم للغاية وجوع كثيرة جدا يريد الديار المصرية فاهتم الامير خير بك لذلك وعرض العساكر والاجناد وجمع

طوائف الانكشارية والاصهبانية والكمالية المماليك الشراكسة وغيرهم ممن شاء الدخول في خدمة الدولة وجماعة كثيرة من المغاربة والروم أصحاب الحرف والصنائع وأكثر من جمع السلاح وانشاء المركبات والمجلات لبحر المكاحل ونادى في هذه الجوع والاجساد بالتأهب والاستعداد

وبينما كان خيربك يجند الجنود ويكثر من جمع السلاح كانت رسل الغزالي تأتي الى مصر بالرسائل الى بعض الامراء من الروم وبعض التجار والجواسيس تنقل من أخبار خيربك الى الغزالي كل ما وصلوا الى معرفته فأحس خيربك بذلك وشدد ومنع من دخول الاغراب الى القاهرة الا بعد البحث والتنقيب عن أحوالهم وقبض على بعض الروم من تجار خان الخليلي وأمر بقتلهم فقتلوا تحت قلعة الجبل بتهمة نقل الاخبار وكان من أمره أنه اذا نقل اليه أن أحد الناس مهما كانت درجته ذكر الغزالي في مجلس أو تكلم عن زحفه على ديار مصر أو عن استقلاله على الشام أمر بصلبه على أحد أبواب القاهرة ثم أمر بالقاء جثته للكلاب فتنهشها تخاف الناس جدا وانكسوا وقل خروجهم الى الاسواق وجلسهم على الحوانيت ووجعت الاخبار بوصول طلائع لموم الغزالي الى اقطيا فجرد خيربك لقتالهم طائفة من الاصهبانية وأخرى من الكمالية فساروا من الريدانية الى بليس ومنها الى الصالحية فافسدوا في طريقهم وعاثوا ونهبوا الكثير من الضياع وعلى الخصوص ما كان منها حول بليس والصالحية وأخذوا ما فيها من الشعير والسمن والطيور وأذاقوا أهل البلاد مرارة الجور وانقطع الوارد من الديار الشامية وسدت المسالك في وجوه أصحاب التجارة فانكفوا وانقطعت العلائق مع أهل الشام وكتب خيربك بتحرير الخبر الى دار السلطنة فاهتم السلطان بأمر الغزالي وجند لقتاله الجنود وسيرها على قدم السرعة ومقدمها الوزير فرحات باشا فلاقته العساكر السلطانية عند حلب الشهباء وكان الغزالي محاصرا لها فقاتلته قتالا عنيفا أياما كثيرة ثم انتصرت عليه ومزقت شمل جنوده ففر وسار يريد الشام وقد كسر جسر الرستن فتبعته العساكر السلطانية وقاتلته خارج دمشق قتالا شديدا أياما مات فيه خلق كثير قبل عشرة آلاف وقيل أكثر من ذلك وضيق عليه العساكر السلطانية وسدوا عليه المسالك حتى قبضوا عليه وقتلوه ذبحا كذبح الشاة وأخذوا رأسه مع رؤس كثير من كبار قومه وأرسلوها الى دار السلطنة قال بعض الكتاب وكان الغزالي هذا من ممالك الاشرف قايتباي اشتراه وأعتقه وأخرج له خيلا وقاشا وصار من جملة المماليك السلطانية ثم استخدمه الأمير تغرى بردى الاستادار شادا على ضيعة له بالشرقية يقال لها منية غزال فنسب اليها وقيل له جان بردى الغزالي مضافا لاسم تلك الضيعة ثم ان الاشرف قايتباي قرره جدارا وجعله في كشف الشرقية ثم صار أمير عشرة في آخر دولة الناصر محمد بن قايتباي ثم تولى محتسبا للقاهرة في دولة السلطان الغوري ثم ولاه في جويية الجباب بمدينة حلب فخرج اليها من يومه ثم نقله السلطان الملك الغوري الى نيابة صفد وذلك سنة سبع عشرة وتسعمائة ثم الى

مطلب

قتل الغزالي وأرسال رأسه
الى دار السلطنة

نيابة حماة فلبث بها حتى كان ما كان بين الغورى والسلطان سليم فانضم الغزالي بعسكره الى جيوش السلطان سليم فولاه السلطان سليم الشام وجعل له التحدث على الشام وحماة وحص صيدا وبيروت وبيت المقدس ورملة والكرك وغير ذلك من الاعمال الشامية فلما استقر به هذا المنصب تافت نفسه الى الاستقلال بملك الشام فصار يجند الجنود ويكثر من المعدات وآلات الحرب وضم اليه الكثير من عربان حوران ونبلس والكرك وغيرهم واستمال كثيرا من المماليك الجراكسة ممن كانوا في خدمة الدولة في مصر فساروا اليه وطلقوا بعسكره وخلق به أيضا كثير من الراكدة والتركمان وما زال حتى بلغت جنوده اثني عشر ألف مقاتل و بينهم كثير من الرماة بالبنادق فزحف بهم يريد فتح المدن والامصار وألبس نفسه شعار السلطنة وتلقب بالملك الاشرف أبى الفتوح وضرب السكة باسمه وخطب له على المنابر في دمشق وغيرها من المدن قبل خطب له بدمشق بجعتين * وكان طائشا عديم الرأي غير بصير بعواقب الامور كثير الاخذ بالشبهات كبير البطش وكانت مدة ولايته على نيابة الشام ثلاث سنين وسبعة أشهر الا أياما ولقد صدق من قال

والنفس لا تنتهى عن نيل مرتبة * حتى تروم الذى من دونه العطب

ولما جاءت الاخبار بزوال ملك الغزالي وسقوطه في قبضة العساكر السلطانية وقتله فرح الامير خيربك فرحا عظيما اذ لم يكن عنده من الجنود ومعدات القتال ما يقوى معه على مبارزة جموع الغزالي وجيوشه المنظمة لاسيما وقد كانت الفتنة ضاربة بين كبار جنود خيربك ورؤساء عسكره وكان كلما أخرج طائفة وسير بها لقتال الخوارج عاثت في البلاد وأهلكت الحرث والنسل وفعلت ما لا تفعله جنود العدو اذا احتلت البلاد عنوة وكان يخاف جدا من طوائف المماليك الشراكسة حيث تحقق له أن بعض كبارهم مالوا عنه وانضموا الى دعوة الغزالي وانهم يراقبون الفرص ويتأهبون للخروج عند أول سبب * وعادت المواصلات التجارية ما بين مصر والشام بعد موت الغزالي وجاءت قوافل التجارة باصناف البضائع على اختلافها وزالت وحشة الناس وسكنت خواطرهم بعد الخوف وزاد اطمئنانهم بوصول الاخبار من دار السلطنة بان السلطان سليمان أجاز لمن كان أحضرهم أبوه من الامراء المصريين والقضاة ونواب القضاة والشهود والعدول والمعتبرين والتجار وأرباب الحرف والصنائع من المصريين يوم خروجه من مصر بعد فتحها أن يعودوا الى أوطانهم فلم تكن الا أيام بعد ذلك حتى حضر منهم من لم تخترمه المنية قال بعض كتاب الاخبار وقد ذاقوا الذل ألوانا وأصبح الاعيان والمباشرون منهم لا يعلمون شروى نكير حيث نفدت أموالهم * وجاءت أيضا خاتون سلطنة عمه السلطان سليمان ومعها ولدها الامير مصطفى تريد الحج الى بيت الله الحرام وكان حضورها في كبكبة زائدة وخدم وحشم وكثير من الخصيان فقبولت بغاية الاحتفاء والاحتفال وسار الامير خيربك وجميع الامراء وكبار المماليك في ركبها حتى نزلت في بيت مطل على بركة

الليل ورتبت لها وخدمها المآكل والمشرب ووقف على بابها بعض الحجاب وزارها نساء
الامراء وقدمن لها التحف والهدايا النفيسة فلما خرج المحل خرجت مرافقة له في هودج
وامامه الخدم والخشم وبالغ أمير الحاج في تنظيم الركب وسير امامه المركبات وعليها المكاحل
والمدافع النحاس وأنذقت السلطنة في الحرمين أموالا عظيمة وشيا كثيرا من الاقشة والغلال
وتصدقت على الفقراء وزلاء التكايا وكثر في هذا الحين افساد الانكشارية والاصهبانية
بأسباب عدم صرف جماكيهم وتأخير مرتباتهم فزعوا الى الثورة وتعرضوا لخيربك في طريقه
وتحت القلعة وخاطبوه ببذى القول وفش الكلام وأقسموا أنهم ينهبون المدينة إن هو أصر
على ايقاف صرف جماكيهم ومرتباتهم ووقف جماعة منهم على أبواب الامراء يهددونهم
ان لم يكلموا خيربك في ذلك فمكلموه وحذروه شر العقوبة فصرف لهم بعض المال على قدر
الحاجة واعتذر بقلّة ذات اليد وعجز المباشرين عن جباية الاموال وتعذر البيع والشراء
وكساد الحال وبوار الكثير من المزارع وتشرد أصحابها بسبب فعال العساكر وعيبتهم بالبلاد
تم شدد على المباشرين وطالبهم بالمال فانبثوا في البلاد وطلبوا قسط الخراج معجلا قبل وفاء
النيل وزرع الاراضي وضيقوا على أهل البلاد وبالغوا في التشديد وقد كان متحصل
خراج مصر في هذه الدولة أى دولة السلطان سليمان على ما قاله بعض الكتاب ألف ألف
دينار وثلاثمائة ألف دينار ذهبيا ومن الغلال ستمائة ألف اردب منها ثلثمائة ألف قمحا
وثلاثمائة ألف شعيرا وقولا وغير ذلك في كل سنة ﴿قلت﴾ وكان خراج مصر على عهد
المقوقس عظيم القبطه على مارواه تقي الدين في خططه مائة ألف ألف دينار وثمانين ألف
ألف دينار وكانت مساحة أرضها على عهد الفراعنة مائة ألف ألف فدان وثمانين ألف
ألف فدان تزرع غير البور وبلغ خراج مصر على عهد عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي
السرْح في صدر الاسلام اثني عشر ألف ألف دينار وفي أيام أحمد بن طولون أربعة آلاف
ألف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار غير ما يتحصل من المكوس والغلال * وجبى خراجها
في الدولة الاخشيديّة فكان ألف ألف دينار وجبى خراجها في أيام الملك الظاهر بيبرس
البندقدارى فكان اثني عشر ألف ألف دينار ﴿قلت﴾ وهو اليوم عشرة آلاف ألف ألف
وخمسمائة ألف وبضع مئات ذهبيا أى جنبها * وكانت جوامك ومرتبات العساكر في ذلك الحين
درجات بعضها فوق بعض فكانت جكية الاصهبانية منهم ستين دينارا وخمسين وأربعين وثلاثين
وعشرين في كل شهر والانكشارية ما بين خمسة عشر واثني عشر دينارا في كل شهر والصوباشية
ثلاثين دينارا في كل شهر والكمالية ما بين اثني عشر وعشرة دنانير في كل شهر والمماليك
الشرا كسبة سبعة دنانير في كل شهر هذا عدا مرتبات الامراء وبنك الجند وعظمائهم وكانت
هذه الجوامك والمرتبات لا تصرف الا من خراج الشرقية والغربية والبحيرة والاقليم القبلية
فقط دون الاموال الخارجة من الثغور كشغرا الاسكندرية ودمياط ورشيد والبرلس وعبد

مطلب

كم كان خراج مصر في
دولة السلطان سليمان وما
بعده الى هذا الحين

وغيرها فانها كانت تحمل الى خزائن السلطان مباشرة فلا يأخذ الوالى منها شيئا حتى ولا للجهاد والغزو وكانت أيضا بعض المغارم والمكوس تحمل كذلك الى خزينة السلطان فلا يأخذ الوالى منها شيئا وسرى ذلك الى ما كان مقررا على الرزق والاقطاعات والارزاق الاحباسية والاقواق وترك الاموات من طوائف الترك والمماليك الشراكسة ثم تعدى ذلك أيضا الى ما كان مقررا لنواب القضاة والشهود على عقود الانكحة فقيّدوا به قاضيا مخصوصا اسمه القسام فضرب على عقد البكر ستين نصفًا والثيب ثلاثين نصفًا كانت تحمل الى الخزينة السلطانية

مطلب

إبطال السلطان سليمان
لقضاة المذاهب الاربعة

ولما كانت سنة ثمان وعشرين وتسعمائة رسم السلطان سليمان بإبطال قضاة المذاهب الاربعة من التصرف في القضاء بديار مصر وتسليم جميع الاحكام الشرعية لقاض واحد من قضاة الروم وان تبطل وظائف سائر النواب والشهود وأن لا يبقى سوى أربعة من النواب لكل مذهب نائب لا غير ولكل نائب منهم اثنان من الشهود لا غير وانهم يكونون جميعا بالمدرسة الصالحية فلا يصح بعد ذلك لاحد أن يوقف وقفًا أو يعقد عقداً أو يكتب وصية أو عتقا أو اجارة أو حجة أو غير ذلك من الامور الشرعية حتى تعرض على قاضى العسكر المذكور ونودى في القاهرة ومصر القديمة بذلك فاضطربت أحوال الناس كافة وانكشف جميع القضاء والنواب والشهود وصاروا يتوقعون حضور قاضى العسكر المذكور في كل يوم فلما كان يوم الاثنين عاشر رجب من السنة أى سنة ثمان وعشرين وتسعمائة قدم الى القاهرة القاضى المذكور واسمه سيدى جلبي فاوكبوا له موكبا حافلا وساروا به حتى أنزلوه في بيت الامير جاتم مصيفة الكائن خلف المدرسة الغورية فلما استقر به المقام قدم عليه قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل وقاضى القضاة المالكي محيى الدين الدميرى وقاضى القضاة شهاب الدين النشوحي الحنبلى وكان قاضى قضاة الحنفى مريضا في هذا الحين فلم يحضر قال بعض كتاب الاخبار فلما دخلوا عليه لم يجلبهم ولم يقيم لقدمهم وكان شيخا مسنا أبيض اللحية طويل القامة على عينه حجابة فصيح اللسان يحسن العربية جيدا فكلهم ساعة ثم انصرفوا فلما كان اليوم الثانى نزل الامير خير بك من قلعة الجبل الى الميدان وجلس بالمصطبة وجلس معه الامراء العثمانيون والامير قايتباى الداودار ثم حضر القاضى المشار اليه وبين يديه المرسوم السلطانى فقرأ المرسوم بمحضرة من ذكروا وهو يتضمن تسليم زمام جميع الاحكام الشرعية فى المذاهب الاربعة اليه وأن يكون القائم على جميع الامور الشرعية على اختلافها ثم كان منه بعد ذلك ان رتب جميع الامور التى تتعلق بالاحكام والقضاة فاقام قاضيا للحنفية من الروم يحكم بالنيابة عنه وجعل مقره بالمدرسة الصالحية واقام آخر للحكم على مذهب الامام الشافعى بالنيابة عنه واقام لكل قاض من الروم نائبا من قضاة مصر فجعل القاضى شهاب الدين بن شيرين الحنفى نائبا عن القاضى صلاح الدين العثمانى وجعل القاضى شمس الدين محمد الحلبي الشافعى نائبا عن القاضى فتح الله العثمانى وجعل القاضى أبا الفتح الوفائى أحد نواب المالكية يحكم بين الناس على قاعدة مذهبه

مطلب
ما تقرر من الرسوم على
التركان لبيت المال وما
أحدث من الأحداث

والمرجع في جميع الاحكام الى قاضى العسكر المشار اليه ثم رسم بأن لا يبقى مع كل نائب من هؤلاء الاربعة سوى شاهدين اثنين وأبطل سائر النواب والشهود ورسم للرسول والوكلاء الذين بالمدرسة الصالحية بأنهم اذا وقفوا امامه يأخذون بأيديهم العصى فاجتمع منهم بالمدرسة زهاء الستين ثم أقام أيضا شخصا من الروم للتحدث على التركات سماه **(القسام)** فضرب على كل تركة الخمس لبيت المال مع وجود الورثة من الذكور والاناث وشدد في طلب ذلك ونودى في القاهرة ومصر القديمة بذلك وبأن لا يعقد أحد من الشهود قاطبة عقدا ولا يكتب وصية ولا اجارة ولا مبايعة ولا شيا من الامور الشرعية الا في المدرسة الصالحية وشدد في السير على مقتضى الشريعة والعمل بموجب السنة وعامل الغنى والفقير والجليل والحقير على السواء فهابه الناس كافة وخافه الامراء والكبراء حتى اذا كان لاحد من العامة في ذمة أحدهم شئ بادر الى ارضائه وتلطف في معاملته خوفا من الشكوى* ورسم فنادوا في القاهرة ومصر القديمة بأن لا تخرج امرأة الى الاسواق الا العجائز منهن ومن خالفت تضرب وتربط من شعرها بذهب اكديش ويطاف بهافي القاهرة ومصر نخاف النساء خوفا عظيما وانكشبن ولم يخرجن* واتفق انه سعد الى قلعة الجبل يوما فوجد بعض النسوة يتحدثن مع جماعة من العسكر الاصهانية في وسط السوق فعز عليه هذا الامر وكلم الامير خيربك في ذلك فرسم الامير خيربك بأن لا تخرج امرأة من بيتها ولا تركب على حمار مكارى وكل مكارى أركب امرأة شتى من يومه نخاف المكارية وبارت حرفتهم نباعوا حبيهم قاطبة واشتروا بدلها أكديش وشدوها فصارت النساء يركبن عليها وتحتن الطنافس والمكارى يقود لجام الأكديش كما يفعل المكارية بالقسطنطينية* ورسم القاضى أيضا بمسح أطيان الاقاليم القبلية وترتيب سائر الرزق الاحباسية على قاعدة نظمها هو لذلك وقيد بهذا العمل القاضى نحر الدين ابن عوض فسار الى الصعيد ومعه جماعات المساحين والقياسين وطوائف الكتاب والمباشرين فجعل يدخل كل ما يجده من أطيان الرزق الاحباسية في المساحة العمومية وحبس غلاتها ومنع أصحابها من أخذ شئ منها فاضطربت أحوال أصحابها ووقفوا الى الامير خيربك في طريقه يشكون له مما يفعله القاضى نحر الدين بن عوض وأبرز اليه بعضهم مكاتبتهم بتلك الرزق وبعضهم أبرز مبيعاتهم فأخذها منهم وصرفهم خائين ورسم بادخال رزقهم في أطيان الذخيرة قال بعض أهل التاريخ ولم يكن ليتعرض لهذه الرزق قط أحد من سلاطين مصر ولا أخرج منها شيا عن أصحابها منذ أنشأها الامام الليث بن سعد فانه هو الذى دون الاحباس وأنشأ لها في أيامه ديوانا يختص بها دون ديوان الجيش واستمر ذلك باقيا بعد الامام الليث حتى قام القاضى نحر الدين بن عوض المذكور فنقضه وهو على جهات البر والاحسان قلت ومن هذا الحين زالت ولاية الاحكام الشرعية أيضا عن قضاة مصر الاربعة كزوال الخلافة والسلطنة عنها وآلت الى قضاة الروم يتناوبها الواحد بعد الواحد فيمولى ويعزل من القضاة والنواب والشهود من يشاء وقد تبدلت هيئتها وزالت رسومها القديمة وخرجت

من طور الى آخر وضاقت حدودها الا على من أجازهم قاضى العسكر المشار اليه بتولى الاحكام وبطل من هذا الحين أيضا جلوس الشهود على الحوائث للفصل في الخصومات لاسيما ما كان منها بين المتزوجين وزوجاتهم ومن كان منهم له حاثوث لذلك أغلقته وزالت عن أولئك القضاة والشهود والنواب بهجتهم ورونق وظيفتهم وصارت المدرسة الصالحية دار الشريعة ومقر المتحدثين عليها دون بقية الجهات ولبت القاضى المشار اليه على هذا الحال من الشدة وعدم التهاون حتى بصغار الامور مدة والناس في قلق واضطراب عظيمين بضجون ويعججون الى الله تعالى بزوال منصبه وانهاب سلطته * فلما كان السادس والعشرون من شعبان خرج القاضى المشار اليه يريد الحج من طريق القلزم فركب وركب معه الى تربة العادل مودعا الامير خير بك وبقية الامراء من العثمانيين والشراكسة وبكار الجند وقدموا له بعض التقدام والهدايا النفيسة فسار الى مدينة بليس ثم الى السويس ومنها الى مدينة جدة ففرح الناس بخروجه وكانت النساء أشد فرحا وأكبر سرورا فغنت بعض المغنيات منهن بهذه الكلمات

مطلب
خروج قاضى القضاة الى
الحج

قوموا بنا نقحب ونسكر * قد خرج عنا قاضى العسكر

فكانت عند العامة من أطرب المغاني وأحسنها توفيقا وأكثرها استعادة واستحسانا وأعمها تداولا على ألسنة الكبار والصغار * ومرض الامير خير بك في هذه الاثناء مرضا شديدا فانقطع عن الخروج ولازم الفراش أياما واشتد به المرض شدة بالغة فأعق جميع جواريه وعبيده ومماليكه وأمر بأن يتصدق من ماله على العلماء والفقهاء وأولاد المكاتب وأصحاب المزاريات والمنقطعين من ذوى البيوتات ففارقوا شيئا كثيرا من المال ومن القمح نحو عشرة آلاف إردب وأكثر نساؤه وجواريه من التصدق والاحسان لعل الله تعالى يشفيه وأمر بأن يخرجوا مراسيم للقاضى فخر الدين بن عوض بالافراج عن الرزق الاحباسية لاصحابها ويردها اليهم وقد كان ماضط منها وأدخل الى الديوان السلطاني ألف رزقة وثمانمائة رزقة فأفرج عنها لاصحابها وأعاد لهم أيضا مكاتب الرزق الجيشية التى كان أخرجها عنهم يوسف بن الجاكبة ثم رسم باطلاق المحاييس من الرجال والنساء وكانوا كثيرين فلم يغن عنه هذا شيئا واشتدت به علته فاستقدم اليه الامير سنان بك العثماني ودفع اليه الخاتم الذى سلمه اليه السلطان سليم يوم ولاء عمالة الديار المصرية وأعلمه بأن في خزانته من المال ستمائة ألف دينار ذهبها عينا خلافا ماهو في بيت المال * فلما كان يوم الاحد رابع عشر ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة مات خير بك المذكور فاجتمع جميع الامراء وبينهم الامير سنان بك وتولوا غسله ودفنه في موكب حافل للغاية واستقر الامير سنان بالقلعة يريد التصرف فى الامور حتى يأتيه مرسوم السلطان فعارضه فى ذلك خير الدين نائب القلعة ومنعه من التصرف حتى يأتي مرسوم السلطان فأبرز الامير سنان مرسوما

مطلب
موت الامير خير بك

سلطانيا يتضمن جواز تصرفه اذا مات خيربك حتى يأتى الفرمان بما يستقر عليه الرأى
وقيل كان الخلاف على التصرف بين الامير سنان المذكور وبين الامير خضر أحمد بك
أمراء العثمانيين فلما أبرز الامير سنان المرسوم السلطانى لم يبق بينهما من موجب للخلاف
واستقر الامير سنان بالقلعة وأخذ من يومه يتصرف فعرض ما فى بيت المال من الاموال
فوجد خيربك بينها ستمائة ألف دينار ذهباً عينا وكثيراً من الذخائر والتحف والنفائس
والاقشة البعيدة النوال مما لا يكاد يدخل تحت الحصر

وكان الامير خيربك هذا من مماليك الاشرف قايتباى وهو شركسى الجنس
أبازيا وكان اسم أبيه ملباى الشركسى ولهذا كان يدعى خيربك ملباى الى الاشرف
قايتباى وكان له أخوان أحدهما اسمه خضر ولم يعش طويلاً ومات والثانى اسمه
جان بلاط وكان مقدم ألف وله شهرة مات فى دولة الملك الناصر محمد بن قايتباى وكان
مؤنه بالطاعون وأقام خيربك المذكور بالطباق وصار فى عداد مماليك الطباق السلطانية
فأخرج له السلطان خيلاً وقاشاً وأدخله فى عداد الجدارية ثم انخاصه وصار داودار
سكين ثم صار فى سنة احدى وتسعمائة أمير عشرة فى دولة الملك الناصر محمد بن الاشرف
قايتباى وبعث به رسولا الى دار السلطنة العثمانية فى مهمة فى سنة ثلاث وتسعمائة ثم صار
مقدم ألف فى دولة الاشرف جان بلاط وخرج مع من خرج من العساكر والاجناد الى
الديار الشامية فلما وصلها هجر عليه فى دمشق فلما حضر العادل الى مصر أرسل بالافراج
عنه واستقدمه فلما حضر أنعم عليه بتقدمة ألف وأقره على ما كان عليه فلما تولى
السلطنة الملك الاشرف الغورى جعله حاجب الحجاب فلبث بها حتى تولى نيابة حلب فى سنة
عشر وتسعمائة وما زال بها حتى زحف السلطان سليم على الديار الشامية يريد ملك مصر
فجرى منه ماجرى من الانضمام بجيوشه الى جيوش السلطان سليم كما فعل الغزالي وكان من
أمر تولىته على نيابة مصر ما تقدم بيانه فاستمر على النيابة الى ان مات فى يوم الأحد رابع
عشر ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة فكانت مدة نيابته خمس سنين وثلاثة أشهر
وسبعة عشر يوماً بما فى ذلك مدة انقطاعه عن الحركات * وكان جباراً عنيداً سفاكاً للدماء
كثير الاخذ بالشبهات طاغية قتل فى أيامه ما لا يحصى من الخلائق ظلماً فلما جاء الخبر
بموته الى السلطان سليم وهو على حصار رودس ولى الامير الوزير مصطفى باشا وكان صدر
الوزراء العثمانيين وزوج أخت السلطان سليم فحضر الى الاسكندرية وجاءت الاخبار
بوصوله اليها فنادوا بذلك فى القاهرة ومصر القديمة

فلما كان يوم الاربعاء ثالث عشرى ذى الحجة وصل الى ساحل بولاق فنزل للقائه
الامير سنان وخير الدين نائب القلعة والامير خضر وجميع الأمراء وكبار الجند وجميع
الانكشارية والاصهبانية والكلية والشرا كسة وقابلوه ثم أركبوه على فرس وعليه الخلعة
السلطانية وسارت امامه العساكر والاجناد قاطبة والاعيان والمقدمون فدخل من باب

مطلب

ولاية الوزير مصطفى باشا

البحر وسار الى باب القنطرة فر من سوق مرجوش ثم من القاهرة وكان الامير سنان على عينه والامير جانم الجزاوى على يساره والامير خير الدين والامير خضر امامه فارفعت له الاصوات من العامة بالدعاء وكان أبيض اللون عريى الوجه أشقر الشاربين حليق اللحية معتدل القامة عليه حشمة ووقار وما زال في موكبه حتى مر من الرمييلة ودخل من الميدان وصعد الى قلعة الجبل * قال بعض كتاب الاخبار بولي مصطفى باشا نيابة مصر وهو في ركاب السلطان سليمان على حصار رودس يوم السبت خامس ذى الحجة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ودخل مدينة الاسكندرية في التاسع عشر من ذى الحجة فكانت مدة ولايته مذ تقرر برودس أربعة عشر يوما وكانت مدة حضوره من الاسكندرية الى ساحل بولاق أربعة أيام فدخل في يوم الاربعاء ثالث عشر ذى الحجة فتكون مدة ولايته من حين بولي برودس الى ان دخل الديار المصرية ثلاثة وعشرين يوما اه ولما استقر به المقام بالقلعة تحول عنها الامير سنان ونزل الى داره بدر بن البابا فكانت مدة نيابته بالقاهرة ثمانية وثلاثين يوما وفي ثاني يوم نزل مصطفى باشا الى الميدان واجتمع جميع الامراء والاكابر والاعيان والقضاة والعلماء وقرئ عليهم المرسوم السلطاني القاضي بولايته ثم أخذ يتصرف وجلس للناس عامة فترادفت عليه القصص بحوائج الناس وأخذ في تدبير الامور فأبطل نظام القلعة القديم الذي كان على عهد من سبق من الملوك وأبطل البوابين والركابة والبوابية والسؤاس والفراشين وغلمان السلطان قاطبة والمقرئين والمؤذنين وغير معالم ذلك النظام ورسومه وتصرف في الحواصل السلطانية والاشوان وبيت المال كما يجب ويختار وجع اليه اعيان المباشرين وكلهم في أمر الخراج فشرعوا في تحصيله ورتبوا له ولما ليكه خاصة وحاشيته وبطانته ثمانية آلاف دينار ذهباً في كل شهر يقومون بدفعها نقرة فكان اذا تأخر المباشرون في شئ من هذا المال المقرر في أجله ضيق عليهم وشدد وبالغ في الوعيد فتنبث أعوانهم في البلاد يضيقون على أهلها ويشددون في الطلب ويأخذون كل ما وصلت اليه أيديهم من الماشية والغلال ويبيعونها بأجنس الاثمان قباما بأداء تلك النفقة في آجالها فاشتد بسبب ذلك الكرب على الفلاحين وأصحاب الزروعات وعم الخطب ونزح الكثير من أهالى الاقاليم القبلية الى الاقاليم البحرية وأهالى الاقاليم البحرية الى القبلية وأهملت الارض فراراً من المطالب المتتابعة فبارت وقل الوارد من الغلال الى مصر وبولاق فارفعت الاسعار وشكى الناس من هذا الحال وضجوا وابتهلوا الى الله فلم تطل مدة ولايته وجاء الخبر بعزله وولاية أحمد باشا ففرح الناس بذلك فرحاً عظيماً وانكف المباشرون عن التضيق على أهالى البلاد في جباية الاموال فكانت ولايته سنة واحدة وعشرة أشهر ويومان

مطلب
إبطال نظام قلعة الجبل
القديم

ولما جاء الخبر بوصول أحمد باشا المذكور الى بولاق نزل الامراء و كبار الدولة والعلماء والقضاة وأصحاب العكاكيز للقائه فركب في أهبة وكبكة عظيمة وصعد الى قلعة الجبل

مطلب
ولاية أحمد باشا

وأمر فخرى فرمان التولية في محفل حافل * قبل وكان السبب في توليته هو أنه لما جلس
السلطان سليم على تخت السلطنة العثمانية صادف وزير أبيه وهو محمد باشا الصديق
فأقره على الصدارة وكان محمد باشا هذا كبير السن بطيء الحركة في قيامه وقعوده وتصرفه
فرأى عجزه عن القيام بأعباء هذه الرئاسة فأنزل نفسه وولى مكانه إبراهيم باشا المعروف
بأودة باشا وكان أقدم من إبراهيم باشا في الخدمة آخره هو أحمد باشا وكان يؤمل ان الصدارة
لا تنقله الى غيره من بقية الامراء فزاحم إبراهيم باشا المذكور وجلس بقوة قرب من
السلطان فشكاه إبراهيم باشا الى السلطان فدير في ازالته وولاه مصر ليستجلب خاطره فلما
تولاه وأخذ يتصرف في أمورها جعل إبراهيم باشا الصدر يتعقبه للعداوة السابقة ويرميه بما
يوجب قتله وما زال بالسلطان حتى أبرز الامر لجماعة المرابطين بمصر أن يجمعوا عنده ويقتلوه
في محله ثم يولوا أحدهم مكانه حتى يرد عليهم الامر بولاية خلافه وأرسلت الاحكام بذلك الى
الامراء بمصر * قال بعض أصحاب الاخبار فوقع الامر في يد أحمد باشا المذكور قبل
أن يصل الى الامراء فخاف وجعل يضرب الخاسا في أسداس حتى سالت له نفسه العصيان
والخروج عن طاعة السلطان وان يقاتل بجيش يجمعه من مصر فأبدى الخروج وادعى
السلطنة وضرب السكة باسمه على الدنانير والدرهم وتحصن بقلعة الجبل وقبض على الامير
وهب جانم الجزاوى والامير محمود بك وسجنهما يريد قتلهما ولبث الحال هكذا أياما اختل
فيها نظام القاهرة وظهرت الغوغاء وانقطعت السبل وأغلقت الخوانيت نهارا وعاش أهل
الفساد فسرقوا ونهبوا وفعلوا مالا خيرا فيه

واتفق ان دخل أحمد باشا المذكور الحمام يوما للغسل فعلم الجزاوى والامير محمود بك
بذلك فكسرا الابواب وخربا ورفعوا صنجقا سلطانيا وناديا من أطاع الله ورسوله والسلطان
فليقف تحت الصنjq فوقف تحت الصنjq خلق كثير وجم غفير فساروا وسار امامهم الجزاوى
ومحمود بك الى الحمام فكبسا الحمام على أحمد باشا وكان قد حلق نصف رأسه وأجعله على
حلق النصف الثانى هجوم أصحاب الجزاوى فهرب الى سطح الحمام وتسلق من مكان الى مكان
فنهبوا جميع ما عنده من سلاح ومتاع واقتفوا أثره فأدركوه بمنية جناح بالغربية فقتلوه وذلك
في أخريات سنة ثلاثين وتسعمائة واحتزوا رأسه وجيء به فعلقوه على باب زويلة ثم
بعنوا به الى دار السلطنة فكانت مدة تصرفه بمصر سنة واحدة لا غير لم يأت فيها عملا يذكروا
وقد تولى بعده قسام جزل باشا فدخل القاهرة في السنة المذكورة وصعد إلى قلعة
الجبل في موكب حافل وامامه أرباب الوظائف وطوائف الجنود من المشاة والفرسان وعليه
خلعة التشريف السلطانية فلم يكذب يستقر به المنصب حتى جاء الامر بخلعه وولاية إبراهيم باشا
فنزله من القلعة في الحرم افتتاح سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة ولم يلبث إلا أياما حتى جاء
إبراهيم باشا الوالى المذكور ودخل القاهرة في كبكبة عظيمة وصعد إلى قلعة الجبل ثم نزل
في ثانى يوم وجلس على المصطبة بالميدان وبين يديه جميع الامراء والقضاة والعلماء والمباشرين

مطلب

ولاية قسام جزل باشا
وخلعه وولاية إبراهيم باشا

وأصحاب الوظائف فتسلي فرمان التولية ورفعت إليه القصص في ذلك اليوم فنظر في مصالح الخلق وكان عاقلا ذكيا محبا للخير * واهتم السلطان سليمان في أيامه بترتيب أمور الديار المصرية فأجاز لطوائف الممالئ الشرا كسرة الذين أقرهم والده على خدمة الدولة أن يتولوا رتبة الباشوية عند الحاجة وضم إليهم اثني عشر أميرا فكان من يصح انتخابهم إلى هذه المرتبة العظيمة الكيخيا وقباطين وغور السويس ودمياط والاسكندرية وأمير الخزينة السلطانية والدفتدار وأمير الحج وصناجق الشرقية والغربية وجرجا والبحيرة * وكان لدار السلطنة اهتمام عظيم وعناية كبرى بالثغور الثلاثة المذكورة لأنها أبواب البلاد فكان الجنود المربطون فيها يقدمون من دار السلطنة مع القباطين فيقيمون سنة ثم يستبدلون بآخرين وهكذا في كل سنة فكان مربطو الثغور المذكورون غير محسوبين في عداد العسكر المصري وكانهم أجنب عنه

ولم تطل مدة إبراهيم باشا فقد جاء الأمر بعزله فرحل عن مصر في شعبان سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سبعة أشهر وتولى بعده سليمان باشا الخادم فدخل القاهرة في تاسع شعبان من السنة وجعل يتصرف في الأمور فرسم في أيامه السلطان سليمان بمساحة جميع قرى مصر وضبط أراضيها على يدي الأمير كيوان وربط خراجها على من كان يستغلها فطاف المساحون البلاد ومسحوها وقسموها إلى أحواض سموها بالقراريط وأحكموا عملهم فزاد الخراج زيادة عظيمة وجباه الولاية فكان بعد ذلك شيا كثيرا * ورسم بأنه هو صاحب جميع أرض مصر ومالكها يعطيها لمن يشاء ويمنعها ممن يشاء فكان يقطعها لطائفة من الأهالي يعرفون بالملتزمين فكانوا يتصرفون في الأرض تصرف الملاك ما بين هبة واسقاط وإيقاف وغير ذلك وكان أصحاب الأرض الذين هم ملاكها من أهل البلاد يحرثونها ويفلحونها لأولئك الملتزمين ولا يأخذون من غلاتها إلا بقدر الحاجة ولا يتصرفون فيها مع توريثها لأعقابهم من بعدهم وكان لا يحل لأحد منهم ترك ما بيده من الأرض أو التخلي عن تعهدها بالحرث والزرع بل كان يجبر على ذلك ويضرب ويقوم بدفع ما عليها من الخراج إلى أولئك الملتزمين فإذا مات الفلاح ولم يعقب نسلا أعطيت أرضه للملتزم وهو يعهد بحرايتها لمن يشاء فإذا مات الملتزم ولم يعقب وارثا انحلت التزامه وعاد إلى ملك السلطان وكان إذا تأخر الفلاح والملتزم في دفع الخراج أخذت منهما الأرض وسلمت لغيرهما ليقوم بما عليها في آجاله وبعدان أتم مساحة جميع الأتبان سموها من هذا الحين أطيانا سلطانية ورزقا وأوقافا واقطاعات وغير ذلك وكتب بها دفاتر محررة ووضع في ديوان مصر المحروسة وتسمى دفاتر ترايع سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ولم تلبث أن أحرقتم ثم جددت وقيل بل أهملت ولم تتجدد

وكان سليمان باشا المذكور ميالا للخير يحب إنشاء المباني العظيمة والآثار الفاخرة فعمر جاسعا بقلعة الجبل وآخر ببولاق القاهرة وبجواره وكابل وأسواق وربوع وغير ذلك ثم

مطلب

ولاية سليمان باشا الخادم
وقميا رسم به السلطان من
مساحة أطيان سائر البلاد
وجعلها ملكا للسلطان

ورد عليه مرسوم السلطان سليمان بالتوجه الى اليمن فكانت مدة تصرفه بديار مصر تسع سنين
واحد عشر شهرا وستة أيام فتولى بعده خسرو باشا ودخل القاهرة في عشرين رمضان سنة احدى
وأربعين وتسعمائة وصعد الى قلعة الجبل في الموكب المعتاد ولم يقع في أيامه من الحوادث
شيء يذكر وعمر صهر بجايين القصرين بالقاهرة وتصرف الى سادس جمادى الآخرة سنة
ثلاث وأربعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنة وثمانية أشهر وستة أيام وعزل ثم عاد
سليمان باشا الخادم الى ولاية البلاد عند عوده من اليمن في حادى عشر رجب سنة ثلاث
وأربعين فتصرف الى حادى عشر المحرم سنة خمس وأربعين وكانت ولايته ثمانية سنة
واحدة وخمسة أشهر وواحد وعشرين يوما * وكان حسن التدبير عظيم السياسة واسع الرأى
مطاعا محبوبا ثم عزل وتولى بعده داود باشا فدخل القاهرة في سابع المحرم سنة خمس
وأربعين وتسعمائة وجلس للناس على المصطبة بالميدان فرفعت اليه القصص فنظر في مصالح
الخلق وجعل يتصرف مع الكياسة والعدل وكان كريما مهيبا محبا للعلوم والعلماء كلفا
بالمطالعة واقتناء كتب العرب وقد جمع منها شيئا كثيرا واستنسخ كل ما نظره منها وسعدت
في ولايته البلاد واطمأنت الرعية وساد الأمن وسلكت السبل وبني في ولايته مدرسة
عظيمة بسويقة صفية اللالة بالقاهرة ووقف لها أوقافا وهي باقية الى الآن وتصرف الى
ثالث عشر ربيع الاول سنة خمس وخسين وتسعمائة فكانت مدة ولايته احدى عشرة سنة
وشهرا واحدا وعشرين يوما وتوفي بالقاهرة ودفن بالقرافة وكانت أيامه كلها بركة واسعادا
وتولى بعده مصطفى باشا صفصافان فوصل القاهرة في الخامس من ربيع الاول سنة ست
وخسين وتسعمائة وصعد الى قلعة الجبل في الموكب المعتاد ولم يقع في أيامه شيء يذكر
فتصرف الى شهر رجب من السنة المذكورة وعزل فكانت ولايته أربعة شهور ونصف شهر
وتولى بعده على باشا في خامس شعبان سنة ست وخسين وتسعمائة وتصرف الى غاية المحرم
سنة احدى وستين وتسعمائة وعزل فكانت مدته أربع سنين وخمسة أشهر وستة وعشرين
يوما وكان على باشا هذا وقورا معززا محبوبا من الرعية شفوفا عليها بعيدا عن العسف
والظلم ميالا الى انشاء العمارات العظيمة والآثار النافعة فشاد منها في رشيد والقاهرة وفوه
وحذا حذوه الامراء والكبراء ففعلوا كذلك بمصر والقاهرة وغيرهما من المدن * ولما انصرف
عن ولاية مصر عاد الى دار السلطنة فجعل يتقلب في الوظائف العالية والمناصب الرفيعة حتى
بلغ مسند الصدارة فدير الامور وسار سيرة حسنة للغاية فأحبه الناس ومالت اليه القلوب
وتولى بعده على مصر محمد باشا المعروف بدوقتر كين زاده ودخل القاهرة في أوائل صفر سنة
احدى وستين وتسعمائة فلما جاء الخبر بوصوله الى بولاق نزل الامراء والعلماء والفضة للقاءه
فصعد الى قلعة الجبل في الموكب المعتاد ثم تحجب عن الناس وزاد في التعجب وكان قظا
غلظا جبارا عنيدا فأساء التصرف وعيث بالامور وأكثر من المغارم ومصادرة الناس في
أموالهم فكثير الوشاة على أبوابه وأخذ بالشبهات فكرهه الناس كافة وأبغضه الامراء

مطلب

ولاية خسرو باشا وخلعه
ورجوع سليمان باشا الى
الولاية ثانية

مطلب

ولاية داود باشا

مطلب

ولاية مصطفى باشا
صفصافان وخلعه وولاية
على باشا

مطلب

ولاية محمد باشا المعروف
بدوقتر كين زاده

مطلب
ولاية اسكندر باشا

وأعرضوا عنه ثم خلع فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وشهرين وتسعة عشر يوما وتولى بعده
اسكندر باشا فدخل القاهرة في جادى الاولى سنة ثلاث وستين وتسعمائة فتصرف الى غاية
رجب سنة ست وستين فكانت ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وعمانية أيام وكان شهيدا
حازما حسن التدبير والسياسة وقورا مهيبا عمر في ولايته المدرسة التى بباب الخلق المطلة على
الخليج الناصرى وهى من آخر المباني وأتقنها وعمر تكيه نجاها وسبيلا بجوار المدرسة فعمل
له بعض الشعراء تاريخا نصه رحم الله من دنا وشرب سنة ٩٦٦

مطلب
ولاية على باشا الخادم
وخلفه وولاية شاهين باشا

ووقف على ذلك أوقافا جليلة والماخلع تولى بعده على باشا الخادم فدخل القاهرة في
سابع عشر شعبان سنة ست وستين وتسعمائة فتصرف الى سدس عشر صفر سنة ثمان وستين
فكانت مدة تصرفه سنتين وستة أشهر ولم يقع في أيامه من الحوادث شئ يذكروا وتولى
بعده شاهين باشا فدخل القاهرة في ثمانى ربيع الاول سنة ثمان وستين وأخذ يتصرف
في الامور فكان رجلا جليلا القدر حسن السياسة والتدبير وما زال حتى عزل في غاية
جادى الآخرة سنة احدى وسبعين وتسعمائة فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر
* وتولى بعده على باشا الصوفى فدخل القاهرة في أول رجب سنة احدى وسبعين وتسعمائة

مطلب
ولاية على باشا الصوفى

ولاقاه الامراء والعلماء والقضاة وأصحاب الوظائف وصعدوا به الى قلعة الجبل فلم يجلس
للناس كعادة الامراء والولاة ونحجب ثم لم يلبث ان تجبر وظم وكان قبل حضوره الى مصر
والبا على بغداد وكان له فيها أحوال غريبة وأحكام جائرة فأبغضه الناس وشكوا
منه وضجوا وعجزوا فعزل عنها وأتى به الى مصر وكثر عسفه فكثر الفساد فى البلاد
وارتفع الامن وعاث اللصوص فنهبوا وسلبوا بغير ممانع وأحاط قطاع الطرق بضواحي
مصر والقاهرة فانكش الناس وانكفوا عن الخروج خارج السور وضجوا وشكوا الى على
باشا المذكور فلم يلتفت لشكواهم وكأنه كان يقاسم أهل الفساد فيما يسرقونه فبلغت
الجراة بالغوغاء والخرافيش مبلغها وقامت طائفة من الفداوية فأوقدوا النار فى المدينة طمعا
فى النهب فسرى الحريق الى الجامع الابيض واشتدت النيران وعلا الالهيب وكثر النهب
والسلب وخرجت النساء والاطفال والسيوخ من الديار هائمين على وجوههم فرارا من
فعال الفداوية وما زالت النار تعمل فى جميع ما وصلت اليه حتى كادت تدمر جميع المساكن
والوكائل وغيرها وكلم الامراء على باشا المذكور فى أمر اللصوص وفيما آلت اليه حالة
المدينة من الخراب فلم يلتفت لقولهم فرأوا أن يقيموا سورا من قنطرة الحاجب الى الجامع
الابيض لينعوا البلد من تطاول أيدي اللصوص اليها فأقاموه ووكلوا به من يحرسه
فاطمأنت القلوب وسكنت الخواطر قليلا وما زال على باشا المذكور يتصرف بالجور والظلم
حتى خلع وتولى بعده محمد على باشا المعروف بالمقتول فقدم من دار السلطنة فى كبكة عظيمة
فكان كلما تريلد من الاسكندرية الى القاهرة قدمت له التحف والهدايا ومدت له الموائد
وبالغ الناس فى تعظيمه واجلاله فرحا بخلاصهم من ظلم الصوفى وجوره * فلما دخل القاهرة

مطلب
فى سبب إقامة السور من
قنطرة الحاجب الى الجامع
الابيض

مطلب
ولاية محمد على باشا
المعروف بالمقتول

لاقاه جميع الامراء والعلماء والقضاة والمباشرين وأصحاب الوظائف العالية والامير محمد بن
 عمر متولى الاقاليم القبلية يومئذ وقدم له عدة هدايا نفيسة للغاية وخمسين ألف دينار نفقة
 فأجله محمد علي باشا المذكور وأدناه من مجلسه وقد طمع فيه فلما استأذنه بالانصراف
 وخرج من مجلسه أمر ققبض عليه جماعة من أعوان الباشا وقتلوه خنقا فاندش الناس
 من ذلك جدا وأخذتهم الطيرة وسأل عن قاضي القضاة يومئذ الشيخ يوسف العبادي ف قيل له إنه لم
 يحضر فرسم باحضاره فاحضروه فلما مثل بين يديه أمر بخنقه وهو يستغيث وليس من يغثه ثم
 تحجب عن الناس أباما ثم ظهر وبث العيون والجواسيس بين الامراء وأرباب الدولة فزاد
 عسفه وأخذ للناس بالشبهات وأكثر من القتل واراقة الدماء وبالغ في اذلال الرعية والتسكيل
 بالامراء وكان لا يسير في المدينة الاومعه الشوباصي وهو كبير الجلادين فاذا مر بأحد وأراد
 قتله أشار بيده الى الشوباصي المذكور فينزعه حالا رأسه عن جسده ويهدد دمه على الفور
 فانكش الناس وزاد خوفهم وضجوا الى الله وابتلوا بالدعاء وزاد سخطهم عليه وتواردت
 قصص الامراء بمصر على دار السلطنة مستغيثين من عسف محمد علي باشا المذكور وظلمه
 للزعامة فلم يلتفت السلطان اليهم لاشتغاله يومئذ بفتح جزيرة مالطا التي كانت الى هذا
 الحين مقر رهينة القديس يوحنا الاورشليمي وإعداد سفن الحرب ومراكب النقل اللازمة
 لذلك لانه لما اتسعت أملاك السلطنة العثمانية وبسطت يدها على الكثير من سواحل البحر
 الابيض المتوسط وكانت جزيرة مالطا واقعة بين اقليم تونس وجنوبي ايطاليا وكان لمن يملكها اليد
 الطولى على البحر المذكور عمد السلطان سليم الى فتحها وسير الى ذلك مائتي سفينة حربية
 فحاصروها حصارا تاما وضيقوا عليها تضيقا شديدا وواصلوا الرمي عليها بالكانكاحل وداموا
 على هذا الحال اربعة أشهر مات في خلالها الامير طرغول أمير تلك العمارة العظيمة وكانت
 الفرنجة تسميه دراجوت ومع كل ذلك لم ينالوا منها وجاء الشتاء وكثرت الزوابع وارتفعت
 أمواج البحر فارتفع عنها الحصار وعادت العمارة الى القسطنطينية فعاد الامراء بمصر الى
 الاستغاثة بالسلطان من شر محمد علي باشا الوالى وأكثروا من رفع الظلمات وترادف
 القصص فلم ينالوا منه شيئا لخروجه في جيش عظيم في سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة لصد
 هجمات النمسا عن بلاد المجر اذ كانت له السيادة عليها الى هذا الحين وبينما هو في الطريق
 بلغه أن صاحب سكودار إحدى مدائن بلاد المجر التي يقال لها أيضا زيجت قد ظفر ببعض
 الجيوش العثمانية التي كانت تقايل في تلك الاصقاع فسار الى قتاله وحاصر المدينة المذكورة
 وشدد عليها حتى أخذ جميع معاقلها الامامية فاخلى عساكرها المدينة وتحصنوا بقلاعها فلم
 تقدر للسلطان هزيمة في قتالهم واشتد في القتال وقد نهكه التعب فرض وثقل عليه المرض
 فلما كان العشرون من صفر سنة أربع وسبعين وتسعمائة اشتد عليه مرضه ومات فاخفى
 وزيره خبر موته تخاشيا من وقوع الفشل في العسكر وسير الى ولده الامير سليم بكونته هبة
 يعلمه بخبر موت أبيه ويحثه على الحضور الى القسطنطينية ليتولى منصب السلطنة ولم ينكشف

الوزير عن القتال مع من تحصنوا بقلعة سكديوار ووالى الهجوم عليها وما زال بها حتى احتلها العساكر العثمانية عنوة فهرب من كان بها من الاعداء فلم يستقر بها مقام العساكر العثمانية حتى انخفضت بهم أرض القلعة وسقط جميع بنائها عليهم جميعا فأتوا تحت الردم وذلك أن العدو كان قد دبر هذه المكيده بان عمل عدة الغام تحت بناء القلعة فلما دخلها العساكر واستقروا بها أشعل العدو تلك الالغام فانخفضت أرض القلعة وتهدم جميع بنائها وهلك جميع من دخلها ولما تم النصر للعساكر السلطانية على هذه الكيفية طير الوزير خبره الى الآفاق وسير الرسائل بخاتم السلطان كي لا يعلم أحد بخبر موته ثم عاد الى القسطنطينية مع من بقي من العساكر ومعهم جثة السلطان فوجد أن الأمير سليم قد حضر وقبض على زمام الامور وأخذ يتصرف في أعمال المملكة قال أصحاب التاريخ ولم تكن ولاية العهد قد أتت اليه بالارشدية أو الاستحقاق بل بدسيسة أمه روكسلان إحدى حظيات السلطان وقتل السلطان لولده الارشد الأمير مصطفى وابنه الثاني الأمير بايزيد مع أولاد بايزيد الخمسة * وتحرير الخبر * أنه كان للسلطان سليمان حطية مجهولة النسب تسمى روكسلان وكان يحبها حبا شديدا فولدت له من الذكور الأمير سليمان وابنتين وكانت تتمنى أن يكون الملك لابنها بعد موته ولكنها كانت تخشى ذلك عن السلطان وتراقب من الفرص أنفعها فلما مات إياس باشا صدر الدولة سعت روكسلان المذكورة لدى السلطان في توكية رستم باشا منصب الصدارة وكان بينها وبين رستم المذكور كلام في أمر مبايعته ولدها بالملك بعد أبيه فولاه السلطان الصدارة وأدناه منه كثيرا وزوجه بابنته من روكسلان هذه فزاد تعلق روكسلان به وعهد هو الى ارضائها بتهديد الطريق لتولى ابنها الملك بعد أبيه فلما انتشبت الحرب بين الدولة ومملكة فارس سير السلطان الأمير مصطفى أكبر أولاده على رأس جيش الى ساحة القتال وكان محبوبا عند طوائف الانكشارية لحسن سياسته ومعرفته بفتون الحرب والقتال وبسالته وإقدامه فأبلى في الفرس بلاء حسنا وظهرت شجاعته فازداد حب طوائف الانكشارية له ومالت قلوبهم جميعا اليه فانتز رستم باشا هذه الفرصة وكتب الى السلطان يخبره من ولده ويقول إنه عامل على الخروج وشق عصا الطاعة مع طوائف الانكشارية وعزل السلطان وتوكيه هو منصب السلطنة كما فعل السلطان سليم الأول بأبيه بايزيد فأكبر السلطان هذا الخبر واستعظمه وكاد لا يصدق وأهمه للغاية فأنت من روكسلان الحسيرة والاضطراب فسأله عن سبب ذلك فاخبرها بخبر ولده مصطفى وما قاله رستم باشا فظهرت غاية الخوف والانزعاج وأخذت تقبح له فعال الأمير وترميه بالخيانة والغدر وتحذره من عاقبة التهاون بهذه المكيده وما زالت به حتى التهب قلبه غيظا وقام في طائفة من عسكره يريد بلاد فارس وطير الخبر بأنه انما قام ليتولى قيادة هذه الغزوة فلما اقترب من المعسكر خرج ولده مصطفى وجميع الامراء و كبار الجند للقائه وساروا في ركابه حتى أنزلوه في سرادقه وفرح ولده مصطفى بقدمه فرحا عظيما فلما كان الثاني عشر من شوال سنة ٩٦٠

هجرية استدعى السلطان ولده مصطفى الى سرادقه ليكلمه في أمر القتال مع الفرس فدخل عليه وهو في لباسه المعتاد فلم يكذب يصر الى أبيه حتى قبض عليه جماعة من الخدم وقتلوه خنقا وهو يصيح ويستغيث بأبيه حتى مات وأبوه يتظر اليه ثم نقلوا جثته الى مدينة بروسة فدفنت في تربة أجدادهم * قالوا ولم تنكف روكسلان بقتل الأمير مصطفى بل أرسلت أيضا الى مدينة بروسة بعض خواصها فقتلوا ابنه الرضيع وشاع هذا الامر بين الناس فاستعظموه وانحرفت خواطرمهم عن السلطان وبكى الأمير مصطفى أهل العلم والادب ورثاه الشعراء ولم يخشوا بأس أبيه فقال بعضهم في ذلك

يادهر ويحك ما بقيت لي جلدا * وأنت والد سوء تأكل الولدا

ونار طوائف الانكشارية على السلطان وطلبوا قتل رستم باشا المذكور وهاجوا وهاجوا حتى كادت الفتنة تم فرسم السلطان بخلعه وولى مكانه أجد باشا تسكينا للفتنة واسترضاء لطوائف الانكشارية وكان للأمير مصطفى أخ اسمه الأمير جهانكير خزن على أخيه حزنا عظيما جدا وبكاء بكاء شديدا للغاية حتى مات كندا عليه بعد قليل من الأيام وقيل بل قتل نفسه امام أبيه بعد ان وبخه وأنبه على قتل أخيه فلم يبق بعد موته من أولاد السلطان سوى الأمير بايزيد والأمير سليم بن روكسلان * وكان للأمير بايزيد مرب اسمه لاله مصطفى فولاه السلطان النظر على بيت الأمير سليم بعد روكسلان امه فأحببه الأمير سليم وقربه منه وأعلمه بما كان يخشاه من مزاجه بايزيد له في الملك بعد أبيه وطلب منه أن يعمل على هلاك بايزيد وأولاده ليخلو له الجور فهون عليه لاله مصطفى الامر ومناه بالفوز وجعل يستعمل الحيلة فكتب الى بايزيد يوما يقول ان أخاك سليما منهمك في اللذات غافل عن واجب السلطنة وما هو مفروض على أبناء الملوك فضلا عما هو عليه من الطيش وعدم الاهلية لمنصب الخلافة ومع ذلك فان أباك أبي إلا مبايعته بولاية العهد من بعده فهل لك في هذا الامر رغبة * وتعددت بينهما الرسائل وركن الأمير بايزيد الى لاله مصطفى وأعلن جانبته فكشفه بما في نفسه ولم يخف عنه أمرا ثم كتب الأمير بايزيد الى أخيه سليم يوما يعيب فعال أبيه ويرميه بالخفاء وغلظة الطبع ويسمه بالفسوة وفقدان الخصال الأتوى فأشار لاله مصطفى على الأمير سليم باعطائه تلك المكاتبة لآبيه فلما اطلع السلطان على ما بها مما عيس كرامته غضب غضبا شديدا وزاده غضبا وشاية لاله مصطفى بالامير بايزيد فسير الى بايزيد يقول له اذا أتاك كتابي هذا تحول من فورك عن قونية الى اماسية وكان واليا على قونية تخاف يايزيد من ذلك وظن ان أباه انما يضمه له الشرف فامتنع من الذهاب الى اماسية وجيش له جيشا عظيما وتحصن في قونية فسير اليه أبوه جيشا ومقدمه الوزير محمد باشا الملقب صقللي فالتقى الجيشان عند قونية واقتتلا قتالا عنيفا مدة ثلاثة أيام كانت فيها الحرب سجالات ثم انكشف القتال عن هزيمة بايزيد وفراره الى مدينة اماسية فلهفته عاكر أبيه فرحل عنها الى بلاد فارس وبلخا هو وأولاده الى طهماسب ملك فارس فقبضه وأكرم مثواه ولكنه سيرا الى السلطان سليمان خفية بعلمه بخبره فارسل السلطان

سليم رسلا في طلبه فسلمه اليهم طهماسب مع أولاده ولم يرع ذمتهم فأمر بهم السلطان فقتلوا جميعا في مدينة قزوين إحدى مدائن فارس ونقلت جثثهم الى مدينة سيواس وخنقوا طفلا كان لبازيد بمدينة بورسة ودفنوه مع أبيه وأخوته بسيواس * قال أصحاب التاريخ فكانت هذه الامور الشنعاء نقطة سوداء في تاريخ حياة السلطان سليم وكادت تذهب بجميع حسناته وشهره عزوانه وكثرة فتوحاته ادراج الرياح مع أنه كان ملكا جليل القدر واسع الكلمة عارفا بفنون الحرب وأساليب السياسة محبا للخيرات وافر الصدقات * قال بعضهم ومن آثاره الجيدة السجادة الكبرى بطريق الحج ولها أوقاف كثيرة يشتري من ريعها في كل عام جمال لحمل الفقراء والمنقطعين والعواجز والماء والزاد وغير ذلك ومقرريها من المغاربة أربعون نفرا ومن المطاوعة أربعون نفرا (يريدهم العسكر) ذهابا وإيابا مات فكانت خلافته نحو من تسع وأربعين سنة وله من العمر أربع وسبعون سنة قضاها كلها في الغزو والفتوحات

ومات في أيامه مرقس بطرك المتأصلين بعد ان أقام أربع عشرة سنة وفي أيام سليمان المذكور اشتد الولاة على قبضة مصر وضيقوا عليهم وعالوا على تبعيدهم عن أوطانهم فبعدوا منهم خلقا من العظماء والوجهاء وخيار الناس ثم صادروا من بقي وأخشوا في تخريب بيوتهم وتبديد أرزاقهم فكانت شدة عظيمة للغاية وبعد موت مرقس المذكور أقام يوحنا وهو خامس ثمانية وأصله من الشام فأقام ست سنين ومات فأقام المتأصلون بعده غبريال وهو سادس ثمانية وكان راهبا من دير المحرق فأقام ثمان سنين ومات فأقيم بعده متاوس وهو سابع ثمانية وكان راهبا بدير المحرق فأقام ثلاثين سنة ومات وكان عالما تقيا عاقلا محبا للغير معينا للفقراء كثير التصدق ولم تكن أيامه أقل شدة من أيام سلفه فقد ذافت فيها النصرانية من البساي والحن اشكالا وعونه أقام المتأصلون غبريال وهو ثامن ثمانية وكان راهبا بدير القلامون ووقع في أيامه من الحوادث ماسية كفي محله وموت السلطان سليم كما تقدم القول بولي السلطنة بعده ولده السلطان سليم الثاني

الفصل الثالث

(في سلطنة السلطان سليم الثاني)

ثم قام بالأمر بعد السلطان سليم ولده السلطان سليم الثاني ببيع بالملك تاسع ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وتسعمائة هجرية أي سنة ست وستين وخمسمائة وألف ميلادية وعمره ست وأربعون سنة ولم يمض إلا ثلاثة أيام على بيعته حتى سار في جيش عظيم الى

نجد العساكر الذين كانوا يقاتلون بناحية سكندوار فلما وصل الى ناحية سردم لاقاه الوزير محمد باشا وكان هو القائد لجيوش تلك الغزوة فاعلمه بما يعانیه العسكر من البرد وسقوط الثلج وكان الوقت وقت شتاء وأعلمه بمنعة قلعة سكندوار ووجوب عودهم الى الاوطان حتى ينتقضي الشتاء وأشار عليه أن يتربص ناحية سردم حتى يأتي اليه بجميع الجند والامراء المحاصرين للقلعة فلبث السلطان سليم أياما حتى اجتمع العسكر وساروا في ركابه الى دار السلطنة * ووردت الاخبار الى مصر بسلطنة السلطان سليم فزينت المدينة ثلاثة أيام وأطلقت البشائر وفرح الناس بولايته وتفقوت آمالهم بالخلاص من مظالم محمد علي باشا واستعباده لهم فرفع الامراء و كبار الرعية والعلماء والمباشرين عندئذ ظلامتهم الى دار السلطنة واستغاثوا وضحوا فورد مرسوم السلطان الى محمد باشا المذكور باجراء العدل في الرعية والرفق بالناس والنهاي عن الجور وكان قد تزايد جورهم وأخذ الناس بالشبهات فالحش في القتل والسلب وتبغ العورات فلم يرعو ولم تأخذ آخذة من الخوف فعادوا الى الشكوى وعظموا للسلطان البلى ولبنوا ينتظرون ما سيكون بعد ذلك * واتفق في هذه الغضون موت الامير ابراهيم بك الدفتردار الذي كان متوليا امانة الحج فاستولى محمد باشا المذكور على خزائنه ومماليكه وجواريه وكل ماله وجعله ذلك مائة ألف دينار ذهباً فضهها الى خزانة السلطان التي يبعث بها في كل عام من مصر وأرسل معها أيضا شياً كثيراً من الهدايا والتحف التي لا مثيل لها هدية منه للسلطان ورجال الدولة استجلبا بالانحواطهم فلم يكن بعد ذلك من يسمح للمصريين شكوى ودامت الحال على ذلك مدة * فلما كان يوم الاربعاء غايه جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة خرج محمد باشا المذكور في كيكبة وحوله طائفة من أعوانه وصر من جهة الناصرية يريد مصر القديمة فلما صار على مقربة من حائط هنالك أطلقت عليه بندقية من خلف الحائط فأصاب رصاصها صدره فسقط عن فرسه فهاج لذلك أعوانه وبحشوا عن القاتل فلم يعثروا له على أثر واتفق في هذه الاثناء ان مر رجلان من الفلاحين بالقرب من موضع الحادثة فقبضوا عليهما واتهموهما بالفعل وقتلوهما ظلماً وقبل انه قتل في يوم الاحد تاسع عشر شهر جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة أشهر وعشرين يوماً وفرح الناس بموته فرحاً ما عليه من مزيد فقال فيه بعض الشعراء

موت محمود حياة * فبسه للعالم رجه

قتله بالنار نور * وهو في التاريخ ظلمه

سنة ٩٧٥ هجرية

وقال بعضهم أيضا

أتى محمود باشا يوم خمس * فساقته منيته غصبيه

بحاه الناصرية خلف حيط * بغيط جاءه منه مصيبه

ببندقية رماه كف رام * فخرها بخائنه مصيبه

مطلب
ولاية سنان باشا

فلما وصل خبر موته الى دار السلطنة أرسل للولاية بعده سنان باشا فدخل القاهرة في ثالث عشر شعبان سنة خمس وسبعين وتسعمائة وكان قبل مجيئه واليا على حلب فلم تستقر به الولاية على مصر حتى ورد عليه مرسوم السلطان بالقيام الى فتح اليمن واسترجاعها من الزيديين وكانوا قد خرجوا ثائرة وشقوا عصا الطاعة فصار من القاهرة في الرابع من شوال سنة ست وسبعين فكانت مدة تصرفه في مصر نحو من تسعة أشهر وسار معه من الامراء المصريين حزة بك ومماي بك وغيرهما من الصناجق فيل وكان استصحابه لهؤلاء الصناجق لاهم نسبوه اليه وهو قتل محمد باشا الوالي السابق * وأقام سنان باشا المذكور يقاتل اليمانيين سنتين وأربعة أشهر حتى يسر الله له الفتح واستنقاذ اليمن من أيدي الزيديين وطير الاخبار بذلك الى مصر والقسطنطينية ففرح السلطان بذلك فرحا عظيما وتزاحم على أبوابه الشجعراء بقصائد التهاني وألف العلامة قطب الدين محمد بن أحمد المكي تاريخه لهذا الفتح سماه البرق اليماني في الفتح العثماني فيل وهو غاية في البلاغة وبه قصيدة لابأس يايراد بعض أبيات منها هنا وهي

للك الحمد يا مولاي في السر والظهر * على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا سعت * لها الهمم العليا الى أشرف الذكر
جنود زهت من كوكان خيامها * وآخرها بالنيل من شاطئ مصر
(ومنها)

فهل يطمع الزيدى في ملك تبع * ويأخذها من آل عثمان بالكر
أبي الله والاسلام والسيف والقنا * وسر إمام المسلمين أبي بكر
وهي طويلة للغاية

مطلب
ولاية اسكندر باشا الفقيه
السرکشی بدلا من سنان
باشا

فلما سار سنان باشا الى فتح اليمن أتى للولاية بعده اسكندر باشا الفقيه السرکشی فدخل القاهرة في رابع جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وجعل يتصرف الى غاية المحرم افتتاح سنة تسع وسبعين فكانت مدته سنتين وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما وكان عادلتقيا محبا للرعية أبطل بعض المغارم والمكوس ورفعها عن الفقراء والعواجز وأذل العلم وأمنت في أيامه السبل واطمأنت قلوب الرعية فكانت أيامه كلها بركة ورخاء على البلاد وأهلها ولم يقع فيها شيء من الاحن والبلايا وما زال يتصرف في الامور ويعدل في الرعية حتى مات * وعاد سنان باشا من فتح اليمن بعد موت اسكندر باشا بأيام قلائل ولم يرجع معه أحد من الامراء والصناجق الذين كانوا قد ساروا في ركابه الى هذه الغزوة وكانهم قد ماتوا جميعا فلما دخل القاهرة جاءه الامر بوليته على مصر ثانية فتولاها من أول شهر صفر سنة تسع وسبعين فزاد البلاد اطمئنانا وأمن السبل وأتى على اصلاح الامور من أبوابها فخير خليف الاسكندرية وأحسن مجراه وأنشأ عدة مساجد وتكايا وربط وجوامع بديار مصر في الثغور والبادر ولم يكن الى ذلك الحين أحد من الولاة أمثاله فعل ما فعله سنان باشا من البر والخيرات وكان كثير العناية

بصالح الرعية شفوفا عليهم يسأل العمال عن الصغيرة والكبيرة وقد بلغه ان الامير منصور بن بغداد أمير ولاية المنوفية حدث متلاعب أهمل أمور الولاية وهو منهمك في اللذات واتباع الشهوات وان جماعة من السفهاء قد استولوا على عقله وهم المنصرفون في ولايته وقد زاده اهمالا وجرأة معرفته بالوزير الاعظم ميلوش باشا وتقربه منه وكان قد عهد له بأن لاقدرة لاحد على خلعه من ولاية المنوفية فصار سنان باشا في القعدة من السنة أى سنة تسع وسبعين وقبض على الامير منصور المذكور وخلعه وولى مكانه الامير علام بن بغداد واستمر الامير منصور مسجوناً في البرج بقلعة الجبل من سنة تسع وسبعين الى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة عند ما قدم حسن باشا وأطلق سبيله وأرجعه الى ولاية المنوفية فكانت مدة حبسه نحو من عشر سنين

مطالب
ولاية حسين باشا

وما زال سنان باشا يتصرف في الامور مع الرفق واللين بالرعية حتى جاءه أمر السلطان سليم بالحضور الى دار السلطنة فرحل عن مصر والقلوب راضية عنه فكانت مدته الثانية سنتين اثنتين وتولى بعده حسين باشا فدخل القاهرة في سادس عشرى المحرم افتتاح سنة احدى وثمانين وتسعمائة وجعل يتصرف في الامور ثم خلع في سنة اثنتين وثمانين فكانت ولايته سنة واحدة وعشرة أشهر وخمسة عشر يوماً وكان عاقلاً رزيناً شفوفاً بالرعية ميلاً الى الخير والاحسان ووقع في أيامه غلاء عظيم وانقطع الوارد من المأكول والمشروب ثم وقع فظ عظيم جدا فأكل الناس بذر البكتان والحشيش اليابس واشتد الجوع بالناس اشتداداً عظيماً وأعقبه الموت جفأة حتى ان الرجل أو المرأة أو الخادم اذا خرج من بيته لقضاء حاجته أدركته المنية في الطريق فيموت سريعاً بلا ألم ولا وجع وبقي الحال على هذا الوصف أياماً كثيرة فهاجر الناس الى ضواحي القاهرة ومصر ونزحوا الى بعض القرى والبلدان فراراً من الموت ولكنه لم يلبث ان عم جميع القرى والمدن وكثر واشتد شدة بالغة ثم أخذ يزول * ومات زواله حتى كثرت اللصوص وظهر قطاع الطرق فعاثوا في البلاد وسلبوا ونهبوا وأفسدوا وقطعوا الطرق على أبناء السبيل وكانوا لا ينفكون ليلاً ولا نهاراً وعجز حسين باشا المذكور عن ردهم فتمادوا وكثر شرهم وعم الخوف جميع البلاد فكانت شدة عظيمة وازدادت الاحوال اضطراباً والامور خللاً وفساداً بتطاؤل أيدي الخند أيضاً الى أموال الناس وعيشهم بصالح الدولة وعدم وقوفهم عند طاعة كبارهم واذا هم للسوق والباعة وأصحاب البيوت حتى ضج الناس وترقبوا مرور حسين باشا في الطريق وصاحوا في وجهه وقبحوا عجزه وأقسموا انهم انما هم رافعون ظلامتهم الى السلطان وكان السلطان في هذا الحين في شغل ليس عن مصر فقط بل عن جميع الايالات التابعة الى مملكة أبيه بما تولى عليه من الخمول وضععة النفوذ * قال أصحاب التاريخ وذلك لانه لم يكن متصفاً بما يؤهله للقيام بحفظ فتوحات أبيه ولا هو متصفاً بالحرمة واصالة الرأي فانبتك لذلك أحوال المملكة وانقضت أمورها وطمع فيها الاعضاء ومالت بعض الولايات الى الخروج فشد بعض الدول الكبرى في طلب كثير من

الامتيازات كدولة الفرنسيين فقد نالت في أيامه حقوقا مهمة غير الذي نالته منها في أيام أبيه وكان صدر الدولة يومئذ صقللي محمد باشا وهو رجس موصوف بالتدبير على الهمة كبير السياسة خبير بفتون الحرب صادق الخدمة فبذل العناية في بقاء مركز الدولة غير محقر ولا مهان وأجهد النفس في حفظ ما بيدها من الثغور والعمالات وفتح ما يمكن فتحه من المدائن والثغور فسير لفتح جزيرة قبرس عمارة عظيمة من سفن الحرب تحمل زهاء مائة ألف مقاتل ومقدمها لاله مصطفى باشا حاصرت الجزيرة الى ان دخل الشتاء فانصرفت عنها ثم عادت لحصارها حتى تم فتحها وأقلعت بعد ذلك هذه العمارة الى جزيرة كريد لفتحها فلم تنل منها فأخذت من البندقية بعض المدن الواقعة على بحر الادرياتيك فاكبر البنادقة هذا الامر جدا وعمدوا الى مخالفة دولة اسبانيا فلما تمت لهما المخالفة تعاهدا مع بابا رومة على قتال الترك ومنازلة عمارتهم ومحو آثارهم من البحار فأعدوا لذلك عمارة عظيمة من مائة وأربعين من سفن البنادقة وسبعين من سفن الاسبانول واثنى عشرة سفينة للبابا وتسع من سفن رهبنة القديس يوحنا الاورشليمي بمالطه وكان مقدم هذه العمارة الاميردون جوان وهو ابن الامبراطور شملكان من احدى عشيقاته وكانت سفن الترك ثلثمائة سفينة فلما التقى الفريقان عند ليبنة اقتتلوا قتالا عنيفا للغاية نحووا من ثلاث ساعات ثم انكشف الأمر عن هزيمة السفن التركية وانتصار سفن الاحزاب فاستولوا على مائة وثلاثين سفينة عثمانية وأحرقوا واغرقوا أربعاً وتسعين وغنموا زهاء ثلثمائة من المدافع وأسروا نحو ثلاثين ألفاً من المقاتلين فكانت هذه الواقعة من انعكس الوقائع وأشدها خطراً على مقام الدولة العثمانية في عرض البحار* وجاءت الاخبار الى دار السلطنة بما حل بالعمارة فهاج المسلمون وماجوا وهموا بقتل رسل البابا الذين هم رعاة المذهب الكاثوليكي فلم ينالوا منهم لاهتمام صقللي محمد باشا بمنع القلاقل وعدم تطاول أيدي الرعية الى الايذاء* قال بعض كتاب الأخبار ولم تكن هذه الكسرة المشؤمة لتفقد همة صقللي محمد باشا عن لم شعث العمارة العثمانية واعادة ما كان لها من الرونق والبهجة حيث أنشأ لها عدة سفن وجهزها وبالغ في تجهيزها واتقن نظامها وسيرها في عرض البحار طلباً للثأر فلم يقع بينها وبين سفن الاحزاب شئ من القتال لانقسام عرا الاتحاد ما بين البنادقة والاسبانول وعقد معاهدة ما بين العثمانيين والبنادقة على شروط يرضاها الفريقان فلما كان في خلال الحوادث الاخيرة مرض السلطان سليم واشتد به مرضه أياماً ثم مات في سابع رمضان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة هجرية أي سنة اربع وسبعين وخمسمائة وألف ميلادية فكانت سلطنته نحواً من تسع سنين فولى السلطنة بعده ولده السلطان مراد خان

(الفصل الرابع)

(في سلطنة السلطان مراد ابن السلطان سليم)

ثم قام بالأمر بعد السلطان سليم واده السلطان مراد ببيع له بالملك عاشر رمضان سنة اثنين وثمانين وتسعمائة هجرية أى سنة اربع وسبعين وخسمائة وألف ميلادية وله من العمر يومئذ ثلاثون سنة وكان شهما مقداما على الكلمة واسع المعرفة خبيرا بالأمور محبا للفتح والغزوات فغزا عدة غزوات وسار بجيش ضخم لاختضاع المجر وردها الى طاعة الدولة بعد أن كادت تخرج عنها فقاتلها وأذلها اذلالا كبيرا وأعادها الى ما كانت عليه وفتح عدة مدائن وحصون ودوخ كثيرا من البلدان فانسعت كلمته وكبرت هيئته وعاقده كثير من الملوك وتقربوا اليه

مطلب
ولاية مسيح باشا

وكان حسين باشا والى الديار المصرية قد عزل من منصب الولاية قبل أن يتولى السلطان مراد السلطنة بقليل فأقام بدله مسيح باشا وكان من خزنة دار السلطان سليم فدخل القاهرة في أوائل سنة اثنين وثمانين وكان ذا مهابة وعفة يكره أهل الفساد والصوص وقطاع الطرق وكانوا في ولاية حسين باشا قد كثروا في الأرض وعاثوا وأفسدوا فيها كما تقدم فعمل على قطع شأفتهم وصار يجسس أخبارهم ومواطنهم ويبعث بالحكام فيقبضون عليهم ويأتون بهم عشرات عشرات فيقتل منهم ويشنع في قتلهم فخافوا وانكفوا وارتجس أهل التهم وسكن الحال واستتب الأمن واطمأنت قلوب الرعية واشتدت يقظة الحكام وهابوه وانكفت أيدي الولاة والكشاف جميعا عن التجري على ما لا يصلح عمله من أخذ الرشاوى والبراطيسل وأخذ الاموال من أصحابها بالسوط والنبوت وبالغ مسيح باشا في القتل والتهميل لافل سبب قبل فكان عدد من قتل في أيامه زهاء عشرة آلاف وقد علق شناكل من الحديد بالرميلة وبولاق والشون بمصر القديمة لقتل المفسدين وأصحاب الكبائر فكان لذلك وقع في قلوب الرعية وخافه جميع الناس ومالت اليه القلوب وأحبته الرعية وتصرف في الولاية التصرف العام الى ثمانى عشرى جادى الاولى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة ثم جاءه الامر بالانصراف عنها فقام الى القسطنطينية على الاثر فكانت مدة تصرفه خمس سنين وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما وكان قد بنى له مدرسة ومدفنا بالقرافة وأوقف عليها أوقافا عظيمة وكان يؤمل أن يدفن في مصر * وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض غوت * فخرن

مطلب
ولاية حسن باشا الخادم

الناس لعزله فلما عزل مسيح باشا تولى بعده حسن باشا الخادم فدخل القاهرة في سادس عشرى
بجادى الاولى من السنة وكان قبل ولايته هذه خازن دار السلطان مراد فلم يستقر به المنصب
حتى ظهرت عليه علامات الغلظة وجعل يتصرف مع العسف والكبرياء فكان ظلوما
غشوما عملا زنيما محبا للمال ومصادرة الناس مبالا للرشاوى والبراطيل فصادر كثيرا من
أهل الوجاهة وذوى البيوتات فاصبحهم بعد الغنى والاثراء فقراء لا يملكون شروى نكير
واشتمد بالرعية شدة بالغة وأخذهم بالشبهات فقتل وشرذ وألزم اليهودى أيامه بلبس الطراير
الحجر والزم النصارى بلبس القلنسوة السوداء وكان قليل الرأى ضعيف التدبير سفاكا للدماء
ولكنه جبان صغير القلب متحجبا الاعلى بعض خواصه فأغضه الناس كافة وضجوا من
فعاله ورفعوا القصص الى دار السلطنة واستغاثوا بخاء الامر بالعزل في ثالث عشر ربيع
الآخر سنة احدى وتسعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين واحدى عشر شهرا وثمانية
عشر يوما كلها بلايا واحن وقد عمر بمولاق وكالة تجاه الترسخانة وصهر ييجا مقابلهما بعلاوه
مكتب للادبام وكان قصده أن يزيل الترسخانة ويبنى مكانها جامعاً فلم يتمكن من ذلك لعزله
وتولى بعده الوزير ابراهيم باشا فدخل القاهرة في رابع عشرى ربيع الآخر من السنة وسار
من وسط المدينة في موكب لم يعهد لاحد من قبله وفرح الناس به فرحا لا يوصف قبل وكان
معه مرسوم من السلطان بتحقيق ما ارتكب فعله حسن باشا والقبض عليه وتعويقه حتى
يتم ذلك فاحس حسن باشا بذلك وسار من القاهرة خفية قبل وصول ابراهيم باشا اليها وطلع
من باب المقابر ليلا في نفر من أتباعه وبطائه فلما وصل الى دار السلطنة قبضوا عليه ثم
أبعدوه عن خدمة الدولة وبالغوا في اذلاله ومازال حتى صادفته العناية والعناية صدف
فارتقى مسند الصدارة العظمى وعلت كلمته واتسعت صواته ثم عزل وقتل شر قتلة وأما
ابراهيم باشا فانه أخذ يتصرف في الامور وأقام بجامع السلطان فرج بن برقوق ديوانا لسماع
القصص التى كانت ترفع من الناس على حسن باشا فلبث الديوان يتظر في تلك القصص
من العاشر من رجب من السنة الى غاية رمضان من السنة فأبان التفتيش عن شئ كثير
من مظالم تكاد لا تحصر ولا تعد وكان منها مائة ألف اردب وأربعمائة واثان وخمسون
اردب قحاً بيعت من الشون وأخذ ثمنها حسن باشا المذكور وغير ذلك من الاختلاسات
الاخرى فبيل فلما رفع امر هذا كله الى السلطان مراد وكان حسن باشا المذكور قد
ارتقى منصب الصدارة العظمى أمر باعدامه خنقا وجاءت الاخبار بذلك الى مصر ففرح
الناس بموته لما قاسوه في أيامه من البلايا والاحن

مطلب
ولاية الوزير ابراهيم باشا

وسار ابراهيم باشا من القاهرة الى داخلية البلاد ليستطلع أحوال الاهالى ووصل الى
بئر الزمرد فاحاط بها علما وظفر منها بالزمرد النفيس وسار الى دمياط والى المحلة الكبرى
وكان بها كنيسة عظيمة للغاية وهى من أفخر العائر القديمة وبها جماعة من فسوس

المتأصلين أى أهل البلاد فلم يشأ أن تكون لهم واستعظمها عليهم فأمر بهدمها وبقي مكانها مدرسة وسماها الوزيرية فعدت له هذه نقطة سوداء في تاريخ حياته ثم سار الى كثير من المدن والبنادر ثم رجع الى القاهرة وأنزل نفسه عن الولاية في سنة اثنتين وتسعين فكانت ولايته سنة واحدة وتسعة عشر يوما وسافر الى دار السلطنة في شهر شوال من السنة فتولى بعده سنان باشا الدفتردار ودخل القاهرة في ثالث عشر شوال من السنة وابراهيم باشا بها فلما استقر به المنصب طغى وتجبر وظلم الرعية وصادر الناس في أموالهم وأراق الدماء لاقل الاسباب وأضعفها واشتد شدة بالغة فضج الناس ورفعوا أمره الى دار السلطنة فاتاه الامر بالعزل وقد تصرف الى ثالث عشرى ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين وستة أشهر وعشرة أيام ولبث بالقاهرة الى أن قدم أويس باشا واليا ونزل بناحية شبرا قريبا من بولاق فأرسل الى أويس باشا المذكور هدية عظيمة للغاية ومعها حصان أشهب مسرج بسرج مرصع وعدة تليق به وكان يؤمل أن أويس باشا حال طلوعه من المركب الى الوطاق المنصوب له يركب الحصان المذكور فعديل عنه وركب اكديشا أشهب كان أحضره معه ثم ان سنان باشا قدم ناحية شبرا وقابل أويس باشا عند غروب الشمس فشهد علامات الغيظ على وجهه فهاله ذلك ودخله الخوف فلما رجع من عنده الى القاهرة اختسفى ولم يربعد ذلك الا في الديار الرومية

وتصرف أويس باشا في أمور البلاد من ثالث عشرى جادى الآخرة سنة خمس وتسعين وكان قبل ذلك قد ولي القضاء ثم صار دفتدار الروم ايلي ثم جاء الى ولاية مصر فكان جبارا عنيدا شديدا البطش سفاكا للدماء كثير الاخذ بالشبهات ثم تطاولت يده أيضا الى العبث بأمور العساكر والاجناد والتصرف في مرتباتهم وجبا كيهن بما يناسب هواه فخرجوا عليه وأحاط جماعة منهم بديوانه ودخل عليه جماعة وأوسعوه ضربا ونهبوا داره فأخذوا جميع ما كان بها من مال وممتع وقاموا على عثمان أغا اغاة الجاويشية وذبحوه ذبح الشاة وأحرقوا دار القاضي وقتلوا اثنين من قضاة مصر ثم عمدوا الى حوانيت القاهرة ومصر فنهبوا ما فيها وعاثوا وأفسدوا وفعلوا مالا خيرا فيه وذلك في شوال من سنة ثمان وتسعين فخاف الناس خوفا شديدا وانكشوا في البيوت وتحصنوا بها وقد تطاولت أيدي العامة والغوغاء الى النهب والسلب أيضا فكانت فتنة عظيمة للغاية لم تقدر الامراء ولا كبار الجنود على تسكينها وبذل الباشا الجهد في ملاطفة أصحاب الفتنة وكبار العصابة وبعث الى القضاة يغالهم بان لا يجالفوا للشائرين أمرا عسى أن ينكفوا عن فعالهم فزاد تمردهم وطغيانهم وقبضوا على أولاد الباشا وأخذوهم رهنا على ما يطلبون وكان أولاد البلد الى هذا الحين يدخلون في خدمة الدولة ويلبسون لباس العسكر لهم مالهم وعليهم ما عليهم فلما وقعت هذه الفتنة حرموا من ذلك وحظر عليهم الدخول في مصاف العسكر ايجابا لطلب أهل الثورة

مطلب

ولاية سنان باشا الدفتردار

مطلب

ولاية أويس باشا

فخرج ورجع الى الديار الرومية فمات بها وتولى بعده على ديار مصر قيودر باشا فدخل القاهرة في ثالث عشر رمضان سنة ثلاث وألف وكان أمياداً ذكاه محباً للهو واللذات قليل الحيلة ضعيف الرأي لاهم له غير اللعب واللهو ويروى عن لهو حكايات كثيرة أضربنا عن إيرادها هنا صفحاً

وكان لما تولى السلطان مراد السلطنة أمر فانشؤا بالمدينة تكية ورباطا بظاهر المدينة وقرر بها أرباب وظائف ومجاورين ورتب بالتصكية طعاماً وجوباً للحرمين ووقف على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة بأقليم البحيرة ناحية نكلا وناحية الضاهرية وبالموقفية ناحية سبك الاحد وناحية شبرا زنكي وبالقليوبية ناحية طنان وناحية كفر زريق وناحية طوخ الملق وناحية سد طنان وناحية سنهرا وبالدقهلية ناحية سندوب وناحية منية سمندود وناحية أبو الحسن وبالجيزة ناحية كومبرا وناحية نهيا وناحية العتامنة وناحية ديشنا وبالوجه القبلي البهنساوية وناحية بلينا وناحية الذيل وناحية العتامنة وناحية ديشنا وناحية نهيا بلفيسة وناحية دنديل وناحية العتامنة وناحية الضوايط وناحية اهناس الخضراء فكان يجهز الى بندر السويس من متحصل النواحي المذكورة في كل عام من الحب ألفي اردب ومائتي اردب تحمل في مراكب في وقف الدشائش الدارية الى ينبع برسم التكية المذكورة ومجاوري الحرمين هذا عدا ما كان يجهز من النقد من متحصل النواحي المذكورة في كل عام صبيحة أمير الحج المصري وقدره سبعة عشر كيساً توزع على أربابها من مجاوري الحرمين * ولعل هذا كله باق الى الآن * فنطلع قيودر باشا الى هذه الاوقاف وطمعت نفسه في أخذ بعضها فلم يقدر ثم خشي العقوبة وانعطف الى غيرها من موارد الاموال فشكاه الدفتر دار الى دار السلطنة وبالع في فساد الاحوال وعدم صلاحيته للولاية * قال أصحاب التاريخ ولم تكن هذه الاوقاف والخيرات والتكايا لتكفر عن ذنوب السلطان مراد وما اقترفه من جريمة قتل اخوته الخمسة بعد توليته منصب السلطنة فانه بعد ان تمت له البيعة واستقر به المنصب أمر فقتلوا اخوته المذكورين صبرا ليأمن على ملكه من النزاع ولم يخش الخزي والعار فكانت هذه الفعلة الشنعاء نقطة سوداء في صفحات أيامه مع ما يضاف الى ذلك من تحجبه عن الناس وعدم اكترائه بالامور وتركه الغزو والخروج في مقدمة الجند كما كانت تفعل أجداده حتى طمع العدو في البلاد وتغلبت دولة النمسا على كثير من القلاع والحصون العثمانية وانتصرت في عدة وقائع عظيمة مات فيها كثير من رجال الدولة ومقدمي العساكر وخربت بعض الايلات عن الطاعة فقاتلت حتى انتصرت ونالت الاستقلال واسترجعت ما أخذ من مدنها وبلدانها عنوة واستخفت طوائف الانكشارية بقدر الدولة فتمردوا وأهانوا كبارهم ومقدمهم وثاروا على بعض العمال وبيار الدولة فقتلواهم جهاراً ولم يقو السلطان على منعهم حتى كاد يبلغ الخلل حده وكانوا سبباً في دوام الحروب ومعاداة الممالك المجاورة لدولة القسطنطينية

لاجتماعهم على الخلاف وعيبتهم بامور الدولة وتقويض أركان الامن فيها بما يفعلونه من القتل والنهب واذلال كبارهم عند أقل سبب وقد كان مما أهاجهم وخرج بهم عن حد الطاعة انه لما كثر فسادهم وكبر شرهم بما فشا فيهم من الادمان على السكر والافراط فيه أمر السلطان بمنعهم من ذلك وبالغ في عقاب من يقبض عليه سكران فقاموا عند ذلك قومة رجل واحد وحاصروا السلطان في قصره وضيقوا عليه وصمموا على قتله بهاراً ولبثوا على هذا الحال أياماً كثيراً فيها النهب والسلب والعريضة ونطاوات أيدى الناس لسلب أموال بعضهم ولم تسكن هذه الفتنة الا بعد ان أباح لهم السلطان السكر وتعاطى الخمر والرجوع الى ما كانوا عليه من العريضة والفساد

وظلت الاحوال في مصر ودار السلطنة في قلق واضطراب بعضه بسبب الحروب المتواصلة بين السلطنة والممالك المجاورة وبعضه بسبب كثرة العزل والتولية في ولاية مصر وتحزب الاحزاب وظهور كلمة الجند فيها وعدم وقوف كبارهم عند حد الى أن مات السلطان مراد في السابع عشر من جمادى الآخرة وقيل سابع عشر رمضان سنة ثلاث وألف هجرية فكانت سلطنته عشرين سنة وتسعة أشهر وستة أيام فخلفه ابنه السلطان محمد ومات في أيام السلطان مراد غريبال بطرك المتأصلين بعد أن أقام تسع عشرة سنة وكانت الامور في أيامه على طرفي نقيض ماصفت يوماً الا وتكدت أياماً فاقم بعده يوحنا وهو تاسع ثمانهم ولم يكن لرهبانيتيه دير وكان حازماً مهيباً محبوباً محباً للخير ميالاً للفقراء آوى اليه كثيراً من ذوى الحاجة فدخلهم يد المعونة وبذل لهم المعروف وأقام أربعاً وعشرين سنة ومات فخلفه متاوس وهو المتهم للتسعين وكان قبل ذلك راهباً في دير المحرق ووقع من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

(الفصل الخامس)

(في سلطنة السلطان محمد ابن السلطان مراد)

ثم قام بالامر بعد السلطان مراد ولده السلطان محمد ببيع له بالملك في يوم الجمعة سابع عشرين جمادى الآخرة سنة ثلاث وألف هجرية أي سنة أربع وتسعين وخمسمائة وألف ميلادية ولم يستقر به مقام السلطنة حتى قام على اخوته فقتلهم ليأمن على ملكه من المنازع وكان هذه الفعلة الشنعاء قد صارت سنة عند ملوك آل عثمان يعمل بها الخلف عن السلف ثم تحجب بعد ذلك عن الناس وانعكف على الملاذ وترك أمور المملكة للجماعة الوزراء فعاثوا وأفسدوا وتصرف كل منهم على هواه وعمل على ما فيه مصلحته فباعوا الوظائف والقباب الشرف بالبخس الاثمان وسلموا مقاليد الدولة للاغرار والسفلة فبلغ الخلل حده وزالت

حرمة الدولة وكبر طمع العدو فيها فخرجت عليها الخوارج وقامت الحروب من كل جانب واشتدت الخطوب وظهر الأمير ميخائيل صاحب الفلاح على عساكرها في عدة مواقع عظيمة وضم إلى مملكته إقليم البغدان وجزراً كبيراً من نسلفانيا وساعدته على غير ذلك أيضاً عساكر الفسا فعم الخلل جميع أنحاء المملكة وقامت الفتنة وتطايير شررها إلى جوف الاناطولى وظهر رجل اسمه قره يازجى كان من مقدمى المتطوعة الذين نفاهم السلطان إلى آسية لجبنهم في الحروب وادعى أن صاحب الشريعة الاسلامية أتاه في منامه وأمره بالغزو والجهاد في آل عثمان ووعدته بالنصر والغلبة عليهم وأخذ جميع ولايات آسية منهم وبث الدعاة بذلك في الآفاق فتبعه خلق عظيم من أولئك الموم فزّل بهم على بلاد القرمات وقاتل عامل الدولة عليها حتى ظفّره وأخذ مدينة عين تاب عنوة فكبرت عند ذلك لمومه وظهرت كلمته واشتهر أمره فسير السلطان إقتاله جيشاً من الانكشارية فحاصروا مدينة عين تاب وضيقوا عليها وشددوا فلما أحس قره يازجى بالغلبة وأنه مأخوذ لا محالة عمد إلى استعمال الحيلة فعرض على مقدم الانكشارية الطاعة للسلطان بشرط أن يوليّه أماسيا فأجابته إلى ذلك ورفع عن المدينة الحصار فلم يكن بأسرع من أن عاد قره يازجى المذكور إلى العصيان وكان له أخ اسمه والى حسن قدولاه السلطان على بغداد فسير إليه قره يازجى رسلاً تستفزّه إلى شق عصا الطاعة والقيام لتجديده فأجابته إلى ذلك وسير إليه جماعة كثيرة من أصحابه فاشتدت عزيمته قره يازجى واستفحل أمر الفتنة وظهرت كلمة قره يازجى وأخيه والى حسن واتسعت شهرتهما وكادت تم دعوتهم ما فكبر الأمر على السلطان واستعظمه وسير لقتالهما عسكراً عظيماً ومقدمهم صقلى حسن باشا فقاتلوا أولاً قره يازجى حتى ظهروا عليه وجرحوه فترفع إلى الجبال ومات بجراحته ثم انحازوا لقتال والى حسن صاحب بغداد فقاتلهم قتالاً عنيفاً وانتصر عليهم في عدة مواقع وقتل صقلى حسن باشا على أسوار ((نوقات)) ومزق شمل عساكره ثم سار ونزل على دمشق بخيله ورجله فهزم واليها شرهزيمة وهزم ولاية حلب وديار بكر ونزل على مدينة كوتاهية فحاصرها وضيق عليها من كل جانب فاشتد عند ذلك الخلل وتعاطم وهمت أكثر إيالات الدولة إلى الخروج وتأهبّت إلى شق عصا الطاعة الامصر فانها كانت في شغل عن هذا كله بما قد انتابها من كثرة التولية والعزل في ولايتها وعدم وقوف الجند والامراء فيها عند حد وعسف واليها قيود باشا وعيسته بجميع الامور وتطاؤل يده إلى أموال الناس بلا استثناء وما زال الحال على ذلك إلى سابع عشر رجب سنة أربع وألف ثم جاء قيود باشا المذكور الأمر بالعزل فكانت مدة ولايته عشرة أشهر وعشرة أيام فتولى بعده الشريف محمد باشا ودخل القاهرة في ثالث شوال سنة أربع بعد الألف وكان مهيباً ذا بصيرة وخبرة بالامور واسع الاطلاع بإدارة البلاد فلما استقرت به الولاية وجلس للناس رفعت إليه القصص ضد كوسى حسن الشاغرة وأجند المسلمين وكان الأول على الاموال والثانى على الشئون السلطانية وكانا قد اختلسا منهما شيئاً كثيراً فعين عليهما من ضبط حسابهما

فثبت عليهما ما قيل فأمر بشنقهما على باب زويلة وتركتهما معلقة ثلاثة أيام
فهابه الناس وخافوه خوفا ما عليه من مزيد فخامره لذلك الغرور حتى بلغ به الى الاخذ
بالشبهات والبطش بمن يتوسم فيه سمة الانكار وأراد أن يبطش ببعض كبار الناس فاشبع
عنه ذلك فخذروا منه وأبغضه الناس والامراء كافة فلما كان في بعض الايام أراد التوجه
الى الربيع فنعاه بعض أصحابه وأندروه بسوء العاقبة ان هو ذهب في يومه فنبذ كلامهم
فلما خرج قام عليه جماعة من العسكر وتعرضوا له عند انصرافه وهو بباب الوزير بموكبه
الخاص وعساكره وطائفة من السامانية وهم معدون بالبنادق فلما عاين من معه كثرة العساكر
تفرقوا عنه في الازقة وتركوه في نفر قليل من أتباعه فدعا العسكر للحاكم امام قاضي
القضاة بمدرسة السلطان حسن فأظهروا لهم الانقياد والطاعة وسار معهم الى ان وصل الى
الرميلة فأركض فرسه نحو باب السلسلة ودخل القلعة وأغلق الابواب بينه وبين العسكر فهاج
العسكر وأثاروا الفتنة وقتلوا كل من كان يكثر التردد على محمد باشا من الامراء والعلماء
وأصحاب الوظائف وأخذوا الناس بالشبهات فعم الخوف وكبر اضطراب الناس وبقي محمد باشا
بقلعة الجبل مكفوف التصرف قاصر الكلمة محجورا عليه الى أن جاءه الامر بالعزل في خامس
عشر ذي الحجة سنة ست بعد الالف وكان جبارا عنيدا سدا كاللحماء وقع في أيامه فحط شديد
للاغاية استمر مدة وأعقب القحط وباء عظيم فكثرت الموات في الناس بالقاهرة ومصر وضواحيها
وزاد زيادة بالغة ثم عم القرى وانتقل أيضا الى بقية البلدان فكانوا يدفنون الاموات في الليل
والنهار وكثرت الجثث في البيوت وفي الطرق والحدائق واشتد الوهم بالناس وفر محمد الشريف
باشا من القاهرة هربا من الموت واستخلف على البلاديري بيك أحد كبار الامراء فلم تستقر به
الولاية حتى أدركه الموت فولى الامراء بدله عثمان بيك فأقام الى ان كانت الفتنة وعزل محمد
الشريف باشا وأتى خضر باشا واليا فكانت مدة تصرف محمد الشريف باشا سنتين وشهرين
وثلاثة عشر يوما وخرج من مصر في موكب عظيم وعلى رأسه عمامة خضراء وركب معه
خاصة العسكر وعامته فلما وصل الى الديار الرومية أرسله السلطان لقتال ملك فارس فأمر ببق
ببلاد فارس الى ان مات

مطلب
ولاية خضر باشا

مطلب
ولاية علي باشا

ودخل خضر باشا القاهرة في عشر ذي الحجة سنة ست بعد الالف فتصرف ثلاث
سنوات وخمسة أيام فلم يقع في أيامه من الحوادث شيء يذكر الا ما كان من سكون الفتنة
ورجوع الجند والعسكر الى الطاعة وزوال الخوف من قلوب الرعية ثم عزل في خامس عشر
الحرم افتتاح سنة عشر وألف * وتولى بعده علي باشا فدخل القاهرة في تاسع صفر سنة عشر
وألف وكان لما قدم الى الاسكندرية لبث بها أياما فتراكت عليه القصص وتساقطت بين يديه
بالشكوى من الكشاف وبعض رجال الدولة وأكثرها من برويز كاشف المنوفية وكان برويز
هذا اعتلا زنيما ظالما محبا للمال كثير المصادرة للناس سفاكا للدماء لادين له ولا ذمة ولا حرمة
ولأدب فلما أتى الكشاف للقاء علي باشا المذكور وبينهم برويز هذا أمر به علي باشا فقبضوا

عليه وقتلوه بين يديه * وقيل ان لقتل برويز المذكور سببا غير ذلك وهوان شيخى افندى الذى كان متوليا قضاء المنوفية وانصرف عنها قد اجتمع بعلى باشا فى جزيرة رودس فسأله على باشا عن مصر وأحوالها وما فيها من الامور الخارقة لحدته بما علمه من أحوال البلاد وأهلها وبالغ فى الوقعة ببرويز كاشف المنوفية المذكور وأخذ يعدد قطائعه فلما وصل على باشا الى كفر الخضراء رفعت اليه القصص ضد محمد بن نجبا حاكم النجراوية فقبض عليه وقتله بفناء الكفر فهابه الحكام وخافه الكشاف ودخل القاهرة فى هيبة وجلالة وقبض على برويز وقتله فلقبوه من يومئذ بالنمر * ولما استقرت به الولاية أرسل قوسا وأمر أن يعلق على باب زويلة بالمرى ولصق به ورقة ذكر انه مكتوب فيها كل من أدنى هذا القوس يعطى ما هو مقيد بالورقة فلم يجسر أحد أن يمس القوس تأدبا واستمروا وهو معلق أياما ثم رفع ثم اشتد بعد ذلك على العسكر وضيق عليهم وصار يؤاخذهم على الصغار والكبار فابغضوه وجعلوا يراقبون فرصة للانتقام منه فاتفق انه سار الى طنطا لزيارة السيد البدوى فعارضه بعض العسكر ومنعوه من الخروج من القاهرة الا اذا أعطاهم ما كانوا يطلبونه منه فأجابهم الى سؤالهم صاغرا وعاد الى القاهرة وقد كاد يتميز غمضا ففرض واشتد به مرضه فارسل الى دار السلطنة يطلب الاذن بالعود الى القسطنطينية فأذن له فسافر فى سادس ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وألف فكانت مدة تصرفه سنتين وستة أشهر وعشرين يوما فلما وصل الى دار السلطنة قلده منصب الصدارة العظمى ثم وجهه لقتال المجر فلم يلبث الا قليلا وعادوه المرض فمات هناك وكانت أيامه بمصر كلها خيرا وبركة وظهر فى أيامه التبغ بنيار مصر وكثر استعماله ولم يكن الى ذلك الحين شيئا يذكر وظهر الطاعون فمات به خلق كثير جدا وعم القرى والمدن والبنادر ومكث أياما وقتك فتكا ذريعا ثم ارتفع * وجاءت الاخبار فى هذه الاثناء بموت السلطان محمد مات فى رجب سنة اثنتى عشرة وألف هجرية فكانت مدة سلطنته تسع سنين وخمسة عشر يوما وتولى بعده ابنه السلطان أحمد

(الفصل السادس)

(فى سلطنة السلطان أحمد ابن السلطان محمد خان)

ثم قام بالامر بعد السلطان محمد ابنه السلطان أحمد بربيع له بالملك فى ثالث رجب سنة اثنتى عشرة وألف هجرية أى سنة ثلاث وستمائة وألف ميلادية وله من العمر ثمانى عشرة سنة فاستوزر الامير قوبجى مراد باشا وكان شيخا كبيرا صادق الخدمة تولى الوزارة وأركان الدولة مستعزعة فى جميع جهات آسية والفتنة فائمة ونار الحرب مستعرة على حدود فارس شرقا والنمسا غربا والسبب فى ذلك انه لما تولى عباس شاه على ملك فارس

بعد موت محمد مرزا في سنة أربع وتسعين وتسعمائة هجرية نهض الى استرجاع ما أخذه ملوك آل عثمان من ملك فارس فأعد المعدات وجيش الجيوش ورمم القلاع والحصون وسار في عسكر من خراسان الى مشهد وكانت قد استولت عليها قبائل الازبك فاستخلصها منهم وانتصر عليهم عند هرات أيضا نصرة عظيمة فلما تقوت عزيمته بما ناله من الظفر عمد الى قتال آل عثمان فنال منهم واسترجع جميع ما أخذه من مملكة فارس عنوة ولم تقو الدولة على رده يومئذ لاختلال الاحوال وسريان الفساد في جميع ولايات الدولة الشرقية وخروج الخوارج بعضهم يستفز بعضا فلما بطأت الحرب مع عباس شاه سارقويجي مراد باشا الصدر في مقدمة جيش عظيم الى اطفاء نار الفتنة وقع أولئك الخوارج في جميع الولايات الشرقية فقاتلهم وانتصر عليهم ومزق شمل لومهم وقبض على كبارهم وأعمل فيهم القتل بجحد السيف ومازال بهم حتى زالت الفتنة وعادت الامور الى سابق مجراها ورجع بمن بقي من جيوشه الى القسطنطينية ظافرا غانما فلقب يومئذ بسيف الدولة ثم مات بعد ذلك فكان موته خسارة عظيمة على الدولة لصدق خدمته وأمانته وسعيه في اعلاء منار الدولة وارجاع رونقها القديم فتولى بعده الوزارة نصوح باشا واتفق بعد ولاية نصوح باشا هذا ان عادت سفن رهبنة سالطة وسفن الحرب الاسبانيولية الى مهاجمة مراكب الدولة وسدد المسالك عليها في عرض البحر الابيض وأعانتها على ذلك المراكب الايطالية أيضا فرسم نصوح باشا لجميع المراكب الدولة بالاجتماع في البحر الابيض والمحافظة على المواصلات ما بين القسطنطينية والايالات المغربية فاجتمعت وكان محجى بعضها من البحر الاسود فلما خلا البحر الاسود منها قامت طائفة من القوزاق وزحففت على نغر سينوب فنهبوا وعاثوا وأفسدوا وفعلوا مالا خيرا فيه وجاء الخبر بما وقع الى دار السلطنة فأكبره السلطان واتهم الصدر الاعظم بالحياة وسوء القصد وكان للصدر خصوم وأعداء لا تغفل عن الوشاية به فزينوا للسلطان قتله وحجبوا اليه التخلص منه فأمر به فقتلوه خنقا في قصره * وكانت مصر الى ما بعد خلع واليها على باشا وقيامه الى دار السلطنة بأيام كثيرة بلاوال والاحوال فيها في اضطراب والامراء والجنود على طرفي نقيض حتى جاء مرسوم السلطان الى أمير الحاج بالتصرف في ولاية البلاد فتصرف من عاشر ربيع الآخر فكان لا بأس به أصلح بعض الامور ورفع بعض المغارم وأبطل كثيرا من المظالم وأعاد الجنود الى حد الطاعة وأزال الشحنةاء من بين كبارهم ولكن لم تطل مدته اذ اخترمته المنية في يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة اثنتي عشرة وألف من الهجرة فكانت مدة تصرفه نحو من خمسة أشهر ودفن بالقرافة فاتفق الامراء وكبار الدولة على تولية عثمان بك أمير اللواء فولوه المنصب في سابع عشر شعبان المذكور الى أن يقدم من دار السلطنة من يتصرف وكان الأمير عثمان هذا مشهورا بالعفة والاستقامة وله جلالة وهيبه ورأى وخبرة بالامور فتصرف مدة ثلاثة أشهر وثلاثة وعشرين يوما * ثم جاء الخبر بولاية ابراهيم باشا المعروف بالمقتول فدخل القاهرة في يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة

مطلب
ولاية ابراهيم باشا المعروف
بالمقتول

سنة اثنتى عشرة وألف فلما استقر به المنصب وتصرف في الامور منع الكثير من طلبات
العسكر وجعل يتبع عثراتهم ويتجسس أخبارهم ولا سيما مجالس هزلهم فأشار عليه
أصحاب المعرفة بأن يقطع عن هذا فلم يقبل وكان مستقلا برأيه نخورا مختالا لا ينقاد الى
نصح ولا يهتدى لقول مشير * واتفق ان أنت له الاخبار يوما بأن جاعة من العسكر بالغيظ
الذى بقناطر السباع يتعاطون الخمر ويفعلون مالاخريفه فقام وغير لباسه وسار اليهم ومعه
ثلاثة رجال من خواصه فلما علم العسكر بحضوره فروا هاربين وزاد بغضهم له ونفوا قتله
فلما كان في تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة خرج ابراهيم باشا في نفر من الجند
والاتباع وأصحاب الوظائف والصناجق لقطع جسر أبي المنجي بين شبرا وقلوب فأشار عليه
بعض أصحابه أن لا يخرج وان الذى يخرج عادة لقطع هذا الجسر هو زعيم مصر فان كان
ما يمنعه أرسل بعض أتباعه لقطعه فقال وما علىّ لو ذهبت بنفسى قالوا ان خواطر الجند
منفرة وقلوبهم متغيرة عليك بسبب فعلك بهم فقال لا يد من الذهاب وخرج بغير اجماع وقد
أدر كنهه صلاة الجمعة بيولاق القاهرة فسلمى بها وهيئت له سفينة عظيمة وزينت بالسناير
والرايات والفرش والطنافس الثمينة فركبها وصحبته الامير محمد بن خسرو وأمير اللواء
بمصر المحروسة وبعض أكار خدمة الديوان وما زال الى ان وصل الى الجسر فقطعه في يوم
السبت مستهل جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة بعد الالف وكان ابراهيم باشا قد هيا طعاما
بالغيظ الذى أنشأه محمود باشا تجاه قناطر أبي المنجي فدخل الغيط ومن معه وصحبته الامير
محمد بن خسرو وعزى زاده قاضى القضاة يومئذ وحصل لهم الصفو والمباسة قبل
الطعام فلما حضر الطعام رأى الامير محمد بن خسرو طائفة من العسكر مقبلين بسلاحهم
يريدون الفتك بهم فاسرع اليهم وعارضهم وسألهم عما يطلبونه فسألوا من ابراهيم باشا شيئا
كان يمكن قضاؤه فى الحال فلما رأى ابراهيم باشا ما هم عليه من التهديد والجفاء والتخرب
لم يجبهم الى ما طلبوه وأغلظ عليهم القول فتقدموا نحوه فناعهم الامير محمد وزجرهم وصاح
في وجوههم فطعنهم أحدهم بمخبره فسقط مختبط فى دمه فعلا صدره آخر واحتز رأسه
وهجم آخرون على ابراهيم باشا واحتزوا رأسه وهو على مائدة الطعام فامتلات أواني
الطعام من دمه ورفعوا رؤسهما على جريدتين من نخيل الغيط وعادوا الى القاهرة وهم فى
ضجة وجلبة وطاقوا بهما الشوارع وساروا من وسط المدينة الى باب زويلة وعلقوهما
هنالك تخاف الناس وأغلقت جميع الخوانيت فى ذلك اليوم وسدت أبواب الدور من خلف
وأيقن الناس بوقوع الفتنة واضطرام نارها وأغلقت أبواب المدينة كباب الحسينية وباب
النصر وباب البحر وتعطلت جميع الاعمال فكان يوما عبوسا وفى قول أن قتل ابراهيم باشا
المذكور كان فى قلعة الدولاب وهو راجع مع من كانوا معه الى القاهرة لما بلغه خبر حضور
العسكر لقتله * وكان قد أشار عليه بعض الصناجق بالهروب مجرا وعدم العود الى القاهرة
فلم يلتفت لقولهم ولا أخذ بمشورتهم فلحق به العسكر وقتلوه واحتزوا رأسه وطاقوا به فى

الشوارع وعبثوا وأفسدوا في ذلك اليوم وفعلوا مالاخير فيه فكانت مدة تصرف ابراهيم باشا المذكور في الولاية أربعة أشهر وثمانية أيام لاغير وقد نظم بعضهم تاريخها في موته فقال

ان ابراهيم باشا * قدسعي في الخبر سعيها
قتله قد أرخوه * وأرى التاريخ بغيا

سنة ١٠١٣

ولما قتله على الصورة المتقدمة أقاموا قاضي القضاة عزى زاده واليا بعده في ثالث جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة بعد الالف وقد كانوا أرادوا أن يولوا الامير عثمان بك فامتنع ولم يقبل * فلما وصل خبر قتل ابراهيم باشا الى دار السلطنة غضب السلطان ورسم بولاية جرجى محمد باشا الخادم وأمره بقتل الثائرين وقطع دابر جميع من كان له يد في هذه الثورة فدخل القاهرة في سابع رجب سنة ثلاث عشرة بعد الالف وأتى الى الصناجق أيضا مرسوم السلطان بما ذكر فلما استقر محمد باشا بالقلعة وطلب الامراء ليقرا عليهم مرسوم السلطان وان يأتوا بأهل الفساد وأصحاب الثورة خاف الامراء وامتنعوا من الصعود الى القلعة واجتمعوا بقراميدان تحت القلعة وتشاوروا طويلا وكان بعض أ كابر الدولة يترددون ما بين الباشا والصناجق حتى استقرت القاعدة بينهم على تسليم زعماء الثورة والعفو عن الصناجق فسلموهم فأمر الباشا برمي أعناقهم بين يديه فرميت في الحال ونشت من بقي من أصحاب الثورة في البلاد فرارا من وجهه فجند في طلبهم من الكشاف فنتهم من جى به حيا فقتل ومنهم من قتله العربان قال بعض كتاب الاخبار فكان ماقته منهم نيفا ومائتين في مدة تصرفه وكانت مدة يسيرة اذ جاءه الامر بالعودة الى الديار الرومية فسار في يوم الاحد ثاني عشر ربيع الاول سنة أربع عشرة فكانت مدته سبعة أشهر وسبعة عشر يوما وتقلب به الاحوال الى أن ولى مسند الصدارة العظمى وكان حازما شهما قوى الجاش حسن التدبير صائب الرأي ذاخبرة بالامور واسع الحكامة مهيبا * وتولى بعده حسن باشا الدفتردار وقد كان واليا على اليمن ثم صرف عنها وقدم منها صحيفة الحج الى القاهرة فتدد عليه الناس وزاره الامراء والعلماء والأ كابر فشهدوا منه رجلا عاقلا أدبيا محشما وأقام بالقاهرة أياما كان يبحث فيها عن أحوال البلاد وسير الكشاف ومعاملة أرباب الحل والعقد لاهالى البلاد فوردت الاخبار الى القاهرة في يوم الاثنين ثالث ربيع الاول سنة أربع عشرة وألف بولاية حسن باشا المذكور على الديار المصرية وقد كان اذا أتى لزيارة الكبراء والامراء والعظماء توجع لهم مما يشاهده من ضنك الأهالى وفاقة الناس واشتداد الكروب ويقول اذا أتاني الله سبحانه ولاية مصر بذلت في اصلاح الاحوال مهجتي فلما جاءت الولاية واستقر بها لم يمنع ولم ينفع واختلت أموره وقصرت كلمته وعت البلوى وانقل في وجه أصحاب الظلامات باب الشكوى فعاث العسكر في أيامه وعادوا الى التمرد

مطلب

ولاية جرجى محمد باشا الخادم

مطلب

ولاية حسن باشا الدفتردار

مطلب
ولاية الوزير محمد باشا

والافساد فلم يقدر على ردهم فاشتدت الفتنة وظهر أهل الفساد وارتفع الامن وسدت الطرق في وجوه أبناء السبيل وقبل الوارد من المأكل الى القاهرة ومصر القديمة فغلت الاسعار وتعذر على الفقراء الحصول على قوت اليوم ولبث الحال على هذا الوصف حتى صرف عن الولاية في يوم الاربعاء رابع صفر سنة ست عشرة وألف فكانت مدته سنة واحدة ونصفا وستة وعشرين يوما* ثم تولى بعده الوزير محمد باشا فدخل القاهرة يوم الخميس خامس عشر صفر الخير سنة ست عشرة وألف وكان حازما عاقلا ذا فكرة وتدبير ساكن القلب هادئ اللب كثير الصبر والجلد فلما استقرت به الولاية التفت الى أمور البلاد وحاجات الخلق وبالغ في ترتيب الاحوال وتأمين السبيل وابعاد أهل البغي والفساد وأخذ البكل بالشبهات فانحرفت لذلك خواطر الامراء عنه وابغضه الجند وكثرت عليه الشكاوى من جور الكشاف وأخذهم أموال الناس فلما كان غاية جمادى الاولى من السنة المذكورة استقدم اليه ابن درغت كاشف المنوفية وبروز حجر كاشف الغربية وكوسى كاشف البحيرة وعوقبهم عنده بقلعة الجبل الى غروب اليوم ثم أمر برى أعناقهم وولى مكانهم آخرين وأخذ عليهم العهود والمواثيق أن لا يظلموا الرعية ولا يتعدوا الحدود وكان ممن عين لكشافة الغربية الحلوجى فانفق انه بعد توليته ذهب الى بولاق القاهرة لقضاء مصلحته فالتقى بطائفة من العسكر وقد علموا بولايته على اقليم الغربية فسألوا منه حاجة فلم يجبهم اليها وأغلظ معهم في القول ونهرهم فاطاق عليه بعضهم طبنجة محشوة بالبارود فانزعج وألقى بنفسه الى النيل فانقلبت ثيابه فمات غريقا وبلغ الخبر محمد باشا فجمع اليه الأمراء وأكابر العسكر بالميدان تحت قلعة الجبل ونشروا البيرق السلطاني ونادى منادى من كان مطيعا لله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وولى الامر فليدخل تحت لواء السلطنة الشريفة العثمانية فاجتمع عالم كثير من الامراء وأكابر العسكر ومكثوا بالميدان ثلاثة أيام ثم طلع الامراء الى قلعة الجبل فكلّمهم الباشا طويلا في أمر هؤلاء الخوارج وقد كانوا بعد موت الحلوجى اجتمعوا خارج سور القاهرة وانضم اليهم طوائف أخرى من العساكر والاجناد وقسموا بينهم بلاد مصر وأقاموا عليهم سلطانا منهم واختص كل فريق بجهة من جهات مصر العليا والسفلى وتفرقوا على ذلك فعماثوا وأفسدوا الحرث والنسل وسدوا الطرق وقطعوا السبل ومنعوا ورود الافوات الى القاهرة فاستقرت القاعدة ما بين محمد باشا والامراء في ذلك اليوم على الخروج بطائفة من الجند لقتالهم فخرجوا واقتتلوا معهم قتالا شديدا وظفروا بهم ومزقوا ثملهم وقبضوا على زعمائهم وأصحاب الكلمة منهم وقدموهم الى محمد باشا فأمر بقتلهم بين يديه وتتبع الجند من بقى منهم في المدن والقرى وابادوهم الا من طال عمره وحدث نار الثورة ثم لم تكد تظمئن خواطر الخلق حتى ظهر جاعة من لموم الاشقياء في أوائل القعدة سنة سبع عشرة وألف واجتمعوا من الاقاليم القبلية والبحرية وأنأفوا حزبا واحدا وحافظوا لمن بقى من متشردى اولئك العسكر بعد الواقعة الأولى على الأخذ بشارهم وقطع

دابر الامراء وأكابر الدولة ونصبوا خيامهم بالمرج والزيات ونحال الفواعلى الهجوم والقتال فلما علم محمد باشا بخروجهم أرسل لهم جماعة من الاختيارية الموصوفين بالعقل والتجربة فوعظوهم وحذروهم عاقبة هذا الامر فلم ينتهوا فعادوا وأخبروا الباشا بما كان فجمع الباشا طوائف العربان ومشايخها من الاقاليم وجميع العساكر والاجناد وجيش منهم جيشا عظيما مدججا بالسلاح وآلات الحرب وعدة من المدافع وجعل مقدمه الامير مصطفى بك سردار العساكر فسار مصطفى بك بهذا الجيش لقتال الخوارج فلما وصل الى بركة الحاج تراءى الجمعان فاقتتلا قتالا شديدا وظفر بهم مصطفى بك وضيق عليهم المسالك فطلبوا الامان واختلط الجيشان فقبضوا على أشرارهم ومقدمتهم وهرب من خالص منهم فتبعتهم العربان وقتلهم وعاد مصطفى بك الى القاهرة بمن معه من الخوارج وهم مشاة حفاة حاسرو الرؤس مكبلون بالحديد ورؤس القتلى مرفوعة على الرماح ودخلوا جميعا من باب النصر والناس ينظرون اليهم ومروا بالقصبة الى أن وصلوا الى القلعة فلما غثلوا بين يدى محمد باشا أمر بجماعة منهم فقتلوا في ساعة وصولهم والباقي منهم قتل في ليلة وصوله وألقوا جثثهم فى النيل ثم أخذوا يتبعون اثر من بقى منهم فكانوا اذا عثروا بأحد نفوه الى اليمن وما زالوا حتى لم يبق منهم أحد وصفت الحال وسكنت خواطر الخلق واطمأنت قلوب سكان مصر والقاهرة * ووجه الباشا عنايته الى ترتيب خراج البلاد وإبطال المكاف والمغارم وتخفيف الضرائب وإبطال طريقة جباية الاموال التى كانت جارية من عهد دولة المماليك الشراكسة ورسم بجبايتها على ما جاء فى حكم السلطان سليمان الموقع فى ستة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وكان شفوفا بالرعية محبا للضعفاء أخذا بناصر المظلوم نافذ الكلمة لا يرد له أمر وما زال محفوظا الى ان اختار العود الى دار السلطنة وتنزل نفسه عن ولاية مصر فخرج فى يوم السبت ثانى جمادى الآخرة سنة عشرين وألف فى جلاله وموكب عظيم ما تخلف عنه أحد من العسكر والاجناد والامراء فكانت مدة تصرفه أربع سنوات وأربعة أشهر واثنى عشر يوما وعمر فى ولايته بجله مبان وعدة عمارات بشجر رشيد وأخذ الجزر المقابلة لرشيد وأطمينا بالمنوفية والجيزة وعمل سحابة بطريق الحاج فلما بلغ دار السلطنة ولى مسند الصدارة ثم أرسل بجيش جرار لقتال ملك فارس فلم يقارن أعماله توفيق ولم ينجح له تدبير وعاد مهزوما فولاه السلطان ولاية حلب فأقام بها قليلا ومات

فتولى بعده على مصر حاجى باشا بأمر سلطاني أحضره اليه محمد باشا قبل سفره الى الديار الرومية وسلمه اياه بمدينة بلبيس فى يوم السبت ثالث رجب سنة عشرين وألف ودخل القاهرة وتصرف لغاية يوم الخميس العشرين من شعبان من السنة المذكورة فكانت مدته شهرا واحدا وسبعة عشر يوما وتولى بعده محمد باشا المعروف بالصوفى ودخل القاهرة فى ثانى عشرى شعبان وجعل يتصرف فى الامور فكان ظاهره اللين والرفق بالرعية وتأمين السبل وقطع شأفة أهل الذنن والفساد فلما كان فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وألف قدمت الى مصر طائفة من عسكر الدولة يبلغون زهاء أربعة آلاف غير

مطلب

ولاية حاجى باشا وخلعه
وولاية محمد باشا المعروف
بالصوفى

الاتباع وكان السبب في قدومهم انهم ناروا على الدولة وخرجوا عن طاعة كبارهم وكادت فتنتهم ثم فدبر الصدر الاعظم في ابعادهم الى مصر وأشاع بينهم انه يريد بقاءهم بها رباطا مستديما فلما وصلوا الى القاهرة أتى الى محمد باشا مرسوم سلطاني بتجهيزهم الى بلاد اليمن وامدادهم بما يلزم من المؤن والعلائف ودواب الحمل فقدر الاستطاعة فلما تحققوا انها مكيدة عصوا وتعدوا فأجملهم محمد باشا بالخروج بعد ان صرف لهم جوامك السفر وسير معهم فندق بك أحد الامراء ليسير بهم الى مدينة السويس فبرز فندق بوطاقة يوم ثالث عشر ربيع الآخر من السنة المذكورة فر الوطاق بساب زويلة ثم الى باب النصر وكان به أولئك العسكر فقاموا عليه ورموا بالحسام من فوق ظهور الجبال ومنعواهم من الخروج وهاجوا وماجوا ونادوا بالويل والثبور على السلاطان ورجال دولته فوصل الخبر الى محمد باشا فجمع من وجد بمصر اذذاك من العسكر ورسم الى فندق بك بالخروج الى الريدانية بالعسكر واجهار النداء بأن جميع العسكر الذين قدموا من دار السلطنة يخرجون بحجة السردار المعين ومن خالف قبض عليه وجوزى فامتنعوا جميعا وأغلقت أبواب النصر والفتوح ورموا خلف البابين بالاجار وتحفظوا من كل جانب ومنعوا كبارهم من الخروج الى الريدانية والطلوع الى الديوان ونصبوا حواجز بالشوارع الموصلة اليهم وتحصنوا بكثير من المتاريس وصعد جماعة منهم الى أعلى الخانات والربوع والبيوت والجوامع والمنارات وهم ينتظرون من يقدم عليهم فلما بلغ محمد باشا خبر هذا التحصين وان لاطاقة لفندق بك ومن معه على اخضاع أولئك الخوارج جمع الصناعق والكشاف ومقدي الخفر بيمدان الرميعة وتشاوروا في الامر فاستقرت القاعدة بينهم على ان يسيروا اليهم فساروا فلما عاين الخوارج ذلك الجمع اذعنوا للطاعة وأجابوا ورفعوا الحصار وأزالوا المتاريس وفتحوا الابواب وطلبوا الامان ودواب الحمل فأحضروا لهم ما يريد عن ثمانين جلا فلما وصلت اليهم الجبال عادوا الى العصيان وضربوا الجبال بالسيوف فنفرت وتشردت وقفلوا الابواب ثانية وعادوا الى أقوى مما كانوا عليه من التحصين وشاع الخبر بأنهم قتلوا كبارهم ولم يبقوا على أحد فأمر محمد باشا السردار بالخروج فخرج ومعه جمع كبير من الامراء والاجناد واثنى عشر من كبار الامراء وطائفة من حارة الفوالة وساروا الى الخوارج بسنة مدافع كبار محشوة بالفلوس الحديد والمسامير وفودي الارعايا الملاصقين لاما كنهم وبيوتهم بغلق الخوانيت والبيوت فلما وصلوا اليهم وجدوهم متيقظين متحفظين بعلو الاسطحة والمآذن فلما تراءى الجمعان التحم القتال فكان كل ما ألقى العسكر من الرصاص والنشاب والاجار لا يصل الى الخوارج لعلوهم على العسكر وكل ما ألقاهم على العساكر نال منهم فقتل من العساكر سبعة فهاهنا مقدم عسكر الوالي هذا الامر وخشى استفحال امر هذه الفتنة وقد اشتد رعي الخوارج وتتابع على العسكر فجعل مقدم عسكر الوالي يتدبر في الوصول اليهم من وكالة البطيخ وما زال حتى اتصل اليهم بجماعة من العسكر واتصل الامير قاسم والامير عبدی

من خافهمم وتقدم الامير يوسف الغاص بأصحابه فرفع الحواجز والمتاريس ونقبوا عليهم
 أماكنهم ودخلوا عليهم فلما اشتد الحال عليهم ولم يجدوا لهم قوة على القتال وعلموا أنهم
 مأخوذون لا محالة طابوا الامان وأجابوا بالامتثال في السفر الى حيث شاء الباشا فأخرجوا
 جميعا ولم يتخلف منهم أحد وسيروا بهم الى السويس وزالت الفتنة وسكن الحال واطمأنت
 خواطر الناس وعادت جميع الامور الى سابق مجراها * وسار محمد باشا في الرعية سيرة
 حسنة وكان شفوفا عليهم مبالا لخيرهم فرفع كثيرا من المغارم القديمة وأبطل بعض
 المكوس الفاحشة وكان يجلس بنفسه للنظر في مصالح الخلق ويوقع على ما يرفع اليه من
 القصص فزالت في أيامه القلاقل والفتن ودرت الارزاق وحصل رخاء عظيم حتى بيع الاردب
 القمح بخمسة وعشرين نصفا فلوسا نحاسا والفول كل اردب بخمسة عشر نصفا والعدس
 والبسلة كل اردب بثمانية عشر نصفا وكثر وارد الماء كولات وتنازلت اثمان غير ما ذكر
 ففرح الناس فرحا عظيما ومالوا اليه بقلوبهم وأحبوه محبة عظيمة * فلما كان في يوم
 الاربعاء عاشر ربيع الاول سنة سبع وعشرين وألف ورد مرسوم سلطاني بصرف محمد باشا
 عن ولايته فكانت مدتها ثلاث سنوات وستة أشهر وثمانية وعشرين يوما فحزن الناس عليه
 كثيرا * وتولى بعده أحمد باشا الدفتردار ودخل القاهرة في يوم الخميس حادى عشر ربيع
 الاول سنة سبع وعشرين وألف في موكب عظيم مشى فيه جميع العساكر والاجناد وهو
 على فرس وعلى رأسه عمامة بريشتين قيل ان قيمة كل ريشة منهما ألف دينار فلما وصل
 بموكبه الى الجواخين سقط على فرسه حجر من طاقية بيت بالربع الذى يعملو حوانيت
 الجواخين فألقى احدى الريشتين على الارض ومزق جانبها من القماش فقبض في الحال على
 من ألقى الحجر فتطير أحمد باشا من ذلك وأمر برجى عنق الرجل فرموا عنقه وكان الرجل
 يوصف بجمال العقل وما زال في موكبه حتى صعد الى قلعة الجبل واحتجب أياما لا يراه
 أحد ثم جلس للناس وتصرف في الامور فكان حاكما سياسيا صاحب تدبير سهلا في أموره
 قريبا من الناس ليس عنده تحجب ولا غلظة محبا لخير الرعية مبالا لاسعاد البلاد فكان يأتي
 الى أحسن الامور من أبوابها حتى اجتمعت الفسلوب على محبته واتحدت على طاعته وهابه
 الحكام وخافه الولاة والكشاف وساروا بسيرته الا القليل وعمت الراحة أفراد الرعية
 وراجت أسباب الزراعة وكثرت غلات البلاد كثرة عظيمة

فلما كان شهر شوال وردت الاخبار الى أحمد باشا بموت السلطان أحمد مات في اليوم
 العاشر من القعدة سنة سبع وعشرين وألف خفف أنفه وهو آخر السلالة المتصلة من
 عود هذا النسب وكان عادلا محبا للخير أرسل الى حرم صاحب الشريعة الاسلامية حجرا
 من المس قيمته يومئذ اثنا عشر ألف دينار وأكثروا رسم بأن يوضع في الحجر وهو موجود
 الى الآن وأرسل أيضا جلة هدايا وتحف وميزابا من الفضة موهبا بالذهب فوضع موضع
 الميزاب العتيق قيل وله خيرات أخرى كثيرة وكانت مدة سلطنته أربع عشرة سنة

مطلب
 ولاية أحمد باشا الدفتردار

وأربعة أشهر وعشرة أيام فتولى بعده السلطان مصطفى ابن السلطان محمد وهو أخو السلطان أحمد المشار اليه

ومات في سلطنته متاوس بطرك المتأصلين بعد ان أقام ثلاث عشرة سنة وكانت أيامه كلها هادئة مطمئنة فأقيم بعده غبريال وهو حادى تسعين فاقام ثمان سنونات و مات فأقيم بعده ميخائيل وهو ثمانى تسعين وكان تقيا فاضلا متواضعا فلم تطل مدته غير سنة واحدة و مات فأقيم بعده يوحنا وهو ثالث تسعين وأصله من بلدة نقادة من صعيد مصر وكان في أيامه من الحوادث ماسيد كرى محله

(الفصل السابع)

(فى سلطنة السلطان مصطفى ابن السلطان محمد خان)

ثم قام بالامر بعد السلطان أحمد أخوه السلطان مصطفى ابن السلطان محمد وهو أول من ارتقى على سرير السلطنة من اخوة مسلوك بنى عثمان بوبع له بالملك ثلاث عشرى ذى القعدة سنة سبع وعشرين وألف هجرية أى سنة سبع عشرة وستمائة وألف ميلادية وكان فى مدة سلطنة أخيه أحمد مقيا فى محل داخل السراى السلطانى ممنوع التصرف والاجتماع بالناس لا يمكن من الخروج من مكانه وعنده بعض صبيان يخدمونه قيل وهو موصوف بالصالح والتقوى لالتفات له الى سلطنة ولا الى تصرف فى أمر من الامور وكان كلما اجتمع بأخيه السلطان أحمد يقول له لاجابة لى سلطنة مطلقا وكان يقال ان السلطان أحمد كلما خطر بفكره شئ من قبل أخيه السلطان مصطفى كان مصطفى يقول له ارجع يا أحمد عما تقصده قيل فكان ذلك سببا للكف عنه فلما تولى السلطنة ظهر بحزه اذ كان ضعيف الرأى منبوذ الكامة لاهيبة له ولا وقار مغلوبا على أمره والكلمة لوزيره الاعظم وانفق عقب توليته بأيام ان هرب أحد أشراف بولونيا وكان معتقلا فى دار السلطنة بعد الحرب التى أخذ فيها أسيرا وكان هروبه بمساعدة سفير دولة الفرنسيس فى دار السلطنة فأكبر الصدر الاعظم هذا الامر وأعظمه وأمر فقبضوا على السفير وكتبه وترجمانه وألقوههم جميعا فى السجن ووصل الخبر بذلك الى عاصمة الفرنسيس فهاجوا وماجوا وكادت الحرب تقوم على ساقها وبالغت دولة الفرنسيس فى التهديد والوعيد والتأهب والاستعداد وكثر الاخذ والرد بين الفريقين أياما ثم كان من أمر ذلك ماسيد كرى فى سلطنة السلطان عثمان خان الثانى

واستمر أحمد باشا الدفتردار يتصرف فى ولاية مصر لاراد لكلمته ولا مانع لامره وقد خافه الجنود وهابه العسكر فاعتنى بأمرهم واهتم بصرف مرتباتهم وبجائهم وعرفاتهم فصاروا

سيرة حسنة وانكفوا عن الايذاء والشر وأمسوا وهم طوع أمره ثم ورد الى الباشا المشار اليه مرسوم السلطان بأن يجيش نحو ألف من العسكر المصرى نجدة لعسكر السلطان القائم الى اليمن لقتال الخوارج من الزيديين وقيل لقتال ملك فارس فأرسلهم صعبة الامير صالح بك أمير الحاج وزودهم بالمال والسلاح والعلوفة فساروا ومروا بالاقليم المصرية ولم يقع منهم شيء ولا لحق بالاهالى من مرورهم ضرر وقد كان قبل ذلك إذا مر عشرة منهم بقرية أو مدينة عاثوا فيها وأقلقوا راحة أهلها وأهلكوا الحرث والنسل وفعلوا مالا خيرا فيه فلما فرق فيهم المال نال الرجل منهم عشرين دينارا وبينما هو يتصرف في الامور على ما ألفه من العدل وانعانة الملهوف اذ جاءه الخبر بخلع السلطان مصطفى وتولية السلطان عثمان * وتحرير الخبر * أنه لما كان السلطان مصطفى ممن تربى في حجر الانزواء وكانت أحواله مخالفة للألوف من حال الزمان وكان مغلوبا على أمره كما تقدم القول لم تطل مدة تصرفه سوى ثلاثة أشهر وعشرة أيام ثم قام عليه كبار الدولة وأصحاب الكلمة وبينهم شيخ الاسلام وفظلال أغاسى السراى السلطانية وبعض الحرم فقاموه ليلة الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف هجرية ثم أودع في جب داخل السراى * قال بعض الكتاب وسد عليه بابه ماعدا روزنة لطيفة ينزل منها الطعام والشراب وولوا بدله السلطان عثمان ابن السلطان محمد خان الثانى

(الفصل الثامن)

(فى سلطنة السلطان عثمان بن السلطان محمد خان الثانى)

ثم قام بالامر بعد السلطان مصطفى السلطان عثمان ابن السلطان محمد خان الثانى بربيع بالملك يوم الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف هجرية أى سنة تسع عشرة وستمائة وألف ميلادية وله من العمر احدى عشرة سنة لا غير * قال بعض أصحاب التاريخ فكان مع صغر سنه واسع الفكر هماما ذاهبية فأول عمل بدأ به هو أنه أمر فأطلقوا سفير الفرنسيس وكاتبه وترجمانه من الحبس وسير الى ملك الفرنسيس وهو يومئذ الملك لويز الثالث عشر رسولا يستعطفه ويستميله الى الصفح فأجابه الى ذلك وعادت الامور بين البلادين الى سابق مجراها فبعد السلطان بعد ذلك الى اصلاح ما فسد من أحوال الدولة ودفع ما استولى على جميع أمورها من الخلل فلم يتمكن لخروج العساكر عن الطاعة وتطرق الفساد الى جميع المصالح وأخذ الاوغاد والاغرار بزمام جميع الامور وتصدرهم فى الوظائف العالية والراتب السامية ومع ذلك فان هذه الشوائب لم تقعه عن الغزو وفتح المدن والبلدان فتأهب لقتال مملكة بولونيا وجعلها حديين أملاكه وأملاك الروس وجيش لذلك الجيوش وأعد المعدات وخاف ان يترك أخاه الامير محمد فى دار السلطنة فينازعه فى الملك فأمر بقتله صبرا

وكان الى هذا الحين لا يبرم أمرا في دار السلطنة الا بإشارة مقتيها ولا يتم للسلطان ورجال الدولة عمل الا برأيه فكان يعزل ويولي من يشاء من الولاة والحكام ويعضى الاحكام بلا معارض ولا منازع تخاف السلطان منه وخشى من تركه في دار السلطنة على هذا الحال من نفوذ الكامة وبسط اليد لاسيما وقد كان الانكشارية لا يقفون عند حد وقد تفشى الخلل والفساد بين كبارهم وصغارهم فتزع منه ذلك النفوذ وأبعد عنه تلك الهيبة وأوقفه عند حد الاقتضاء لا غير ليأمن شره وسير في طلب أحمد باشا الدفتردار والى ديار مصر فجاءه المرسوم السلطاني بالانصراف عن الولاية فانصرف عنها في يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة تسع وعشرين وألف هجرية فكانت مدة تصرفه سنتين واحد عشر شهرا وثلاثة أيام كلها اسعاد وبركة وخير ورفاهية على البلاد وأهلها

مطلب

ولاية مصطفى باشا السهدار

وولى بعده مصطفى باشا السهدار فدخل القاهرة في ثالث عشر صفر من السنة ثم سار السلطان بجيوشه لغزو مملكة بولونيا فالتقى الجمعان واقتتلا قتالا عنيفا للغاية ولما كانت طوائف الانكشارية مضطربة الاحوال ناقة على السلطان تقاعست عن الحرب وأظهرت الملل وطلبت مخافة البولونيين في تقرير قاعدة للصلح والكف عن القتال فانع السلطان في ذلك وأبى الا القتال حتى يتم له النصر فلم يفلح وأبى الانكشارية الا عقد الصلح وألحوا في الطلب وبالعوا في التهديد فتقرر الصلح بين الفريقين وعاد الانكشارية الى دار السلطنة الى ان كان من أمرهم ما سئلى عليك في موضعه * ولما عاد السلطان الى القسطنطينية خلع مصطفى باشا عن ولاية الديار المصرية أخريات سنة تسع وعشرين فكانت مدة تصرفه سنة الاشهر لم يأت فيها من الاعمال شئ يذكرفانه كان ضعيف الرأي حامل الفكر كثير التعجب والازواء * وولى بعده جعفر باشا وكان جعفر باشا هذا لما قدم من اليمن أقام بالقاهرة أياما والناس يترددون عليه فكان ذاعلم وفضل ومشاركة في غالب العلوم العالية وابحاث جيدة فلما رأى اقبال الناس عليه وميل قلوبهم اليه طمع في الولاية فأرسل الى دار السلطنة التماسا بذلك ولبث ينتظر الجواب وكان لما علم مصطفى باشا بذلك خشى الفتنة وساء ما فعله جعفر باشا فأرسل اليه بعض كبار الامراء يحثه على الرحيل عن مصر ويعلمه شر عاقبة البقاء فامتنع أولا ثم عاد فأذعن وسافر برا في نفر من أتباعه وحاشيته ولكنه لم يلبث ان عاد بمرسوم الولاية فخرج لاستقباله الامراء والعلماء وكبار الدولة وكبار العسكر ودخل القاهرة في موكب لم يعهده مثيل وفرح العامة والخاصة بقدومه وكان دخوله القاهرة في أواسط صفر سنة ثمان وعشرين وألف كما تقدم القول فلم يستقر به المقام حتى فشا الطاعون بمصر والقاهرة ثم عم جميع القرى والمدن وكثر الموت في الناس واشتد اشتدادا عظيما فقفلت الاسواق بمصر والقاهرة قال بعض كتاب الاخبار الا أسواق الا كفان فلم تقفل ليلا ولا نهارا ومنع جعفر باشا عامل الاموات من التعرض للأموات فكان الناس يدفنون موتاهم بغير اذن في الليل والنهار

مطلب

ولاية جعفر باشا

واستمر الحال على هذه الشدة نحو الشهرين مات فيهما خلق كثير لا يكاد يدخل تحت حصر ثم ارتفع الموات وزال فسكنت القلوب واطمأنت الخواطر وكره الناس جمعهم باشا وتطهيروا من ولايته وحسبوها شؤما على البلاد * فلما كان شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وألف جاء مرسوم السلطان بالعزل فسافر بجرا الى الديار الرومية فكانت مدة تصرفه ستة أشهر وأياما قال بعض كتاب الاخبار فلم يبق بالديار الرومية الا أشهر قلائل ومات فعاد ولده الى مصر وعاش بها فقيرا وليس له من يسأل عنه

مطلب

ولاية مصطفى باشا

وتولى بعده مصطفى باشا فدخل القاهرة في عاشر رمضان سنة ثمان وعشرين وألف فلم تستقر به الولاية حتى جارو ظلم وضرب المغارم والمكوس وأكثر من جمع الأموال بجميع وسائل العنف والقهر وشدد على أصحاب الأموال وضيق وهدد وبالحق في الارهاب فكثرت الوشاة وأصحاب السعاية على بابه ينقلون له أخبار الناس فضاقت أحوال أصحاب الأموال واختلت جميع الأمور فكان من وشى به اليه وبذل ما طلبه منه سلم ومن تقاعس ولم يبذل حقر وأخذ منه أكثر مما طلب منه قال بعض كتاب الأخبار وتبع أثر مصطفى بك البقجي زعيم ثورة الجند التي حصلت على عهد مصطفى باشا وقبض عليه وقتله بيده فظن الناس قيام الفتنة بسببه وتمنوا ذلك فلم يحصل فكبر خوفهم منه ورفعوا ظلامتهم الى دار السلطنة وضجوا وطلبوا خلعه فجاء مرسوم السلطان بخلعه في ثالث رمضان سنة تسع وعشرين وألف فكانت مدة تصرفه سنة الا ثلاثة أيام

مطلب

ولاية حسين باشا

وتولى بعده حسين باشا في ثالث عشر الشهر المذكور ووصل الى القاهرة وأدرك مصطفى باشا المعزول قبل سفره فنعاه من السفر وأزله من قلعة الجبل الى بيت مراد باشا بالسبع قاعات بالقاهرة وجعل على يابه الحرس وتركه على هذا الحال أياما ثم طلبه فلم يجده وكان قد تخلص بتدبير أحد كبار الدولة وسار الى الديار الرومية فتبعه كثير من صادرهم وأخذ أموالهم فادعوا عليه ونالوا منه وأخذوا جميع ما كان اغتاله منهم وسار حسين باشا الى الجديده سيرة حسنة للغاية فأبطل بعض المغارم والمكوس المستحدثة على أيام مصطفى باشا ورتب أمور الدولة وأحكم نظام ما اختل منها أيام أسلافه ووقع في أيامه غلاء عام حتى بيع لردب القمح بالكيل المصري بمائتي نصف فنة والشعير بمائة وعشرين نصفًا والبول بمائة وستين نصفًا وكذلك بقية الغلال فكانت شدة عظيمة للغاية * ثم زاد النيل زيادة فوق الحد وعم جميع الارض وثبت على الزيادة فوق جميع الاراضي للغاية شهر هاتور القبطي حتى كاد الناس يأسون من زرع الأرض ثم هبط فتمكنوا من الزرع ولكنه لم يأت الا بما قل من المحصول وضربت على الناس في أيامه أيضا ضريبة جديدة هي ضريبة النظرون وقد فرضت على جميع المدن والثغور فتألم الناس منها وراجعوه في رفعها فلم يرز فأنحرفت الخواطر عنه وابتعدت القلوب ونقموا عليه وظهر الخلل في جميع أمور الدولة واستخف الناس بحرمته وزالت عنهم هيئته فعاد أهل الفساد في جميع المدن

مطلب
ولاية محمد باشا البستنجي

والقرى للعبث وكاد يستفحل أمرهم فلما كان عاشر ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وألف
جاء مرسوم السلطان بعزله فكانت مدة تصرفه سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام
وتولى بعده محمد باشا البستنجي في حادى عشرى ربيع الآخر ولكنه لم يقدم الى مصر
لقيام الفتنة في دار السلطنة وخروج طوائف الانكشارية عن طاعة السلطان عثمان
ونخلهم اياه ثم سجنه ثم قتله فتاب عنه في الولاية على مصر حسن افندى الدفتردار * قال
أصحاب التاريخ لما ظهر عصيان الانكشارية أيام قتال البولونيين امام مدينة شوك زم
واكراههم السلطان عثمان على عقد الصلح مع البولونيين والكف عن القتال والخاصهم في
ذلك عاد السلطان الى القسطنطينية وقلبه يلهب غيظا وأقسم ان يستأصل الانكشارية ويجو
آثارهم عن وجه الأرض فرسم من هذا الحين بجمع عسكر جديد في بعض عمالات آسية
وجعل يعتد لهم المعدات ويبالغ في اتقانهم وتنظيمهم فأحسن الانكشارية بذلك وعلموا ما وراء
التقاعد والسكوت فقاموا على قدم واتحدوا على خلع السلطان فخلعوا بيعته في التاسع من
رجب سنة إحدى وثلاثين وألف هجرية ودخلوا عليه في قصره وهو بين نسائه وجواريه
وقبضوا عليه وأخذوه قهرا الى محلاتهم وسبوه باقبح السب والشتم ثم نقلوه الى قلعة يدى قله
فلبث بها يوما وبعض يوم ثم دخل عليه جماعة من كبار الدولة وأصحاب الفتنة فقتلوه ونادوا
بولاية السلطان مصطفى الأول ثانية بدله وطيروا الخبر بذلك الى الآفاق فكانت سلطنة
السلطان عثمان أربع سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وكان جليل القدر واسع المعرفة كبير
السياسة عظيمها شديدا في الحروب عظيم التدبير ومع هذا كله فإنه لم يفلح مع جماعة
الانكشارية ولم يقدر على ابادتهم كما كان يبتنى

ومات في سلطنة السلطان عثمان يوحنا بطرك المناصلين فكانت أيامه كلها شدة وعناء
وضيق وفناء ومصائب واحن ومحن ذاق فيها القبضة من جور العيال وظلم الحكام وعسفهم
أشكالا وكانت مدة تصرفه ثلاث سنوات فأقيم بعده يوحنا وهو رابع تسعين وأصله من بلدة
صدفة يعرف بابن المصرى وكان تقيا ورعا كثير الصدقة مهيبا محبوبا ووقع في أيامه من
الحوادث ما سيذكر في محله

(الفصل التاسع)

(في سلطنة السلطان مصطفى الثانية)

ثم قام بالأمر بعد قتل السلطان عثمان السلطان مصطفى ارجعوه الى تحت الملك ثانيا
يوم قتل السلطان عثمان في ثامن رجب سنة إحدى وثلاثين وألف هجرية أى سنة ثمان

وأربعين وستمائة وألف ميلادية ولم تستقر به السلطنة حتى قامت الفتنة واشتد لهيبها فانه لما تم اطوائف الانكشارية ما أرادوه من خلع السلطان عثمان وقتله كبر استخفافهم بالامور واستصغارهم لكبار الدولة ورجال السلطنة فعاثوا في القسطنطينية وأفسدوا وصاروا يعزلون ويولون من يشاؤون من الوزراء وكبار الدولة ويبيعون الوظائف جهارا ويقبضون على من يتوسمون فيه سمة الانكار حتى اخذت جميع الامور وفسد نظام الدولة وزالت هيبة السلطنة وظهر الاوغاد وأسافل الناس وقبضوا على زمام الامور واشتد الكرب وسرت نار الفتنة الى جميع العمالات التابعة لدار السلطنة فنقض والى طرابلس الشام ووالى ارضروم الى شق عصا الطاعة وركب والى ارضروم في عسكر عظيم للغاية ونادى بالثارات عثمان ونزل على مدينة سيواس وانقره وقتعها واعل السيف فبين كان فيهما من طوائف الانكشارية وضبط أموالهم وأرزاقهم ثم سار الى مدينة بروسه وقد تبعه والى سيواس ووالى سنجق قره شهر فاصروها وأقاموا على حصارها ثلاثة أشهر حتى دخلوها عنوة ووردت الاخبار بذلك الى القسطنطينية فلم يلتفت اليها لاشتغال طوائف الانكشارية بالنهب والسلب والقتل واراقة الدماء ظلما وظل الحال على ذلك من الخلل والارتباك سنة ونصف سنة والناس في ضيق ما عليه من مزيد ثم اجتمع رجال الدولة واتحدت كلمتهم على تولية على باشا كما نكش منصب الصدارة وتقويض الامور اليه لعله يتمكن بخبرته من ارجاع الامور الى سابق مجراها فتولى المنصب وجعل يتصرف في الامور ويدبر الاحوال جهدا لاستمطاعة ويعمل على اعادة الامن الى داخلية البلاد ويدفع غارات الانكشارية عن أهلها بالتي هي أحسن حتى كان من أمره بعد ذلك ماسيذكر في محله * ولم تثبت نيابة حسن افندى الدفتردار في ولاية مصر عن محمد باشا البستانجي فقد صرف محمد باشا المذكور عن الولاية قبل أن يقدم الى مصر فكانت مدة تصرف حسن افندى الدفتردار أربعة أشهر وسبعة أيام

مطلب

ولاية ابراهيم باشا السلحدار

ثم تولاه ابراهيم باشا السلحدار ودخل الى رشيد في يوم الجمعة ثلثي عشر شعبان سنة احدى وثلاثين وألف ووصل الى القاهرة في أوائل رمضان من السنة وكان ذا فكر ومهابة واسع الدراية صاحب تدبير ولكنه كان محبا للمال والكسب بكل ما تصل اليه قدرته واتفق انه وقع في أيامه غلاء زائد جدا فجاء الناس من الاقطار الحجازية والديار الشامية ومن غزة وغيرها الى مصر ليمتاروا فمن كان ذمال امتار ما يحتاج اليه ورجع الى أهله ومن لا مال معه وله قدرة على الكسب أو الخدمة صار يقات من خدمته أو كسبه ومن لا مال له ولا قدرة له على الكسب ولا الخدمة صار يستعطي حتى امتلأت مصر وقراها منهم فكان ما بيع في مصر والمدن والكفور والثغور والقرى من القمح والفل والعدس والشعير وبقيمة الجبوب شيئا كثيرا جدا لا يكاد يدخل تحت حصر * ولما طالت أيام ابراهيم باشا تغيرت أحواله وتزايد جور ووجور اتباعه وكثرت على الناس طلباته وطلبات اتباعه فكانت له تجارة واسعة في بن القهوة يأتيه من اليمن في كل عام فكان يلزمه التجار ومشايخ الاسواق فحصل لهم بسبب ذلك

ذلك خسارة عظيمة فشكوا اليه فلم يلتفت لشكواهم فرفعوا ظلامتهم الى بعض كبار الدولة فتحرك عليه بجاعة منهم ومنعوه من ذلك فانحط قدره وقصرت كلمته وبقي مقهورا مدحورا الى أن صرف عن الولاية في يوم الاربعاء سابع رمضان سنة اثنتين وثلاثين وألف هجرية فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة عشر يوما

مطلب
ولاية مصطفى باشا

وتولى بعده مصطفى باشا فدخل القاهرة في الثاني والعشرون من رمضان فلما صعد الى قلعة الجبل أتى اليه كتبة الديوان يشكون من ابراهيم باشا المعزول وقالوا انه أخذ من مال الخزينة السلطانية أموالا جزيلة فسير مصطفى باشا في اثره بجاعة من العسكر فالتقوا به فتمدهم فرجعوا وأخبروا بما كان فسير اليه مصطفى باشا الامير صالح بك فادركه وقد نزل البحر عند الاسكندرية فسأله أن يتربص فقال اني سائر الى دار السلطنة فاذا كان على الخزينة شيء دفعته هناك فألح عليه صالح بك فلم يلتفت لكلامه وأقاعت به المركب فأطلقوا عليه المدافع من طابية منارة الاسكندرية فلم ينله منها ضرر ونجا بما كان معه من الاموال والمتاع وكان شيئا كثيرا فلما وصل الى القسطنطينية لم يصبه من جانب السلطنة شيء لاستداد الفتنة يومئذ وارتباك الاحوال وتعمد ارجاع الامور الى سابق مجراها وانكماش على باشا الصدر الأعظم ورفضه البقاء في منصب الصدارة ان بقي السلطان مصطفى في منصب السلطنة مع ما هو فيه من وهن العزبة وضعف العقل وعدم الوقوف عند حد فلما رأى رجال الدولة أن لاخلاص من هذه الفتنة الا بخلع السلطان قاموا عليه وخلعوه في يوم السبت الثالث والعشرين من ذي القعدة وقيل في الخامس والعشرين منه سنة اثنتين وثلاثين وألف هجرية وولوا بذلك ابن أخيه السلطان مراد ابن السلطان أحمد فكانت سلطنة السلطان مصطفى سنة واحدة لاغير

(الفصل العاشر)

(في سلطنة السلطان مراد الرابع ابن السلطان أحمد)

ثم قام بالامر بعد خلع السلطان مصطفى ولد أخيه السلطان مراد بويج له بالملك يوم الاحد في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وألف هجرية أي سنة ثلاث وعشرين وستمائة وألف ميلادية فكان مغلوبا على أمره لا كلمة له لحدائة سنة اذ كان لا يناهز الثانية عشرة من العمر وكانت كلمة الانكشارية فوق كل كلمة ويدهم فوق كل يد قال أصحاب التاريخ ولما كان كل من يتولى الحل والعقد في تلك الايام من أهل هذا الاختلال والغش كان الخروج من هذه الدائرة الفاسدة واصلاح الامور من المحال وشاع الخبر بذلك عند

ملوك الدول المجاورة وكثر تحدّثهم به وكان ممن سره هذا الخلل وافرحه وهن أركان الدولة العثمانية عباس شاه ملك فارس لما كان بين الدولتين من البغضاء والشحناء فاعتمس هذه الفرصة وعمد الى أخذ بعض بلاد الدولة العثمانية وارجاع ما أخذ من بلاده وسار في جيش عظيم الى بغداد فحاصرها وكان بها عسكر السلطان فأقام على حصارها حتى احتلها عنوة وأعمل السيف في أعناق من بها من العسكر السلطاني وقتل جميع كبار الدولة وعظماء الجند ووردت الاخبار بذلك الى القسطنطينية فهال السلطان هذا الامر وأزعجه جدا وكان للصدر الاعظم كثير من الاعداء والخصوم من بطانة السلطان وقرنائه فوشوا به عند السلطان وقالوا ان سقوط دار السلام في يد العدو انما كان بخيانة الصدر الاعظم فغضب السلطان وأمر بقتله فقبضوا عليه وقتلوه وولى مكانه شركس محمد باشا فلم تطل مدته ومات وتولى الصدرة بعده حافظ باشا

وورد مرسوم السلطان الى مصطفى باشا والى مصر بتثيته في مقام الولاية والابعار اليه بالرفق بالرعية والقيام بما يلزم للحرمين وخروج الحاج في أوقاته فقرئ بحضرة العلماء والامراء والمشايخ وأخذ مصطفى باشا يتصرف في الامور ولكنه لم يلبث ان جاءه الامر بالعزل والعود الى الديار الرومية فلما شاع خبر عزله اجتمع طوائف العسكر على عادتهم وساروا الى عيسى بك نائب الغيبة وطلبوا أن يعطيهم العطايا التي كانوا يأخذونها عند تولية الولاية فلم يعطهم ومنعهم من الاتيان الى ديوانه فألحوا في الطلب وكرروا النداء فلم يلتفت اليهم فاجتمعوا وساروا من وسط المدينة وهم يضحجون وينادون لانريد أحدا يتولى أمور البلاد غير مصطفى باشا وكان مصطفى باشا بعد أن جاءه الامر بالعزل لبث ينتظر الخلف وما زال الجند يطوفون وينادون الى أن وصلوا الى قره ميدان فتحالفتوا على أن يكونوا جميعا يدا واحدة وقلبا واحدا ووصل الخبر بذلك الى مصطفى باشا ففرح فرحا لا يوصف وتقوت عزيمته وكتب الى دار السلطنة يلتمس البقاء على ولاية مصر وكذلك كتب العلماء والمشايخ والقضاة فلم تكده تصل رسل مصطفى باشا الى دار السلطنة حتى وصل الخبر بوصول على باشا الوالى الجديد الى ثغر الاسكندرية فسيروا اليه في الحال من يعلمه بان الجند وأهل البلاد كافة لا تقبله فبعث هو كتابا الى العسكر وكافة الامراء والاجناد وأعيان البلاد يتمدحهم ويثنى عليهم ويقول أما بعد فاني لم آت الى مصر الا طامعا لامر السلطان الذي يجب على وعلى كل مسلم صحيح الدين طاعته فلما قرئت الكتب على أهل الحل والعقد سيروا اليه ثانيا يقولون انا لانقبلك فقبض عند ذلك على الرسل وفيدهم في سجن قلعة الاسكندرية وكان العسكر المرابطون فيها اخوانا لاولئك الرسل ففكوا في الحال قيودهم وهجموا جميعا على وطاق على باشا المذكور بسبيوفهم وقبضوا عليه وأنزلوه في مركب وأخرجوه من ميناء الاسكندرية وكانت الريح معاكسة فأعادت المركب الى الميناء فها فأطلق عليه الامير مصطفى امير جند قلعة المنارة

عدة طلقات ثقت المركب عدة ثقب ولم تغرقها فخرج القارب من فوره قاصدا الديار الرومية وعاد الرسل الى القاهرة فأخبروا بما جرى ففرح مصطفى باشا بذلك

ولما كان العشرون من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين قدم الى القاهرة من الاسكندرية طائر البطاق يحمل الخبر بقرب وصول قابوچى (أى رسول) من دار السلطنة ومعه مرسوم سلطانى فبعد أيام قلائل وصل القابوچى المذكور ودخل القاهرة فى موكب حافل للغاية وصعد الى قلعة الجبل وجلس الامراء والعلماء وجميع الصناجق وتلا عليهم الفرمان بتثبيت ولاية مصطفى باشا على مصر اجابة اطلبهم ثم ألبس مصطفى باشا خلعة سنية وقلده سيفاً عظيماً ففرح الجنود بذلك فرحاً لا يوصف حيث فازوا بمقصودهم واستقر المصير بمصطفى باشا فتصرف وعلت كلمته ومالت اليه القلوب وأحبته وزاد النيل فى أيامه زيادة عظيمة فارتفع الى أربع وعشرين ذراعاً وثبت على ذلك أياماً يخاف الناس من وقوفه الا أنه هبط بعد ذلك سريعاً وانكشفت الاراضى ففرح الناس وأخذوا فى الحرث والبذر * وبينما هم على هذا الحال والقلوب مطمئنة والفتن ساكنة اذ ظهر الطاعون بالقاهرة ومصر فى أوائل ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وامتد امتداداً سريعاً فى جميع المدن والبنادر والقرى وعم البلاد شرقاً وغرباً فمات به خلق كثير * قال بعض الكتاب كان عدد من مات فى هذا الطاعون نيفاً وثلثمائة وألف بين الخامسة عشرة والعشرين من العمر واشتد اشتداداً عظيماً لم يسبق له مثيل ثم أخذ فى التناقص فى شعبان من تلك السنة وارتفع فى أوائل رمضان فتطاوالت يد مصطفى باشا الى أخذ تركات ومقتنيات جميع من ماتوا فى هذا الوباء وادعى لنفسه حق التوريث فشكا الوراث من ذلك فلم يسمع منهم فرفعوا أمرهم الى دار السلطنة وأكثروا من الشكوى فجاء الامر بعزله وتولية بيرم باشا بدله فدخل القاهرة فى جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين وألف فكانت مدة تصرف مصطفى باشا المذكور فى المدة الاولى والثانية نحو ثلاث سنين وبضع أشهر * ولما استقر بيرم باشا بالمقام منع مصطفى باشا من السفر وحجزه فى بيت بالقاهرة ووكل به من يحرسه وحاسبه على ما فى ذمته من أموال الخزينة وتركات الاموات وألزمه بارجاع جميع ما أخذه فباع كل متاعه وجميع مقتنياته ودفع ما عليه ورحل الى الديار الرومية ولبت بها الى أواخر سنة سبع وثلاثين ثم أمر السلطان بقتله فقتل

وتصرف بيرم باشا فكان يرى فى الجنود شدة العناد الذى يكاد يذهب بنفوذه ويحط بمرتبته اذ كان تحرشهم بعزل وتولية الولاة والخروج عند أقل سبب وتداخلهم فى أمور الدولة مجلبة للبوراء وازدهاب رونق النظام الذى أسسه السلطان سليم الفاتح لكل طائفة من الطوائف الحاكمة بديار مصر وقد زاد الجنود جراءة وتداخلوا فى رجال السلطنة واجابتهم الى كل ما يطلبون وعدم الالتفات الى ما ينجم عن ذلك من الخلل والفساد فبذل بيرم باشا جهده فى ترتيب الامور ومنع هذه المضار واعادة نفوذ الدولة الى ما كان عليه قبلاً فلم يفلح ولم يتم له الامر الا بقدر الحاجة فاطمأنت مع ذلك قلوب الرعية وسكنت الخواطر المضطربة

مطلب
ولاية بيرم باشا

مطلب
ولاية محمد باشا الوزير

بسبب الفتن المتوالية والاحن المتراكم بعضها فوق بعض وراحت أسباب المعاملات
وتحسنت التجارة ولكنه أكثر من المكوس والضرائب على أغلب البضائع ولا سيما الصابون
فلما كان شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين استمدعى بريم باشا المذكور الى دار السلطنة
فسار اليها فكانت مدة تصرفه سنة ونحو ثلاثة أشهر وتولى بعده محمد باشا الوزير فدخل
القاهرة في أواخر شعبان المذكور وصعد الى قلعة الجبل في موكب حافل وتصرف وجلس
للناس على العادة فكان رجلا حازما مهيبا واسع الرأي نافذ الكلمة متعجبا عن الناس لا ينزل
المدينة ولا يتجول في الشوارع ولا يزور المنتزهات قبل ولم يظهر في طرق القاهرة في مدة
تصرفه الا ست مرات وكانت الاحوال في أيامه هادئة والقلوب مطمئنة وظهرت في أيامه
الفتنة في بلاد اليمن وخرج أهلها عن الطاعة فعرض على السلطان اخضاعها وتعهيد سبلها
وارجاعها الى طاعة الدولة فأجاب السلطان الى ذلك وعهد اليه بالامر فنظم جيشا من
العسكر المصري وبالع في تنظيمه وعقد لواءه الى قانصوه بيك أمير الحاج يومئذ فأعجب
السلطان ذلك وولى قانصوه بيك المذكور ولاية اليمن واعطاه رتبة الباشاوية فجعل قانصوه
المذكور يرتب أمور جيشه ويكثر من معدات الحرب فاجتمع تحت لوائه ثلاثون ألفا وبينهم
زهاء الالف من العساكر العثمانية وقد حضروا من دار السلطنة لهذه الغزوة وأخرج
قانصوه خزائنه فكانت كثيرة للغاية وبعد ان رتب أمور جيشه على ما أراد انقطع في داره
أياما لغير سبب معلوم ولا أمر ظاهر فأركنت العساكر الى البغي والفساد وعانت في الاسواق
وأخذت من الباعة سلعتها بغير ثمن فكان اذا مانع البائع عن ماله ضربه وربما قتله
وتعرضوا للنساء والصبيان في الطرقات والحارات فانكشف الناس عن الخروج وأغلق أصحاب
الخوانيت حوانيتهم واحتاج الناس الى الخبز فلم يتيسر الحصول عليه لغلق الخوانيت والافران
فضج الناس الى محمد باشا فجمع اليه كبار العسكر العثماني وكلمهم في أمر ذلك فكفلوا له
الراحة ورد العسكر المصري عن فعالة وألزموا قانصوه بالخروج والسفر الى اليمن فخرج صاعرا
قليل وكان امتناعه لاسباب يطول شرحها وسار بالعسكر وقاتل اليمنيين حتى أخضعهم
وأرجعهم الى الطاعة وكان خروجه في المحرم افتتاح سنة تسع وثلاثين ولبث هناك يتصرف
في الولاية فلما كان شهر شعبان من السنة جاء الخبر الى محمد باشا والى مصر بأن قد نزل
في الشهر المذكور بمكة سبيل عظيم فأغرق معظم أرضها وهدم جميع بنيان البيت
الحرام ولم يبق منه الا الجدار الايمن فأبلغ محمد باشا هذا الخبر الى دار السلطنة
فعهد اليه السلطان أمر ترميمه فقام بذلك وتوسع في النفقة فكان ما أنفق عليه مائة ألف
قرش روى

وفي سنة أربعين وألف قصر النيل في الزيادة وجاء شهر توت ولم يبلغ الستة عشر ذراعا
نخاف الناس من حصول القحط فاعتنى محمد باشا بأمر رى الاراضى وتقسيم المياه بقدر
الاستطاعة فأمنت البلاد من الجوع وأعطت الاراضى بعض المحصول فاطمأنت القلوب

ومالت الى محمد باشا خواطر الرعية وأحبوه وتعلقت آمالهم به ولكنه لم يلبث ان جاء اليه الامر بالقيام الى دار السلطنة في لسنة المذكورة واعتزال المنصب فاعتزله وقام الى الديار الرومية في ربيع الآخر من السنة فكانت مدة تصرفه سنة وثمانية أشهر

مطلب
ولاية الوزير موسى باشا

وتولى بعده الوزير موسى باشا فلما وصل محمد باشا الى القسطنطينية قوبل بأحسن قبول وولاه السلطان مسند الصدارة العظمى ودخل الوزير موسى باشا القاهرة سلخ ربيع الآخر سنة أربعين وألف في موكب حافل وكان الناس قد خرجوا لملاقاته عند شبرا وصعد الى قلعة الجبل في كبكبة فلما استقر به المنصب أطاع هوى النفس فتطاوت يده الى أخذ أموال الناس وقبول الرشاوى والبراطيل فأداه ذلك الى الجور والظلم والعسف بالناس وترصد أحوال الاغنياء من أهل البلاد وبالغ في التجسس عليهم وتعقب زلات الاكابر منهم وتفنى في أفانين السلب والنهب جهد الاستطاعة واتفق ان أرسل السلطان يعهد اليه تجريد حملة من الجند المصري وتسييرها لقتال ملك فارس بجمع جيشا كبيرا وجعل مقدمه الامير قيطاس ثم فرض على البلاد النفقة لهذه الحملة وبث أصحاب الجباية فطافوا البلاد شرقا وغربا وجعوا من ذلك مالا جزيلا فلما جاؤا اليه بالمال أخذه لنفسه ولم ينفق منه شيئا في لوازم الحملة فطالبه قيطاس ببيك فقال لا قدرة للبلاد على القيام بنفقة العسكر لاسيما وان الحرب التي أعدت لها هذه الحملة لا تنقيد مصر بشئ ما فراجع قيطاس ببيك وألح عليه في الطلب وبالغ في الشدة وكذلك فعل أشياح قيطاس ببيك وكان الباشا يكره قيطاس المذكور ويتمنى هلاكه فلما عظم الخلاف بينهما استدعى الباشا قيطاس يوم عيد الاضحى العاشر من الحجة من السنة الى قلعة الجبل فصعد اليه في نفر قليل من غلمانه فلما دخل قبض عليه جماعة من أعوان الباشا وقتلوه بالسيوف وأنزلوا جثته في نعش الى بيته بالمدينة وكان ممن تأهب من الامراء المصريين للخروج مع قيطاس ببيك لقتال ملك فارس الامير كنعان ببيك والامير على ببيك فلما جاءهما الخبر بموت قيطاس قاما واجتمعا بكار الجند وأعلماهم بخبر قيطاس فاجتمع الجند في الخال بالرميلة تحت قلعة الجبل وحاصروها من كل جانب واجتمع العلماء والمشايخ والقضاة والصناجق وكبار الدولة بجماع السلطان حسن وتناجوا في الامر وانفقت كاهنهم على خلع موسى باشا المذكور وتولية من يحل محله حتى يأتي أمر السلطان بخلعه وولوا حسن ببيك مكانه وكتبوا الى دار السلطنة بالواقعة وطلبوا صرف موسى باشا وتولية من يصلح فلم يكن بأسرع من أن ورد الخبر بعزله وتولية خليل باشا

مطلب
ولاية خليل باشا

فلما كان شهر ربيع الأول سنة احدى وأربعين وألف وصل خليل باشا المذكور الى القاهرة وخرج موسى باشا وهو في أسوأ حال من الخزي والعار فكانت مدة تصرفه نحو سنة الا بضعة أيام وجعل خليل باشا يتصرف في الأمور فكان خليل القدر عادلا حازما فسكنت في أيامه الفتن وزالت عن البلاد الرزايا والاهين وأخصبت الأرض وكثرت محصولاتها فهبطت الاسعار وكثر وارد الغلال والمأكولات وفرح الناس بذلك وخرج في أيامه الشريف

ناهى شريف مكة بجماعة من اللصوص فعاثوا في الأرض ونهبوا مكة فلما جاء الخبر بذلك الى خليل باشا جيش له جيشا عظيما وجعل مقدمه الامير قاسم بيك فسار وقا تل الشريف ومن معه فاستظهر عليه وظفر بزعماء الفتنة وأعمل فيهم السيف ثم عاد ظافرا منصورا فدخل القاهرة في صفر سنة اثنى عشر وأربعين نفلح عليه خليل باشا خلعة سنية واتسعت من هذا الحين كلمة خليل باشا وظهر نبيله وكبرت هيئته وأجبتة الرعية حكى ابن أبى سرور انه جىء الى خليل باشا المذكور يوما بثلاثة من اللصوص قبض عليهم وهم يسرقون فرسم بحماكتهم فقال رجل من ديوانه ليس فى الأمر ما يدعو الى المحاكمة وقد قبض عليهم وهم يسرقون فلا شئ بعد ذلك الا الحكم عليهم بالقصاص فلما سمع خليل باشا مقالته نظر الى أحد أعوانه وقال اذهب الساعة واهدم بناء بيت هذا وأشار الى المتكلم فقال ولماذا أيها الأمير قال اذا كان هدم بيتك المبنى من حطام الدنيا قد دعاك الى معارضى فكيف يكون حالنا عند ذلك الباني العظيم اذا هدمنا ما بناه ظلمنا قال ناقل الحكاية وأطلق اللصوص فتناولوا من ذلك الوقت خوفا من الباشا * وفى أخريات سنة اثنى عشر وأربعين وألف أنزل خليل باشا المذكور نفسه عن منصب الولاية وكتب الى دار السلطنة بذلك فأرسل السلطان يستقدمه فسافر فكانت مدة قصره سنة وثمانية أشهر كلها خير وبركة على البلاد وأهلها

مطلب
ولاية أحمد باشا الجورجى

وتولى بعده أحمد باشا الجورجى فدخل القاهرة فى موكب حافل وكان قبل ولايته على ديار مصر أميرا خور للسلطان مراد فتصرف وجعل يدبر الأمور على النحو الذى نجاه خليل باشا فكان حازما كاملا واسع المعرفة بأساليب السياسة فلما كان شهر صفر من سنة ثلاث وأربعين جاءه مرسوم سلطاني بتجريد ألف مقاتل من العسكر المصرى ليسيروا مع العسكر المنصور الى قتال طائفة الدروز بلبنان وان يسير معهم أربعة آلاف قنطار من البارود وخمسة آلاف من البقسماط لجيش ذلك الجيش ولم يتم تنظيمه حتى جاءه مرسوم آخر بتجريد ألفين آخرين وثلاثة آلاف قنطار من البارود وتسييرهم لغزو ملك فارس فهما له هذا الامر وكتب الى دار السلطنة يقول ان البلاد فى فاقة ولا قدرة لاهلها على القيام بهذه المطالب الجسيمة فبعث اليه السلطان باثنى عشر ألف قنطار من النحاس ليضربها سكة ويبعث بدلها الى خزينة السلطان ثلثمائة ألف محبوب ذهب نفقة لتلك الحروب فجمع لذلك العمال وأعد المعامل ولكنه لم يفعل اذ مات أكثر العمال وعجز من بقى عن القيام بهذا العمل فجمع اليه أهل الديوان وأصحاب الشورى من الأمراء والقضاة والعلماء وشاورهم فى الأمر وقال انه يرى وجوب صرف هذا المال من ماله رجة بأهل البلاد وأن يجعل ذلك النحاس سبائك صغيرة ويبعث بها الى السودان فتباع فيها وقد رأى أحد القضاة غير ذلك وأن تجبر أهالى القاهرة على أخذ النحاس ودفع مطالب السلطان ثم تقررت القاعده بينهم على عمل تفريده على أهالى القاهرة فأقاموا لذلك عمالا وفيه دهم بالعمل فجعلوا يوزعون النحاس

ويجمعون عوضه الذهب وبدؤا بذلك من السادس عشر من ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين الى أواخر شعبان من سنة أربع وأربعين فعمت هذه البلوى الغنى والفقير والتاجر والصانع بلا فرق ولا تميز فكانت من أشد الضربات ويلا وأنقلها جلا فضجوا وعجوا الى الله وقلت النقود ثم امتنعت وارتفعت أسعار المأكولات وغلت غلاء فاحشا جدا وأعقب ذلك تقصير النيل في وفاء أذرعه المعتادة وتشريق الكثير من الاراضى فاستغاث الناس وانكشف حال المسورين وضافت الدنيا برحبها في وجوه الفقراء والمحتاجين وظهرت بعض اصابات بالطاعون بأسباب الجوع ولكنه لم ينتشر ولم تشتد وطأته * فلما أتم الحباة جمع أموال هذه التفريدة طمعت نفس أحمد باشا فأخذها لنفسه ولم يرسل منها شيئا لخزينة السلطان فلم يعض عليه بعد ذلك الا القليل حتى أتاه الطلب من الباب العالي فرحل عن القاهرة في سلخ القعدة من سنة أربع وأربعين وألف فكانت مدة تصرفه نحو سنتين الا أياما فلما وصل القسطنطينية قام بعض أهالى القاهرة وشكوا أمره الى الباب العالي وطالبوه بما أخذ من المال في ضريبة النحاس فعين السلطان جماعة لتحقيق ذلك ثم أمر بقتله فقتل

وتولى بعده الوزير حسين باشا فدخل القاهرة في الثانى من الحجة سنة أربع وأربعين وألف ومعه طائفة من العسكر من دروز لبنان وهم اخلاط من الاشقياء وقطاع الطرق فلما استقرت به الولاية واستقر بهم المقام جار وجاروا وظلم وظلموا وساموا أهل البلاد الخسف وأكثروا من قتل الباعة وهدر دماء السوق لأقل سبب وتعرضوا للسابلة وقطعوا الطرق وتناولت أيديهم الى نهب أموال الناس بغير ممانع واشتدت مظالم حسين باشا أيضا الى حد لم يسبق له مثيل فكان اذا مات الرجل أرسل اتباعه وأعوانه فيحملون اليه ماله ويحجرون على عقاره فيأخذونه لنفسه أيضا ويحرم ورثته وعم فعله هذا جميع المدن والبنادر وكان يكثر التطواف في الشوارع والحارات راكبا ويقتل في كل مرة طافها الرجل والرجلين أو أكثر بلا موجب ولا سبب وربما قتل كل مصادفه من الدواب في طريقه * قال بعض الكتاب فكان من قتله في مدة تصرفه زهاء ألفى رجل وكان كثير الاخذ بالشبهات فكثرت في أيامه الوشاة وتراحم أهل السعاية على بابه فكان اذا وقع بين رجل وآخر خصامة وذهب أحدهما ووشى الى الباشا المذكور بأن خصمه من ذوى الاموال قبض عليه الباشا والقاء في السجن فلا يخرج منه الا بالبذل الكثير وما زال على هذا الحال من القتل والسلب حتى جاء الامر بالعزل من منصب الولاية في سلخ القعدة سنة ست وأربعين فكانت مدة تصرفه سنة ونحو احد عشر شهرا

وتولى بعده الوزير محمد باشا ابن أحمد باشا فدخل القاهرة في آخر القعدة من السنة المذكورة وصعد الى قلعة الجبل في موكب حافل من العسكر المنصور وتصرف فكان شهما مهيبا صاحب فكر وتدبير ثم لم يلبث ان تبدلت حاله وتغيرت أخلاقه وركب متن الجور فأفسد وظلم وتبع خطوات السلف في مصادرة الناس ومد اليد الى تركت الامراء والاغنياء

مطلب

ولاية الوزير حسين باشا

مطلب

ولاية الوزير محمد باشا ابن أحمد باشا

والمستورين من أهل البلاد فأثرى وكثر ماله ومنع الصدقات والمرتبات الخيرية عن الأراذل واليتامى وأخذها لنفسه فضج الناس واستغاثوا وبعثوا إلى الله تعالى وتضرعوا إليه بزوال ولايته فكان كلما طالت أيامه زاد عسفه وكثر فسادهم وسام الناس الخسف * وجاء الأمر من الباب العالي في شوال من سنة سبع وأربعين بتجريد جملة للغزو مع العسكر المنصور ببغداد لخروج أهلها ففرح الناس بذلك وظنوا خروجه مع الجملة حسب مرسوم السلطان فلم يخرج وسلم قيادتها إلى قانصوه بك أمير الحاج فسارت في المحرم من السنة اى سنة ثمان وأربعين وعاد من بقي منها في صفر سنة تسع وأربعين ومحمد باشا الوالى على ماهو عليه من الجور والعسف فضج الناس ورفعوا ظلامتهم إلى دار السلطنة فلم يلتفت لشكواهم لقيام الفتنة في دار السلطنة وخروج طوائف الانكشارية عن طاعة السلطان وقتلهم حافظ باشا الصدر الاعظم في السراى السلطانية وإصرار بكارهم على ارجاع خسرو باشا الصدر المعزول وعدم مراعاة حرمة المراسيم السلطانية * قال بعض كتاب الاخبار لما كانت سنة تسع وثلاثين وألف هجرية أو نحوها مات شاه عباس ملك فارس وتولى الملك بعده ابنه شاه مرزا وكان صيدا لم يبلغ أشده فلما جاءت الاخبار بولايته إلى دار السلطنة تقوت عزيمة بكار العسكر المنصور وفرح خسرو باشا الصدر الاعظم بذلك وسار في جيش عظيم إلى بلاد فارس لرد ما أخذ من بلاد الدولة ونزل على همذان ودخلها ثم سار منها قاصدا بغداد فسلاقتهم في الطريق عساكر فارس فقاتلهم وانتصر عليهم وساق خلفهم حتى نزل على بغداد وحاصرها من كل جانب وشدد في حصارها ووالى الرعى عليها بالمكاحل بالليل والنهار فلم ينل منها وطالت أيام الحصار ودخل الشتاء فتدمر الانكشارية وطلبوا رفع الحصار والعود إلى القسطنطينية فثابروا بالأمانى الكثيرة فلم يقبلوا وأبوا إلا الرحيل فسار بهم عن بغداد إلى الموصل ولبت معهم حتى انقضى الشتاء وعزم على الرجوع إلى حصار بغداد فلم قطعه العساكر فألح عليهم فأبوا إلا الرجوع إلى القسطنطينية فسار بهم إلى حلب خوفا من أن يداهم العدو وهو بالموصل ولا قبل له على رده ووصلت الاخبار بما جرى إلى السلطان فاستعظم هذا الأمر جدا ورسم بخلع خسرو باشا من منصب الصدارة وسير إليه فرمان بذلك وأعاد حافظ باشا ثانية إلى منصبه فكبر الأمر على خسرو باشا ودس إلى طوائف الانكشارية من يعلمهم أن خلعه من منصبه إنما كان للذب عنهم والعمل برأيهم فهاجوا عند ذلك وساروا إلى دار السلطنة وأشعلوا نار الفتنة ودخلت طائفة منهم إلى السراى السلطانية وقبضوا على حافظ باشا الصدر وقتلوه في الثامن والعشرين من رجب سنة احدى وأربعين وألف ولم يراعوا للسلطان حرمة ولا حفظوا له عهدا ولا ذمة فكبر الأمر جسدا على السلطان وسير إلى خسرو باشا جماعة فقتلوه وولى الصدارة محمد باشا بيرم وتجرد السلطان من هذا الحين إلى اخضاع الانكشارية واذلال بكارهم فاعمل فيهم القتل لأقل سبب ورسم بمنع الناس كافة من شرب القهوة والدخان

والدخان فكان يخرج في كل ليلة متنكرا ويمشي في أسواق القسطنطينية بدعوى تأديب
المولعين بشرب القهوة والدخان ومعه جماعة من أعوانه وهو انما يخرج لانتلاف الاشرار
وقطع شأفة أهل الفساد من الانكشارية وغيرهم فخافوا وانكشوا وامتلأت قلوبهم رعبا
منه وخشيه الكبير والصغير فهدت الطرق وزال البأس عن الناس وأمنوا على أموالهم
واعراضهم ولبثوا على الطاعة والانكماش الى سنة احدى وأربعين وألف هجرية فهبوا
الى الحركة وتجردوا الى الثورة ومقتداهم يومئذ رجل اسمه رجب باشا فعاجلهم السلطان
وقبض على رجب باشا المذكور وأمر به فذبحوه وألقوا جثته من شباك السراى السلطانية
بين جهور الانكشارية فكبر عند ذلك خوفهم وتفرق جمعهم وعادوا الى السكينة وملازمة
الحدود وزالت من هذا الحين سطوتهم وانحطت شهرتهم وتفرقت كلمتهم وكفى الله الناس
شرهم * ولما دانت للسلطان الأمور وزالت عن ممر ساطنته المخاوف بقطع شأفة أهل
الفساد سار في جيش عظيم لغزو بلاد فارس فخارب ملكهم واسترجع كثيرا من القلاع
والحصون التي أخذها ملك فارس على عهد الفتن المتتابعة ونال أيضا من بلاد فارس ففتح
بغداد واريوان فسير اليه ملك فارس من يخبره في الصلح وطال الكلام في أمر ذلك ثم
تقررت القاعدة بين الفريقين على بقاء دار السلام في حوزة السلطان ورد اريوان الى
مملكة فارس وتم الصلح على ذلك وعاد السلطان ظافرا منصورا * ثم مرض بعيد ذلك وطال
مرضه فلما كان ناسع عشر شوال سنة تسع وأربعين وألف هجرية مات من غير عقب ولم
يتجاوز التاسعة والعشرين من العمر فبكاه أهل الفضل من الناس وتولى السلطنة بعده
اخوه السلطان ابراهيم الاول فكانت سلطنة المتوفى ست عشرة سنة واحد عشر شهرا
وخمسة أيام رحمه الله تعالى

(الفصل الحادى عشر)

(فى سلطنة السلطان ابراهيم خان الاول)

ثم قام بالامر بعبد السلطان مراد أخوه السلطان ابراهيم الاول ابن السلطان أحمد
بويغ بالملك في عاشر شوال سنة تسع وأربعين وألف هجرية اى سنة أربعين وستمائة وألف
ميلادية قال بعض الكتاب ووافق تاريخ توابته استعنت بالله ولما كان مشايها
سنة ١٠٤٩

٩٨١ ٦٨

في أحواله واطواره لعمه السلطان مصطفى تولى أمور السلطنة الاغرار وقرناء السوء
فاختلت أحوال المملكة وعادت الى ما كانت عليه من الفساد وهبت طوائف الانكشارية من

ورقة النجول والانكماش الى الظهور فعاثوا على عادتهم وطلبوا المطالب الطويلة العريضة ففهمهم وأجرل عطاءهم وفتح امامهم أبواب الحرب ليشغلهم عن العبث بأمر الدولة ومصالح السلطنة فسير طائفة منهم لاسترجاع مدينة ازاق من بلاد القرم التي أخذها القوزاقيون فقاتلوا وأبلاوا بلاء حسنا حتى استردوها ثم سير طائفة أخرى لغزو جزيرة كريد احسدى الجزر التابعة يومئذ الى جمهورية البندقانية وسير لذلك أيضا سفنا حربية ومقدمها يوسف باشا ففتحوا الجزيرة المذكورة بعد قتال خفيف فسيرت جمهورية البندقانية سفن حربها الى بتراس وكورون ومورون من ثغور كريد فأحرقتها تشفيا وانتقاما تظهير فتح جزيرة كريد فكبر هذا الامر على السلطان وهم يقتل جميع النصارى الذين فى بلاد الدولة فنعه من ذلك على ما قيل اسعد زاده ابوسعيد مفتى دار السلطنة وهون عليه الامر فأطاعه وبذل السلطان جهده الاستطاعة فى اصلاح ما اختل من أحوال المملكة الداخلية * وقد وصل الى مسامعه خبر ما يلاقه أهل مصر من جور محمد باشا وإليها وظلمه فأمر بعزله وورد الخبر بذلك الى القاهرة ففرح الناس به فرحا لا يوصف وتأهب محمد باشا للرحيل الى الديار الرومية وأخذ فى جمع أمواله ومناعه فكان شيا كثيرا للغاية وتباطأ فى السفر والخروج من مصر أياما كانت على أهل البلاد كأنها أعوام ثم نزل من قلعة الجبل وأقام فى بيت أحد الأمراء أياما أخرى جاءه الامر فيها ثانيا من دار السلطنة ببقائه فى منصب الولاية فلما شاع الخبر بذلك حزن الناس حزنا ماعليه من مزيد فصعد الى قلعة الجبل وعاد الى التصرف فى الأمور فضعف الجور وبالغ فى الظلم واشتد على الرعية وأكثر من مصادرة الناس على اختلافهم وقتل وأراق الدماء ظلما وما زال على هذا الحال من الجور والعسف حتى قدر الله سبحانه وتعالى بخلاعه فجاءه الامر بذلك فى سلخ جمادى الآخرة سنة خمس وألف فكانت مدة ولايته ثلاث سنين ونحو ستة أشهر

مطلب

ولاية مصطفى باشا البستانجى

وتولى بعده مصطفى باشا البستانجى فدخل القاهرة فى غرة الحجة سنة خمس فى موكب حافل وتصرف فكان عافلا أبى النفس قنوعا لا يتطلع الى ما أبدي الرعية وكان له ديوانى اسمه أجد افندى وهو جاف خشن الطباع ظالم نفور محتال وكان بيده مقاليد الأمور فاستبد وجار وظلم وأعاد أيام احمد باشا من الاخذ بالشبهات ومصادرة الاغنياء والعظماء وأخذ أموال الصدقات والخيرات فشكا الناس أمره الى مصطفى باشا المشار اليه فلم يفلحوا لتجبه عن الناس وترك الأمور الى ديوانيه المذكور يتصرف فيها كما يشاء فاضطربت لذلك الأحوال غاية الاضطراب واختل النظام وفشا الخصاص وظهر أهل الفساد واللصوص وقطاع الطرق وكثرت السرقات فى حارات القاهرة وبيوت مصر القديمة وما جاورها من القرى وقصر النيل فى الزيادة فغلت الاسعار وقل وارد الحبوب واشتد البلاء على الناس فكانوا بين قرمين عنيدى الغلاء واللصوص وكان إذا أتى الى والى القاهرة بلص أو جماعة منهم أطلق سبيلهم وكذلك كانت تفعل كشاف البلاد والأقاليم فلما اشتد الحال بالناس اجتمعوا زمرا تحت قلعة الجبل

وصاحوا على الباشا وشكوا من أفعال والى القاهرة وكشف الاقاليم وضجوا ونادوا مايجل من الله يا باشا اتق الله في خلقه فاضطرب الباشا وخشى العاقبة وخلع في الحال والى القاهرة وولى بدله كنعان بك ورسم بالقبط على كل من تقع عليه شبهة فقبض على كثير حتى ملؤا السجون فاطمأنت القلوب وسكنت الخواطر وظنوا بقاء الحال على ذلك فلما كان شهر شوال سنة احدى وخسين ثار جند وجاهق الجاويشية على كبارهم واشتدوا على أميرهم على بك وقالوا بأنه لم يفرق عليهم شيأ من أموال العطايا وان الكتاب هم الذين يأخذون هذه العطايا وطلبوا من الباشا خلعه فسايرهم وطاولهم فلم يرتجعوا وشددوا في طلب عزله فعزله وأقام مكانه عابدين بك فلما رأى جماعة العسكر ما كان من فوز اخوانهم الجاويشية ثاروا هم كذلك وشكوا من فراغ مخازن ذخرتهم وطالبوا بمعاشاتهم المتأخرة واتهموا أحمد افندى ديوانى الباشا السابق الكلام عنه ببيع مافى تلك المخازن وأخذ أثمانها فعين لتحقيق ذلك قاضى قضاة المحروسة فبحث عما فى الاشوان والخواصل فلم ير فيها شيأ وثبت ان الكاتب المذكور باع ما كان فيها وأخذ الثمن لنفسه فخلعه الباشا تسكيناً للفتنة واسترضاء لخواطر الجند فاستجند الكاتب المذكور بجماعة الجاويشية فأنجذوه وأرجعوه الى منصبه فهرا فزاد عسفه وتضاعف جوره وظلمه وبالع في ايدائه وما زال والناس في شدة وضيق حتى صرف مصطفى باشا عن الولاية فى جادى الآخرة سنة اثنتين وخسين

مطلب
ولاية مقصود باشا

وتولى بعده مقصود باشا فدخل القاهرة فى رجب من السنة فكانت مدة تصرف مصطفى باشا المذكور سنة وثمانية أشهر ولما استقرت بمقصود باشا الولاية جعل ينتظر فيما وقع من مصطفى باشا وعوقبه عن السفر من مصر وقبض على كاتبه أحمد افندى وعلى الكيخيا وجلدهما جلدا مبرحا وأخذ منهما مائتى كيس نقره من أموال الخزينة السلطانية وقد كانا أخذاهما لانفسهما غيلة ثم بعث مصطفى باشا المذكور الى دار السلطنة بحرسه طائفة من الجند فلما وصل اليها أخذ منه مائة كيس للخزينة السلطانية ثم أدخل سبيله وابث حينما متجيبا عن الناس ثم أدخل فى خدمة الدولة وما زال حتى بلغ مسند الصدارة العظمى ودير مقصود باشا أمور البلاد أحسن تدبير فأبطل كثيرا من المكوس والمغارم وأزال بعض الضرائب وأعاد حقوق الوراثة لأهلها وضرب على الورثة ضريبة يدفعونها للخزينة السلطانية فقط ثم جعل يتعقب اللصوص وقطاع الطرق فقبض على كل من نالته شبهة منهم وسجن وغرق وقتل نخافوا واختفى خبرهم وارتاحت الافكار من شرورهم * وبينما كانت القلوب هادئة والخواطر مطمئنة اذ ظهر الطاعون واشتد وعم القاهرة ومصر القديعة وضواحيها ثم تفشى فى جميع المدن والقرى وعم وكثر الموات وكان ظهوره أولام ناحية بولاق القاهرة فى أوائل شعبان من سنة اثنتين وخسين وألف وما زال على هذا الحال من الاستداد والانتشار من ابتداء ذى القعدة من السنة الى غاية صفر سنة ثلاث وخسين وألف ثم بدأ بالتناقص الى آخر شهر ربيع الاول ولم يسمع بثل هذا الطاعون فى الفتك والشدة

فكانت تنقل الجثث عشرات عشرات والجنازات تسمى خلف بعضها حتى أبطلت الصلاة على الأموات لكثرتهم وفنك بالقري كذلك فتسكا ذريعا جدا* حكى أن مائتين وثلاثين قرية أصبحت خرابا ليس فيها ديار ولا نفاخ نار وكانوا يجسدون الأموات في الطرق وعلى جوانب الجدران والكلاّب تحوم حولها وما زال على شدته حتى ارتفع وزال

وبعد انتهاء الطاعون بقليل من الزمان ظهرت في العشرين من القعدة فتنة بمدينة الاسكندرية والسبب في ذلك ان ستمائة من الروم المسيحيين كانوا مقيدين بسجن الاسكندرية وقاسوا من العذاب أمته فأنت بعد حين خلاصهم سفينة وجاءت اليهم أخبار قدومها فقاموا وكسروا أبواب السجن في اليوم المذكور والمسلمون في صلاة الجمعة وطافوا في شوارع المدينة وجعلوا ينهبون البيوت والحوانيت ومخازن الارزاق وعاثوا وأفسدوا فلم يبقوا ولم يذروا ثم نزلوا بتلك السفينة وأقلعوا من فورهم ونجوا بما كسبوا ولم يظفروا بأحد منهم* وضيق مقصود باشا على الصناجق وطالبهم بثلاث الأموال المرتبة على الاقطاعات التي بأيديهم لصرف علائف الجند ورواتب العسكر المنصور فأغضب ذلك جماعة الصناجق ولم يقبلوا فأرأوا منه قرما عنيدا فاجتمعوا في بيت الأمير رضوان أبي شنب في يوم الجمعة ثاني عشر رمضان سنة أربع وخسين وتحالفوا على خلعه ان هو شدد في الطلب فطلبوا فرفضوا وطلبوا عزل بكار مشورة الباشا فأجابهم الى ذلك وطالبهم فأبوا وكتبوا الى الباب العالي يشكون من تصرف مقصود باشا فورد اليه مرسوم السلطان بالاستعلام عن السبب الموجب لتلك الشكوى فأجاب بما دفع عنه الريبة وأخف أصحاب الخصومة وقد علم ان زعماء هذه الفتنة الأمير على بك والأمير ماماي بك وشعبان الدفتردار فعزم على الفتك بهم ورتب لذلك كينا وأقام لهم رسدا ليقماتهم في الديوان اذا نزلوا اليه في يوم الاثنين الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وخسين فلم ينزل الى الديوان في ذلك اليوم الا الدفتردار فقط فأمسك عن قتله وأبقى العمل الى يوم آخر فلما كان يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة جاءه الامر السلطاني بالخلع واعتزال المنصب وتولية شعبان بك الدفتردار النيابة حتى يأتي الوالي الجديد قيل فشق هذا الامر على مقصود باشا واستعظمه جدا وسلم الامر الى الدفتردار صاغرا ثم جاء الخبر من الباب العالي بتولية أيوب باشا فلبثوا ينتظرونه وهم في خوف حتى انصرف مقصود باشا عن الولاية فكانت مدة تصرفه سنة ونحو سبعة أشهر

مطلب
ولاية أيوب باشا

وقدم أيوب باشا الى مصر ودخل القاهرة في موكب حافل قيل ولم يقبل هذا المنصب الا بعد اقدام واجام لما يعلمه من اختلال الامور واستفحال أمر الجند واتساع سلطتهم وصعد القلعة في العاشر من صفر سنة خمس وخسين وألف وأخذ في تدبير الامور وترتيبها على الوجه الاتم فأحكم نظامها وقطع دابر اللصوص واقتنى أثر من فر منهم وأعمل فيهم القتل والشنق والتغريق وأخذ على الصغار فخافه أهل الفساد وانكش أصحاب الغايات واستتب

الامن وزال الخوف وسادت الراحة واطمأنت قلوب الناس ولازم كل حده فقرحت بآيامه
الرعية ولبث يتصرف سنتين ثم كتب يستأذن السلطان في الانصراف عن منصبه فأذن له
فسافر في سلخ رجب سنة سبع وخسين وألف فكانت مدة تصرفه سنتين ونحو ستة أشهر
وخرج في موكب حافل جدا والناس في حزن عليه

مطلب
ولاية الوزير محمد باشا بن
حيدر

فتولى بعده الوزير محمد باشا ابن حيدر فلما وصل أيوب باشا الى دار السلطنة رقى الى
مسند الصدارة العظمى فأحسن التصرف والتزم الحزماء وحسن التدبير ثم نزل وترك
المنصب وعكف على العبادة وتنازل عن جميع أمواله ومقتنياته الى خزينة السلطان
وتزيا بزى الدراويش وانفرد في جامع من جوامع الروم ايلي* وتصرف ابن حيدر المذكور في
ولاية مصر فأساء التصرف وعكس التدبير وأفسد مائظمه مقصود باشا فكانت أيامه كلها
خروج وطغيان واشتد حوله الجند واستفحل أمرهم فكانوا يشورون عند أقل حادثة
أو لاصغر سبب وقامت منهم طائفة الانكشارية في العاشر من رجب سنة سبع وخسين
وألف بمصر القديمة فعاثوا وأفسدوا وفعالوا مالا خيفيه فركب عليهم والى القاهرة وتهددتهم
ان هم بقوا على هذا الحال فضجوا في وجهه وساروا الى ماتحت قلعة الجبل ونادوا بقتل
الوالى المذكور وكان الوالى من وفاق الجاويشية فجاءهم الخبر بعزم الباشا على قتل الوالى انتصارا
للعامية فركبوا جميعا ونادوا على الباشا بالويل والثبور فخشى الباشا العاقبة فدعا اليه
قائضه بك وشاوره في الامر وكان قائضه ناقا على الأمير رضوان بك والأمير على بك فأشار
اليه أن يكتب الى دار السلطنة بما جرى ويسند حدوث جميع هذه الفتن الى الأميرين
المذكورين ويقول انهما قد أخذوا أيضا مال الخزينة واختلسا المناصب بغير استحقاق وكان
قصد قائضه بذلك رجوعه هو وما مالى الى منصب امارة الحاج وولاية جرجا فجنى الباشا الى
مشورته وطلب بعض الاعيان للتوقيع على محضر بذلك فاتصل الخبر برضوان بك فبادر هو
بالكتابة يشكو الباشا الى الباب وبالحق في الشكوى وعظم البلى فورد الجواب من الباب
بتفويض رضوان بك وعلى بك في تحقيق جميع ما أسند فعله الى الباشا وقائضه بك وورد الى
الباشا فرمان بذلك فى الحادى والعشرين من جمادى الاولى سنة سبع وخسين وألف
وفى السابع والعشرين منه استدعاهما الباشا الى الديوان الخاص بقلعة الجبل فصعدا اليه
وعقدا مجلسا وتجادلا مع من حضر من الامراء والعلماء ثم تقرر قتل قائضه بك وما مالى بك
ومن كان على دعوتهم فقتلا وقتل معهما عدة من الامراء ثم قام بعد ذلك على بك الى مقر
وظيفته بجرجا وسكنت الفتنة وزالت بعض القلاقل وتسابق بعض الامراء الى أخذ منصب
قائضه بك وكان ممن تقدم الى ذلك وبذل الجهد فى الحصول عليه مصطفى كتحدا الملقب
بالشيز فلم يفلح وخاب سعيه فجرد للعصيان وشق عصا الطاعة وكادت تستفحل فتته لولاماعانه
رضوان بك من ايقاف تيارها بحسن تدبيره واستدعى الباشا الامير رضوان بك الى وليمة كان
أعدها عنده بقلعة الجبل فخاف رضوان بك على نفسه وأبى الجلاء نور فغضب الباشا ورسم

بتجريدته من اماره الحاج وكأنه كان ينوى له ذلك فقام رضوان بك من القاهرة في نحو مائتي رجل وكثير من الامراء والكشاف ولحق بالامير على بك بجرجا فجهز الباشا ألفين من الجنود ونحو خمسمائة من الانكشارية وأمرهم فاجتمعوا بالرميلة تحت قلعة الجبل وتأهبوا للسفر ثم عدلوا واتفقوا على نبذ طاعة الباشا ان هو أصر على قتال رضوان بك وعلى بك فخاف الباشا وتخير في أمره ولم يثبت العساكر أياما بغير حركة فورد في هذه الاثناء فرمان السلطان بإبقاء رضوان بك وعلى بك في منصبهما فخاب الباشا سعيه وأرسل يستقدمهما الى القاهرة فقدمتا في التاسع عشر من رمضان من السنة أى سنة سبع وخسين وسعى في مصالحتهما مع مصطفى كتنحدا وأعقب رجوع رضوان بك وعلى بك الى القاهرة الاشاعة بمخلع الباشا وتولية آخر اسمهم مصطفى باشا فلم ينج الناس بهذا الخبر وعم واتصل بالباشا فأخذ يتأهب للسفر وجع أمواله وأمتعته ولم يبق الا أن ينزل من قلعة الجبل فلما كان السادس والعشرون من رمضان المذكور ورد فرمان السلطان بتثبيتته في منصب الولاية فعاد وتصرف في الامور على ما كان عليه * وفي غاية شهر رجب سنة ثمان وخسين وألف وردت الاخبار الى القاهرة بمخلع السلطان ابراهيم ابن السلطان أحمد وتولية ابنه السلطان محمد بدله فسار المنادى بذلك في شوارع القاهرة ومصر القديمة وطبخوا الخبر بذلك الى الآفاق * قال أصحاب التاريخ ولما كثر عمت طوائف الانكشارية وزاد تمردهم وعمت شرورهم كبر أمرهم على السلطان ابراهيم وعمد الى القتل بكارهم وأصحاب الكرامة فيهم وأخذ يدبر الحيلة في ذلك فأمر الى بعض خواصه أن يقتلوه اذا حضروا وليمة زفاف إحدى بناته على ابن الصدر الاعظم فتأهبوا لذلك واستعدوا فأحس كبار الانكشارية بما في عزم السلطان تخافوا عاقبة السكوت وتجردوا لمخلع وساروا الى مسجد أورطه جامع ونادوا بمخلع ببعته فوافقهم على ذلك بعض العلماء والمفتي عبد الرحيم وشاع الخبر بذلك فهاج الانكشارية وطوائف السباه ونادوا جميعا بمخلعه وولايته ابنه محمد بدله وهو لم يبلغ يومئذ الا السابعة فمخلعوه في ثامن عشر رجب سنة ثلاث وخسين وألف هجرية وحجروا عليه في مقره فاضطربت عند ذلك الأحوال واختل النظام وزاد عسف الانكشارية وبقى الحال على ذلك عشرة أيام فعادت طوائف السباه وطلبت ارجاع السلطان ابراهيم الى منصب السلطنة وألحت في ذلك وتجردت لارجاعه فخشى زعماء الثورة عاقبة ذلك وعدوا الى قتل السلطان ابراهيم فساروا الى مقره ومعهم الجلاذ ودخلوا عليه وقتلوه خنقا فمات شهيدا وكانت مدة تصرفه نحو ثمان سنين وتسعة أشهر

ومات في أيامه يوحنا بطريرك المتأصلين بعد ان أقام أربعين سنة وفي أيام يوحنا المشار اليه كان من حوادث الطاعون والعلاء وتوالى الاحن ومصادرة الناس في أموالهم وتطاول أيدي العساكر والاجناد وانتشار أصحاب السعاية والوشاة والاخذ بالشبهات وغير ذلك من فرض القرض والمغارم والمكوس ما مر بيانه في محله فأقيم بعده غير بال

وهو خامس تسعينهم واسمه روفائيل من رهبان دير السريان ومولده في منشاة المحرق وكان من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

(الفصل الثاني عشر)

(في سلطنة السلطان محمد الرابع ابن السلطان ابراهيم)

ثم قام بالامر بعد خلع السلطان ابراهيم وقتله ابنه السلطان محمد الرابع ببيع بالملك في العشرين من رجب سنة ثمان وخسين وألف هجرية أي سنة ثمان وأربعين وستمائة وألف ميلادية وكان عمره يومئذ سبع سنين فكانت سلطنته بالاسم فقط والتصرف للوزراء وبكار الانكشارية فصارت لذلك أحوال المملكة في انحلال وأمورها في اختلال ونظامها في زوال لعدم وقوف طوائف العسكر عند حد وتداخلهم في جميع أمور الدولة وعزلهم للولاة والحكام عند أقل سبب وتناول أيديهم إلى أموال الناس ورافقة الدماء ظلمًا فكان إذا عمد صدر من الصدور إلى اصلاح الامور وارجاع الاحوال إلى سابق مجراها قاموا عليه وخلعوه وربما قتلوه وطافوا بجيشه في الشوارع والطرق فلم يجسر قط أحد على فعل مالا يرضونه وقد أدخلوا إلى الترف وكرهوا الحروب فكانوا إذا ساروا إلى غزوة نفاقوا وركبوا من هواهم ولم يسمعوا لكبارهم كلمة فيستخف بهم العدو ويتم له النصر عليهم قال أصحاب التاريخ وقد سرى هذا الداء أيضا إلى الجنود البحرية فتولى عليهم الخول ولازمهم الفشل فأنست بجهورية البندقية منهم ذلك وسيرت مراكبها لقتالهم عند مدخل الدردانيل فانتصرت عليهم نصرة عظيمة واحتلت مدينة تينندوس وجزيرة لمنوس وغيرها وقطعت الطريق على السفن الحاملة للغلال والمؤنة فلم تكن من الوصول إلى القسطنطينية فارتفعت لذلك الاسعار ووقع الغلاء وعز وجود الخبز واشتد الحال بالفقراء وطالت أيام هذه الشدة إلى سنة ست وستين وألف هجرية وقد تولى الصدارة محمد باشا الكوبرلي وفوض إليه تدبير جميع الامور وكان شيخا قوى العزم ثابت الجاش حسن التدبير عظيم السياسة نجير بأحوال المملكة فأخذ بزماد جميع الامور وأتى أوجه الاصلاح من أبوابها واشتد على طوائف الانكشارية شدة عظيمة للغاية فقتل منهم وغرق وشرذ وسام كبارهم الخسف فثاروا فاشتد عليهم وضيق نفاقوا وانكشوا ولازموا الطاعة وسير سفن الحرب لاسترجاع ما أخذته مراكب بجهورية البندقية من الجزائر والنعور العثمانية وفتح طريق القسطنطينية فلاقته سفن البندقية واقتتلوا فكانت الحرب بينهم سجالا ثم انتصرت سفن الدولة واستردت ما أخذ من الجزائر والنعور وما زال يقاوم أعداء الدولة في الداخل والخارج وبأى على أوجه

الاصلاح من أبوابها حتى مرض واشتد به مرضه فسأله السلطان عن يتولى المنصب بعده فقال ولدى وعليه في اتمام ما لم أتمه معتمدى ومات في سنة اثنتين وسبعين وألف هجرية فتولى الصدارة بعده ولده أحمد باشا فكان كآبيه في الحزم واصالة الرأي وحسن السياسة والتدبير فخافه طوائف الانكشارية وتجرد لمحاربة أعداء الدولة ففاز وظفر ونهى وأمر وغلب وقهر وفتح القلاع والحصون ودوخ المدن والامصار وأتم الاصلاحات التي كان بدأ بها أبوه فأعاد للدولة مجدها القديم

وكان لما تولى السلطان محمد الملك وبلغ مسامعته خبر الخلاف الواقع ما بين محمد باشا والى الديار المصرية ورضوان بيك وعلى بيك مقدمى الامراء المصريين رسم بخلع محمد باشا المذكور بجاءه فرمان بالعزل فى أواخر رمضان سنة ثمان وخسين وألف * وتولى مكانه الوزير أحمد باشا فسافر محمد باشا المعزول فى العشر الاولى من شوال فكانت مدة تصرفه سنة ونحو ثلاثة أشهر ودخل أحمد باشا القاهرة فى غاية شوال وصعد الى قلعة الجبل وتصرف فكان سبب التدبير ضعيف رأى مشؤم الطالع على البلاد فانه منذ قبض على زمام الاحكام ظهرت الفتن وبدأت القلاقل ودرج أهل الفساد وقصر النيل عن زيادته المعتادة فلم يبلغ فى سنة ستين وألف زيادة عن الستة عشر ذراعا فشقت الاراضى فى الاقاليم القبلية جميعها وبعض أراضى الأقاليم البحرية وغلت الاسعار وعزت الاقوات وانقطع وارجدها الا القليل جدا وتجرد أحمد باشا من ذلك الوقت الى تجديد المغارم وفرض الفرض واحداث المكوس وتتبع أهل اليسار وعادى جميع الامراء وخص بالمكيدة رضوان بيك أمير الحاج وكتب دار السلطنة فى شأنه وطلب عزله من منصب امانة الحاج وتولية على بيك بدله ليوقع النفرة بينهما فلم يفلح اذ كان رضوان بيك وعلى بيك على غاية المودة والاخاء * فلما كان يوم السبت السادس من صفر سنة احدى وستين وألف جاء فرمان السلطان الى أحمد باشا المذكور بالعزل وولاية الوزير عبد الرحمن باشا فدخل عبد الرحمن باشا القاهرة فى سلخ صفر وصعد الى قلعة الجبل وقبض من ساعتته على أحمد باشا وسجنه فى بيت وحاسبه على ما فى ذمته من أموال الخزينة فكانت شيا كثيرا ولم يفرج عنه الا بعد ان دفعها وسافر الى الديار الرومية فكانت ولايته نحو سنتين

وتصرف عبد الرحمن باشا المذكور فاساء السلوك وحذا حذو السلف فأكثر من جمع الاموال السحت وزاد فى التعرض لاموال الناس وأكثر من الفرض والعوائد والمغارم ونطاولت يده الى مال الخزينة السلطانية ولم يقف عند حد بخار وظلم وما زال الى غرة شوال سنة اثنتين وستين وألف نخلع من منصبه * وأتى مكانه الوزير محمد باشا ولم يدخل القاهرة فى موكبها الا فى ثامن المحرم افتتاح سنة ثلاث وستين وألف وصعد الى قلعة الجبل وقبض على عبد الرحمن باشا والى المعزول وسجنه ثم حاسبه على ما كان فى ذمته من مال الخزينة السلطانية ولم يفرج عنه من السجن الا بعد ان أدى ما عليه صاغرا *

مطلب
ولاية الوزير أحمد باشا

مطلب
عزل أحمد باشا ولاية الوزير
عبد الرحمن باشا

مطلب
ولاية الوزير محمد باشا

وتصرف محمد باشا المذکور فكان حازما عاقلا مدبرا واسع الكلمة مهيبا نخافه الجند
وخشوا بأسه فتجرد الى اصلاح ما أفسدوه ورتب أمور البلاد على أحسن ترتيب فأمن الطرق
وقطع دابر اللصوص وأهل الفساد فسكنت في أيامه القلاقل واطمأنت قلوب الرعية ودرت
الارزاق وكثرت الافوات وزال الغلاء وانقطعت أسبابه وما زالت أيامه زاهية زاهرة حتى
جاءه فرمان السلطان بالخلع سلخ المحرم سنة ست وستين وألف هجرية فأسف الناس على
فراقه أسفا ماعليه من حزيد وخرج جميع الامراء والكبراء والعلماء والاعيان في ركبهم مودعين
* وتولى بعده غازي باشا فأقام بضعة أشهر وجاءه الامر بالعزل فسار الى الديار الرومية وتولى
بعده عمر باشا في أواخر سنة سبع وستين وألف هجرية فطالت أيامه * ولما كانت سنة
احدى وسبعين وألف قامت الفتنة بين العساكر المصرية على اختلاف طبقاتها واشتدت
نارها وعلا لهيبها في القاهرة ومصر القديمة ثم امتدت الى الاقاليم القبلية وعظم أمرها
فقطاولت أبدى الجند والغوغاء معا الى السلب والنهب وهدم الحرمات وظهر العربان
فخطفت كل من خرج من مصر فرارا من الفتنة فكانت شدة عظيمة للغاية مات فيها
الجم الغفير من الناس وجرى الدم في الشوارع والحارات ومات الكثير من الامراء الفقارية
وغيرهم وطالت أيام الفتنة ثم انخسمت أسبابها ولبث عمر باشا الوالى المذکور يتصرف
الى سنة سبع وسبعين وألف هجرية * قلت فان صح ذلك كانت ولايته زهاء عشر
سنين وهذا بعيد في جانب ما تعودده رجال السلطنة من كثرة العزل والتولية في ولاه مصر
لا سيما وقد كانت أيام عمر باشا المذکور مفعمة بالفتن والكوارث والمحن وخروج
الجند بعضهم على بعض فكان لابد لتسكين الفتنة ومنع حدوث مثل هذه القلاقل من تغيير
وتبديل في الولاة * ثم عزل عمر باشا المذکور وتولى بعده أحمد باشا وقيل ابراهيم باشا وذلك
في أواخر سنة سبع وسبعين فأقام سنة وعزل في أواخر سنة ثمان وسبعين وألف هجرية
وفي رواية انه أقام يتصرف الى سنة خمس وثمانين وألف هجرية فكانت مدة تصرفه زهاء تسع
سنين * وتولى بعده حسين باشا وجاء الخبر بوصوله الى بولاق مصر فخرج الناس للقائه
وركب في موكب حافل للغاية وصعد الى قلعة الجبل ومعه كثير من الخدم والحشم فأخذ
يتصرف مع الحكمة والعقل وكان محبا للرعية غير محتجب كان يجلس للناس فيترفع
له القصص فيأمر وينهى مع الرفق واللين وجاءه فرمان السلطان بطلب ثلثمائة كيس
فروش كلاب على حساب القرش الكلب ثلاثون نصف فضة * قال بعض الكتاب وكانت
قيمة القرش الكلب الى ذلك الوقت أربعين نصف فضة وكانت قيمة الريال اثنين وأربعين
والشريف البندقي خمسة وتسعين نصف فضة والشريف المحمدى خمسة وثمانين * ولبث
حسن باشا يتصرف حتى جاءه الامر بالعزل في المحرم افتتاح سنة سبع وثمانين وألف هجرية
وتولية حسن باشا الجانبلات فكانت مدة تصرف حسين باشا سنة وبضعة أشهر ودخل حسن
باشا الجانبلات القاهرة في منتصف المحرم فخرج للقائه العلماء والمشايخ والامراء وبكار الجند

مطلب

ولاية غازي باشا وعزله
ولاية عمر باشا

مطلب

ولاية أحمد باشا وأوهمه
ابراهيم باشا وعزله وولاية
حسين باشا

مطلب

ولاية حسن باشا جانبلات

وأصحاب العكا كيز فصعد الى قلعة الجبل في الموكب المعتاد وأطلقت اقدومه البشائر فأخذ يتصرف في الامور فكان مشؤم الطالع وقع في أيامه غلاء عظيم وانقطع الوارد من الماء كول وعز وارتفعت الاسعار جدا فبيع الارذب القمح بمائة وثمانين نصف فضة والارذب الشعير بمائة وثلاثين وكذلك الفول والبن كل حل بمائة وخمسين نصف فضة واشتد الحال على الفقراء حتى أكلوا الميتة وجذور الاشجار وطاقوا في الشوارع يتخطفون الخبز من الاقران ويرجون بيوت الامراء بالاجار ويصيرون ويضجون * قال بعض أصحاب التاريخ ومع هذا فقد كان النيل في غاية الكمال وأقام حسن باشا يتصرف الى ان جاء الامر بالاعزل في المحرم سنة احدى وتسعين وألف هجرية وتولية عثمان باشا فكانت مدة تصرفه أربع سنين ودخل عثمان باشا القاهرة وصعد الى قلعة الجبل وأخذ يتصرف في الامور فكان عادلا كاملا حسن السيرة قنوعا غير محب لاختذ ما يابى الناس وزاد النيل في أيامه زيادة عظيمة فعم جميع الاراضى القبلية والبحرية ورواها وأخصبها فأثمرت وأنتجت غلاتها فزت الاسعار وكثر الوارد وامتلات العرصات بالقمح والفول والشعير والعدس والارز وكثر الخبز بالافران والدكاكين وشبع الفقراء ووجه غايته الى ضبط المقاييس والمساكيل وتحريم عيار النقود على اختلافها فلم يتم ذلك حتى جاء الامر من دار السلطنة بان يكون وزن الالف نصف فضة مائتين وثلاثين درهما وكل مائة درهم فضة يدخله خمسة وعشرون درهما من النحاس ونودي بذلك في القاهرة ومصر القديمة فتسكدر الناس من ذلك جدا وخصوصا السوق وأصحاب التجارة وراجعوا الباشا في ذلك فرفع الامر الى دار السلطنة وبالنسبة في شكوى الناس من ذلك فلم يلتفت اليه وجاءه الامر بالتهجيل ففعل

مطلب
ولاية عثمان باشا

وكانت الى هذا الحين لم تبطل الحرب القائمة مابين الدولة وخصومها ولم يتم جميع الاصلاحات التي بدأ بها كوبرلى أحمد باشا بعد توليته الصدارة العظمى انجازا لمقاصد أبيه اذ عاجلته المنية فمات حتمف أنفه في سنة سبع وثمانين وألف هجرية فولى الصدارة بعده زوج أخته قره مصطفى قال بعض الكتاب فلم يكن ككفو لهذا المنصب الجليل ولا هو موصوف بحسن السياسة والتدبير فلما استقر به المنصب تغلب عليه هواه فركب متن الشطط وباع المناصب العالية وعاقده الدول على ما ياباه شرف دولته وعزة جانبها وخطط وخبط فأبعد عن الدولة قلوب معاهديها وأزال بسوء تدبيره مأسسه كوبرلى الكبير وابنه من بعده فظهر الخلل وتطرف الى جميع مصالح الدولة وتقدمت الاوغاد وعلت كلمة الاغرار واشتد خصوم الدولة عليها فسار قره مصطفى الصدر المذكور في جيش عظيم يريد محاصرة ويانه عاصمة النمسا فنزل عليها وحاصرها وضيق عليها وأقام على حصارها زهاء شهرين واستولى على جميع فلاعها الامامية ورجى عليها بالقنابل وراسل الرمي ليلا ونهارا حتى هدم بعض أسوارها ولما يأخذها فسير بابا رومه رساله الى ملك بولونيا وملك ساكس وباقيها يستنضمهم الى نجدة النمساويين وقتال المسامين وخلص البلاد من أيديهم فقاموا جميعا

للقاتل وهاجوا عساكر المسلمين وقاتلوهم قتالا عنيفا للغاية فظفروا بهم وانتصروا عليهم
 نصره عظيمة وفشلت جنود قره مصطفى باشا وتزقت فاستولت الاحزاب على جميع مدافعهم
 ومات كوه من مؤنة ودواب وآلات الحرب وكانت شياً كثيراً للغاية ثم ججع قره مصطفى باشا
 مابقي من جنوده على نهر داب وقفل راجعاً بهم الى مدينة بور فتبعه ملك بولونيا في عسكره
 وصار يتخطف من خلفه ووصل الخبر بذلك الى دار السلطنة فكبر الامر على السلطان وسير
 على الفور أحد حاشيته الى قره مصطفى باشا فقتله وبعث رأسه الى القسطنطينية وولى
 مكانه ابراهيم باشا وكبر الامر على دولة النمسا وتعلقت آمال ملكها بالنصر بعد استخلاص
 وبانه من هجمات العساكر العثمانية فتحالف مع مملكة بولونيا وجمهورية البندقية ورهبنة
 القديس يوحنا وبابا رومسية ودولة الروس على قتال المسلمين وأخذ جميع مابيديهم من
 البلاد في قارتي آسية وأوربا ودعوا هذه المحالفة بالتحالفة المقدسة ثم فتحوا الحرب على الدولة
 من كل صوب وحذب فسارت سفن جمهورية البنادقة تهدد سواحل اليونان وبلاد الموره
 ومعها سفن حرب البابا وسفن رهبنة القديس يوحنا فتغلبوا على مبدن اليونان وأخذوا
 كورنيشيه وأثينه وزحفت جيوش الملك سوبسكي على بلاد البغدان وأغارت عساكر النمسا
 على بلاد المجر فاحتلت مدينة بست وحاصرت مدينة بور وضيق عليها فلم تنل منها فهاجوا
 بعض القلاع والحصون وأخذوها عنوة وفاز الاحزاب وانتصروا عدة نصرات متتابعة فكبر
 ذلك على السلطان وظنه خيانة من الصدر الاعظم فسير اليه الامر بالعزل والابعاد الى
 جزيرة رودس وعين مكانه سليمان باشا السردار فلم يغن عزله شيئاً ولم يفلح سليمان باشا
 السردار عمل واقتح النمساويون مدينة بور ودخلوها واعملوا فيمن بها من العساكر العثمانية
 القتل وقتلوا عاملها المدعو عبدي باشا فكان سقوط هذه المدينة في أيدي الاعداء خسارة
 عظيمة على الدولة العثمانية وفشلت بغد ذلك عساكر سليمان باشا وتولى عليها الجبن
 والضعف وفازت عساكر الاحزاب وتقدمها النصر في جميع حروبها والسلطان في
 شغل عن جميع أمور السلطنة بالصيد والقنص ومنادمة قرناء السوء في القسطنطينية
 وضواحيها

ولما وردت الاخبار الى دار السلطنة بتوالي هزيمة العساكر العثمانية وفوز الاحزاب
 ودخول الشتاء رسم السلطان بأن يكون الروم ايلي مشى العساكر في ذلك العام أيضا وقد
 كانوا أشتوا فيها عدة سنين فهاج العسكر عند ذلك وماجوا وأبوا الا العود الى دار السلطنة
 فلما صاروا على مقربة منها كتبوا محضرا بما عليه السلطان من سوء الاخلاق وعدم
 صلاحيته لمنصب الخلافة وطلبوا خلع بيعته فوافقهم على ذلك العلماء والمشايخ وأهل
 الدولة وخلعوه في غرة المحرم سنة تسع وتسعين وألف هجرية وأجلسوا بدلا منه
 أخاه السلطان سليمان الثاني وبقي السلطان محمد محجورا عليه حتى مات سنة خمس ومائة
 وألف هجرية

(الفصل الثالث عشر)

(في سلطنة السلطان سليمان خان الثاني)

ثم قام بالامر بعد خلع السلطان محمد أخوه السلطان سليمان خان الثاني ببيع له بالملك في الثاني من المحرم افتتاح سنة تسع وتسعين وألف هجرية أي سنة سبع وثمانين وستمائة وألف ميلادية وطبروا الخبر بذلك الى الآفاق فلما تمت له البيعة دخل جميع العساكر الذين كانوا في حومة القتال الى دار السلطنة بسلامهم وكراهم ودوابهم وضربت كاتيب السباهيين خيامهم في المكان المعروف بميدان السلطان أجد وضرب الانكشاريون خيامهم في المكان المعروف بأب ميدان وماغنوا حتى قبضوا بعد ذلك على أزمة الاحكام وأمرؤا ونهوا وصاروا يعزلون وبولون ويقصون ويدنون من شأوا ويقتلون ويصادرون الوزراء والامراء والحكام على السواء وتطاوت أيديهم أيضا الى أموال الرعية واشتدوا على الناس شدة بالغة وعاثوا وأنفسدوا وهتكوا الحرمات ودخل جماعة منهم يوما الى الباب العالي وقبضوا على الصدر الاعظم سيمواس باشا وقتلوه شر قتلة فعم الخلل وظهر أهل الفساد فتبعوا العسكر في النهب والسلب وعاثوا وعربدوا واتفق ان جماعة منهم دخلوا الى بيت شريف من الاشراف ينهبون فمانعهم الشريف فلم يقدر فخرج وهو يصيح ويضج ثم رفع منديلا على رأس عصا وصار ينادي من كان مؤمنا بالله ورسوله فليأت تحت الصنح فلما سمع الناس نداه أتوا اليه من كل صوب وحلب وأحاطوا به وهم يضجون ويعجبون الى الله وذاع الخبر في جميع أطراف القسطنطينية بخروج البيرق النبوي أي بيرق صاحب الشريعة فهرع الناس أفواجا أفواجا الى السراي السلطانية وهم لا يشكون في أن منديل ذلك الشريف هو البيرق النبوي فتعجب الامراء و كبار الدولة من هذا الامر الغريب وظنوا ان اجتماع هذه الجموع الكثيرة على هذه الصورة انما هو بارادة سماوية ومشية الهية فأسرعوا في اخراج البيرق النبوي للحال ووقع السيف في أعناق أهل الشقاوة والفساد وكثر القتل والتفريق وعت الثورة واستفحل الخطب واشتد الويل والكرب وأغلقت الاسواق وتترس الناس في البيوت والدروب فكانت فتنة كبرى وبينما كانت القسطنطينية تنأج بنار الفتنة والدماء تسيل في طرقاتها كانت عساكر الاحزاب تقاتل بلاد الدولة وتحتل الثغور وتأخذ القلاع والحصون فاستولى البندقيون على ايلة المورة ووصل النمساويون الى بلغراد ثم استولوا على فلاح ودين وفتح الاسلام ونيس والافلاق وغيرها ووردت الاخبار بذلك الى دار السلطنة فاجتمع كبار الدولة وأهل الحل والعقد فيها وتشاوروا في الأمر واعترفوا بهجزهم وعدم قدرتهم على اطفاء نار هذه الفتنة وبعد اقدام واجتماع اتفقت كلمتهم على تسليم كوبريلى مصطفى باشا خاتم الصدارة العظمى فاستقدموه في الحال وسلموه الخاتم فقبض على زمام الأمور بهمة عالية وأبطل كثيرا

من البدع والمظالم المستحدثة وأزال جميع الامانات والالتزامات وأبطل رسوم وعادات الوزراء في الاعياد والمواسم وبالغ في ارجاع الجند الى حدود الطاعة وملازمة النظام وصرف لهم جميع جساكهم وعلاقتهم المتأخرة وبث حول كبارهم العيون والارصاد فخافوه وأخذوا الى السكينة وقطع دابر أصحاب الشقاوة وأهل الفساد وأمن الطرق فأحبه الناس ومالت اليه قلوب الجند فأذعنوا لأمره واجتمعوا عند كلمته وانطلقت السنة الناس كافة بالدعاء له فلما تم ما أراد من تنظيم أمور المملكة الداخلية فجرد للغزو وأخذ الثار من الاعداء وأثار الحرب على النمسا وجمهورية البندقية وبقية الاحزاب وسير لقتالهم عسكرا جرارا فكانت بينهم سجالا * وبينما كانت نار الحرب تشتعل بين العساكر السلطانية وجيوش الاحزاب تحرك كذلك بطرس الاكبر قيصر الروس ونكث العهد وزحف بجيش عظيم يريد اما التخلص من الجزية المفروضة على مملكته لبكوات القريم واما الحرب والقتال فكبر هذا الأمر على الصدر الاعظم ورسم لجيوش التتار بقتال الروس فقاتلوهم قتالا عنيفا وهزموهم شر هزيمة وغنموا ما كان معهم من المدافع وآلات الحرب والخيام والدواب وكانت شيا كثيرا وعادت التتار ظافرة غامة وتفرغ الصدر الاعظم حينئذ لقتال الاحزاب وشدد في ذلك فهزمت العساكر السلطانية عساكر جمهورية البندقية وانتصرت عليها نصرا عظيما وركب هو بعسكره أيضا على دولة النمسا فافتتح قلعة نيس وجبج القلاع والبقاع المنصلة الى قلعة بلغراد وقلعة سمندره واسترجعت أيضا السفن العثمانية قلعة ودين وسير طائفة من العسكر الى أطراف أردل ففتحوها وانتصروا على من كان بها من الاعداء

ولم تكن هذه الحروب المتتابعة لتشغل رجال السلطنة عن التولية والعزل في ولاية مصر فانه بعد ان لبث عثمان باشا يتصرف جاءه الأمر بالعزل في أوائل سنة تسع وتسعين وألف هجرية وتولية حسن باشا السلحدار فكانت مدة تصرفه نحو ثمان سنين وبضعة أشهر * ووصل حسن باشا الى الاسكندرية فخرج للقاءه الامراء وكبار الجند والعلماء والوجهاء فدخل القاهرة في موكب حافل للغاية وصعد الى قلعة الجبل وأخذ يتصرف في الامور فلما كانت سنة ألف ومائة هجرية وقع الغلاء بمصر وامتنع الوارد من الغلال الى القاهرة فبيع الارذب القمح بمائة وعشرين نصفا فضة والارذب الشعير بثمانين والبول بخمسة وتسعين نصفا * قال بعض الكتاب وأجرة طحين وية القمح أربعة أنصاف فضة فضج الفقراء وطاقوا بالازقة والحارات ينسألون وصاروا يتخطفون ما يجدونه من الخبز في الافران وفي الدكاكين واهتم حسن باشا بأمر الغلاء ففتح الاشوان السلطانية وأطعم حتى زال الغلاء وكثر الوارد من الغلال واطمأنت قلوب الناس ولبث حسن باشا يتصرف الى ربيع الثاني سنة إحدى ومائة وألف هجرية فجاءه الأمر بالعزل وتولية أحمد باشا فنزل من قلعة الجبل * ودخل أحمد باشا القاهرة في آخر ربيع الثاني المذكور فكانت مدة

مطلب
ولاية حسن باشا السلحدار

مطلب
ولاية أحمد باشا

تصرف حسن باشا ثلاث سنين غير كوامل وتصرف أحمد باشا تصرفا حسنا الا أنه لم تطل مدته
 وكان السلطان سليمان قد رحل عن القسطنطينية إلى أدرنه وأقام بها يستطلع أخبار
 الحرب ويستنشق نسمات النصر بعد ذلك ان المذلان المتتابع فينما هو على هذا الحال
 جاءت الاخبار بنظر جنوده وقهرهم للاعداء ففرح بذلك فرحا لا يوصف وسار من أدرنه إلى دار
 السلطنة فضربت لقدمه البشائر وعاد بعد أيام أيضا الصدر الأعظم بجميع عساكره ورايات
 النصر تخفق على رؤسهم كان ذلك في وقت الشتاء فتفرغ من الحرب إلى امضاء الاحكام
 وتنظيم أمور الدولة واعادة ما خسره من العز والجاه وبقي كذلك إلى دخول الربيع فخرج
 بجيوشه يريد بلغراد للغزو والجهاد وخرج السلطان إلى أدرنه تشجيعا للقائلين فلم يلبث
 بها الا أياما حتى مرض واشتد به مرضه فمات في العشرين من رمضان سنة اثنتين ومائة
 وألف فكانت سلطنته ثلاث سنين وتسعة أشهر ووتى الملك بعده أخوه السلطان أحمد خان
 الثاني ابن ابراهيم خان

(الفصل الرابع عشر)

(في سلطنة السلطان أحمد الثاني ابن ابراهيم)

ثم قام بالأمر بعد السلطان سليمان أخوه السلطان أحمد الثاني ابن السلطان ابراهيم
 ببيع له بالملك يوم موت أخيه سنة اثنتين ومائة وألف هجرية أي نحو سنة احدى وتسعين
 وسمائة وألف ميلادية فلما استقرت به السلطنة أخذ يتصرف في الامور ولم تكن الحرب
 القائمة بين جيوش مصطفى كوبرلي صدر الدولة وبين جيوش النمسا قد انقضت إلى ذلك
 الوقت فاهتم السلطان أحمد بأمرها وسير مصطفى باشا المشار اليه إلى بلاد النمسا لاختضاعها
 واسترداد ما بقي تحت يدها من المدن والبلدان فسار مصطفى باشا وما زال يحارب حتى مان
 في ساحة الحرب وانهمز جيشه شمرهزيمة ومات منه زهاء العشرين ألفا وتشرد من بقي
 منه فاضطرب السلطان من ذلك وصمم على الاخذ بالشار فجعل يعد المعدات ويجيش
 الجيوش ويراقب الفرس ويتبين انتفاعها فينما هو على هذا الحال اذ قام الحريق
 بالقسطنطينية واشتد بها شدة بالغة جدا فاحترق نحو ربع المدينة ومات كثير من
 الشيوخ والاطفال وعم الخطب فتعوق تسيير الحملة على بلاد النمسا ولم تخرج الا في سنة
 خمس ومائة وألف وكانت جيوش النمسا في هذا الحين تشدد الحصار على مدينة بلغراد فلما
 جاء الخبر بمقدم العساكر العثمانية خاف قائد جيوش النمسا وفك الحصار عن بلغراد ورجع
 عنها فنزلت العساكر العثمانية حول بلغراد ولبثت هناك من غير قتال ولم يقع الاتفاق بين
 قائد الجيوش العثمانية وقائد جيوش الفرنجة على شيء من أسباب الصلح أو المهادنة ولم

مطلب
ولاية على باشا قلع

تزل الحال كذلك الى أن مات السلطان أحمد سنة ست ومائة وألف هجرية فكانت سلطنته ثلاث سنين وبضعة أشهر وقيل أربع سنين ومات في أيامه أحمد باشا والى مصر فدفن بالقرافة * وجاء فرمان السلطان بتولية على باشا قلع بدله فدخل القاهرة في ربيع الثاني سنة اثنتين ومائة وألف هجرية فكانت مدة تصرف أحمد باشا سنة وبضعة أشهر وتصرف على باشا قلع فكان غير موفق في جميع أعماله ميالا للإيذاء غير قنوع وقصر في أيامه النيل عن زيادته المعتادة فرسم للشيخ يوسف السادات بان يبيت في قاعة المقياس ويتلو حربه في كل ليلة حتى يحصل الوفاء وأقام بطرك المتأصلين كذلك الصلاة ودعاء الله سبحانه وتعالى قيل فزاد النيل ووفى في السابع والعشرين من مسرى القبطى وعم الاراضى ثم انحدر عنها فاخصبت وانتجت غلاتها وابت يتصرف حتى تولى السلطنة السلطان مصطفى الثانى ابن السلطان محمد الرابع وكان من أمره ما سيذكر في محله

(الفصل الخامس عشر)

(فى سلطنة السلطان مصطفى الثانى ابن السلطان محمد الرابع)

ثم قام بالأمر بعد السلطان أحمد ابن أخيه السلطان مصطفى الثانى ابن السلطان محمد الرابع بوبيع بالملك سنة ست ومائة وألف هجرية أى سنة خمس وتسعين وثمانئة وألف ميلادية وكان متادبا حسن السيرة محبا للعلوم والمعارف رزينا كريم الاخلاق فلما استقرت به السلطنة جيش على جزيرة ساقس ففتحها ثم سار الى قتال النمسا اذ الحرب لم تكن شجرت نارها بين الفريقين فلما التقى الجمعان واقتتل انهمزمت جيوش السلطان شر هزيمة فقفل راجعا عن بقى معه ثم سار بجيش آخر لقتال الروس فلاقته جيوتهم وقاتلته قتالا عنيفا فانتصرت عليه نصرة عظيمة وأخذت منه مدينة ازوف ولما رأى السلطان من توالى نصرة أعدائه وموت عساكره سلم خاتم الصدارة الى حسين باشا عموجه زاده من عائلة كوبرىلى ففرح الناس بذلك وعدوا هذا الفعل من تدابير السلطان الحسنة وكانوا يودون لو أن الصلح يقع مع الدول المحاربة على يد حسين باشا الصدر المذكور فتحقق الدماء وتزول ويلات الحروب وكان الصدر الاعظم يرى وجوب التمسك بقول القائل اذا أردت الصلح والصلاح كن مستعدا للحرب والكفاح فسار من فوره بالعسكر السلطاني الى نواحي بلغراد يريد القتال فتدخلت عند ذلك دولتا الانجليز والفرنك في تقرير قاعدة للصلح فأذعن الصدر بذلك خوفا من ملل الجنود من توالى الحروب عليهم في اربع جهات مختلفة ونفاد الاموال فضلا عما طرأ على البلاد من الخراب فتم أمر الصلح مع الاحزاب ولكن لم يرق هذا العمل الخطير في عين فيض الله افندى شيخ الاسلام وحسد الصدر الاعظم على هذا الفوز ففسد في حقه الى السلطان وأكثر من التهمة

والوشاية به وأثار عليه الخواطر ورماه بالمروق ووسمه بالخيانة فلم يطق الصدر هذا الحال واعتزل المنصب وكتب الى السلطان بذلك فجاءه جواب السلطان بالقبول * قال أصحاب التاريخ وقد ختمت بهذا الوزير سياسة محمد باشا الكوبرلي ولم تلبث الاحوال أن تغيرت وظهر الاغترار وقبضوا على زمام الاحكام وكان للسلطان ميل تام الى فيض الله افندي شيخ الاسلام لانه شيخه ومربيه فأركن اليه واعتمد في كل الامور عليه فتأقت نفس فيض الله الى الانفراد بالامر ففعل ما لم يفعله أحد قبله من سلفائه وأمضى ما لا يليق بشأن العلماء فولى أولاده ومن ينسب اليه المناصب العالية وارقاها المراتب السامية وقبض على أزمة جميع الامور فنهى وأمر وفاز واشتهر وغلب وقهر وحصر المنافع فيه وفي أولاده واتباعه وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها فلم تبق كلمة فوق كلمته ولا يد فوق يده * وتولى السلطان مصطفى والوالى على مصر على باشا فلج فألقى اليه فرمان الرضا فلبث يدبر الامر وكان على باشا هذا سبي الطالع قليل الرأى عديم التدبير متعجبا عن الناس الا عن بعض خواصه وكانت أيامه كلها شدة داء وقع فيها غلاء شديد جدا فقل ورود الغلال يوما عن يوم حتى انقطع وعزت الاقوات وضافت أمور الفقراء واشتد بهم الجوع شدة بالغة فأكلوا الجيف وجذور الاشجار ثم اجتمع منهم السواد الاعظم رجالا ونساء وصبيانا وصعد الى قلعة الجبل وذلك في منتصف المحرم من سنة سبع ووقفوا بحوش الديوان وصاحوا من الجوع واستغاثوا ونادوا على الباشا فلم يجبهم أحد فرجوا بالاجاروا أكثروا من العريضة فركب والى وطردهم فقتلوا الى الرميطة ونهبوا ما بها من حواصل الغلال وكذلك وكالة القمح وحواصل كتحدا الباشا وكانت ملائى بالشعير والبقول وأصناف الحبوب الاخرى فلم يقدر أحد على ردهم واشتد الغلاء حتى بيع الارذب القمح بستمانه نصف فضة والشعير بثلاثمائة والبقول بأربعمائة وخمسين والارز بثمانمائة نصف فضة أما العدس فكان لا وجود له بالكلية وحصلت شدة عظيمة بمصر والاقاليم كافة وجاء أهالى القرى والارياف الى القاهرة ومصر القديمة فامتلائت منهم الازقة والحارات واشتد الكرب وعم الخطب ومات الكثير من الناس جوعا وختل أكثر القرى من أهلها وخطف الاهالى الخبز من الاسواق ومن الافران والذى على رؤس الخبازين مع ندرته فكان يذهب الرجالن والثلاثة مع طبق الخبز يحرسونه من الخطف وبأيديهم العصى حتى يخبزوه ويعودوا به واستمر الامر على ذلك الى أن عزل على باشا المذكور في ثامن عشر من المحرم افتتاح سنة سبع ومائة واثم هجرية * وخلفه فى الولاية مسلم باشا اسمعيل وهو من ولادة الشام فلما جاء الخبز بعزله فرح الناس فرحا لا يوصف واستبشروا بالفرج بعد الضيق وقام ابراهيم بك أبوشنب فى نيابة الغيبة حتى يقدم مسلم باشا اسمعيل المذكور الى مصر * ونزل على باشا المخلوع الى بيت احمد كتحدا العزب المطل على بركة الفيل واستقر به فكانت مدة تصرفه اربع سنين وثلاثة أشهر وأياما وحضر اسمعيل باشا والى الجديد من البر

مطلب
ولاية مسلم باشا اسمعيل

وصعد الى قلعة الجبل بالموكب في يوم الخميس السابع والعشرين لصفر من السنة فلما استقر به المنصب ورأى ما فيه الناس من الجوع والكرب والموت رسم بتوزيعهم على بيوت الامراء والأعيان كل انسان على قدر حاله وقدرته وأخذ لنفسه جانباً ولاعيان دولته جانباً وعين لهم ما يكفيهم من خبز وطعام في الصباح والمساء الى ان انقضى الغلاء ثم أعقب ذلك وباء عظيم للغاية فرسم الباشا لاصحاب بيت المال بأن يكفوا جميع الفقراء والغرباء كافة فكانوا يحملون الموتى من الطرقات عشرات عشرات ويذهبون بهم الى مغسل السلطان عند سيل المؤمن وما زالوا على هذا الحال الى ان انقضى الوباء أيضاً فكان عدد الموتى لا يكاد يحصر وكان انقضاء الوباء في آخر شوال من السنة فعمل الباشا أفراحاً وختن ولداً له اسمه ابراهيم وختن معه ألفين وثلاثمائة وستة وثلاثين غلاماً من أولاد الفقراء ورسم لكل غلام بكسوة كاملة ودينار * وكان من ملتزمي دار الضرب على عهد علي باشا الوالي المنفصل يهودى اسمه ياسف وكان طامعية داهية وقد طالب الى دار السلطنة وسئل عن أحوال مصر وما يتعلق بها فأملى على أمور والتزم بتحصيل أموال الخزينة زيادة عن القاعدة المقررة في كل عام وحسن احوال بعض احوالات فأجازت له الدولة ذلك وأعطت له مرسوماً فلما حضر مصر تلقته طائفة اليهود من بولاق وأصعدوه الى الديوان في كبكبة فقرئت الاوامر التي حضر بها ووافقها الباشا على اجرائها والعمل بها وأشهر النداء بذلك في شوارع مصر والقاهرة فأغتم الناس وتوجه التجار وأعيان البلد الى الامراء وراجعوهم في ذلك فركب الامراء والصناديق وطلعوا الى القلعة وكلوا الباشا فلم يقبل منهم فغضبوا وسألوه أن يسلمهم اليهودى فامتنع فأغلظوا عليه وصمموا على أخذه فأمرهم بوضعه في العرقانة وان لا يشوشوا عليه حتى يتطروا في أمره ففعلوا به ذلك فقام الجنود على الباشا وطلبوا أن يسلمهم اليهودى ليقبضوه فامتنع ففضوا الى السجن وأخرجوه وقتلوه عند بابه وجروه من رجله وألقوه في الرميالة فقام العامة وجعوا خطباً وأحرقوه بحرأى من الناس كافة وذلك في يوم الجمعة بعد الصلاة ثم سكنت الفتنة وكأنها لم تكن * ومن هذا الحين انحرف الجنود على الوالى ونقبوا عليه وصاروا ينكرون عليه كل فعل ولو لم يستحق الانكار حتى قاموا عليه في الثانى والعشرين من ربيع الاول من السنة وعزلوه فكانت ولايته سنتين اثنتين * وقام مصطفى بك بالامر الى ان حضر الوالى الجديد واسمه حسين باشا وكان والياً على صيدا من أعمال الشام فلما حضر الى القاهرة طلع الى قلعة الجبل في موكب حافل في منتصف رجب سنة تسع ومائة وألف فلما استقرت به الولاية أخذ يتظر في أمور البلاد ومصالح الخلق فكان يرى نفسه مغلوباً على أمره لا كلمة له بين الجنود والامراء والصناديق فعمل على تعزيز جانبه واعلاء كلمته فلم يتمكن لقصر أيامه * واتفق في ولايته ان خرج المغاربة من أهل تونس وفاس المقيمين بالقاهرة في رابع عشر شوال من السنة ليحملوا كسوة الكعبة التي تحمل في كل عام للبيت الحرام وكانت عادتهم في ذلك اليوم انهم يعمرون بالكسوة في وسط

مطلب
ولاية حسين باشا

القاهرة مع غاية الاحتفاء والاحتفال ويضربون كل من رأوه يشرب الدخان في اثناء مرورهم
 فرأوا رجلا من اتباع مصطفى كتحدا القازد على يدخن فكسروا أنبوبة وضربوه وشجبوا رأسه
 وكان في مقدمتهم اناس منهم مسلحون فزاد التشاجر واشتد الامر فقام عليهم أهل السوق
 وأوقعوا الضرب في بعضهم بعضا وكادت الفتنة تم القاهرة ومصر وخاف الناس العاقبة وحضر
 أودة باشا البوابة فقبض على جماعة منهم وقبضهم بالحديد وصعد بهم الى حيث الباشا فأمر بهم
 فحبسوا حتى سافر الحاج من مصر ومات منهم جماعة في السجن ثم أفرج عنهم بعد ذلك وورد
 عقب هذا الحادث بقليل الخبر بعزل حسين وولاية قره محمد باشا فحضر مصر في منتصف ربيع
 الآخر سنة احدى عشرة ومائة وألف فكانت ولاية حسين باشا سنة وسبعة أشهر وأياما ولم
 يكن لقره محمد من حظ الولاية على البلاد الا ما كان لسلفه فانه كان مغلوبا على أمره وكانت
 الكلمة للأمراء والصناجق ولم يبق له الا صغائر الامور فوجه عنايته اليها وماهى الازالة بعض
 السقائف والدكاكين لتوسعة الطرق والاسواق وقطع الارض وتمهيدها ورسم بترميم جامع
 الاربعين الذي بجوار باب قره ميدان وأنشأ في الميدان المذكور جامعا بخطبة وتكية لفقراء
 الخلوية من الروم وأسكنهم بها وأنشأ تجاهها مطبخا ودار ضيافة للفقراء وفي علوها مكتبا
 للأطفال ورتب لهم مايكفيهم وأنشأ فيما بينها وبين البستان المعروف ببستان الغوري جاما
 فسيحا مقروشا بالرخام الملون ووجد بستان الغوري وغرس فيه الاشجار ورسم قاعة الغوري
 التي بالبستان وعمر بجوار المنزل سكن امير اخور وبني مسطبة عظيمة برسم لباس القفاطين
 وتسليم الحمل لامير الحاج وأرباب المناصب * قلت وهي موجودة الى يومنا هذا * وعمر
 مسطبة يرى عليها بالنشاب وأنشأ الحمام العظيم بقره ميدان ونقل اليه من قلعة الجبل حوض
 رخام ضمن قطعة واحدة وعملوا به فسقية في وسط المسلح وعمر بالقرافة مقام سيدي عيسى بن
 عبد القادر الجيلاني وجعل به فقراء مجاورين ورتب لهم مايكفيهم وأنشأ صريحا بداخل
 القلعة بجوار نوبة الجاويشية ورتب فيها خمسة عشر نفرا يقرؤون القرآن كل يوم بعد الشمس
 أما فيض الله افندي شيخ اسلام دار السلطنة فانه لما اتسعت كلمته وبسط يده على
 جميع الامور وصار السلطان طوع يده أبغضه الناس وكثرت خصومه ونالوا جميع أعيان
 الدولة وأركانها وظهرت الفتنة وعظمت واستفعل أمرها فقامت الجنود على السلطان فخلعوه
 وقبضوا على شيخ الاسلام وقطعوا عنقه بحد السيف وسجنوا السلطان مصطفى ووكالوا به
 طائفة منهم ثم نحرسه وذلك سنة خمس عشرة ومائة وألف هجرية فكانت ملكته تسع سنين
 وقيل ثمان سنين ومازال مسجوننا حتى مات في نحو سنة تسع عشرة وخلفه أخوه السلطان
 أحمد ابن السلطان محمد

مطلب
ولاية قره محمد باشا

ومات في أيام السلطان مصطفى متاوس بطرك المتأصلين بعد ان أقام أربع عشرة سنة
 وكان اسمه جرجس من رهبان دير البراموس ونقل في أيامه دار البطركية من حارة زويلة

الى حارة الروم بالقاهرة وسكن بها وكان تقيا عالما فأقيم بعده يوحنا وهو الثالث بعد المائة واسمه ابراهيم من رهبان دير انطونيوس وكان من الحوادث في أيامه ماسيد كر في محله

(الفصل السادس عشر)

(في سلطنة السلطان احمد ابن السلطان محمد)

ثم قام بالامر بعد السلطان مصطفى أخوه السلطان أحمد ابن السلطان محمد بوبيع بالملك بعد خلع أخيه سنة خمس عشرة ومائة وألف هجرية أى سنة اثنتين وسبع مائة وألف ميلادية فلما استقر به الملك اشتد على العسكر وضيق عليهم وكان شديد البطش عظيم البأس سفاكا للدماء فهابه العسكر وخافته الرعية فأصلح بعض الامور التي فسدت على عهد السلف وأعاد للدولة بعض القوة والنظام وظهرت في أيامه وقعات الروس مع الاسوجيين وزحف بطرس الاكبر قيصر الروس بعسكر عظيم للغاية على قلعة ازاك في بلاد القرم وحاصرها وضيق عليها حتى فتحها وطمحت آماله الى ضم بلاد اسوج الى مملكته فساد لقناتها وكان ملكها كرلوس الثانى عشر جليل القدر واسع المعرفة بأساليب السياسة وتدبير الممالك وكان يعرف عند أهل الاسلام باسم تيمور باش وقد أئذ الدولة العثمانية بالخطر الذى يلحق بها اذا تركت بطرس قيصر الروس وشأنه يغزو ويدوخ الممالك المجاورة له فلم تلتفت يومئذ لقوله فلما نال بطرس الغلبة وكاد يأخذ ملك أسوج أسيرا هرب ملك أسوج الى دار السلطنة العثمانية فنال بطرس من بلاد أسوج وضم جانبا عظيما منها الى مملكته من ناحية بحر البلطيق وتجاوزت العساكر الروسية بعض الحدود العثمانية فرسم السلطان الى بلطجى محمد باشا الصدر الاعظم بالمسير لقتال بطرس ورد غارات عسكره فساد في جيش عظيم وعبر الطونة وقطع ايلة بسارابيا وكانت عساكر الروس قد عبرت قبل ذلك نهر بروت فنزلوا على ساحل الطونة فلم يلتفت اليهم وظل سائرا بجميوشه حتى بلغ ممر فالجى وقصد عبور نهر بروت من هذا الممر فلما تحقق ذلك القيصر ظن الظنون البعيدة وسير فريقا من عساكره لمنعهم من العبور فلم يقدروا وتمكنت العساكر العثمانية من العبور وقتلوا الروس فهزموهم وساقوا خلفهم حتى ألحقوهم بعساكرهم بعد الزوال ولم يطلبوا الراحة من التعب بل فاجؤا العدو وهجموا عليه هجمة رجل واحد فانهمز وتقهقر فعارضه نهر بروت من جهة وسد عليه أيضا خان القريم الطريق من الجهة الثانية فنظر القيصر واذا به قد وقع بين منتطح عزيزين فسير رسله الى الوزير في طاب الأمان وتقدير قاعدة للصلى فأجابه الوزير الى ذلك وتقررت بين الفريقين القاعدة وتم الطلح على ماسيد كر وكتب به أيضا عقد مؤقت وهو الباعث لتحرير هذا الكتاب الصحيح النصاب هو انه بتوفيق الله الملك العلام انتهت حرب

عساكرنا المنصورة مع قيصر الروس وعسكره في طسرف نهر بروت وبعد حصارهم والتضييق عليهم قبائطه تعالى الكريم وفضله الميم طلب القيصر المرقوم اجراء المصالحة وعند ذلك عقدت وربطت قيود وشروط الصلح والصلاح على الوجه الآتي بيانه * وهوان قلعة ازاك مع اراضيها وسائر ملحقاتها يجري تسليمها كالأول للدولة العلية * والقلعة الجديدة الكائنة في أعالي طغيان وقانسكة وصمصار المختصة بالقيصر تدم بالنكبة والمدافع والجخانة الموجودة ضمن قانسكة يجري تسليمها بتمامها للدولة العلية * وفيما يأتي من الزمن لا ينشأ في المحل المذكور قلعة ولا تحصل مداخلة بعد الآن من طرف القيصر المرقوم مع اللهويين والتابعين لهم وهم راباش والبورتغال ولا الى القزاق التابعين لحضرة صاحب السعادة دولتشكراي خان القريم بل يرفع القيصر يده عن جميع تلك المواضع بحيث تعود كما كانت قبل الآن وبعد اليوم لا يحق للقيصر أن يقيم سفيرا في استانبول من طرفه * وأما التجار الروسيون الذين يأتون برا للممالك المحروسة لاجل التجارة فانهم مأذونون في الإقامة بها * والاسرى من المسلمين الذين أسروا من قبل ومن بعد يلزم ويجب على القيصر أن يسلمهم للدولة العلية مهما كان عددهم * ومالك أسوج حيث انه التجأ ووقع تحت جناح عناية الدولة العلية فبعد الآن يتوجه الى مملكته بالامن والسلامة ولا يحصل له التعرض والممانعة من طرفهم قطعيا واذا وجد بينهم عدم توفيق ورضا اتحاد فعليهم أن يجريا المصالحة * وأنا أرجو من كمال افضال مولانا وساطاننا صاحب الشوكة والعناية والعظمة ومن فيض مكارمه الملوكية غرض النظر من طرف الدولة العلية عن الحركات الخارجة عن الادب التي سبق وقوعها في جانب رعايا الدولة وسائر المنسويين الى الممالك المحروسة وان لا يصير عليهم فيما يأتي من الزمان تعد كما تقرر ذلك في الشروط والعهد * وبحسب الوكالة المطلقة حرر هذا الصك وأعطى لطرف القيصر الى ان يعقد العهد والميثاق ان شاء الله تعالى في دار السعادة بالوجه المشروح وتعطى صورته له * وبعد أن يأخذ القيصر صك العهد فلا تكون حينئذ ممانعة ومداخلة في أمر ذهاب عساكره الى بلاده في الطرقات المستقيمة لامن طرف العساكر المنصورة ولا من فرد من أفراد طوائف التتار وجماعتهم * وأما أمين أسرار القيصر قدوة أعيان الملة المسيحية فبارون فالتجابر بتد شافروف والجنرال ميخائيل أولدبورس حفيد شرميت * ختمت عواقبهما بالتخير * حيث انهما كانا حضرا من طسرف القيصر للعسكر المنصور ليكونا رهنا فن بعد تسليم المواد المذكورة واعطاء صك العهد من طرف القيصر وانمام خدمتهما يعطى لهما الاذن والرخصة من طرف الدولة العلية بذهابهما الى بلادهما بلا تأخير ولبيان ذلك حرر هذا في اليوم السادس من جادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف

بيورلدى صحراء * التوقيع خدش كجدى

قال بعض كتاب الاخبار وكان الوزير المحكي عنه صاحب حيل ودهاء دقيق الفكر في أعماله وحركاته ولم ينل مسند الصدارة العظمى الا بما أجراه من الدسائس الكثيرة والحيل الغربية

فلما علم السلطان أحمد بحقيقة حاله وأنه من الطغاة أعرض عنه ثم عزله من منصب الصدارة وبقى معزولا حتى قامت الحرب بين الروس واسوج وكان من أمرها مائة مائة فاقضت المصلحة إعادته الى مقام الصدارة ثانية فأحسن فيها العمل وفاز بالظفر والغلبة على ذلك الرجل العظيم وهو بطرس الاكبر ولكن لم تطل أيامه حيث وشى به خصومه ورموه بالخيانة وقالوا انه انما عقد هذا الصلح بالرشاوى والبراطيل وقد كان في وسعه أن يقطع شأفة جميع الجيوش الروسية بعد أن تحقق له أن بطرس الاكبر لم يسلم بهذه الشروط مع ما فيها من الفضيحة والعار عليه وعلى بلاده الا بعد أن أكلت جيوشه جميع دواب الجبل حتى جذور الأشجار وبعد ان سدت عليهم جميع المسالك وما زالوا يحسنون للسلطان الانتقام منه الى أن أمر بعزله ونفيه قبل أن يصل الى دار السلطنة بعد نصرته في تلك الحرب الهائلة * قال بعض الكتاب وهو وان كان بريئا من هذه التهمة فقد ارتكب في صدارته الاولى من المعاصي والذنوب ضد الكثير من خيار الناس ما لا يكاد يعد فظهر به الآن سر قولهم * ان الجزاء من جنس العمل وكان الولى على ديار مصر عند تولى السلطان أحمد للسلطنة قره محمد باشا فأقره في منصبه وأتاه فرمان الرضا فلبث يتصرف بعد ذلك أشهرا ثم خلعه * وولى مكانه راحى محمد باشا وكان قد تولى مسند الصدارة على عهد السلطان مصطفى وعزل منها وتولى على جزيرة قبرس ثم حضر منها واليا على مصر فصعد الى قلعة الجبل يوم الاثنين سادس شعبان سنة ست عشرة ومائة وألف هجرية وجعل يتصرف في الامر فكان مشؤم الطالع قليل الخظ توقف النيل عن الزيادة في سنته فضج الناس وعجوا وابتهلوا الى الله بالدعاء وطلب الاستسقاء واجتمعوا على المقطم وغيره فاستجاب الله لهم في حادى عشر توت وزاد النيل فكان من النوادر الغريبة وقد أرحه بعضهم بهذين البيتين

النيل في مصر وافي * في توت حادى وعاشر

والناس قد أرحوه * لله جبر الخواطر

فروى بعض البلاد وهبط سريعا فشرقت البلاد الاخر وحصل الغلاء وبلغ سعر الاربد القمح مائتين وأربعين نصف فضة والفول كذلك والعنيس مائتى نصف فضة والشعير مائة نصف فضة والارز أربع مائة نصف فضة وبيع اللحم الضأن كل رطل بثلاثة أنصاف فضة والجاموسى والبقري بنصفى فضة والسمن القنطار بست مائة نصف فضة والزيت بثلاث مائة وخسين والدجاجة بثمانية أنصاف * قال الراوى فكثرت الشحاذون في الازقة وعزت الاقوات وعم الكرب واشتد الخطب على الفقراء وخشى الناس العاقبة بظهور الوباء فلم يقع شئ من ذلك * وجاء الخبر بعزل راحى محمد باشا في رجب سنة ثمان عشرة ومائة وألف هجرية وشاع القول بولاية على باشا فنزل محمد باشا من قلعة الجبل في موكب عظيم وسكن في بيت أحمد كتحدا العزب المطل على بركة الفيل بالقرب من حمام السكران حتى قدم على باشا الولى الجديد من طريق البحر وذهب الناس لملاقاته فأرسل بساحل بولاق يوم

مطلب
ولاية راحى محمد باشا

مطلب
ولاية على باشا

الاثنين تاسع شعبان من السنة وهو في نحو ألف ومائة رجل خلاف الاتباع فلبث بيولاق الى
ثاني عشر رمضان وركب في موكبه وصعد الى قلعة الجبل فأطلقوا المدافع لقدمه
وزينت القاهرة ومصر ثلاثة أيام ولم يكذب يستقر به المنصب حتى قامت الفتنة على ساق
بين وفاق العزب والمتفرقة * وتحرير الخبر ان شخصا من وفاق العزب اسمه محمد افندي
من صغار الكتاب كان بعد عزله من منصبه تولى خليفة أي ثاني كاتب في ديوان المقابلة
وحصل له تهمة عزل بسببها من هذا الديوان أيضا فجعل يسعى ويجد حتى نال وظيفة
سردار على طائفة العزب النازلين بالاسكندرية ثم كئسدا القبطان واتفق بعد ذلك أن
سافر في إحدى المراكب فشاع الخبر بموته غرقا فخلوا اسمه وماله من المعلقة في بابه ولكنه
لم يلبث ان عاد إلى مصر وصعد الى الديوان وصرح اسمه الذي في سجلات العزب وجرياته
ومتعلقاته وبقي له بعض تعلقات لم يقدر على خلاصها ولم يساعده أهل بابه على ذلك وأهملوا
أمره فأعظم هذا الامر وأكبره وذهب من فوره الى تلك المتفرقة وطلب الانضمام اليهم
وسألهم أن يخرجوه من العزب فأجابوه الى ذلك فجعل يركب معهم كل يوم للديوان
ويسير على باب العزب * وبينما هو ذات يوم سائر الى الديوان اذ وقف له جماعة من العزب
وقبضوا عليه وأنزلوه وحبسوه في بابهم فبلغ الخبر جماعة المتفرقة وهم في الديوان فحضر أمين
بيت المال الى باب العزب وكان يومئذ نائبا عن باشياويش لمرضه فعاتبه جماعة المتفرقة
على ما فعله جماعة العزب فأغلظ عليهم في الكلام وخاطبهم بفحش القول فقبضوا عليه من
أطواقه وأرادوا ضربه فحال بينهم وبينه بعض المصلحين وخلصوه من أيديهم فنزل الى باب
العزب وأخبرهم بما فعله المتفرقة فاجتمعت طائفة العزب ووقفوا على بابهم فخرجهم اثنان من
جماعة المتفرقة ذاهبين الى منازلهم فهجم عليهما جماعة العزب وضربوهما ضربا مبرحا
وأنزلوهما عن الخيل وشجوا رؤسهما ونهبوا ما على الخيل من العدد وأخذوا ما عليهما من
الملبوس فلما جاء الخبر للمتفرقة اجتمعوا مع بقيصة الوجاقات وجلسوا على باب الانكشارية
ورفعوا أمرهم الى الاغوات والصناجق وأهل الحل والعقد وبقوا على هذا الحال ثلاثة أيام
الى ان وقع الاتفاق على إبعاد أربعة أشخاص عن الديار المصرية وهم سبب اشعال نار هذه
الفتنة فوافق الجميع على هذا الرأي وصمموا عليه وبعثوا بهم الى الصعيد الاعلى وانقسمت
هذه الفتنة وكفى الله الناس شرها

وأعقب هذه الفتنة ورود مرسوم السلطان بعزل علي باشا الوالي فعزل في
أوائل رجب من السنة ثم حبس في قصر يوسف بك وبيعت جميع موجوداته لوفاء ما عليه
لبعض تجار القسطنطينية ثم أفرج عنه * ووردت الاخبار بولاية حسين باشا فقدم الى
الاسكندرية وجاء منها الى القاهرة في ثالث عشر شعبان سنة تسع عشرة ومائة وألف
هجريه فكانت ولاية علي باشا سنة واحدة وأياما وكانت قبل قدوم حسين باشا المذكور

مطلب
حسين باشا

بأيام قد وقعت فتنة أخرى بباب الانكشارية لها وكادت تشتعل نارها ويعلو لهيها فتسارع
 الاغوات وأصحاب الحبل الى تسكينها خوفا من قدوم الوالى الجديد فيرى ماهى عليه البلاد
 من الخلل وعدم طاعة العسكر وعزلوا أحمد أوده باشا المشهور بأفربج أحمد وحسين أوده
 باشا وأبعدوهما الى الطينة بدمياط فسكنت الفتنة وخذت نارها فلبثا بالطينة أياما
 ثم هربا وعادا الى القاهرة واختفيا عند أغوات الشرا كسة والتجأ أحدهما حسين الى باب
 النفاكية فلما علم الانكشارية بقدومهما فارين اجتمعوا ببابهم وطلبوا رجوع أفربج أحمد
 الى منفاه فلم تقبل طائفة الشرا كسة وامتنعوا من تسليمه وقالوا لابد من نقله من وجاقتكم
 وساعدتهم على ذلك بقية الوجاقات فصمم الانكشارية على طلبهم ووقفوا ببابهم يومين
 ولياليتين وكذلك فعل كل بلك ببابه فعم الخوف الناس وانقطعوا عن الخروج من بيوتهم
 وأغلق أصحاب الحوانيت حوانيتهم وكاد ينقطع الوارد من المأكول والمشروب الى القاهرة
 ومصر خوفا من عيث العساكر فاجتمع العلماء والمشايخ والتقوا بالصناجق والاعيان وخطبوههم
 في أمر العسكر وفيما كان عليه الناس من الخوف وما يتهدد راحتهم من هذه الفتن
 المتراكمة وسألوههم في حسم الفتنة منعاً من تفاقم الخطب وانتشار العاصفة والخرافيش في
 الاسواق للعريضة والنهب ثم كلموا الباشا في ذلك أيضا وألحوا في الطلب فوقع الاتفاق على
 ان يولوا أفربج أحمد المذكور رئاسة طبخانة وأرسلوا له القفاطين مع كتخدا الباشا وأصحاب
 الدرك وأحضروه الى مجلس الاغا وقرأوا عليه مرسوم الصنحية وانه ان خالف ولم يطع عوقب
 بغير معاودة فأطاع وقبل وخرج بموكب عظيم الى بيته ونزل له الصنحي السلطاني والطبخانة
 فانحسرت الفتنة وسكن الاضطراب واطمأنت قلوب الخلق *

وكان الولى يرى انه غير مسموع الكلمة مقهور على جميع أعماله وأقواله ولا قدرة
 له على دفع هذا الخلل الضارب على البلاد فكان كثير التوجع والشكوى قلقا مضطربا
 لا يستقر له قرار حتى مال الى وجاق الانكشارية واستمال بكاره اليه واستخلصهم لنفسه
 ليقوى بهم على قمع الفتن ومنع الساس * فبينما هو يدبر هذا الامر اذ وقعت الفتنة
 بين طوائف العسكر وكان من خبرها أن مملوكا لرجل من آحاد الناس وقف على دكان قصاب
 بباب زويلة يشتري منه لحما فوقع بينه وبين حمار عثمان أوده باشى نزاع أدى الى المشاعة
 ثم الى الملاكمة فوصل الخبر الى عثمان أوده باشى المذكور فأرسل أعوانه واتباعه فقبضوا
 على ذلك المملوك وأحضروه اليه فأمر بحبسه في سجن الشرطة فلما بلغ سيده خبر حبسه
 حضر هو وأولاده وأتباعه الى باب صاحب الشرطة لخلاص المملوك فتطاول بعضهم على
 بعض بفحش القول ورفعت بينه وبين صاحب الشرطة مشاجرة فقبض عثمان أوده باشى
 على سيد ذلك المملوك ووضع في السجن واعلم باش أوده باشى وكتخدا مستخفظان بما فعله
 فلم يرضيا بما وقع وأمرأه باطلاق المملوك وسيده على الفور فرجع وأخرجهما من السجن
 فاجتمع في ثلثي يوم الحادثة طائفة الجاويشمية مع طائفة المتفرقة والاسباهية والامراء

والصناجق والاعوات في الديوان وطلبوا ابعاد عثمان اوده باثى المذكور جزاء ما فعله من حبس ذلك المملوك وسيدته فلم يوافق الانكشارية على ذلك ومانعوا في ابعاده فوقع بينهم جدال طويل ثم صعدوا جميعا الى الديوان وطلبوا عثمان المذكور للدعوى فحضر واقامت الدعوى بحضور الباشا والقاضى فأمر القاضى بحبس عثمان كما حبس محمد جاويش سيد ذلك المملوك فلم يرض الاخصام بذلك وقالوا لابد من عزله وابعاده فلم يوافقهم الانكشارية فطلب العسكر من الباشا أن يرسم بنفيه فأبى عليهم ذلك فنزلوا مغضبين واجتمعوا بمنزل كتحدا الجاويشية وأنزلوا مطبخهم من نوبة خاناء الى منزل كتحدا صالح اغا وأقاموا به ثلاثة أيام وامتنعوا من الذهاب الى الديوان ثم اجتمع أهل البلديات وتحالفوا على أن يكونوا على قلب رجل واحد وصمموا على نفي عثمان اوده باثى المذكور ثم اجتمعوا على الصناجق وانفقوا على أن يكونوا معهم على طائفة الانكشارية وأرسل الاسباهية الرسائل الى أصحابهم المحافظين على الكشاف بالولايات يلزمونهم بالحضور فلما شاع الخبر بذلك رسم الباشا بعزل عثمان اوده باثى المذكور اخذوا نار الفتنة فلم يغن عزله شيئا ووردت الاخبار الى وفاق الانكشارية بان العسكر على أهبة القتال وانهم قد تجهزوا لذلك فبعثوا هم كذلك يطلبون أصحابهم من الجهات فاجتمعوا على الاثر ومروا بالاسواق فانزعج أهلها وأغلقت الحوانيت كافة واستمر أهل الوجقات الستة يجتمعون ويتشاورون في الامر وكذلك الانكشارية كانوا يجتمعون بالباشا ويتشاورون معه فيما يفعلونه مع العسكر وفي كيفية قتالهم وبالنسبة الى كل من الفريقين في التأهب والاستعداد * وقدم في هذه الاثناء محمد بك حاكم الافاق القبلية في جند كثير واتباع وعدة وطلع الى ديوان مصر على عادة حكام الصعيد الخلوعين ثم لبس الخلع السلطانية ونزل الى بيته بالصليبة فظن الناس أنه إنما اتى بعسكره لقتال العسكر أو وفاق الانكشارية فخافوا وانكشوا حتى كادت الاسواق كلها تتعطل وطال الحال بين أخذ ورد أياما فكانت الانكشارية لا تنفك عن مراقبة الحوادث والاخذ بصغائر الامور وقد شاع ان بعض الامراء يسعى للحصول على منصب امارة الحاج بدلا من قبطاس بك المعتاد فقرر في كل عام لهذا المنصب فلما علم الانكشارية بذلك اجتمعوا بسلاحهم ووقفوا خارج الباب الكبير على طريق الديوان كي لا يمكنوا أحدا من تولي امارة الحاج خلافاً لقيطاس بك وعلم الصناجق والامراء بذلك فخافوا شر العقوبة واجمعوا رأيهم مع أهل الوجقات الستة على نفي ستة أشخاص من الانكشارية وهم الذين بيدهم الحل والعقد واخراجهم من مصر الى بلد التزامهم تسكيننا للفتنة وعلم الانكشارية بما دبره هؤلاء فاجتمعوا في بابهم أيضا في عددهم وعددهم فلم يهزم الامراء والصناجق أمر اجتماعهم وقالوا لابد من نفيهم أو محاربتهم واجتمعوا هم كذلك في أبوابهم واستعد الانكشارية في بابهم وشحنوه بالاسلحة والذخيرة والمدافع وأغلق أصحاب الحوانيت حوانيتهم وملت الطرق من المارة ونقل جماعة الجاويشية مطبخهم من قلعة الجبل من النوبة

الى دار كنفدا الجاويشية وأقام الانكشارية منهم طوائف يحافظون على أبواب القلعة وباب الميدان والصحراء الذي بالمطبخ الموصل الى القرافة خوفا من أن العسكر يستميلون الباشا وينزلون الى الميدان واجتمع الصناجق بعد ذلك وبار العسكر واستقر الرأي بينهم على أن يفتدوا محمد بك الذي كان بالاقليم القبلى لحصار القلعة من جهة القرافة على المقطم بالمدافع والعسكر فقبل ذلك وأسرع في عمل الحصار فاته على أحسن ما يرام وخاف العسكر من وقوع النيب والفتنة بالمدينة اذا انتشب القتال بينهم وبين الانكشارية فألزموا مصطفى أغا الشراكسة بالنطواف في الاسواق وفي شوارع البلد وحاراتها وأقاموا أجد بك المعروف بأفريج أجداعات التفكشية لحصار طائفة الانكشارية من بابهم الموصل الى الحجر وباب الوزير ومنعوا من يصل اليهم بالمدد

أما الانكشارية الذين كانوا بالقاهرة فانهم اجتمعوا بباب الشرطة واتفقوا على أن يذهبوا العسكر المحافظين بالباب ويدخلوا الى باب الانكشارية فلما بلغ الصناجق والعسكر ذلك اندبوا ابراهيم الوالى ومصطفى أغا الجبجبة في طائفة من الاسباهية فنزلوا الى باب زويلة وعلم الانكشارية الذين اجتمعوا في باب الشرطة بنزولهم فتفرقوا واختفوا فجلس مصطفى أغا محمدا جلوس اوده باش و ابراهيم بك في محل جلوس العسس وانتشرت طوائفهم في فواحي باب زويلة وباب الخرق واستمروا على هذا الحال ليلة الاحد وأصبحوا وقد خرج نقيب الاشراف والعلماء وقاضى القضاة وأرباب الاشائر واجتمعوا بالشجونية في الصليبية وتكلموا فى الامر طويلا ثم كتبوا فتوى بانه ان لم يذعن الانكشارية الى نفي المظلوين والاجاز محاربتهم بغير معاودة * وأرسلوا الفتوى بحجة جوخدار قاضى القضاة الى باب الانكشارية فلما قرئت عليهم فترت عزائمهم وانفسلوا وأذعنوا الى ابعاد المظلوين بشرط ضمانهم من القتل فضمنهم الامراء والصناجق وكتبوا بذلك حجة وسلموها لهم ثم أنزلوهم الى أمير اللواء ابواز بك ورضوان أغا فساروا بهم فى الحال الى بولاق ومن هناك سيروهم الى الريف فلبثوا حينما ثم عادوا ففرقوهم على الوجاقات بعد رضا الامراء والصناجق * ولم تكن الفتنة قد سكنت تماما حتى جاء الخبر بعزل حسين باشا الوالى وولاية ابراهيم باشا القبودان وأن يكون حسين باشا المعزول نائبا عن ابراهيم باشا حتى يحضر فخرى في منتصف الحجة سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف هجرية وصعد الى قلعة الجبل فى الموكب المعتاد ونزل حسين باشا من القلعة الى بيت الامير يوسف أغا دار السعادة بسويقة عصفور وامامه الصناجق والاغاوات وكثير من أرباب المناصب فكانت مدة تصرفه ثلاث سنين واربعة أشهر وثلاثة عشر يوما * ولم يستقر المنصب بابراهيم باشا الوالى المذكور حتى أتاه الامر بخلعه وتولية آخر اسمه خليل باشا وذلك فى الخامس عشر من رجب سنة اثنتين وعشرين فنزل ابراهيم باشا من القلعة الى بيت عباس أغا ببركة الفيل وأقام به أياما فكانت مدة تصرفه ثمانية

مطلب
ولاية ابراهيم باشا وخلعه
وتولية خليل باشا

أشهر لم يعمل فيها عملا يذكر * ووصل خليل باشا وكان بصيدا واليا فأقام بالبر يوم الثلاثاء
خامس شعبان سنة ١١٢٢ اثنين وعشرين ومائة وألف وصعد الى القلعة في الموكب
المعتاد فلم يرض على جلوسه الا شهران حتى قامت الفتنة الثالثة بين أصحاب الوجقات
واستفحل أمرها وعم ضررها * وتحرير الخبر أنه في صفر من السنة أى سنة ثلاث وعشرين
اجتمع من يدعى حسن جاويش القازدغلى وآخر اسمه الامير سليمان جريجي وآخر
اسمه ابراهيم جورجي وعقدوا النية على ترك خدمة باب مستحفظان والانتقال الى خدمة
أخرى فذهب اليهم اختيارية بابهم واستعطفوهم وسألوهم الرجوع عن هذا العزم فلم
يقبلوا وصمموا على الخروج ثم طلب آخر اسمه موسى جورجي الخروج كذلك فلم يرض
رؤسائه بذلك فذهب موسى الى ابراهيم بك وايواز بك وقيطاس بك فسألهم الوساطة في أمره
فلم يقبل رضوان أغا رئيسه اجابة طلبهم ومانع في ذلك وشدد في المنع فلما رأوا منه الشدة
وعدم الرضوخ لطلبهم من اخلاء سبيل موسى المذكور انفقوا على اغراء الوالى على عزل
رضوان أغا وولاية على أغات الانكشارية سابقا بدله وان يعزل أيضا سليمان كخدا
الجاويشية ويولى بدله اسمعيل أغا تابع ابراهيم بك فكلما الباشا في ذلك وألحوا عليه في
عزلهم فامتنع وقد كان اختيارية وجاق الجلمية توافقوا مع الامراء والصناجق على عزل
رضوان أغا المذكور واجتمعوا ببيت باشجاويش واجتمع أهل كل وجاق ببابهم واستمروا
على ذلك أباما والوالى لا يجيبهم الى ما يطلبون خوفا من قيام العسكر عليه * أما الانكشارية
الذين انتقلوا الى العزب فانهم اجتمعوا بباب العزب وقطعوا الطريق الموصلة الى القلعة
ومنعوا من يريد الصعود الى باب الانكشارية من العسكر والاتباع فلم يبق في الطريق
الموصلة الى القلعة الا باب المطبخ ثم قصدوا سد السواقى لمنع الماء عن القلعة فنعهم
العسكر من الوصول اليها فكسروا آلات السواقى التى بعرب اليسار وخرّبوها وسار نفر من
الانكشارية من طريق الحجر يريدون الصعود الى قلعة الجبل فقبضوا عليهم وضربوهم
وشجّوا بعضهم فغضى أحدهم من طريق الجبل ودخل من باب المطبخ واجتمع باقرنج أجد
وبقية الانكشارية وأخبره بحالهم وما جرى لهم فأخذ جماعة منهم ورفعوا أمره الى الوالى
وفاضى القضاة وبالغوا في الشكوى وعظموا البلوى فقال القاضى قد جاز قتال هؤلاء القوم
حيث منعونا الماء وخرجوا عن طاعتنا وأخافوا الناس وسلبوهم فحقت محاربتهم * فلما
فاض الخبر بذلك تقدم أجد اوده باشا الى الوالى في محاربة أصحاب باب العزب فاذن له بذلك
وتعوق القاضى عن النزول ولبث مع الوالى وخرج أجد اوده باشا وشرع في القتال
وراسل الرمي بالمدافع على أصحاب باب العزب من بعد الزوال الى ما بعد العشاء واشتد عليهم
شدة بالغة فقتل من جماعة العزب كثيرين وعم الخوف أهالى مصر والقاهرة وباتوا ليلتهم تلك
وهم في خوف ما عليه من مزيد وأصبحوا وقد اجتمع الامير ايوازيك أمير الحاج والامير ابراهيم

بك أبو شنب وقانصوه بك ومحمود بك ومحمد بك تابع قيطاس بك الدفتردار وتحدوا فيما أصاب
 أصحاب باب العزب واتفقوا على أن يلبسوا آلة سلاحهم ويذهبوا الى الرميلة مددا للعزب
 على الانكشارية وهموا بذلك فاخبروا ان أيوب بك قد وضع المدافع على طريق المارين
 على منزله وعلى قلعة الكبش فامتنعوا من الركوب وجلسوا في بيوتهم بسلاحهم خوفا من
 طارق واستمر افرنج أحمد بمقذف نيران مدافعه على أصحاب باب العزب ثلاثة أيام بلياليها
 واجتمع على رضوان أغا طائفة من نفره وتذاكروا فيمن كان السبب في ائارة هذه الفتنة
 فعرفوهم وهم أربعة من الاختيارية نخلعوهم وكتبوا لهم مرسوما بان يخرجوا من بيوتهم
 ثم ذهبوا الى بيت قيطاس بك وأرسلوا من كل بلك اثنين من الاختيارية الى منزل أيوب بك
 يطلبون رضوان أغا فاركبوه في موكب حافل ثم عادوا الى منزل أيوب بك وتناجوا في أمر
 الصلح وكتبوا الى أحمد أوده باشي الذي هو افرنج أحمد بالكف عن القتال فأبى فكتبوا
 عرضا الى الباشا من جميع الصناجق وأغوات الوجاقات الخمسة بطلب الكف عن القتال
 فأرسل الباشا الى الانكشارية بالكف فامتنلوا وتركوا القتال وتكلم الصناجق والاغوات
 المذكورون مع بعض الاختيارية من وجاق الانكشارية في أمر الصلح فتقررت
 القاعدة بينهم على ارسال حسن كتحدا العزب وأحمد بن بقر رسلا الى المعسكر في طلب
 ذلك فاجتمعوا بالمعسكر والصناجق في بيت اسمعيل بك وحضر معهم أيضا جميع أهل الحل
 والعقد وتشاوروا في اخراج نار الفتنة بالتى هي أحسن وأرسلوا الى باب الانكشارية في
 ذلك فقالوا لانا بى الصلح بشرط ان هؤلاء الثمانية الذين كانوا سببا في ائارة هذه الفتنة
 لا يكونون في باب العزب بل يذهبون الى وجاقهم وأن يسلم الامير حسن الاخيمى الى
 الباشا يتصرف في أمره كيف يشاء فأبى أهل باب العزب ذلك ولم يرضوه فأرسل الامراء الى
 افرنج أحمد يشفعون عنده بأن الاشخاص المذكورين يرجعون الى وجاقاتهم فقط
 ويعفون من النفي ومن القبض على الامير حسن الاخيمى فلم يوافق افرنج أحمد على
 ذلك وقال ان لم يرضوا بشرطى والاحاربهم ليلا ونهارا حتى أمحو أثرهم فتفرقوا على غير صلح
 وبقي الحال على ذلك أياما ثم اجتمع جميع الامراء بمنزل ابراهيم بك بقناطر السباع وتذاكروا
 في أمر الصلح على كل حال وكتبوا حجة على ان من صدر منه بعد اليوم ما يخالف رضا الجماعة
 يكون خصم الجماعة كلهم وكلعوا أيوب بك في أن يرسل الى افرنج أحمد بصورة الحال وان
 يكف عن القتال الى تمام الامر المشروع فيه فبطل القتال نحو الخمسة عشر يوما وأخذ
 افرنج أحمد في خلال هذه الايام في تحصين جوانب القلعة وعمل المتاريس ونصب المدافع
 وتعبية الذخيرة وقد ملاء الصهاريج بالماء وصار على تمام الأهبة والاستعداد واتفق أن
 حضر في هذه الاثناء محمد بك حاكم الاقاليم القبلية ونزل بفضاء البساتين ولبث به ثلاثة أيام
 ثم دخل القاهرة ومعه السواد الاعظم من العربان والمغاربة والهواره فلم يكن بأسرع من أن
 جعل يقاتل كذلك بمن معه من جامع السلطان حسن ومن بيت يوسف أغاة الجراكسة فلم

يفلح وقتل من أصحابه جماعة كثيرة وانتصر عليه محمد بك المعروف بالصغير مع من انضم
 اليه من اتباع ابراهيم بك وابواز بك ومالكه وكانوا قد تترسوا في سوق السلاح ووضعوا
 المتاريس في شبابيك الجامع الذي هنالك فانتقل محمد بك المذكور وسار الى طولون وتترس
 بها وهجم على طائفة العزب الذين كانوا بسبيل المؤمنين فوقع بينهم موقعة عظيمة مات فيها
 خلق من الفريقين ولم يطق أهل العزب المقاومة فتركوا السبيل وذهبوا الى باب العزب فعند
 ذلك انكف محمد بك عن القتال وترك جماعة من أصحابه بالسبيل رباطا وسار عن بقي الى غير
 ذلك المكان ولما اشتد الحال وضافت أمور أهل البلد وكبر خوفهم سار جماعة من كبارهم
 الى الشيخ الخليلي أحد كبار المشايخ وشكوا اليه ما يلاقيه الناس فسار الشيخ الخليلي الى افرنج
 أحمد وتكلم معه ومع من كان معه من الاختيارية في أمر الصلح والكمف عن القتال وشدد
 في ذلك فرد عليه افرنج أحمد يهذي الكلام ويفحش القول وأرسل في الحال الى أصحاب
 المدافع أن يطلقوا مدافعهم على أصحاب باب العزب وأن يوالوا رعى القنابل فجعلوا يطلقونها
 تباعا فانزعج الناس كافة وكبر خوفهم وقام سكان باب العزب وأخذوا ماخف من أمتعتهم
 وتركوا بيوتهم ونزلوا بالمدينة وتفرقوا في الحارات بالقاهرة ومصر وأغلقت جميع الوكائل
 والخانات والاسواق وخرج أكثر السكان القريين من قلعة الجبل كالرميلة والحطابة والمجر
 هائمين على وجوههم وقد هدمت المدافع أكثر بيوتهم وأحرقتهم نارا وطاف الانكشارية
 يحرقون ما بقي من تلك الدور ولم يصب باب العزب شيء من ذلك الا القليل من أماكنه ثم ان
 افرنج أحمد وأيوب بك أقاما بعض أصحابهما بالمدرسة بقوصون وجامع مزداره بسويقة العزى
 وجامع قحماس بالدرب الأحمر ليعطوا الطريق على العزب واختار افرنج أحمد جماعة من
 الانكشارية وأعطى لكل واحد ديناراً وأرسلهم بعد الغروب الى تلك الأماكن ممددا
 لمن بها وجعل هو يقاتل من كان مع الجانبكية * واتفق أن مر في صباح ذلك اليوم رجل من
 أهل العزب ممن كانوا مرابطين في جامع مزدارة من ناحية السلطان حسن يريد منزله فقبض
 عليه طائفة من الانكشارية وسلبوه ثيابه وتركوه عرياناً وبعثوا به الى افرنج أحمد فلما بلغ
 أهل العزب ما حصل برجلهم أرسلوا طائفة منهم الى المتترسين بجامع مزدارة فدخلوا من بيت
 الشريف يحيى بن بركات ونقبوا منزل عمر كتحدا مستحفظان اذ ذاك وما يجاوره من الدور الى
 أن وصلوا منزل مراد كتحدا فلما رأهم العسكر الذين كانوا بالجامع المذكور فروا هاربين
 وتركوا الجامع وما فيه من أسلحة وذخيرة * أما عمر أغاة الشراكسة ومن كانوا معه بجامع
 قحماس فانهم بعد ان تترسوا وأحكموا متاريسهم بشبابيك الجامع فرقهم عمر المذكور جهة
 باب زويلة وجهة التبانة فوقع الخوف في قلوب سكان تلك الجهة ونزحوا منها الى حواري
 القاهرة حتى ضاقت بهم فأرسل أهل العزب صالح جوربجي الرزاز بجماعة من عسكر العزب
 وآخرين ممن انضم اليهم من الانكشارية وغيرهم فقاتلوا من كان بجامع قحماس واستولوا
 على الجامع والمتاريس وأخذوا كذلك جامع المرداني وقهروا من كانوا فيه وأقام به طائفة منهم

وأخرى بجامع أسلم وانتشرت طوائفهم بتلك الاخطا والاماكن فسكنت خواطر أهلها
واطمأنت قلوبهم قليلا

وهجم طائفة من تلك المتفرقة والاصهبانية على بيت الامير قرا اسمعيل ~~كتخدا~~
مستحفظان فدخلوا من بيت مصطفى بك ابن ابواز ونقبوا الحائط بينه وبين بيت قرا اسمعيل
المذكور فلما جاء الخبر الى أهل العزب أرسلوا طائفة منهم ومعهم بريق ومقدمهم أحمد
جويجي فلم يتمكن أحمد من الدخول من جهة الباب فخرق صدر دكان هناك وتوصل منه
الى بيت أحمد افندى كاتب الشراكسة ثم نقبوا منه محلا توصلوا منه الى حيث المتفرقة
والاصهبانية فداهموهم وهم مشغولون بنهب الاثاث والامتعة وهجموا عليهم هجمة واحدة
فألقوا ما بأيديهم من السلب ورجعوا الفهقري الى المكان الذي دخلوا منه فتبعوهم واقتل
الفريقان قتالا عنيفا الى ان دارت الدائرة على طائفة المتفرقة والاصهبانية وتفرقوا كل تفرق
ونهب طائفة العزب بيت مصطفى بك المذكور حيث مكن المتفرقة والاصهبانية من
الدخول الى بيته وانتقل أحمد بن معه من العسكر الى قوصون ودخل جامع الماس
وتحصن به وكان محمد بك حاكم الاقاليم القبلية في هذا الحين يغدو وروح ما بين جامع
الماس والصلبية فكمن له أحمد بطائفة من أصحابه بمنزل البيرقدار في محل فيه يشرف على
الطريق فلما مر بهم في وسط قومه أطلقوا عليه البنادق فأصابوا أربعة من أصحابه فظن
ان النيران أتت من بيت محمد كتخدا البيرقدار فوقف على بابه وأضرم فيه النار فاحترق
أكثره ونهبوا ما فيه من أثاث وأمتعة ولحقت النار بالبيوت الملاصقة والمواجهة له فعلقت
بها وعلا لهيها وطار شررها الى جميع بيوت تلك الخطة فأحرقت أكثرها من الرباع
والدكاكين التي هناك من ناحية جامع الماس الى تربة المطفر يمينا وشمالا وأفسدت ما بها
من أثاث ومتاع ومالم يحترق نهبه النهاية والحرافيش الذين كانوا يتبعون الحريق ويزيدونه
ضراما فكان المنظر مخيفا جدا وخرجت النساء حاسرات مكشفات الوجوه هائمات في
الازقة والحارات يطلبن الملقا وعم النهب والسلب في هذا اليوم الى حد لم يسبق له مثال
وتعطلت الطرق من المارة والهاربين من نيران الحريق وعلى الخصوص طريق بولاق القاهرة
ومصر القديمة والقرافة فقد كانت ملأى بالاخطا من طوائف الدجوية والهواره وغيرهم
الذين جاؤا مع محمد بك حاكم الاقاليم القبلية كما تقدم القول وقد أحاطوا بأطراف البلد
وصاروا يسلبون المارة واستاقوا جميع جمال السقائين وأخذوها فكان الخطب شديدا والكرب
عجبا * وانقسم العسكر في هذه الآونة الى فريقين فريق مؤلف من ابواز بك وقيطاس بك
وابراهيم بك أمير الحاج سابقا ومحمد بك وقانصوه بك وعثمان بك بن سليمان بك ومحمد بك
ومعهم بلوكات الاصهبانية الثلاثة والجاو يشية والعزب والثاني من أيوب بك ومحمد بك
الكبير وأغوات الاصهبانية ومحمد بك أغاة متفرقة باشي وأهل بلكه وسليمان أغا كتخدا
الجاو يشية وبلك الانكشارية المقيمين بقلعة الجبل مع افرنج أحمد والوالي وقاضي القضاة

ونقيب الاشراف وأغلقوا أبواب القلعة جميعها ما خلا باب الجبل فامتنع الناس من
التزول من القلعة أو الصعود اليها الا من الباب المذكور واستمر افرنج أجد ومن معه
يطلقون المدافع على باب العزب ليلا ونهارا وبالسبب المذكور خلق كثيرون منتشرون
حوله وحول ما قاربته من الحارات ورتبوا لهم جوامك تصرف اليهم في كل يوم * ولما طال
الامر على هذا الحال واشتد البلاء على الرعية اجتمع الامراء بجماع يشبك بدرب الجاميز
وأجمعوا على خلع الباشا وتعيين نائب من الامراء حتى يرد الامر من السلطان بما يراه
وانحدث كلمتهم على اقامة قانصوه بيك ثم ولوا أغوات البسلوكات وأرباب الرتب والوظائف
وأحكموا الترتيب فبلغ الخبر أغوات الانكشارية فاعلموا خليل باشا الوالي به فكبر عليه
وأعظمه وكتب الى أغوات جميع البلكات الثلاثة يحضهم على قتال الصناجق ومن معهم
لخر وجههم على نائب السلطان ثم جمع جماعة للقتال ورتب لهم جوامك ومرتبات
وانفق محمد بك حاكم الصعيد مع افرنج أجد على ان أحدهما محمد بك يهجم بأصحابه على
طائفة العزب من طريق قراميدان ويكسر باب العزب الموصل الى الميدان فوصل
خبر ذلك أيضا الى طائفة العزب فاستعدوا وكنوا على مقربة من بابهم فلما كان
بعد العشاء الاخيرة هجم محمد بيك وأصحابه على الباب وكان جماعة العزب قد أحضروا
شياً كثيراً من حطب القرطم وطلوه بالزيت والقار والكبريت فلما تكامل عسكر
محمد بيك أوقد جماعة العزب النار في ذلك الحطب فاضاء لهم قراميدان وصار كالنهار
فاطلقوا على أصحاب محمد بك البنادق وأحكموا الرمي وتابعوه ففر جماعة محمد بك
وتقهقروا وقد قتل منهم خلق كثير وأرسل خليل باشا الى ابراهيم بك وابواز بك وقيطاس بك
يطلبهم الى الديوان ليتفاوضوا في الامر فاعتذروا بما هم عليه من ترتيب أمور الدفاع وعدم
فتح الطريق فلما أيس منهم جمع اليه أيوب بك ومن انضم اليه من العسكر واستقرت
القاعدة بينهم على استمرار القتال حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا وبرزوا جميعا الى ظاهر
القاهرة وأخذوا في التآهب للقتال * فلما كان يوم الاحد ثالث ربيع الاول أرسلوا أيوب
بك ومحمد بك الى العربان ليأتوا بجميع جمال السقائين وجيرهم ويمنعوا الماء عن البلد ففعلوا
وأخذوا جميع ما وجدوه من الجمال والحير فعز الماء وبلغ ثمن القربة خمسة أنصاف فضة
فضج الناس وعجوا وابتهلوا الى الله تعالى وكبر الامر على أصحاب العزب فصار طائفة منهم
الى القصر العيني ليستخلصوا تلك الدواب وجلسوا يراقبون من يمر بهم من المعتصمين فلم يكن
بأسرع من ان دهمهم محمد بك بجماعة من طائفة الهوارة فدافعوا ساعة ثم هربوا وقد
قتل منهم جماعة كثيرة وأرسلت رؤسهم الى الباشا قيل فسر ذلك جدا ورجع المهزمون
الى بيت قانصوه بك وابواز بك وأخبروا بما حل بهم فكبر الامر على قانصوه بك وابواز بك
وصمما على البراز فربكا في يوم الاثنين رابع عشر ربيع الثاني وخرج الفريقان الى جهة
فصر العيسى والروضة واقتتلا قتالا عنيفا قتل فيه من العسكر خاصة زهاء الاربعائة

من الفريقين خلاف العربان والهواة وغيرهم من الاخلاط وركب ايواز بك على محمد بك
حاكم الاقاليم القبلية فانهمز محمد بك الى جهة المجرى فساق خلفه وكان محمد المذكور
قد اجلس كينسا فوق المجرى فلما مر بهم ايواز بك أطلقوا عليه الرصاص وعلى من معه
فأصابوه في صدره فسقط عن جواده ميتا وتفرق من كان معه فقام عليه من بالكين
واحتزوا رأسه وجاء الخبر بقتله الى أصحابه ففترت عزائمهم وضعفت قلوبهم وذهبوا في طلبه
فوجدوه جثة بغير رأس فحملوه وذهبوا به وتفرقوا وتمزق جمعهم * اما جماعة الانكشارية
فانهم طلعوا بالرأس الى مقر الباشا وأعلموه بما جرى ففرح وظن تمام الامر وسكون الفتنة
بوت ايواز بك وأمر بالرأس فسلخ ثم طلبه أصحاب ايواز من أيوب بك فدفعه لهم
فدفعوه مع الجثة واشتد حزن أصحاب ايواز بك على فقده وكبر كيدهم مما حل به فاجتمعوا
ببقية الامراء وولوا ابنه بدله وتجهزوا للقتال فتجهز الفريق الثاني أيضا وخرجوا
في يوم السبت تاسع عشر ربيع الثاني والتقى الجمعان فوقع بينهما أمور بطول شرحها فلما رأى
جماعة العزب اشتداد الامر وعدم التمكن من الوصول الى قلعة الجبل وامتناع من بها ونوالى
الرمي عليهم بالمدافع ليلا ونهارا اتحدت كلمتهم على أن يولوا كتحدا جديدا لطائفة الانكشارية
ويجلسوه بباب الوالى بطائفة من العسكر وينادوا فى الشوارع ان كل من له علوفة فى وفاق
مستحققان يأتى تحت البيرق بالبوابة ومن لم يأت بعد ثلاثة أيام نهب بيته من غير معاودة
ففعّلوا ذلك وركب الكتحدا المذكور وألبسه قانسوه بك النائب قفطانا وسلمه البيرق فسار
العسكر امامه بالبيرق والمنادى ينادى بما ذكر الى أن وصل الى بيت الوالى * وعادوا الى
القتال فبرزوا الى خارج القاهرة من باب قناطر السباع واجتمعوا بقصر العيني بالمدافع
وآلات الحرب واقتتلوا من ضحوة النهار الى العصر فقتل من الفريقين خلق ثم افترقوا
وعاد بعضهم الى البلد وتخلّف طائفة من العزب فألقى اليهم محمد بك حاكم الاقاليم القبلية
وأحاط بهم من كل جانب فلما بلغ الخبر قانسوه بك أرسل اليهم مددا فقاتلوا محمد بك وهزموه
شرهزيمة وتبعوه الى قنطرة السد وكان أيوب بك فى هذه الاثناء مترسا بداخل التكية المجاورة
لقصر العيني فلما شاهد احتدام الوطيس فرونجا بنفسه فأحرق طائفة العزب القصر ونهبوا
ما فيه واستمر الحال على هذا المنوال أياما متتابعة

وأرسل قانسوه بك الى من بالقلعة من الوجقات يتهددهم بحرق بيوتهم ونهب ما فيها
ان لم يتركوا ما هم فيه من القتال والعمل بإشارة افرنج أحمد فاختلفت عند ذلك كلمتهم وخارت
عزائمهم وأرسل قانسوه بك بعض الامراء والعسكر الى نهب بيت أيوب بك وغيره من بيوت
الامراء فاتصلوا بها من ربيع يجاورها وأطلقوا على من بها النيران فهرب أيوب بك
وأتباعه فدخلوا ونهبوا ما فى البيت وعم النهب فى ذلك اليوم جميع دور الامراء وأحرقوا
منها ما قدروا عليه ونهبوا ما جاورها من الدور والربوع والدكاكين وغيرها وتقوّت بذلك
عزيمتهم فأرسلوا طائفة منهم الى الجيوشى ومعهم بعض المدافع فجعلوا يطلقونها تباعا على

بيت الباشا وعلى قلعة المستحفظان وأحاطوا بالقلعة من أسفل ورموا بالبنادق فرفع الباشا عند ذلك على يديه بيرقا أبيض يطلب الامان وفر من كان داخل القلعة من العسكر فهجمت العساكر الخارجة على الباب واقتحموه عنوة ودخلوا الديوان فانزعج الباشا وأرسل القاضي ونقيب الاشراف يطلبان له الامان فتلقوهما بالتكريم فقالا ان الباشا يقرئكم السلام ويقول لكم اننا كنا اغترنا بهؤلاء الشياطين وقد فروا والمراد أن تعلمونا مطلوبكم فلا نخالفكم فقالوا أعلم بأن الصناجق والأمرأء والاغوات وسائر العسكر قد اتفقوا على خلعهم وان قانصوه بك يكون نائباً وأما الباشا فانه ينزل ويسكن في المدينة الى أن تعرض الأمرأء على الدولة ويأتينا الجواب فأرسل القاضي نائبه الى الباشا يعرفه بذلك فأجابه بالطاعة واستأمنهم على نفسه وماله وأتباعه وركب من ساعته في خواصه يقدمه قانصوه بك وأغات مستحفظان على عينه وأغات المتفرقة على شماله واختيارية الوجاقات من خلفه وامامه ونزل من باب الميدان الى الرميطة على الصليبة وقد اصطف العامة على جانبي الطريق وهم يسبونهم ويلعنونهم ويخطبونهم بفحش القول الى أن وصل الى بيت على أغا الخزندار بجوار المنظر * وهجم بعد ذلك أصحاب العزب على باب مستحفظان فلكوه ونهبوا ما وجدوه فيه من متاع وغيره وقتلوا من صادفوه بالباب وبطريق الحجر من أصحاب الفتنة وطلع الذين كانوا بباب العزب من الانكشارية الى بابهم فكانت عدتهم ستمائة ثم اجتمع الأمرأء جميعاً ببيت قانصوه بك وكتبوا محضراً بصورة ما وقع وطلبوا من دار السلطنة ارسال وال آخر وانقضت الفتنة وسكنت الخواطر * ولبت خليل باشا محجوراً عليه بالقاهرة حتى جاء والى باشا من دار السلطنة وصرح له بالسفر فسافر في ثامن عشر جادى الأولى سنة أربع وعشرين ومائة وألف هجرية فكانت أيامه كلها فتناً وقتالاً وهى سنة وتسعة أشهر وأيام وكانت أيام هذه الفتنة خمسة وسبعين يوماً * وطلع والى باشا الى مقره بقلعة الجبل في أواخر شهر رجب سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف هجرية

مطلب
ولاية والى باشا

واتفق ان جلس في مستهل شهر رمضان واعظ من الروم بمجامع السلطان الملك المؤيد وأخذ يعظ الناس فكثير عليه الجمع وازدحم المسجد بالأتراك وصار يجلس كذلك في كل عام ثم انتقل من الوعظ الى ذكر ما يفعله أهل مصر بأضرحة الاولياء من ايقاد الشموع والقناديل في القبور وتقيل أعتاب الاولياء وغير ذلك وصرح بأن فعل هذا كله منكر يجب على الناس الاقلاع عنه وعلى ولاة الأمر السعى في إبطاله وعرض بذكر ما قاله الشعرا في طبقاته ان بعض الاولياء اطلع على اللوح المحفوظ وقال انه لا يجوز ذلك أبداً وان الاطلاع على اللوح المحفوظ لا يمنح حتى ولا للأنبياء فضلاً عن الاولياء وندد ببناء القباب على أضرحة الاولياء والتسكيا وجزم بهدمها وذكر أيضاً وقوف الفقراء بباب زويلة في ليالى رمضان فكان لقوله وقع مهم في قلوب السامعين وما أتم كلامه حتى خرج الناس بعد الصلاة ووقفوا بالنبايت

والمساق والاسلحة على مقربة من باب زويلة فهرب الذين يقفون هناك فقطعوا الجوخ والاكر
التي كانت معلقة وهم يقولون أين الاولياء فتأثر الناس من ذلك جدا وذهب بعض
العامه الى العلماء بالازهر وحدثوهم بما قاله الواعظ الروي وما فعله الناس بباب زويلة فأفتى
الشيخ أحمد الغزالي والشيخ الخليلي بأن كرامات الاولياء لا تنقطع بالموت وان انكار الواعظ
المذكور اطلاق الاولياء على اللوح المحفوظ لا يجوز ويجب على الحكام كفه عن ذلك فأخذ
بعض الناس تلك الفتوى ودفعها للواعظ وهو في مجلس وعظه فلما قرأها غضب وقال أيها
الناس ان علماء بلدكم قد أفتوا بخلاف ما ذكرت لكم واني أريد أن أتكم معهم وأباحثهم
في مجلس قاضي القضاة فهل منكم من يساعدني على ذلك وينصر الحق فصاحوا جميعا
نحن معك لانفارك فتزل عن كرسيه واجتمع عليه من العامة خلق كثير وهم بهم من وسط
القاهرة الى أن دخل بيت قاضي القضاة فانزعج القاضي وخاف وسألهم عن السبب لحضورهم
فرفعوا له ورقة الفتوى وطلبوا منه احضار المفتين والبحث معهم بحضرته فقال القاضي
لابأس عليكم اصرفوا أولا هؤلاء اللوم ثم يحضر من أفتى بهذه الفتوى فقالوا وما نقول أنت
في هذه الفتوى فقال هي باطلة قالوا اكتب لنا حجة يبطالها فقال ان الوقت قد فات
والشهود قد انصرفوا قال الراوي وكان الذي يخاطبهم ترجان القاضي فقبضوا على الترجان
وأوسعوه ضربا وطلبوا القاضي فهرب فقبضوا على النائب فكتب لهم حجة بما سأوا فتفرقوا
وانصرفوا واجتمعوا بعد ذلك لسماع الواعظ على عادتهم فلم يحضر فأخذوا يسألون عنه فقال
بعضهم ربما منعه القاضي من الجلوس فقام في الحال رجل منهم وقال أيها الناس من أراد
أن ينصر الحق فليتبعض فنبعه الجهم الغفير فضى بهم الى مجلس القاضي فدخلوا عليه وقالوا
أين شيخنا قال لا أدري فقالوا قم واركب معنا الى الديوان لنكلم الباشا في هذا الامر
ونسأله أن يحضر لنا أخصامنا الذين أفتوا بقتل شيخنا وتباحث معهم فان أثبتوا دعواهم
نجوا من أيدينا والا قتلناهم فركب القاضي مكرها وتبعوه الى أن طلوعوا الديوان
فسأله الباشا عن سبب حضوره فعرفه بقصة القوم الذين حضروا معه وما وقع منهم
بالامس واليوم وانهم ضربوا ترجانه وأخذوا الحجة فها وأتوا اليوم وأركبوه فها فأرسل
الباشا الى كتخدا الانكشارية والى كتخدا العزب وقال أسألا هؤلاء عن مرادهم فقالوا نريد
احضار الغزالي والخليلي ليجننا مع شيخنا فيما أفتيا به فرسم الباشا باحضارهما وافترقا
على ذلك فأرسل الباشا بعد افتراقهم الى ابراهيم بك وقيطاس بك يعلمهما بما حصل من
العامه ويقول ان لم يعاقب هؤلاء فلا بد لي من السفر أنا وقاضي القضاة ❀ أما العامة فانهم
نزلوا برسوم الباشا الى جامع الملك المؤيد وأتوا بالواعظ وأصعدوه الى كرسيه فصار يحضهم
على الاجتماع في غد بالمؤيد كي يذهبوا بجملتهم الى القاضي ويحضهم أيضا على الانتصار للدين
وقمع طائفة المفسدين ثم افترقوا على ذلك ❀ ولما وصل مرسوم الباشا بعاقبة العامة الى الامراء
اجتمعوا جميعا ببيت الدفتردار وتناجوا في الامر فانفقوا على ان تركب الاغوات وتطوف

بالشوارع والحارات فمن وجدوه من أهل تلك العصاة قبضوا عليه وأن يطردوا كل من يجدونه في جامع المؤيد من طائفة الترك فلما كان اليوم الثاني صباحا ركب الانغا وأرسل الجاويشمة الى جامع المؤيد فلم يجدوا منهم أحدا وجعل يفحص ويفتش على أفراد المعتصين فمن ظفر به أرسله الى بابه فضرب بعضهم ونفى بعضهم وما زالوا كذلك حتى سكنت الفتنة وعادت الأمور الى ما كانت عليه

وما كادت تطمئن القلوب بسكون هذه الفتنة حتى ظهرت فتنة أخرى ومحنة كبرى وذلك ان رجلا من الاشراف تشاجر مع تركي في سوق البندقانيين فضرب التركي الشريف فقتله وفر ولم يعلم أين ذهب فقام الاشراف كافة ووضعوا المقتول في نعش وطاقوا به الاسواق حتى طلعوا به الى الديوان وأثبتوا القتل على القاتل فلم يقفوا له على أثر فنزل الاشراف وأصبحوا وقد قفلوا الاسواق التي بالقاهرة وصاروا يرجون أصحاب الخوانيت بالحجارة كي يقفلوا حوانيتهم ويضربون كل من عثروا عليه في الطريق من المارة ومكنوا على هذا الحال يومهم وأصبحوا كذلك وأرسلوا الى الاشراف القاطنين بقرى مصر ليحضروا ثم اجتمعوا بالمشهد الحسيني وخرجوا وامامهم بيرق وساروا الى بيت قيطاس بك الدفتردار فخرج عليهم أتباعه وطردهم وهزمهم بعد قتال فرجعوا وقد عاثوا بالطرق وفعلوا مالاخير فيه فلما تفاقم أمرهم وكادت الفتنة تتسع تحرك عليهم العسكر وركب أعوات الاصهبانية الثلاثة وأعوات الانكشارية في عددهم وعددهم وطاقوا المدينة بخاف الاشراف وتفرقت جموعهم ثم نادوا بالامن والامان وفتح الخوانيت ففتحت وسكنت الفتنة بعد ان كاد يستفحل أمرها

وأعقب هذه الفتن المتراكمة والحن المتوالية طاعون شديد أمت خلقا كثيرا جدا وبقي على شدة بالقاهرة ومصر من ربيع الاول من السنة الى أواخر جمادى الثانية ففتك فتكا ذريعا وعم وامتلاأت البيوت والطرق بالموتى والدفن مستمر ليلا ونهارا فكانت شدة عظيمة للغاية ثم ارتفع وزالت بزواله ولاية والي باشا وجاءت الاخبار بعزله وتولية عابدين باشا فقدم الى مدينة الاسكندرية ثم حضر الى القاهرة في صفر سنة خمس وعشرين ومائة وألف هجرية فنزل والي باشا وسافر الى الديار الرومية فكانت مدة تصرفه عشرة أشهر وأياما وأخذ عابدين باشا يتصرف في الامور فقدم له الامراء كافة التقدام والتعالي النفيسة وقدم له اسمعيل بك أيضا تقديمة نفيسة للغاية فاستعظمها عابدين باشا ومال اليه وأحبه واختص به ومال الى طائفة القاسمية ارضاء لاسمعيل بك المذكور فجعل يوليهم المناصب العالية حتى ظهروا بظهرهم القديم من لاهية والتكريم وزال عنهم البأس ولازمتهم النعمة فصارت أمور البلاد على أحسن ما يرام واستتب الامن وعم واطمأنت قلوب الرعية وكثرت الاقوات ودرت الارزاق وارتفع الغلاء وزال الوباء وراجت أسباب التجارة وسلكت الطرق وأخصبت الارض وأجادت فكانت أيام عابدين باشا المذكور كلها راحة وهناء فلما كانت أخريات سنة ثمان وعشرين ومائة وألف جاء الخبر بعزله وولاية آخر اسمه على باشا فأسف

مطلب
ولاية على باشا

الناس لذلك وحزنوا عليه ونزل عابدين باشا من قلعة الجبل عند ما وصل الخبر بوصول علي باشا الى الاسكندرية ثم سافر الى الديار الرومية قبل وصول علي باشا الى القاهرة فكانت مدة نصرته ثلاث سنين الاشهر وسافر الى الاسكندرية ارباب الخدم والعكاكيز وبكار الامراء للقاء علي باشا المذكور وحضروا معه الى القاهرة فصعد الى قلعة الجبل على الرسم المعتاد واستقر به المنصب والامور والفتن نائمة والقلوب مطمئنة فلم يبق الحال كذلك مستتب الا قليلا حتى قامت الفتنة بين أهل بولاق القاهرة من حارة الجوابرو وبين بعض الجمالة اتباع أمير الحاج وذلك ان بعض سكان الحارة المذكورة تشاجروا مع نفر من الجمالة لاسباب طفيفة للغاية فأدت هذه المشاجرة الى الملاكمة والمضاربة بالايدي ثم بالهراوى والمساوق وعلا الصياح واجتمعت الغوغاء والحرافيش وكثرت الجلبة فخرج لمعاونة الجمالة أمير اخور الاصطبل ومعه نفر من الاتباع فقام عليهم أهل الحارة كافة وأوسعوهم ضربا بالمساوق فوصل خبر ذلك الى الأمير اسمعيل بك أمير الحاج فأرسل اليهم أغات الانكشارية والوالى فقاموا عليهما كذلك وضربوهما وكانت النساء في هذه الاثناء يصوتن بأعلى أصواتهن والصغار يضحون ويسبون كل من يحضر اليهم ويرجون بالاجار في الحارات ومن أعالي البيوت فعاد الوالى ورجع اليهم بطائفة من الجند وقصدوا الحارة فتتس فيها أهلها وعلت الاصوات وصعدت النساء على أسطح البيوت وصرن يرجن بالاجار فأطلق الجند البنادق فقتلوا عدة رجال ثم هرب من بقي فدخلوا البيوت وأخرجوا النساء والاولاد وجلت النساء متاعهن ثم قفلوا الابواب ودقوا فيها المسامير فسكنت الفتنة ولم يبلغ خبرها من بالقاهرة ومصر القديمة خافوا وظنوا انها من الفتن الكبرى فانكشوا ايلتهم تلك وتعطلت الاسواق حتى شاع الخبر بسكون الفتنة ورجوع الحال الى سابق مجراه

واتفق ان أرسل الوالى الخزينة السلطانية صبيحة محمد بك ابن ابراهيم بك أبى شنب وكان بين محمد بك المذكور وبين اسمعيل بك ابن ايواظ وعلي باشا الوالى نفور ووحشة فلما وصل محمد بك الى دار السلطنة واجتمع بصدر الدولة يومئذ وثى في حق اسمعيل بك وبالغ في الوقعة به وقال انه ان استمر على هذا الحال وطالت أيامه في مصر استقل بملكها وأزال عنها نواب الدولة فقد تمكن منها وبث في خدمتها أتباعه ومماليكه ومماليك أبيه وأن لاحمة للوالى عنده ولا كلمة فوق كلمته وقد أبعد كل من كان ناصحا للدولة وصادقا في خدمتها وجعل للدولة أربعة آلاف كيس ان هى أزال اسمعيل بك المذكور وخلعت على باشا الوالى وأنت بغيره قيل فأجابه الصدر الأعظم الى ذلك وبقي الامر مكتوما بينهما الى أن تعين أمير للحجاج الشامى اسمه رجب باشا فرسم له الصدر بأنه اذا وصل مصر بعرج على القاهرة ويقبض على علي باشا واليها ويقتله ثم يحتمل على قتل اسمعيل بك ابن ايواظ مع جميع عشيرته ماعدا علي بك الهندى * ورجع محمد بك أبو شنب ظافرا مطمئنا وجاء رسول رجب باشا ومعه مرسوم بحبس علي باشا الوالى واقامة أحمد بك الاعسر نائباً بفسوه

في قصر يوسف بك ثم جاء رجب باشا الى القاهرة وصعد الى قلعة الجبل في موكب حافل فلما استقر به المقام أحضر على باشا بين يديه وكذلك خازناده وكتب الخزينة والروزنامجي ورسم بعمل حساب على باشا ثم أمر به فذبحوه ذبح الشاة واحتزوا رأسه وسلخواها وبعث بها الى دار السلطنة قال بعض الكتابات على باشا شهيد الزور والافتراء ودفن بمقام أبي جعفر الطحاوي بالفراغة قال ويعرف قبره الى الآن بعلى باشا المظلوم ثم رسم بضبط جميع خلفائه واستحضر اليه خفيه محمد شركس وشاوره في كيفية قتل ايواظ بك وجماعته فدبروا له ولكن لم يتم له تدبير اذ اختفى ابن ايواظ مدة ثم ظهر ومعه فرمان السلطان بخلع رجب باشا فدفعه اليه وأنزله من قلعة الجبل الى بيت مصطفى كتندا عزبان ووكل به من يحرسه ولبث على هذا الحال أياما الى ان جاء للولاية من قبل الدولة محمد باشا البستانجي وذلك في أوائل سنة ثلاث وثلاثين فكانت مدة ولاية على باشا المظلوم سنتين وبعض أشهر

مطلب
ولاية محمد باشا البستانجي
وخلع رجب باشا

ولما استقرت بمحمد باشا الولاية أبرز فرمانا سلطانيا بالعفو عن ابن ايواظ وسرح رجب باشا بالسفر فسافر مهانا مرذولا وقد كان استفحل أمر محمد بك شركس واعتز جانبه في أيام رجب باشا فظهر بظهور الكبرياء والعظمة والاستغفاف بأقرانه من الامراء وكان حقه على الامير ذى الفقار وقومه يزاد يوما عن يوم فطلب من محمد باشا الوالى مرسوما بالخروج على ذى الفقار المذكور وقتله فأبى محمد باشا ذلك فألح عليه فلم يقبل فقام من عنده يوما مغضبا وانقطع من ذلك اليوم عن الصعود الى الديوان وأهمله فغضب لذلك الباشا وأبرز مرسوما بخلع محمد شركس المذكور من منصبه وكتب الى المشايخ وأرباب الوجاهات بذلك فلما علم محمد شركس بالخبر أسرع وجع اليه أصحابه ورتب أموره وقام معهم وأحاطوا بالرميلة وحوالى قلعة الجبل ونادوا بخلع محمد باشا البستانجي ثم أنزلوه من القلعة وسجنوه في بيت ابن الوالى وكان ذلك في أخريات سنة سبع وثلاثين فكانت مدة تصرفه في هذه المدة التى هى المرة الثانية أربع سنين وأرسل الى محمد بك أبى شنب نخلع عليه ولوه النيابة وأخذوا منه مرسوما بقتال ذى الفقار وأصحابه وأرسلوا من يقتله ويأبى رأسه فلم يظفروا به واختفى ذو الفقار فنهبوا داره وأخذوا ما فيها وكتبوا بصورة الحال الى دار السلطنة وطلبوا أن ترسل لهم واليا آخر بديل محمد باشا البستانجي وكان محمد باشا المذكور قد كتب أيضا بصورة ما وقع فأرسلت الدولة آخر اسمه على باشا فدخل القاهرة في أوائل المحرم سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف هجرية فلم تستقر به لولاية حتى عمدا الى العزل والتنصيب فى الأمراء والحكام ونقض فيهم وأبرم والكامة يومئذ لمحمد بك أبى شنب واسماعيل بك ابن ايواظ * قال بعض الكتاب ولما كان هذا العزل ولتغيير لم يتناول الا ذو الفقار وجماعته اجتمعوا وتشاوروا فى الامر وتكلموا فى كيفية خلاصهم من فعال على باشا المذكور وقد تحققوا ما وراء ذلك من الخيبة ان هم تراخوا وما زالوا حتى أحكموا تدبير أمورهم وعلى باشا وبقيّة الامراء فى شاغل عنهم بالمناصب وتفريق الوظائف والعزل والتولية ثم ظهر ذو الفقار من مخبئه

مطلب
ولاية على باشا

واجتمع بمحمد باشا البستانجي المعزول ولم يكن الى ذلك الحين قد سافر الى الديار الرومية
 وكلمه في أمر الخروج واضطرام نار الفتنة فاستقرت القاعدة بينهما على اعمال الخيلة على
 قتل كتحذا العزب فاذا تم لهم قتله امتلكوا باب العزب وظفروا بمقصودهم ثم جمعوا لذلك
 طائفة من الفقارية وأخرى من الشواربية وركب أبودفبه أحد المقدمين عند فجر ذلك
 اليوم ومعه بعض الامراء وقيطاس ذوالفقار وحوله عدة من الكبراء من قومه وربطوا
 الاربطة بالطريق الموصل الى قلعة الجبل وساروا الى الرميلة ووقفوا هناك فلما مر بهم كتحذا
 العزب المذكور تقدم اليه أحدهم لبس عليه وقبض على يده وتبعه آخر وضربه بسيفه
 فسقط الى الأرض فتركوه وترا كضوا جميعا الى الباب وأجلوا من كانوا عليه وامتلكوه
 ووصل الخبر الى محمد باشا البستانجي فركب في الحال وجاء الى جامع المحمودية وأتى الى
 على باشا من أعلمه بالخبر فنزل الى باب العزب وهو في دهشة وحيرة واجتمع جميع الصناجق
 وتشاوروا في الامر طويلا فلم يروا بدا من أن يعيدوا الوظائف الى ما كانت عليه تسكيناً
 للفتنة وقسموها بين الفقارية * واتفق ان قبطاناً من قباطين دار السلطنة كان قدم الى القاهرة في
 نفر من العسكر السلطاني ولبث بها فلما ظهرت هذه الفتنة ووصل اليه خبرها ركب في عسكره
 وأتى الى جامع السلطان حسن واستقر به مع ذى الفقاريك وظهرت كلمة محمد باشا البستانجي
 في الحال فجعل يقسم المناصب العالية ويتصرف في الولاية وخلع على الامراء أصحاب الفتنة
 ولبث على هذا الحال بجامع المحمودية مع أصحابه أياماً * فلما رأى محمد بك شركس ان قد
 تمت الخيلة ودارت عليه وعلى أعوانه الدوائر كبر عليه هذا الامر جدا وجعل يتأهب للذب
 والقتال وسير من فوره الى بيت قاسم بك عدة كبيرة من الجند والمدافع ورسم فأقاموا المتاريس
 عند درب الحمام وجامع الحصرية وهجمت عساكره على من كانوا بسبيل المؤمنين بالبنادق
 حتى أجابوهم وهزموهم وهربوا الى جهة القلعة وسوق السلاح ولكنهم تمكنوا من عمل
 متاريس عند مذبح الجمال ورموا على من كانوا بجامع المحمودية وتتابع الرمي من كل صوب
 وحذب فهرب المجتمعون بالرميلة وبنى أصحاب شركس المذكور المتاريس أيضا عند وكالة
 بالاشكينية وما زال في دفاع وقتال حتى كاد يتم له التطرف بالفقارية وبدأت شارات النصر
 وعلام الفوز والغلبة فبرز يوسف الخرججي البركاوى وألقى بنفسه وتسلى على باب العزب
 ونظ الحائط تحت رمي البنادق واتصل بمحمد باشا البستانجي ومن معه بجامع المحمودية وطلب
 أن يعطوه مرسوما الى كتحذا العزب كي يعطيه بيرقا ومائة مقاتل وضمن لهم اجلاء الذين
 كانوا بسبيل المؤمنين ثم يقول بعد اجلائهم بمن معه الى بيت محمد شركس فيخبره
 تخريباً بشرط أن يولوه منصب كتحداثية العزب ان عاد اليهم ظافراً فأجابوه الى ما طلب فزل
 بمن معه من باب الميدان وسار بهم من جانب تكمية اسمعيل باشا ووقف بجانب باب كان
 هناك يوصل الى الرميلة وطوى البريق وهجم بمن معه على سبيل المؤمنين يطلق النيران المتتابعة
 وهم يمللون ويكبرون فانزعج من كانوا بالسبيل وتخبروا في أمرهم وولوا جميعاً الادبار الى

درب الحصارية وأصحاب يوسف جورجي في أفقيتهم يعملون فيهم الضرب والطعن حتى جاوزوا جميع مناريسهم ودخل بيت قاسم بك فحولوا المدافع صوبه وصعدوا منارة جامع الحصارية ورموا بالبنادق على البيت فنزلت عند ذلك سائر البنادق من الابواب وساروا الى جهة الصليبة وطاع القبطان الى قصر يوسف بك ووضع مدفعا على بيت محمد بك شر كس وأطلق عليه الكلل تباعا وقد كان قاسم بك أصيب برصاصة ممن كانوا بمنارة جامع الحصارية فمات فلما رأى محمد شر كس ما حل بقومه وما يترصده من المنكارة خرج هاربا فخرج معه محمد بك الاعسر ومحمد شر كس الصغير وأخذ جميع أمواله وذهب بأصحابه الى ناحية مصر القديمة وعبروا النيل الى الجانب الغربي خفية وركب محمد باشا البستانجي وصعد الى قلعة الجبل في أهبة وكبكية ثانية فنزل على باشا وسافر الى جزيرة جريد وقبض ذو الفقار بك على زمام الامور فارتفعت كلمته وظهرت بعد الجول والانكماش عظمتة وبعث بمن يقبض على محمد بك شر كس فجاءه الرسل السير خلفه فلم يدركوه ورجعوا فأخبروا انه سار الى الجبل الاخضر ومنه الى أدرة وكان خروج محمد شر كس المذكور في يوم السبت سابع جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف فسكنت بعد خروجه الفتنة وزالت أسبابها ووقف كل عند حده قال بعض الرواة وهذه الفتنة كانت بإيعاز من دار السلطنة

واتفق بعد ذلك بقاليل ان علي بك المعروف بابي العزب ومصطفى بك ابن ايواظ ويوسف بك الخائن ويوسف بك ابن الشراي وعبد الله أغا كتحذا الجاويشية وسليمان أغا آبادية وهم جميعا من طائفة القاسمية جلسوا على عادتهم في بيت أحدهم على بك أبي العزب يشربون الخمر فلم أخذ الشراب من عقولهم في تلك الليلة تأوه مصطفى بك ابن ايواظ وقال يموت أخي العزيز الصغير والكبير ويصير الهندي مملوكنا سلطانا على مصر وله الكلمة النافذة علينا والوالى في قبضة يده وكان النيل قريب الوفاء فقال على بك خفف عنك والله اني لقاتل الباشا يوم جبر البحر فقال أبودفية واني لقاتل ذو الفقار وقال مصطفى بك واني قاتل الهندي مملوكنا ثم تحالفوا على ذلك وتعاهدوا على العمل وكان معهم في تلك الليلة مملوك من ممالك عبد الله بك وقد كان هرب عند قتل سيده ووطن بالهندي وأقام في خدمته أياما فلما ارتقى مصطفى بك المناصب العالية أخذته من الهندي وجعله في خدمته فلما سمع هذا المملوك ما نعتوا عليه ذهب الى على بك الهندي وأعلمه بالخبر فبعث به الى ذى الفقار فأخبره أيضا فبعثه الى محمد باشا فأخبره * فلما كان يوم الديوان وقد صعد على بك أبو عزب الى الخدمة بالديوان أمر به الباشا فقبضوا عليه وقتلوه من ساعته تحت ديوان السلطان قايت باي وأحاط بداره ونهب ما فيها وكان شيئا كثيرا للغاية وأرسل في الحال مرسوما الى الانا بالقبض على باقي أصحاب هذه المؤامرة فكان أول من قبض عليه منهم ابن ايواظ فار كبهه جارا وأتوا به الى الباشا فأمر به فقتل في الحال واختفى الباقيون فضعف بذلك جانب القاسمية

وانحط قدرهم وعلت كلمة الفقارية ولم يبق ظاهرا من القاسمية الاعلى بك الهندي فعمل
ذو الفقار على قتله أيضا فقتله وقتل معه آخرين

وانفق ان عاد في هذه الاثناء محمد بك شركس من فراره على ماتقدم بيانه فلما علم أصحابه
برجوعه جاؤا اليه وأقبلوا جميعا عليه فركب معهم ونزل الى البحيرة يريد الاسكندرية فلاقاه حسين
بك الخشاب في جنوده يريد منعه والتفربه فهزمه شركس وغنم خيامه وخيله وجاله ثم هبط
الى الفيوم ونزل على بنى سويف ثم الى القطيعة على مقربة من جرجا فاجتمع عليه من بقى منهم
من القاسمية المتشردين فقام لصدده حسين بك ماكم جرجا فركب عليه شركس المذكور وقاتله
فقتل حسين بك وجاعة كثيرة من أتباعه وغنم شركس آلاتهم وجميع معداتهم وجاءت الاخبار
بذلك الى القاهرة فجمع ذو الفقار الامراء وشاورهم في الامر فجهروا لذلك عسكريا عظيما
صحبة عثمان بك وآخر اسمه على بك قطامش فملاقوا مع شركس بوادى البهنسا واقتتلوا
فكانت الهزيمة على عسكري ذى الفقار ومن معهم واستولى شركس على ما كان معهم من آلات
الحرب والخيام والخيول وحال الليل بينهم فافترقوا ورجع المنهزمون الى القاهرة فشق أمرهم
على ذى الفقار وهاله جدا وجع الامراء ثانياً وانفقوا على ارسال حملة أخرى ولكنهم لم
يجدوا ما ينفقونه فطلبوا مرسوماً من محمد باشا البستانجي بثلاثمائة كيس من مال الخزينة
نفقة وعليهم رده من أموال السنة القابلة فامتنع الباشا فألحوا عليه فصمم على الامتناع
فشكوا فلم يسمع فركبوا عليه وأنزلوه من قلعة الجبل وأقاموا محمد بك قطامش نائباً وأخذوا
منه مرسوماً بالنفقة وجهزوا العسكري واهتموا بأمرها اهتماماً عظيماً فسارت هذه الحملة
والنقت بجزركس ومن معه فوقعت بين الفريقين حروب هائلة ووقائع متوالية انجلت عن
هزيمة جزركس وتبديد شمل جماعته وتزريقهم كل ممزق * أما محمد باشا البستانجي فإنه بعد ان
خلعوه أنزلوه من قلعة الجبل وجروا عليه أياماً حتى ورد الخبر بولاية باكر باشا وذلك في سنة
اثنين وأربعين ومائة وألف فكانت مدة تصرفه الثمانية أربع سنين وأشهرها ووصل الى
مصر باكر باشا الوالى الجديد فكان وصوله في خلال الفتن واشتداد الخطوب والحن فلم يعمل
علا يذكر لان البلاد كانت في شدة وضنك بأسباب الحوادث المتراكمة بعضها فوق بعض ولم
يستقر به المقام الا أياماً قلائل حتى ثار من في البلد من القاسمية المختفين وثار معهم
سليمان اغا أبودفينة فدخل منهم جاعة على ذى الفقار بك وقت العشاء في رمضان من السنة
وقتلوه وكان ذلك بتدبير من محمد بك جزركس وهو مختلف جهة الشرقية ينتظر موعدهم بعد
قتل ذى الفقار بك ففضى الله بموت جزركس قبل أن يعلم بخبر موت ذى الفقار وذلك لما
بعث ذو الفقار قومه في طلب محمد جزركس المذكور شددوا في البحث عنه وتبعوا خطواته
فكان ينتقل من جهة الى أخرى حتى سار الى الشرق ومعه جاعة من عربان خوبلد
فتبعه عثمان بك قطامش بعسكره وسالم بن حبيب البدوي وقومه فملاقوا معه واقتتل
الفريقان قتالاً عنيفاً جدا انجلى عن هزيمة جزركس ومن معه ففروا وألقوا بأنفسهم الى

مطلب

عزل محمد باشا البستانجي
وولاية شاكر باشا

النيل ونزل جركس بفرسه يريد العبور الى الجانب الغربى من النيل فانغرز الفرس في روبة تحتها الماء غزير فترجل عنه ليخلصه فسقط ومات غريقا وكان على مقربة منه شادوف وعليه رجلان من الفلاحين ينقلان الماء الى مزرعة لهما فتزلا اليه فوجدوا الفرس وجركس ميتين ولم يعلما من هو فأخرجاه وأخذوا ماعليه من الملابس وسلاحه وذرخره وما في جيبويه ودفنوه بالجزيرة وحرر بها قارب صيد فطلباه ووضعاه فيه وكان على بك جالسا بجانب النيل ومعه سالم بن حبيب فنظر سالم الى القارب وهو مقبل فقال ما هذا الا سمكة عظيمة مقبلة اليك فأوقفوا القارب فتقدم أحد الشدافين الى على بك وقبل يده فقال له ما خبرك قال وجدنا جنديا من المهزومين غريقا ومعه حصان فلعله من المطاويين والا ألقيناه في الماء فقال لاحد أصحابه اذهب وانظر من هو فلعلك تعرفه فذهب وعاد فأخبر انه محمد جركس الكبير وقد أحضر معه خاتمه فأمر به فأخرج من القارب وقبض على بك على أحد الشدافين وألزم الآخر باستحضار ما أخذه من الثياب والسلاح فأحضرها ثم أمر فأحترقوا رأس محمد بك جركس وغسلوا جنته ودفنوه ناحية شرونة وارتحلوا الى القاهرة وكان القاسمية الذين بالقاهرة قد دخلوا على ذى الفقار وقتلوه كما تقدم القول وابشوا ينتظرون قدوم محمد جركس وكانت أبواب المدينة مقفلة وعلى كل باب منها صنجق والوجاقلية يطوفون في الشوارع وبأيديهم السيوف والقرايين المحشوة فلما وصل على بك قطامش الى الآثار النبوية المعروفة عند العامة **(بأثر النبي)** أرسل يخبر بما جرى فخرج اليه عثمان بك ودخل صحبته بموكب حافل والرأس امامهم محمولة في صينية حتى طلعوا بها الى قلعة الجبل ووضعوها بين يدي الباشا فخلع عليهم انطلع السمرور ونزلوا الى بيوتهم فأتتهم التقادم أيضا من جميع الامراء قال أصحاب النارج وكان جركس المذكور من أظلم خلق الله وأشدهم طغيانا وكان أتباعه على شاكلته فكانت أيامه شر الايام وكانت الحروب في عهده لاتقعد لها قاعة فاشتدت على الرعية الخطوب وتوالت المحن والكروب وتعاقب الغلاء وعم الويل والويل واشتد البلاء وقتل البنون والآباء وكان موت محمد جركس المذكور في أواخر سنة اثنتين وأربعين * أما الامير ذوالفقار بك فقالوا انه كان أميراً جليل القدر شجاعاً بطلاً كريم الاخلاق مع قلة ثروته وعدم ظلمه وكان كثير الحسنات يرسل في كل شهر رمضان من السنة لجميع الامراء والاعيان والوجاقلية المملكات والكساوى وللعلماء بالازهر ستين كسوة ودراهم تفرق على الفقراء والمجاورين فكان محبوباً محترماً مهيباً نافذ الكلمة بكاه الناس كافة وحزنوا على فقدته هذا ما كان من أمر الفتن بديار مصر

❦ أما ما كان من أمرها في دار السلطنة فانه لما تم لخصوم محمد باشا البططه جى الصدر الاعظم النكابة به وعزله وتبعيده كما تقدم القول تولى الصدارة بعده عدة من الوزراء فلم نطل أيامهم ولم يفلحوا الى أن تولاها على باشا دماذ فأحسن التدبير وأصلح ما أفسده السلف وساق الجيوش الى اخضاع أهل الجبل الاسود لتمردهم وخرجهم عن طاعة السلطان

ثم سار لتدوين البلاد التابعة لجمهورية البندقانيين وضمها الى أملاك الدولة ومحو أثر
الجمهورية المذكورة حيث كانت الدولة قد ملت من حروبها المتتابعة ففتح كثيرا من البقاع
والقلاع كاستنديل وكورودوس وأتابولي وقتل وسبي وخرب ثم عاد الى دار السلطنة
ظافرا غانما ولبث الى أن زال الشتاء وكر راجعا في جيش عظيم لآخذ ما بقى من جمهورية
البندقانية فلما علمت دولة النمسا بما وراء ذلك من اسقيلاء العثمانيين على خليج البندقانيين
وان هذا مما يفتح للعثمانيين بابا واسعا لنقل مهماتهم وذخائر حربيهم ويسهل لهم الهجوم
على بلادها ويغنيهم عن المجيء اليها عن طريق بلغراد وطشوار فأقامت من غفلتها ورأست
الدولة العثمانية في مجانبته الحرب مع جمهورية البندقانيين وأذنت بانها اذا أبت ذلك
أشهرت الحرب عليها فاستعظم الصدر هذا الامر جدا وحول وجهه عن محاربة البندقانيين
الى قتال النمسا فسار بجيوشه وشن الغارة على أملاكها فسيرت لقتاله جيشا عظيما للغاية
ومقدمه البرنس أوجين دى ساقوا وهو من أكبر قواد ذلك العصر وأعظمهم خبرة
بفنون الحرب والقتال فاشتبكت الحرب بين الفريقين واشتد القتال فانتصر النمساويون
نصرة مؤزرة في موقعة تر وارين وقتلوا الصدر الاعظم في ساحة الحرب ثم سار قائد
الجيوش النمساوية الى مدينة طمشوار فافتتحها بعد حصار أربعة وأربعين يوما ثم نزل على
مدينة بلغراد وحاصرها وشدد في حصارها وكان قد تولى مسند الصدارة العظمى خليل
باشا فحضر في عسكر عظيم لاستخلاص المدينة ورفع الحصار عنها فلم يفلح وتغلب عليه العدو
وذخل المدينة عنوة وأعمل فيمن بها من عساكر المسلمين السيف ووصلت الاخبار بذلك
الى القسطنطينية فعدوا الى طلب الصلح وأرسلوا الى النمسا في ذلك وكان الذي قد تولى
هذا الامر ابراهيم باشا نائب الركاب الهمايوني فاستكبر الجند هذا الامر جدا وقالوا لا نترك
طمشوار الجميلة في أيدي الاعداء فأخذ الناس بقولهم ووافقوهم على استدامة القتال وتبعهم
في ذلك أيضا طلبية العلم فسقط ابراهيم باشا في يده وانفرد برأيه وبقى الكلام في الصلح نسيا
منسيا وأعيدت الحرب ثانية فانهمز العسكر الهمايوني هزيمة أشد من الاولى وانفشلوا وركبهم
النمساويون بجند السيف فعادوا الى طلب الصلح وكان الى هذا الحين قد تولى ابراهيم باشا
مسند الصدارة فعقد النمساويون الصلح بعد أخذ ورد فكانت شروطه شديدة على الدولة
اذ تركت للنمسا ولاية طمشوار ومدينة بلغراد مع جزء عظيم من بلاد الصرب وآخر من
بلاد الفلاح وتركتم لجمهورية البندقية ثغور شاطئ دلماسيا واسترجعت هي بلاد المورة ليس
الا * قال بعض الكتاب ولو أظهرت الدولة يومئذ للعدو علامات القوة مع عزة النفس لثم
عقد الصلح على وجه أليق بشرفها * فلما تمت شروط الصلح على هذه الصورة طمع الاعداء
فيها واستخفوا بقدرها فتحركت دولة الروس الى نسكت اليهود وسرت سفيرها الى دار السلطنة
في طلب الغاء بعض الشروط المأخوذة على الروس في معاهدة الصلح الأخيرة والتقى السفير
بالصدر وكلمه في الامر وشدد عليه في الطلب وقال ان لم تجالوا بتعديل الشروط والا
نقضناها بسيوفنا وكان الصدر الاعظم يكره الحرب ميالا الى الترف والراحة تخاف سوء العاقبة

وأجابه الى جميع ماطلب فلم يبق للدولة بعد ذلك شئ من الامتيازات والحقوق التي أريقت
بسببها الدماء الكثيرة وقانلت الاشهر والاعوام الطوال * قال بعض الكتاب ومع ان المشاركة
بين الدولة وخصومها كانت لاجل ان تتمكن الدولة من لم شعث جنودها لتقوى بهم على
قع الاعداء وايقاف كل عند حده فقد كانت سببا في ادخال عوائد جديدة على الناس
مالت بطباعهم الى السفاهة وما شاكلها من نتائج الطيش فأصبح السواد الاعظم أسيرا
للالهي وعيدا للملاذ ففسدت الآداب وانحلت الرابطة الطبيعية القائمة بين الأزواج
وزوجاتهم وبالغ الناس في السرف والترف واندفعوا الى تشييد المباني الفاخرة والقصور
العظيمة وأنشؤا القاعات الفسيحة المزينة بأنواع النقوش والرخام وغرسوا في أطرافها الازهار
وأوقدوا فيها المصابيح وجعلوا ظهور السلاح منائر لها فكانت تلك السلاحف تتجول في
طرق القاعات والجنائن والانوار تسطع على ظهورها وتنبث مرتبة على أحسن نظام فكانوا
لذلك يطلقون عليها اسم چراغان ومعناها الشموع * قال وقد بنى ابراهيم باشا الصدر الاعظم قصرا
جديلا بجوار بشكطاش سماه بقصر چراغان فكان يأدب فيه في كل سنة مأدبة حافلة للسلطان
وأولاده فيأتى اليها التفرج على تلك السلاحف الحاملة للانوار فكان يقيم على هذه الحال أياما
وكان هذا الدور في دار السلطنة محسوبا من أحسن الادوار صفاء وذوقا الا انه قد أورث
الدولة خللا والامور خطلا والناس كسلا وذهب بكثير من حقوقها وامتيازاتها العظمى

وانتبه الصدر الاعظم من رقدة ذلك الترف وسكرة تلك الملاذ فرأى ان دولة فارس
قد انحلت أو كادت وان الافغانيين قد تغلبوا عليها واستولوا على أصفهان تخاف شر العقابة
واستعد لارجاع ما كان في حوزة الدولة العثمانية قديما من البلاد والايالات ودخلت في
يد فارس قبل ان يبتزها غيرها وسير لذلك جيشا عظيما فراققه النصر وتغلب على عدة إيالات
كهمذان وكنجه وروان وشروان وكورجستان وقام كذلك الروس واحتلوا ضاغستان
وكافة سواحل بحر الخزر فلم تلبث تلك الايالات تابعة للدولة حتى قام نادرشاه وتولى ملك
فارس واستردها جميعها واسترد كذلك ما كان بيد الروس بعد حروب هائلة جدا كادت
تخرب بسببها الاناطولى وغيرها وجعل نادرشاه من هذا الحين يشن الغارة على الحدود
العثمانية ولا يتكف عن السلب واراقة الدماء فكبر أمره على أصحاب الحبل والعقد
وأنكروا هذه الاحوال على ابراهيم باشا الصدر الاعظم ورموه بالمرق عن جادة العمل وتبعهم
العامه في ذلك فطعنوا في الصدر وقالوا انه ترك ما كان عليه أسلافه من الاعتناء بتدريب
الجند وتنظيم أحوال المقاتلين وانه منغمس في الملاذ واللعب وقد عود السلطان على اللهو
والخلاعة وجعل مراتب الدولة ورتبة الوزارة في أيدي النداحى بعد ان كانت لاتعطى الا
لاهل الخبرة والدراية بجميع الامور والمستعدين للقيام بها من المجاهدين وانه ترك نادرشاه
ما كان قد استولى عليه بالحرب والجهاد فلما أنس ابراهيم باشا منهم ذلك أخذ يستعمل الحيلة
فضرب لسراقات الهمايونية في اسكدار لارهاب نادرشاه المذكور وأذاع السفر الى بلاد

فارس للانتقام منه ولبث على هذه الحال عدة أيام فاشمأزت من ذلك النفوس وتكدرت
خواطر الناس وظهرت الفتنة في القسطنطينية وتأججت ناراها وارتفع لهيبها وكان بعض محبي
الصدر الاعظم قد حذروه أمر الفتنة فلم يلتفت لقولهم وكذلك تقدم بعضهم الى كتخدا بك
وحذره وقال ان الخطب شديد والفتنة قائمة فأنكر عليه ذلك وأنبه * واجتمع جماعة من
أركان الدولة وأبلغوا السلطان ما كان عليه الناس عليه من الهياج والفتنة ان طال بقاء
الصدر في منصب الصدارة فلم يلتفت لقولهم نظرا لعلو مكانة الصدر عنده فأنكش أهل النصيح
ولبثوا ينتظرون ما يظهره القضاء وقد اتسع الخرق واشتدت نار الفتنة فرسم الصدر عند ذلك
باخراج البيرق الشريف * وهو بيرق صاحب الشريعة المحمدية * ونادى بالاجتماع حوله
فلم يلتفت أحد للنداء وطاف العامة يفسدون وينهبون كل ما وصلت اليه أيديهم وكان زعيم
هذه الفتنة رجلا اسمه بطرونا خليل

فلما كان خامس عشر ربيع الاول من السنة أى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف
هجريه سير بطرونا المذكور الى السراى السلطانية جماعة يطلبون قتل الصدر الاعظم
والمفتى وقبطان باشا السفن الحربية فامتنع السلطان من اجابة الطلب فشددوا وهددوا
وتوعدوا بما لاخبر فيه تخاف السلطان شرهم ورسم لهم بقتل الصدر وأمير سفن الحرب
ومانع عن المفتى فقتلوهما وألقوا جثثهما في البحر على مشهد من جميع الناس * ولم تغرب
شمس ذلك اليوم حتى عاد أهل الثورة الى الهياج والخلبة والتطواف في شوارع
القسطنطينية وهم ينادون بخلع السلطان وتنزله عن منصب الخلافة وتولية ابن أخيه
السلطان محمود الاول بدله ثم ساروا الى السراى السلطانية وأبلغوه ذلك فأسرع الى إجابتهم
وخلع نفسه وبايع ابن أخيه بالملك وذلك في ليلة التاسع عشر من ربيع الاول سنة ثلاث
وأربعين ومائة وألف هجريه وبقي معزولا الى ان توفى في أول المحرم افتتاح سنة اثنين
وخسين ومائة وألف هجريه فكانت سلطنته زهاء سبع وعشرين سنة

(الفصل السابع عشر)

(في سلطنة السلطان محمود خان الاول)

ثم قام بالامر بعد السلطان أحمد ابن أخيه السلطان محمود خان الاول ابن السلطان مصطفى
بويج بالملك في الليلة التي خلع فيها عمه ليلة التاسع عشر من ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين
ومائة وألف هجريه أى سنة ثلاث وسبعين وسبعائة وألف ميلادية وقد تولى والامور في
اضطراب والاحوال في اختلال ولا كلمة فوق كلمة البطرونا خليل فانه منذ خلعه للسلطان

أجد وقته للصدر الأعظم وأمير سفن حرب الدولة بسط يده على جميع الأمور وصار ينصرف في أعمال الدولة كيف شاء فأكثر من العزل والتولية وسام الناس الخسوف ولم يفرق بين الجليل والحقير فأمر ونهى وجار وظلم وكان إذا رأى من طوائف الانكشارية تدمرا بالغ في التضيق عليهم وشدد وأوقع بكارهم فيخافون ويخلدون إلى السكون صاغرين فلما ضاق بهم الخناق ونقص منهم الصبر اجتمع بكارهم حول السلطان وحلبوا إليه قتل البطر ونا خليل المذكور وكان السلطان يتمنى حصول ذلك فوافقهم فقاموا وركبوا عليه فقتلوه وتأهبوا لقتال أصحابه إن هم قاموا للاخذ بثاره فلم يقو أصحابه على الخروج وأوقعت بهم طوائف الانكشارية وأعمالوا في بكارهم السيف فعادت الأمور إلى سابق مجراها من الهدوء والسكينة وأمن الناس على أرواحهم وأموالهم ونطقت كلمة السلطان فتصرف ودانت له الأمور فسير الجيوش لقتال ملك فارس واسترجاع ما أخذته من الأيالات على أيامه السلطان أجد فوقعت بينه وبين العسكر السلطاني عدة حروب كان النصر فيها لعسكر السلطان ثم أقام عثمان باشا الأعرج أحد مقدمي العسكر الموصوفين في المعامع والحروب سر عسكر الجيوش الشرق فقاتل ملك فارس وظفريه في صحراء كركوك ومزق شمل عساكره ففر ملك فارس مجروحا ثم عاد في جيش جرار للقتال ثانية فكانت الحرب بين الفريقين سجالات وطالت أيامها فمات في خلالها السر عسكر عثمان باشا وأرسلت الدولة إلى ملك فارس في طلب الصلح فأجابها إليه بشرط رد جميع ما أخذته الدولة من مملكته وإرجاع حدود الدواتين إلى ما هو مذكور في معاهدة إبراهيم باشا فتم الصلح على هذا الوجه وبطلت الحرب وارتفعت أوزارها

ورأت النمسا أن الدولة بعد عقد الصلح مع فارس تفرغت أو كادت ولا بد من أن تنوحيها الشرور تخافت ولم تعهدها وحشدت في سنة ثمان وأربعين ومائة وألف جيشا عظيما وانفقت معها أيضا حنة قيصرة الروس على هذه الحرب فسأقت عسكرها على عسكر الدولة تحت قيادة الجنرال مونيخ فجعل القائد المذكور يذيع الخبر بأنه سيحبي بهذه الغزوة دولة الروم القديمة ويعيدها مجددا الأول ففرح بذلك الروم وأشرأبت نفوسهم إلى هذا المأمول وتلقى أهالي البغدان عساكر الروس عند دخولهم إلى بلادهم بالفرح والقبول وسهلوا أمامهم السبل والعقبات فاشتبك القتال بين الروس والعثمانيين وتمزق جمع العثمانيين وأبلى فيهم الروس بلا حسنا وأخذوا إقليم البغدان واحتلوا مدينة ياسي عاصمة الإقليم المذكور وانتصرت عساكر النمسا أيضا وأغارت على بلاد البوسنة والصرب والفلاخ فكبر كيد الدولة وكادت تسقط في يدها * وانفق أنه تولى في هذه الأثناء مسند الصدارة الحاج محمد باشا وهو من نخبة السياسيين المشهورين بالحكمة وحسن التدبير فرأى من تقهقر عساكر الدولة وانتصار الأعداء عليهم ما أدشاه فأسرع في حشد الجيوش واعداد المعدات وسار لمنع تقدم العساكر الروسية وإيقافهم عند حدهم وسير فريقا آخر لقتال عساكر النمسا فظفروا بهم وانتصروا عليهم وانهزموا شر هزيمة وتقهقروا

وتقهقر وا الى ماوراء نهر الدانوب ثم ساق الحاج محمد باشا بعسكره فرافقه النصر وقيض الله له الظفر فركنت النمسا عند ذلك الى طلب الصلح ووافقها أيضا على طلبه حنة قيصرة الروس وخابروا الحاج محمد باشا في أمره وسعت الرسل بين الفريقين وبعد أخذ ورد تمت شروطه على تنازل النمسا للدولة العثمانية عن مدينة بلغراد وجميع ما أعطى لها من بلاد الصرب والفلاح بمقتضى المعاهدات السابقة لهذه الحرب وتعهدت كذلك قيصرة الروس بهدم قلاع وحصون مينا أراق وعدم عاداتها مرة ثانية وبعدم انشاء سفن حربية أو تجارية بالبحر الاسود أو ببحر أراق وبأن ترد للدولة العثمانية جميع ما أخذته من الاقاليم والبلدان قال أحد الكتاب وسميت هذه المعاهدة بمعاهدة بلغراد ولم يتم الصلح على ما ذكر بطلت الحرب وسكنت القلاقل أياما كثيرة

وما كانت هذه الحروب المتتالية والخطوب المتواصلة لتشغل رجال الدولة عن كثرة العزل والتولية في ولاية مصر فانه لما تولى السلطنة السلطان محمود خان كان الوالى على مصر من قبل السلطان أحمد باكير باشا لجأه الامر بالعزل وتولاها عبد الله باشا التكفويرى فدخل القاهرة في سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف هجرية * قال أصحاب التاريخ وكان من أرباب الفضائل وأصحاب المعارف العالية والعلم والشعر وله ديوان شعر جيد على حروف المعجم ومدحه شعراء مصر لفضله وميله الى أهل العلم والادب فقال بعضهم

ولما جاء مصرأ أرخوه * لقد سعدت بعبد الله مصر

١٣٤ ٥٣٤ ٧٨ ٦٦ ٢٣٠

سنة ١١٤٢

وكان خيرا صالحا منقادا للشريعة أبطل المنكرات وحانات الخمارين ومواقف المومسات والبوظ من بولاق وباب اللوق وطولون ومصر القديمة وجعل للوالى والمقدمين عوضا عما كان مرتبا لهم على تلك الحال في كل شهر كيسا من كشوفيات الباشوات وكتب بذلك حجة شرعية ولعن فيها من تسبب في إعادة تلك الحال ولم يحدث في أيامه شئ يذكر اذ كانت قصيرة جدا حيث عزل في أواخر سنة أربع وأربعين ومائة وألف هجرية

وتولى بعده محمد باشا السلحدار والى البصرة فدخل القاهرة في أوائل سنة خمس وأربعين ولبث يتصرف الى سنة ست وأربعين ولم يعمل في أيامه عملا يذكر وجاء الخبر بعزله وتولية عثمان باشا الحلبي فحضر الى مصر عن طريق العريش ونزل بالعادلية ولاقته أرباب العكاكيز وأصحاب الوظائف فصعد الى قلعة الجبل في موكب حافل ونزل منها محمد باشا المعزول وسافر الى الديار الرومية فأخذ عثمان باشا يتصرف وجاءه فرمان السلطان بأحصاء اليهود والنصارى وجميع ما عليهم من الجزية في كل بلد العمال أربع مائة نصف وعشرون نصفًا والوسط مائتان وسبعون والدون مائة نصف فاهتم عثمان باشا بالامر وقيد بذلك عمالا فطافوا البلاد كافة وأحصوا أهلها وفعلوا من الجور والعسف بأهل البلاد ما لا يكيف فضج

مطلب

عزل أحمد باكير باشا
وولاية عبد الله باشا
التكفويرى

يظهر ان المؤرخ احتسب
ألف الله الخذوفة رسما
المتبنة لفظا بواحد ليكون
تاريخ حضوره مصر سنة
١١٤٣ كالحقيقة اه
مؤلف

مطلب

عزل عبد الله باشا وولاية
محمد باشا السلحدار

مطلب

عزل محمد باشا السلحدار
وولاية عثمان باشا الحلبي

الناس وشكوا فلم يلتفت اليهم وظل الحال على ذلك حتى دخل شهر رمضان واشتغلوا بظهور رجل نكرورى بالجامع الازهر يدعى النبوة وقد ذاع خبره وكادت تعم شهرته فأحضره بين يدي الشيخ أحمد العماوي فسأله عن حاله فأخبره انه كان في شربين فنزل عليه جبريل وعرج به الى السماء ليلة سابع عشرى رجب فصلى بالملائكة ركعتين وأذن له جبريل فلما فرغ من الصلاة أعطاه ورقة وقال له أنت نبي مرسل فانزل وبلغ الرسالة وأظهر المعجزات فلما سمع الشيخ كلامه قال له أنت مجنون فقال لست بمجنون وانما أنا نبي مرسل فأمر به فضر به وأخرجوه من الجامع فجعل يطوف الازقة والحارات ويكثر من الجلبة والصياح فسمع عثمان كتحدا بخبره فأحضره وسأله فقال مثل ما قاله للشيخ فبعث به الى دار المجانين فاجتمع الناس وكثرت حوله العامة رجالا ونساء وكادوا يصدقونه ويدفعون عنه الايذاء فخاف والى شر العاقبة وأمر فأخفوه عن أعين الناس لتسكن الفتنة ثم طلبه الباشا وأمر بحبسهم فحبسوه ومنعوا من دخول أحد اليه أباما * فلما كان النصف من رمضان اجتمع العلماء وأحضره بين أيديهم فسألوه فلم يتحول عن كلامه فعاجلوه فشدد فأمره بالتوبة فامتنع وصمم على ما هو عليه فأمر الباشا بقتله فقتلوه في حوش الديوان وهو يقول * فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل * ثم أنزلوه وأقوه بالرميلة ثلاثة أيام فكاد الناس يفتنون ولم تهدأ الخواطر حتى شاع بين الناس بالقاهرة ومصر القسدية ان القيامة فأتت يوم الجمعة سادس عشرى ذى الحجة من السنة أى سنة سبع وأربعين وفشا هذا الكلام في الناس قاطبة حتى في القرى والارياف وودع الناس بعضهم بعضا وهم بين راغب في التوبة وداع بطلب المغفرة وبالك على ما فات من أيامه ومنهم من كان يقول لرفيقه بقى من عمرنا يومان فقد كانت هذه الاشاعة في يوم الاربعاء رابع عشرى الحجة * وانتشر أهل الخلاعة في الجنائن والمنسزهاات ليودعوا الدنيا كما كان يقول بعضهم لبعض وخرج أهل الجيزة نساء ورجالا وصاروا يغتسلون في النيل ومن الناس من علاه الحزن والوهم واعتمدوا صحة الاشاعة ووقع صدقها في نفوسهم موقعا عظيما وكثر فيهم الهرج واشتد بهم الخوف فتعطلت الاعمال وكادت تغفل الاسواق وما زالوا على هذا الحال الى يوم الجمعة فلم يقع شئ مما كانوا يتوقعون ومضى يوم الجمعة وأصبح يوم السبت فلم يقع كذلك شئ * قال صاحب عجائب الآثار فانتقلوا يقولون فلان العالم قال ان سيدى أحمد البدوى والدسوقي والشافعى تشفعوا في ذلك وقبل الله شفاعتهم فيقول الآخر اللهم نفعنا بهم فالتا يا أخى لم تشبع من الدنيا وشارعون في عمل حظ ونحو ذلك من الهذيانات اه

مطلب

عزل عثمان باشا وولاية
يا كير باشا وولاية الثانية

وأقام عثمان باشا يتصرف في الولاية الى سنة ثمان وأربعين ومائة وألف هجرية ثم عزل وتولى بعده يا كير باشا وهى ولايته الثانية فكانت مدة تصرف عثمان باشا سنة وخمسة أشهر وحضر يا كير باشا من جعدة الى السويس اذ كان واليا بجدة بعد عزله من ولايته الاولى على مصر وكان دخوله القاهرة في يوم السبت رابع عشرى شوال سنة سبع وأربعين

ومائة وألف وصعد الى القلعة في موكب حافل للغاية وخلفه من الحشم والاتباع زهاء الثلاثين على ظهور الخيل الملبسة بالزروخ المذهبة وله من الاولاد خمسة ذكور ركبوا أيضا امامه فلما هم من وسط المدينة صاح الناس في وجهه وعلا صراخ العامة من ثقل المغارم والكلف وفساد العملة فلم يلتفت لصراخهم وسار حتى صعد القلعة ولم يلبث حتى جعل يدس الدسائس بين الامراء وصار يعمل على فساد أمورهم وتفريق كلمتهم وما زال حتى كاد يتم له ما أراد ولكن ظهر في غضون ذلك الطاعون وفسا في المدينة وانتشر في البلاد قاطبة وقتل بالناس فتكا ذريعا لم يسبق له مثال فسماه العامة طاعون كوسموه أيضا الفصل العاشر يأخذ على الراقي ومات به خلق كثير للغاية وكان فعله كثيرا في الاعيان فكانت الناس تدفن الموتى في ضوء المشاعل حتى كاد لا يوجد من يدفن الموتى التي كانت تقع في الشوارع والخارات واشتد شدة بالغة جدا وطالت أيامه * وبينما الناس على هذا الحال من الشدة وهم يضحجون ويعججون الى الله من كثرة الموات اذ اضطربت نار الفتنة بين الامراء وعلا لهيبها واشتد سعيها * وتحرير الخبر * ان كاشفا اسمه صالح زوج ابنة ابواظ بك كان ملتحجا الى عثمان بك ذي الفقار وكان صالح هذا من القاسمية فحرضه زوجته على طلب اماره القاسمية فطلب من عثمان بك أن يساعده على ذلك فوعده وخاطب محمد بك قيطاس المعروف بقطامش وهو اذ ذاك كبير القوم في ذلك فلم يجبه خوفا من أن يعود القاسمية الى مظهرهم القديم فيظفروا بالفقارية ويستأصلوا شأفتهم بعد الذي وقع بين الفريقين فبعث عثمان بك بصالح المذكور الى البحيرة كاشفا نائبا عنه حيث كانت له فلما كملت السنة رجع الى القاهرة وتحركت همته الى طلب الامارة وألحت عليه زوجته في ذلك فعاد عثمان بك في الخطاب وهو تكلم مع محمد بك فصمم محمد بك على الامتناع ووافقه على ذلك على بك تابعه وآخر اسمه خليل أفندى فذهب صالح المذكور الى عثمان كتحدا المذكور تابعه وخليل أفندى اليه حاله وما يلاقيه من قيطاس ثم بكى واستمال عثمان كتحدا المذكور تابعه وخليل أفندى على أن يكونوا معه على قيطاس فقسام القزدغلي من ساعته واجتمع برضوان بك أمير الحاج سابقا وسليمان بك الفراش وتكلم معهما في أمر قتل المذكورين فوافقاه على أن يكون قتلهم في بيت محمد بك الدفتردار على علم من باكير باشا الوالى وأخبروا محمد بك بذلك فرضى وكتب يطلب اجتماع الامراء كافة في بيت الدفتردار للداولة في أمور الخزينة فركبوا جميعا الى بيت قيطاس بعد العصر ومن هناك توجهوا معه الى بيت الدفتردار فلما تكاملوا ولم يبق منهم أحد أمر محمد بك قيطاس بتحرير عريضة وأملى الكاتب بصورة ما يكتب نخرج الكاتب وكان قد دخل الغروب فأراد القوم الانصراف فوقف الدفتردار وقال مهلا هاتوا لنا شربات وكان هذا القول هو الإشارة مع صالح المذكور وعثمان كاشف وآخر من ممالك سليمان بك ففتحوا باب خزانة كانت بالمكان الجالسين فيه فخرج منها جماعة على رؤسهم طرايش وبأيديهم الاسلحة فوقف عند ذلك محمد بك قيطاس على أقدامه مدعورا فأطلق عليه

أحدهم طينجة في صدره ووقع الضرب وهاج من كان في المكان وامتلأ المكان بدخان
البارود وظلام الليل فلم يعلم القاتل من المقتول وألقى على الترجان بنفسه من شبالة مطل
على الجنيحة وأصاب عثمان بك ذا الفقار ضربة سيف قطعت شاشه وقاووقه فأخذ بيده
صالح صاحب هذه الفتنة وأنزله فنجبا بنفسه وركب حصان أحد الطوائف وخرج من
باب البركة وأصيب مستحفظان البرلي بجراح عظيمة خملوه الى بيته ثم أوقدوا الشموع
ونظروا الى الاموات واذا هم محمد بك قيطاس وعلى بك تابعه وصالح بك وعثمان بك كتحدا
القارذغلي وأحمد كتحدا الخربطلي ويوسف كتحدا البركاوي وخليل أفندي وأنات الجليلة
وعلى صالح جرججي والاسباهي فكانت عدتهم عشرة غير مستحفظان البرلي الذي مات
بجراحه بعد ثلاثة أيام فعروا المقتولين من ثيابهم واحتزوا رؤسهم وألوا بهم الى جامع السلطان
حسن فوجدوه مغلقا فأحرقوا الباب الذي جهة سوق السلاح ووضعوا الرؤس العشرة
على الدرج ووضعوا عند كل رأس شيئا من التبن ولما شاع الخبر بما جرى سار صالح كاشف
رأس هذه الفتنة الى باكير باشا ليلا من باب الميدان وأعلمه بما جرى فخلع عليه رتبة الامارة
فطلب منه مالا يفرقه على العسكر المجتمعين اليه فوعده بأن يرسل اليه ما طلب فنزل
صالح الى جامع السلطان حسن فوجد محمد كتحدا الداودية وأتباعه وجاعة آخرين
فلبث معهم ينتظر المال وصعد عمرجلي ابن علي بك قيطاس بطائفة من قومه الى باكير
باشا يطلب بشار آييه وكان وصوله بعد نزول صالح كاشف فخلع عليه الباشا اماره آييه
قيطاس ورسم له بقتال قاتلي آييه ومن معهم وكان يود لوانهم يقطعون بعضهم بعضا فنزل
ابن قيطاس وأصحابه وامامهم بريق من الحجر خلف جامع النجودية وبيت الحصري وزاوية
الرفاعي وعملوا متاريس على باب الدرب قبالة باب جامع السلطان حسن وجعلوا يطلقون
بنادقهم تباعا على كل من يخرجهم من الحصوم وعلى من هم بجامع السلطان حسن وكذلك
من باب العزب وبيت الانا * اما صالح كاشف رأس هذه الفتنة فانه لبث ينتظر حصول المال
للفنقة على الجند فلم يرسل له الباشا شيئا فخاف وخشى العقابة ونزل الى خان الخليلي ومعه
رضوان بك وعثمان كاشف ومملوك من عماليك سليمان بك واختفوا وظل ابن قيطاس
وأصحابه يوالون الرمي على الجامع حتى انقطعت أصوات بنادق من كانوا به فافتحهم هو
وأصحابه باب الجامع فلم يجدوا به أحدا فرجعوا وباتوا ليلتهم خلف المتاريس فلما أصبحوا
ذهبوا الى بيت الدفتردار ونهبوه ونهبوا بيت رضوان بك ودخلوا على سليمان بك فقتلوه
واحتزوا رأسه ونهبوا ما في بيته فلما رأى كبار الوجقات ما بلغت اليه هذه الفتنة وانما
هي بايعاز من باكير باشا قاموا على قدم رجل واحد وأحاطوا بالقلعة وأنزلوا باكير باشا
ذليلا مقهورا وسجنوه وكتبوا الى دار السلطنة بما وقع وطلبوا ارسال وال آخر فأرسل
السلطان الامير مصطفى باشا أمير اخور لضبط أموال من قتلوا في هذه الفتنة فلبث شهرين
ثم ورد الامر بولاية فتولاها فكانت مدة تصرف باكير باشا سنة وبضعة أشهر

مطلب
عزل باكير باشا وولاية
مصطفى باشا أمير اخور

مطلب
عزل مصطفى باشا وولاية
سليمان باشا الشامي
المعروف بابن العظم

وجعل مصطفى باشا المذكور يتصرف الى سنة اثنتين وخسين ومائة وألف هجرية ثم عزل
ولم يقع في أيامه شيء يذكر وتولاها سليمان باشا الشامي المعروف بابن العظم فلما استقر به
المنصب عمد الى ايقاد نار الفتنة ثانية بين أمراء الوقت وجعل يدبر لذلك فاستمال اليه عمر
بك ابن علي بك قطامش واختصه بنفسه ثم كاشفه بما في ضميره واتفق معه على قتل
عثمان بك ذي الفقار وابراهيم بك قطامش وعبد الله كتحدا القزدغلي وعلى كتحدا الجلفي
وهم اذ ذلك أصحاب الرئاسة ووعده اماره مصر والحاج ان هو أنفذ ذلك فجمع عمر بك
أربعة من اخصائه وأطلعهم على ماوقع الاتفاق عليه مع الباشا فتعهد كل واحد بقتل
واحد منهم فكان أول من قتل منهم على كتحدا قتله رجل اسمه لاط ابراهيم عند بيت اقبري
وهو صاعد الى الديوان وشاع خبر قتله ففرح الباشا بذلك ظنانه ان قد قضى الامر فهم بضبط
باب العزب وسير ذلك مائتي جندي فتعهم جند الباب من العبور وطلب متولى الباب اثنين
من كبارهم يسألهم عن مرادهم فقالا اتنا أتينا لتشفع لنا عند الباشا فانه لم يعطنا علائقنا
فأرسل معهم من يشفع لهم فلم يفعلوا في هذه المرة ثم انكشف أمر الباشا وانفضح سره
فقام حسين بك الخشاب وصعد الى باب العزب وما زال بمتولييه حتى أنزله وتولى هو أشغال
الباب وجعل اليه جميع أصحابه بالمكان الذي كان فيه الباشا وأرسلوا يقولون له انزل الى
قصر يوسف بك فركب من ساعته وأراد العبور من باب الانكشارية فوجهت أصحاب
الباب أفواه البنادق نحوه فعداد ودخل قصر يوسف بك ثم نزل بعد أيام الى بيت البيرقدار
وما زال به حتى سافر الى الديار الرومية فكانت مدة تصرفه الى شهر جمادى الاولى سنة
ثلاث وخسين ومائة وألف هجرية وكانت أيامه كلها قلائل واضطرابات وتولى بعده الوزير
علي باشا حليم أوغلي وهي الولاية الاولى على مصر فدخل القاهرة في جمادى الاولى سنة
ثلاث وخسين وأقام الى عاشر جمادى الاولى سنة أربع وخسين فكانت أيامه كلها هدا
واطمئنا والفتن فيها راقدة ثم جاء الامر بخلعه فنزل من قلعة الجبل وأقام في بيت القازدغلي
ولبت ينتظر والى الجديد * فجاء الى القاهرة يحيى باشا وصعد الى قلعة الجبل في الموكب
المعتاد وصعد اليه علي باشا الخلوغ فلاقاه وأكرمه ثم نزل هو كذلك فسلم عليه وسرحه
فسافر الى الديار الرومية وأخذ يحيى باشا يتصرف في الامور الى أن جاءه الامر بالعزل مستهل
رجب سنة ست وخسين ولم يقع في أيامه شيء يذكر * وتولى بعده محمد باشا اليدكشي فلما
استقرت به الولاية لم يأت عملا سوى النهي عن تعاطي الدخان في الشوارع والدكاكين والجلوس
على أبواب البيوت وشدد في ذلك جدا فكان يطوف الاغا والوالى وهما في التبديل كل
يوم ثلاثا مرات وشددا في الانكار والنكال بمن يفعل ذلك وكان والى اذا رأى في يد أحد
انبوبة الدخان عاقبه وربعا أطعمه حجر الانبوبة الذي يوضع فيه الدخان بالنار وكذلك كان يفعل
الاغا ولم يأت من أعماله شيئا غير ما ذكر حتى جاءه الامر بالعزل سنة ثمان وخسين فكانت
مدة تصرفه نحو سنتين ففرح الناس بخلعه فرحا لا يوصف * وتولى بعده محمد راغب باشا

مطلب
عزل سليمان باشا وولاية
علي باشا حليم أوغلي

مطلب
عزل علي باشا وولاية يحيى
باشا

مطلب
عزل يحيى باشا وولاية محمد
باشا اليدكشي

مطلب
عزل محمد باشا اليدكشي
وولاية محمد راغب باشا

وحضر الى الاسكندرية فذهب للاقائه أصحاب العكاكيز وأرباب الرتب العالية فلما استقرت به الولاية أخذ يدبر الحيلة لقتل من بقي من الامراء أصحاب الوقت واستمال اليه حسين بك الخشاب واستخلصه ثم كاشفه بما في نفسه ثم اقسما الايمان على أن لا يخونا بعضهما وأعلمه أن السلطان محمود انما يريد قطع دابر بيت القمامشة والدمايطة وهم أصحاب الكلمة يومئذ فأجابه الى مرغوبه وهون عليه الامر وأخذ من يومه يدبر الحيلة ويتبين أنفع الوسائل وأحسن الطرق حتى اجتمع بمن يعتمد عليه من أصحابه وأخبرهم بما علمه من الباشا فاتفقوا على قتل كبارهم بالديوان عند صعودهم اليه وتحالفوا على ذلك وأغلظوا في الايمان فلما كان يوم الديوان أخذ الامراء في الحضور جماعة بعد جماعة وحضر بينهم خليل بك وعلى بك الدمياطى ومحمد بك وجلسوا في أماكتهم فبرز شخص اسمه عثمان أغا اتى المتفرقة وجلس بجانب خليل بك وقال له لماذا لم تدخل على الباشا وقد مضى عليك أيام ولم تفعل ذلك فقال خليل بك دعنا فانا لسنا ممن يهتم بأمره وقد تركناه لك فأظهر عند ذلك عثمان أغا المذكور الغيظ وصاح في وجه خليل بك **وكانك تهزأ بي** وجرّد خنجره في الحال وطعن خليل بك فسقط ميتا لاجرا له وكان بقية المتأمرين مختلفين فلما سمعوا الصباح خرجوا جميعا والسيوف بأيديهم مسلولة فضربوا عمر بك بلاط واحتزوا رأسه ورأس خليل بك فهرب من كان بالمجلس ودخلوا بالرأسين على الباشا وهرب على بك الدمياطى ومحمد بك ونزلا الى فوة الجاويشية واختفيا فيها فأرسل الباشا يطلبهما وقال ان السلطان رسم بذلك فأثروا بهما اليه فأمر بهما فقطعت أعناقهما أيضا وعم خبر ما جرى الاتفاق نخاف من بقي من الامراء وتجرد ابراهيم بك وعمر بك وسليمان بك الالقي للقاومة فرسم الباشا بقتالهم وأمر العسكر بالنأهب لذلك فاجتمعوا وأخذوا مالهم من آلات الحرب والمدافع والمساكن وساروا الى القاهرة ونصبوا بعض مدافعهم على قنطرة سنقر وكان بها بعض أولئك المشاغبين فلم يقووا على القتال مع العسكر وتفرقوا الى الاقاليم القبلية فدخلت العساكر بيت ابراهيم بك ونهبوه وكذلك نهبوا بيت خليل بك وذهبوا الى بيت على بك فوجدوا فيه صنجا قد احتله وامتنكه بما فيه فلم يتعرضوا له وكذلك لم يتعرضوا ليوسف بك ناظر الجامع الازهر بسوء

ولم تكذب دماء الذين قتلوا بالديوان حتى طلب الباشا من حسين بك الخشاب أن يعمل على قتل ابراهيم جاويش القازدغلى ورضوان كتنخدا الجلقى وأطمعه في ولاية الامر والانفراد بالكلمة فعهده له بذلك وقام لساعته يدبر أمره مع أصحابه الذين عليهم معتمده فأنضج أمره وانكشف سره وعلم ابراهيم جاويش ورضوان كتنخدا بالأكيدة فقاما وقامت معهما الجند والعسكر وامتلا باب الانكشارية وباب العزب بطوائف الجند واجتمع أمراء العسكر كافة بسبيل المؤمن والاسباهية بالرميلة وأرسلوا يطلبون من الباشا مرسوما بالركوب على بيت حسين بك الخشاب وقتله فلم يرض وامتنع فبعثوا له طائفة من كبار العسكر يطلبون ذلك فان أبى أنزلوه من القلعة فامتنع فأنزلوه هو وجميع عياله وأتباعه من قراميدان الى أن

صار بالرميلة فاراد أن ينزل على شيخون إلى بيت حسين بك الخشاب وإذا بالعزب المرابطين في جامع السلطان حسن أطلقوا عليه البنادق لرده فقتل أحد أتباعه فنزل على بيت آق بردى إلى بيت ذى عرجان تجاه المظفر فارسوا إليه إبراهيم بك بلفية صحبة كتحذا الجاوبشية فلم يردا من أن يوليه النيابة وعاد إبراهيم بك إلى بيته فأخذوا منه مرسوما بجر المدافع إلى ناحية الصليبية وسار أمراء الجند يتقدمهم عمر بك أمير الحاج وآخرون أمثاله واحتاطوا ببيت حسين بك الخشاب وبيت محمد بك أباطه من الجهات الأربع فخاربهم من داخل البيت من الصباح إلى الظهر وكان في أثناء المناوشة يخرج أمتعته وأمواله وأثقاله وهم لا يشعرون فلما لم يبق في البيت شيء خرج بن معه من أصحابه وأتباعه إلى ناحية زين العابدين وسار إلى الاقليم القبلي وكذلك هرب عمر بك ابن علي بك في طائفة من أصحابه إلى أرض الحجاز ودخل العسكر بيت حسين بك الخشاب بعد انقطاع أصوات البنادق والمدافع فلم يجدوا فيه شيئا وكان ذلك في أواخر سنة احدى وستين ومائة وألف فعاد كل إلى مقره وسكنت الفتنة قليلا وجعل إبراهيم بك بلفيه بتصرف ومحمد راغب باشا محجور عليه إلى أن سافر إلى الديار الرومية فكانت مدة ولايته سنتين ونصفا وجاء الخبر بولاية الوزير أحمد باشا المشهور بكور وزير ووصل إلى الاسكندرية فنزل إليه الملاقون وأرباب العكا كيز وأصحاب الخدم فدخل القاهرة وصعد إلى قلعة الجبل في الموكب المعتاد في غرة المحرم افتتاح سنة اثنيتين وستين ومائة وألف وعمل الديوان وخلع الخلع على الأمراء والاعيان والمشايع ولكنه لم يتمكن من التصرف إذ كان مغلوبا على أمره والكلمة يومئذ لإبراهيم بك جاويش ورضوان كتحذا وهما صاحبا العقد والحل فأقام في المنصب إلى عاشر شوال سنة ثلاث وستين ومائة وألف وجاء الخبر بعزله وولاية عبد الله باشا فكانت مدة تصرفه سنة وعشرة أشهر وكان عالما مدققا فاضلا كريما محبا للعلم والعلماء مقربا اليهم وكانت أيامه هادئة مطمئنة لم يقع فيها شيء من الحوادث والفتن * قال بعض الكتاب وكان مولعا بالرياضيات وعمل عدة منحرفات على الواح كبيرة من الرخام صناعة وحفرا وعمل له تاريخا منظوما نقشه عليها وهو

منزولة متقنة * نظيرها لا يوجد

راسمها حاسبها * هذا الوزير الامجد

تاريخها آتقنها * وزير مصر أحمد

٥٥٧ ٢٢٣ ٣٣٠ ٥٣

سنة ١١٦٣

ونصب من هذه المنحرفات واحدة بالجامع الازهر في ركن الصحن على يسار الداخل بالركن فوق رواق معمر وهي لفضل دائر العصر وأخرى بسطح جامع الامام الشافعي وفيها خيط مسطرة وفضل دائر وقصى عصر وفضل دائر الغروب وأخرى بمشهد السادات الوفائية وهي بشاخص للظهر والعصر اه

مطلب
ولاية أحمد باشا كوروزير

مطلب
عزل أحمد باشا وولاية
عبد الله باشا

مطلب

عزل عبد الله بأشاور ولاية
محمد أمين باشا

وحضر الشريف عبد الله الى الاسكندرية ونزل أحمد باشا من قلعة الجبل الى بيت
البيقदार وسافر الملاقون الى عبد الله باشا فدخل القاهرة في رمضان سنة أربع وستين فأقام
الى سنة ست وستين * ثم عزل عنها ولم يقع في أيامه شئ من الحوادث والفتن وولى حلب
فنزل الى القصر بقبة العزب وهاداه الامراء وسار الى حلب فتولى بعده محمد أمين باشا
فكانت ولايته سنة وبضعة أشهر لاشئ فيها من الحوادث أو الاحن ودخل محمد باشا المذكور
القاهرة وصعد الى قلعة الجبل وهو مريض فلبث شهرين على فراش الوباء ومات في
خامس شهر شوال سنة ست وستين ومائة وألف ودفن بجوار قبعة الامام الشافعي فبقيت
مصر بلا وال سنة وخمسة أشهر والكلمة يومئذ لابراهيم بك ورضوان بك * وفي خلال هذه
الحوادث حضر الى القاهرة من دار السلطنة بطرك الروم ومعه مرسوم سلطاني بمنع نصارى
الشوام من الدخول الى كنائس الفرنجة فاذا دخلها أحدهم عوقبوا جميعا بدفع غرامة قدرها
ألف كبس لخزينة السلطنة واستفاد الخبر بذلك بين الشوام ثم أعقب ذلك ان سير ابراهيم
كتخدا في طلب أربعة من قيسى الفرنجة فجاءوا بهم فحبسهم وأخذ منهم مالا كثيرا ومع
ذلك لم تنكشف الشوام عن الدخول الى كنائس الفرنجة فانكشف الغطاء وبرح الخفاء عن
أنها حيلة من بنات أفكار ابراهيم بك لحصوله على المال من قيسى الفرنجة * واتفق
عقب هذا الحادث بقليل ان قصد القبط بمصر الحج الى بيت المقدس وكان عظيمهم يومئذ
المعلم نبروز كاتب رضوان كتخدا فكلّم الشيخ عبد الله الشبراوى في ذلك وقدم له هدية سنية
وألف دينار فكتب له فتوى وجوابا يتضمن ان أهل الذمة لا يمنعون من القيام بشعائرهم
الدينية وزياراتهم فشرعوا في قضاء أشغالهم ثم خرجوا في هيئة وأجال ومواهي وتختروانات
فيها النساء والاولاد ونصبوا خيامهم عند قبة العزب وأحضروا العربان ليسيروا في خفارتهم
وشاع أمر خروجهم بعد أيام فاستعظم المسلمون ذلك وأنكروه واتفق ذهاب الشيخ عبد الله
الشبراوى الى حيث الشيخ البكرى لزيارة أخى البكرى حيث كان مريضا فلما استقر به المكان
قال له البكرى متهمك ما هذا الحال يا شيخ الاسلام كيف ترضى وتفتى النصارى وتأذن لهم
بهذه الفعال هل كان ذلك لانهم أرسلوك وهادوك فقال ان ذلك لم يكن قال بل أرسلوك بالف
دينار وهدية وعلى ذلك تصير لهم سنة ويخرجون في العام القابل بأزيد من هذا ويصنعون
لهم محلا ويقال حج النصارى وحج المسلمين وتصير سنة عليك وزرها الى يوم القيامة قال
صاحب عجائب الآثار فقام الشيخ الشبراوى وخرج من عند البكرى وهو مغتاض وأذن
للعمامة في الخروج عليهم ونهب مامعهم وخرج عليهم كذلك طائفة من مجاورى الازهر
فاجتمعوا عليهم ورجعوا وضربوهم بالعصى والمساوق ونهبوا مامعهم ونهبوا أيضا الكنيسة
القريبة من دمرداش * قلت وهى كنيسة رويس * قال وانعكس النصارى في هذه الحادثة
عكسة بليغة وراحت عليهم وذهب ماصرفوه وأنفقوه في الهباء انتهى قوله * وتولى بعد محمد
باشا أمين الذى مات كما تقدم القول مصطفى باشا فدخل القاهرة وصعد الى قلعة الجبل ثالث

مطلب

ولاية مصطفى باشا

عشر ربيع الاول سنة سبع وستين ومائة وألف هجرية واستقر على الولاية الى أن جاء الامر بالعزل كما سيذكر في محله

ورأى السلطان محمود بعد تقرير الصلح مع خصومه شرقا وغربا أن لابد من قيام الروس يوما على دولة السويد وابتلاعها مضغة لينة ثم لا يمنعها بعيد ذلك مانع من شن الغارة على بلاده وأخذ كل ما يمكن أخذه منها فجعل يتدبر الامر فحسن له سفير الفرنسي بدار السلطنة يومئذ تعضيد دولة السويد وعقد محالفة دفاع وهجوم معها ضد الروس وكشف له عما في ذلك من الفائدة للدولة وكبح جناح الروس ورد كيدهم فوافق السلطان على ذلك وعقد محالفة مع السويد فكانت حدا فاصلا بين الروس وبين مطامعهم السياسية وهدأت الاحوال وسكنت الخواطر وتفرغ رجال الدولة للاصلاح داخلا وخارجا ودبر الصدد الاعظم أمور الدولة فأحسن التدبير وأمضى الاحكام وأزال بعض الخلل وما زال الحال في هدوء وسكون حتى مات السلطان في يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر سنة ثمان وستين ومائة وألف هجرية أي سنة أربع وخسين وسبعمائة وألف ميلادية فكانت سلطنته نحو خمس وعشرين سنة قال بعض أصحاب التاريخ وهو آخر ملوك بني عثمان في حسن السيرة والشهامة والحرمة واستقامة الامور والمآثر الحسنة وله كثير من المزايا التي خللت في بطون التواريخ * وخلته على سرير الملك السلطان عثمان الثالث ابن السلطان أحمد خان

ومات في سلطنته يوحنا بطرك الاسكندرية بعد أن أقام اثنتين وأربعين سنة وكان ورعا تقيا عالما فاضلا مسموع الكلمة وهو من بلدة طوخ وكانت أكثر أيامه شداثد وخطوبا متراكمة بعضها فوق بعض كادت بسببها تتعطل شعائر الدين لولا لطف الله فأقيم بعد موته بطرس وهو الرابع بعد المائة واسمه مرجان من رهبان دير انبا بولا فأقام سبع سنين ومات ولم يقع في أيامه من الحوادث شيء يذكر فأقيم بعده يوحنا وهو الخامس بعد المائة واسمه عبد السيد من رهبان انبا بولا ووقع في أيامه من الحوادث ما سيذكر في محله

(الفصل الثامن عشر)

(في سلطنة السلطان عثمان الثالث ابن السلطان أحمد خان)

ثم قام بالامر بعد السلطان محمود السلطان عثمان الثالث ابن السلطان أحمد وقيل ابن مصطفى بوبيع بالملك في اليوم الذي مات فيه السلطان محمود في السابع والعشرين من صفر سنة ثمان وستين ومائة وألف هجرية أي سنة أربع وخسين وسبعمائة وألف ميلادية وجاءت بذلك الاخبار الى مصر فدفقت البشائر ودخل الامراء والعلماء والمشايخ على مصطفى باشا الوالى يهنؤنه ثم ورد بعد أيام الى مصطفى باشا فرمان التثبيت فبقى يتصرف في

مطلب

عزل مصطفى باشا وولاية
على باشا حكيم أو على

الامور الى أن جاءه الامر بالعزل في أوائل ربيع الاول سنة تسع وستين ومائة وألف
فكانت مدة تصرفه سنتين الا أياما ولم يقع فيها من الحوادث شئ يذكر وتولى بعده على باشا
حكيم أو على الولاية الثانية وقدم الى الاسكندرية فنزل اليه الملاقون وأرباب المناصب ثم
دخل القاهرة في يوم الاثنين غرة جمادى الاولى من السنة وجعل يتصرف فسار في الرعية
سيرة حسنة ودبر أمورهم أحسن تدبير وأسكن الفتن وطمأن القلوب فلم يقع في أيامه شئ
من الخطوب والحن واستمر على الولاية معززا محبوبا من الرعية وكان قريب الاعتقاد
بالخرافات ميلا الى الزايرجات وأصحابها وكان له تعلق بالشيخ على بن تاج الدين محمد بن الحسن
ابن محمد بن سالم القلعي الحنفي المكي لغزارة معرفته بهذه العلوم وكان أول اجتماعه به في
الديار الزومية قيل انه أخبر على باشا بأمور فوفعت كما قال فازداد عنده مهابة وأنزله في منزل
بالقرب من جامع أزبك بخط الصليبة وصار يركب في موكب حافل مثل موكب الوزير
وكان فيه الكرم المفرط والمروءة وسعة الصدر في اجازة الوافدين مالا وشعرا ومدحه شعراء
عصره بمدائح جليلة جدا وكان على باشا لا يفارقه قيل ولا يعمل عملا الا بإشارة منه فله كثير
من المزايا ومع ذلك فقد كان حسن التدبير موفقا محبوبا من الرعية
وسار السلطان عثمان في الرعية سيرة رديئة للغاية وكثر تحججه عن الناس وتجبسه
على أحوال الرعية فكان كثير الاخذ بالشبهات ظلوما غشوما عسوفاً فظا غليظا سفاكا
للدماء قيل انه قتل في أيام سلطنته ستة وزراء فثقلت أيامه على الرعية وأبغضوه بغضا كبيرا
وابتهلوا الى الله تعالى وعجوا اليه وظل على هذا الحال من الجور والعسف الى أن مرض
واشتدت به علته فمات وجاء الخبر الى القاهرة خامس عشر صفر سنة احدى وسبعين ومائة
وألف هجرية أي نحو سنة سبع وخسين وسبعمائة وألف ميلادية فكانت مدة سلطنته أربع
سنوات غير كوامل فخلفه في الملك السلطان مصطفى الثالث

(الفصل التاسع عشر)

(في سلطنة السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان احمد)

ثم قام بالامر بعد السلطان عثمان السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان أحمد بوبيع
بالمالك يوم موت السلطان عثمان خامس عشر صفر سنة احدى وسبعين ومائة وألف
هجرية أي سنة سبع وخسين وسبعمائة وألف ميلادية فاستقرت به الخلافة وكان المتولى الصدارة
العظمى الوزير محمد راغب باشا فأقره على منصبه وسلم اليه مقاليد جميع الامور واعتمد عليه
في تدبير مهام الدولة فأحسن التدبير وأحكم السياسة وكان عالما عاقلا رزينا كيسا حازما
محبا لنجاح الامة فبالغ في إصلاح الاحوال الداخلية وأحدث كثيرا من التنظيمات المألوفة

ورتب الامور على ما فيه المصلحة فزهت أيامه وسعدت ثم مات فتبدلت بعد موته الاحوال وتغير مجرى الحوادث وتحركت دولة الروس الى نكث العهود وتجردت الى الشر وطلبت كاترينة الثانية قيصر روسيا يومئذ التداخل في شؤون مملكة بولونيا فأقامت سنا نسلان بونياوسكي ملكا على بولونيا بدل ملكها الذي مات خلافا للعهد المنفق عليه بين الروسية والعثمانية * قال أصحاب التاريخ وقد قصدت كاترينة بذلك العمل بما أوصى به بطرس الاكبر من إزالة الموانع الثلاثة الحائلة بين أملاك الروس وأوروبا الغربية وهذه الموانع هي مملكة السويد ومملكة بولونيا والمملكة العثمانية قالوا وقد تمت إزالة المانع الاول منها بوضع يد الروس على جميع الايالات السويدية وكاد يتم لها زوال الثاني بتولية ستاناسلاس عشيق كاترينة ملكا على بولونيا فلم يبق منها سوى الدولة العثمانية فنهبته الدولة لذلك وحضت خان القرم على قتال الروس فزحف بجياله ورجله وقاتلههم وانتصر عليهم عدة نصرات وخرب الكثير من أملاكهم وسار البرنس جالتسين بعساكر الروس الى مدينة شوكريم فحاصرها وضيق عليها فسير السلطان الصدر الاعظم محمد باشا البرشنجي لنجدتها في عسكر عظيم فلم يفلح فاستعظم السلطان هذا الامر وأكبره وسير الى الصدر المذكور من قتله وأتى برأسه الى القسطنطينية وانهمزت العساكر السلطانية مرة ثانية عند نهر دينستر بسبب فيضان النهر المذكور عند عبور العساكر السلطانية له فأعمل فيهم الروس القتل والتغريق وتمكن البرنس جالتسين من الدخول الى شوكريم واحتل إيالاتي الفلاخ والبغدان

وكانت المراكب السلطانية في هذه الاثناء تجول في عرض البحار فلاقتهامراكب الروس في المضيق الواقع ما بين جزيرة ساقص وساحل آسية فاقتملوا قتالا عنيفا للغاية ثم افرقوا ودخلت المراكب السلطانية ميناجشمه فتبعهم حراقتان من مراكب الروس والتحما بالمراكب السلطانية وألقيا عليها النيران فاشتعل ما بها من البارود واحترقت جميعها فكان المنظر مرعبا للغاية والخطب عظيم جدا وطال الاخذ والرد بين الدولتين وطالت أيام الحرب والقتال برا وبحرا ثم تخابر الفريقان في أمر الصلح فسطت الروسية في الطالب واشترطت على الدولة شروطا مهينة حزرية فأبته الدولة إيجابتها الى ذلك وعاد الفريقان الى ما كانا عليه من الحرب والقتال فخرجت من يد الدولة مدينة بندر وعدة من جزائر الارخبيل ودست الروس الى اليونان والارنؤد فنارا وأشهرها الحرب وخرجوا عن طاعة السلطان ونهض أيضا على بك الكبير أحد أصحاب الكلمة بديار مصر يريد الاستقلال بآل مصر والخروج عن طاعة السلطان وقام أيضا أحد مشايخ عربان الشام المسمى ظاهر العمر وتلك بعض مدن الشام وأخذ يتصرف في أمورها تصرف المالك المطلق حتى اختل نظام المملكة وسقطت كلمة السلطان وزهبت هيئته أوكدت واستخف به على بك واستصغر شأنه وهمم بالخروج وشق عصا الطاعة وجعل يتأهب لذلك * وبينما هو على هذا الحال من التأهب والاستعداد اذ ظهر الطاعون بمصر والقاهرة وكان ظهوره عقب أن أمطرت السماء مطرا

غزيرا جدا سالت منه السيول وامتلأت الاودية واشتد الطاعون شدة بالغة فكثرت الموات وصارت الموتي تلقى في الطرق والحارات لكثرتها وعدم وجود من يدفنها وكثرت الجيف واجتمعت حولها الكلاب تنهشها وطالت أيام الوباء فسمته العامة (قارب شبيحة الذي يأخذ الملعج والملبحة) واهتم الامراء عند ذلك بدفن الموتي وأعملوا الجهد حتى خف الموت في أواخر رمضان من السنة ولكنه لم يرتفع تماما إلا في أوائل سنة اثنتين وسبعين وجاءت الاخبار عقب ذلك بعزل علي باشا حكيم أوغلي وولاية محمد باشا سعيد فدخل القاهرة في أواخر رجب سنة إحدى وسبعين وصعد إلى قلعة الجبل في الموكب المعتاد فلم يكن لقدومه رونق ولا بهجة بأسباب الطاعون واشتغال الناس بدفن موتاهم ولم يكن لولايته أثر يذكر عند علي بك الكبير إذ كانت الكلمة والرياسة يومئذ له لاسيما بعد موت حسين بك القزداغلي على ما تقدم لك بيانه وكان لما ان بسط يده على جميع الامور وقبض على زمام الاحكام ودانت له الرغائب استقدم أصحابه الذين كانوا مبعدين وولاهم المناصب العالية فاتسعت من ذلك الحين كلمته وبعدت شهرته ولكنه كان في شغل من جانب عبد الرحمن بك كخدا المتولى مشيخة البلد فكان لا ينكف عن أعمال الحيلة في قتله ولا تفتري له همة حتى اتفق مع بعض أعوانه على أن يقتلوه بعد قيامه هو بركب الحاج إلى المدينة وأن يولوا بعد قتله على مشيخة البلد خليل بك الدفتردار وبقي الامر مكتوما بينهم حتى قام بركب الحاج فجعل أصحابه يعملون على قتل عبد الرحمن بك فأحس عبد الرحمن بك بالمكيدة واستكشف السر وعلم بخفي أمرهم فأسرع هو إلى عمل الحيلة والتدبير في تبعيدهم وأغرى بهم على بك بلاط فتمكن من تبعيد خليل جاويش المعروف بحمضان مصلى وأحمد جاويش إلى الاقطار الجازية وحسن كخدا الشعراوى وسليمان بك الشاورى إلى فارسكور فتمزق جمعهم وتفرقت كلمهم * فلما نزل على بك بالعقبة وهو راجع بالحاج علم بما جرى لأصحابه فكتمه وأمر الجند بعمل بعض الاشكال الحربية ليوهم الناس أن الذى جاءه من القاهرة أنجبره بخبر يسره ثم سار بركب الحاج إلى قلعة نخل فانجاز إلى القلعة وسلم الحاج والحمل إلى بعض أمرائه وركب في خاصته وسار إلى غزوة ولبث بها زهاء ثلاثة أشهر وكان دار السلطنة ووشى لها في حق الكثير من الامراء بالديار المصرية وبالغ في الوقعة بهم فجعل رجال الدولة يوعدون ويعللون منه الآمال بنيل اغراضه وما زالوا حتى استصفوا ما معه من مال ومتاع ولم يتم له أمر فعاد إلى القاهرة بوساطة صهره فلما دخل القاهرة لم يبق بها سوى ثمانية أيام ومات كذا وقيل بل أطعمه بعض أصحابه سما فاطمأنت القلوب بموته فقد كان داهية قرما عنيدا كثيرا الصبر عظيم الجلد

مطلب
عزل محمد باشا وولاية مصطفى
باشا الصدر الاعظم وعزله
أيضا وولاية أحمد باشا
سييلان

مطلب
عزل علي باشا حكيم أوغلي
وولاية محمد باشا سعيد

وجاءت الاخبار من دار السلطنة بعزل محمد باشا عن الولاية وتعيين مصطفى باشا الصدر الاعظم بدله فدخل القاهرة في أواخر السنة وأقام يتصرف في الامور إلى سنة أربع وسبعين ومائة وألف هجرية ثم نزل إلى القبة متوجها إلى جدة ليقبض بها ولم يقع في أيامه شيء يذكر

وحضر بدله أجد باشا كامل المعروف بسيلان ودخل القاهرة في أواخر سنة أربع وسبعين فلما استقرت به الولاية صار يشدد في الأحكام وينزل في كل يوم لمعرفة أخبار الناس وأحوالهم ويكشف على أرزاق الأمراء ومصادر أموال الخزينة السلطانية وغير ذلك وكان شهما شديدا لعناد نخافه الأمراء وخشوا عاقبة أعماله فاجتمعوا وتشاوروا في أمره فاتفقت كلمتهم على خلعه وصاروا يراقبون الفرص حتى دبروا أمرهم وركبوا عليه يوما فخلعوه وكان مصطفى باشا والي المعزول لم يزل بالقاهرة يتأهب للسفر إلى جندة فساروا إليه وأصعدوه إلى قلعة الجبل وسلموه زمام الأمور وشكوا إلى دار السلطنة ما وقع وسيروا بشكواهم الشيخ عبد الباسط السنديوني فلما وصلت شكواهم إلى صدر الدولة وهو يومئذ محمد راغب باشا سير أجد باشا المذكور إلى ولاية كندية وسير مصطفى باشا إلى ولاية حلب ووجه بكير باشا إلى حلب واليا على مصر فحضر إلى القاهرة وصعد إلى قلعة الجبل فلم يتصرف إلا زهاء شهرين ومات مبطونا سنة خمس وسبعين ومائة وألف ودفن بالقرافة فخات الأخبار بولاية حسن باشا وقدم إلى القاهرة في أواخر سنة ست وسبعين فكان مجورا عليه لا كلمة له والأمر يومئذ على بيك بلاط فانه بعد موت علي بيك الكبير وتشريد كبار عصابته كما سبق ظهر شأن علي بيك بلاط وارتفعت كلمته فجمع أصحابه وأعطاهم المناصب العالية وسلمهم زمام الأمور كغيره من الأمراء الذين تقبل عليهم الرئاسة مسرعة وشاع ذكره وغما صيته فلما رأى عبد الرحمن بيك كتحدا الذي هو ابن أستاذ علي بيك بلاط ماناله على بيك من الشهرة ورفعة القدر انطوى على ممالأته ومال إلى مصادقته ليقوى به على أرباب الرئاسة وكل منهما يريد تمام الأمر لنفسه وجعل علي بيك من هذا الحين يهدد الأمور ويذل العقبات ثم استكثر من شراء المماليك وبدأ في مصادرة الناس وأعمل الحيلة على أخذ الأموال من أصحاب البيوتات والأعيان لأقل سبب * وكان يخشى جانب بعض من بيدهم الرئاسة مثل عبد الرحمن كتحدا ابن أستاذه وعلي كتحدا الخربطلي وعمر چاويش الداورية ورضوان چربجي الرزاز وغيرهم فلما استتب قدمه في المنصب وتمكن وقوى جأشه ركب يوما في مماليكه وأتباعه وهجم بهم على أبواب القلعة وأجلوا عنها من كانوا بها من أصحاب وأتباع من ذكروا فامتلكوها واحتل قومه بها فخاف الأمراء عند ذلك وانكشوا فلم يمكنهم من عمل شيء وقبض في الحال على عبد الرحمن كتحدا وأبعده إلى الأقطار الخجازية وأبعد باقيهم جميعا إلى الأقاليم البحرية فأخاف الناس خروج عبد الرحمن بيك كتحدا إلى منفاه فانه كان ذا هيبة ووقار وحرمة كبيرة وقد ارتفعت به كلمة الانكشارية وظهر واعلى طائفة العزب وكان له عز وأبهة وممالك وأتباع وجند وغير ذلك من الاخلاط حتى ظن الناس وقوع فتنة عظيمة في ذلك اليوم فلم يحصل شيء من ذلك سوى ما نزل بالناس من الدهشة والتعجب وأبعد بعد ذلك صالح بيك إلى مدينة غزة فلم يبق بها إلا أياما حتى أرسل إليه بعض الجنود فحملته من غزة إلى رشيد فبقى فيها ثم رتب له ما ينفعه بحسب

مطلب
عزل أجد باشا كامل وولاية
بكير باشا وموته وولاية
حسن باشا

الحاجة فلبث برشيد مدة فلما جاء الخبر بعزل حسن باشا الوالى وتعيين حمزة باشا بدله أرسل على بيك جماعة من أتباعه ليحملوا صالح بيك المذكور من رشيد الى دمياط كي لا يجتمع بحمزة باشا اذا حضر الى رشيد فوصلت الى صالح بيك الاخبار بقيام أولئك الاتباع فأسرع وركب في نفر قليل وأسرى ليلا الى جهة البحيرة فأقام بها ماشاء الله ثم ذهب من خلف جبل الفيوم الى الاقاليم القبلية فوصل الى منية ابن خصيب فأقام بها واجتمع عليه خلق كثير من شردهم على بيك بلاط فابقي له أبنية وعمل متاريس ومحال للدفاع وكان له معرفة وصداقة مع شيخ عربان تلك النواحي وطوائف الهوارة وسكان أكثر البلاد الجارية في اقطاعه فاجتمع عليه الكثير منهم وقدموا اليه التقدم والذخيرة وما يحتاج اليه وتترس في منية ابن خصيب وهو آمن مما يخشى فلم يجسر على بيك على قتاله ولم يناوشه الحرب خوفا من اتساع الخرق واستفحال الخطب

مطلب

عزل حسن باشا وولايه
حمزة باشا

ودخل حمزة باشا الوالى الجديد القاهرة في أخريات سنة تسع وسبعين ومائة وألف هجرية وصعد الى قلعة الجبل فنزل حسين باشا قاصدا السفر فكانت ولاية حسين باشا المذكور نحو ثلاث سنين * ولما استقرت بحمزة باشا المنصب وأخذ يتصرف في الامور بقدر الاستطاعة شكوا اليه امر صالح بيك وتترسه في منية ابن خصيب واضرارته بالناس ومنعه لورود الغلال وأموال الخزينة السلطانية وبالغوا في الشكوى وعظموا في البلوى فرسم بقتاله فبعثوا له طائفة من الجنود مع أحد الأمراء المدعو حسين بيك كشكش وولوه أيضا الامارة على اقليم جرجا وسافر معه عدة أمراء آخر فلما التقى الجمعان اقتتلا قتالا شديدا فانهزم صالح بيك وهرب الى شرقى أولاد يحيى فأقام حسين بيك كشكش بالمنية أياما يتأهب للمسير الى جرجا مركز امارته فيبينما هو على أهبة الرحيل اذ ورد عليه مرسوم من على بيك بلاط بالتباعد الى جهة قد عينها له فكاد حسين بيك يتم غيظا وركب من قوره في محاليكه وأتباعه وأمرائه وحضر الى القاهرة فوصلها ليلا فوجد الباب الموصل الى قناطر السباع مغلقا فطرقه فلم يفتحوه فكسره ودخل بمن معه وذهب الى بيته وبقي الأمر بينه وبين على بيك بلاط على المسألة أياما * واتفق لحظ على بيك بلاط أن حسين بيك المذكور طلب في غضون هذه الايام من عبد الله الحكيم طبيب الأمراء أن يصنع له مجبونا صالحا للباء فأخبر الطبيب بذلك على بيك بلاط فأمره بأن يدس له فيه سماً ففعل وذهب به الى حسين بيك وبالغ له في فوائده فقال له لا بأس به ولكني أحب أن تأكل أنت منه أولا فتلجج الطبيب واضطرب فأمر به حسين بيك فقتلوه بين يديه وعلم أنها من عزيمة على بيك بلاط فتأكدت بينهما الوحشة وأضر كل منهما لصاحبه سوء ووافق على بيك مع أصحابه على الغدر بحسين بيك أو اخراجه فوافقوه ظاهرا واشتغل حسين بيك أيضا باخراج على بيك أو الغدر به وجع الى كلمته كثيرا من قومه فلما كان ذات يوم ركب وركبوا ومعهم المدافع والبنادق وساروا الى بيت على بيك فصوبوا أقوا المدافع نحوه فأرسل على بيك لأصحابه يستجدهم فلم يأنه أحد وخنلوه

فشق عليه الأمر واستعظمه جدا وأرسل إلى أصحاب حسين بيك يسألهم عن مرادهم فخصر
إليه منهم من يأمره بالركوب والخروج من الديار حالا فقام لساعته وركب وخرج من بيته
فسلوه إلى من يوصله إلى منفاه بالديار الشامية ومعه مماليكه وأتباعه وكان ذلك في أواخر
رمضان سنة تسع وسبعين فأنزلوه بالعادية ثلاثة أيام حتى حاسبوه وحاسبوا أتباعه على ما هو
عليهم وهم محاطون بالحمد والسلاح والمدافع حتى فرغوا واستخلصوا مابق وسافروا إلى غزة
وكانت العادة فيمن ينق من الأمراء بديار مصر أنه إذا خرج من الديار لم يخلوا سبيله
حتى يستصفوا ما عليه وسار صحبة على بيك المذكور جميع أصحابه وبنو قومه وعزلوا من لم
يسافر منهم من منصبه * وما كادت تستقر الأمور وتسكن الفتنة حتى جاء الخبر برجوع صالح
بيك من شرق أولاد يحيى إلى منية ابن خصيب واستقراره فيها وتخصيصها فحشوا لقتاله جيشا
عظيما فبرز بعضه إلى جهة البساتين وبينما هم على هذا الحال من تجهيز الجيوش وإعداد
آلات الحرب والاشتغال بأمر القتال مع صالح بيك إذ رجع على بيك بلاط وأصحابه من غزة
فلم يشعروا أحد برجوعهم ودخلوا القاهرة ليلا ونزل على بيك بيت حسين بيك كشكش
ونزل باقي من كانوا معه في بيوت أخر فلما علم حسين بيك بقدمه على هذه الصورة جمع
إليه أصحابه بجهة الآثار المعروفة بأثر النبي وشاورهم في الأمر فاختلفت كلمتهم وتباينت
أغراضهم فمنهم من أشار بتبعيده إلى جدة ومن أشار بقتله ومن أشار بغير ذلك ثم عادوا
فالتحدوا على أن يرسلوه إلى جدة وأرسلوا إليه من يلزمه بالخروج والسفر فقال لا أخرج أبدا
من بيت سيدي إلا إذا كان إلى الجهة البحرية فرضوا بذلك وانفقوا على أن يعطوه النوسات
اقطاعا وأن يذهب إليها فرضى وذهب إلى النوسات وأقام بها وأرسلوا أصحابه والذين كانوا معه
إلى أسبوط وجهاتها وكان بها خليل بيك الأسبوطي فتعرفوا به وتقربوا إليه وصادقوه
فأعانهم ومد لهم يد المساعدة فتيسرت أمورهم وراجت أحوالهم ولبثوا هناك ماشاء الله

وعاد حسين بيك بعد تبعيد على بيك وأصحابه إلى تدبير أمر الجيش وإرساله لقتال صالح بيك
كما تقدم القول فسار إلى منية ابن خصيب والتقى الجعان واقتتلا فانهزمت العساكر وانفشت
فأرسلوا له جيشا آخر وأميره حسن بيك جوجو وكان حسن بيك المذكور ميالا في الباطن إلى
خذلة حسين بيك وأصحابه فلم يقاوم إلا بالأمر الخفيف ورجع بالعسكر كآته مهزوم مذخور
فأرسلوا جيشا آخر فكانت الحرب بينهم سجالا ثم رجعوا فلم يروا بدا من مصالحة صالح بيك
فخبروه في الصلح واستقرت القاعدة بينهم على أنه يذهب بمن معه إلى برجا فتكون له التزاما
ويقيم بها بشرط أن يدفع الأموال ويرسل الغلال في حينها ويقوم بجميع المطالبات وكان ذلك
في شهر جمادى الأولى سنة ثمانين ومائة وألف * أما على بيك بلاط فإنه لم يعرض عليه بالنوسات
إلا القليل من الأيام حتى تخيلوا أن حسن بيك الازبكاي يرأسه ويطلعه على عوراتهم فقاموا
عليه في ثلثي شعبان من السنة وقتلوه بقصر العين ورسوا بني أصحابه إلى الأقاليم البحرية
وخشوا عاقبة بقاء على بيك بلاط بالنوسات فأرسلوا إليه خليل بيك المعروف بالسكران فحمله

الى مدينة السويس ليسيده الى جده من القلزم وأنزله بأحدى السفن وسلمه الى ربانها فكانت
الريح غير صالحة فبقيت السفينة تنتظر اعتدال الريح فرجع خليل بيك الى القاهرة
وجاءت أيام عيد الافطار فركب الامراء في ثاني يوم شوال الى قراميدان ليهنؤا حجة
باشا بالعيد وكان معتاد الرسوم في مثل هذه الاعياد والمواسم أن يبار الامراء يركبون بعد
الفجر من يوم العيد وكذلك أرباب العكا كيز فيصعدون الى قلعة الجبل ويسبرون أمام
الباشا على الاقدام من باب السراى الى جامع الناصر بن قلاوون فيصعدون صلاة العيد
ويرجعون كذلك ثم يقبلون طرف ثيابه وينزلون الى بيوتهم فيمنى بعضهم بعضا على رسمهم
واصطلاحهم وينزل الباشا ثاني يوم الى كشك بقراميدان وقد هيئت مجالسه بالفرش
والمساند والستور والظنفس واستعد فتراشو الباشا بالقهوة وأطباق الحلوى والتعامم والمباخر
ورتبوا جميع الاحتياجات واللوازم من الليل واصطفت الخدم والچاويشية والسعاة والملازمون
وجلس الباشا بذلك الكشك وحضرت أرباب العكا كيز والخدم قبل كل أحد ثم يأتي المدفتر دار
وأمر الحاج والامراء والصناع والاختيارية وكتخدا الانكشارية والعزب أصحاب الوقت
والمقادم والاودة باشية والچربجية ويعيدون عليه بالترتيب على قدر مراتبهم ثم ينصرفون *
فلما حضروا في ذلك اليوم وهنؤا الباشا وخرجوا الى دهليز القصر يريدون الانصراف الى
بيوتهم برز لهم طائفة من الجند وسيوفهم بأيديهم مسلولة وآخرون يحملون البنادق واندفعوا
عليهم وأطلقوا البنادق وأعملوا فيهم السيوف فأصيب عثمان بيك الجرجاوى بضربة سيف
في وجهه وأصيب حسين بيك كشكش بطلق نارى في خصره وجرح كثيرون جرحا بليغة
فعند ذلك ارتفعت الاصوات وعلت الجلبة وصاح الامراء بما اليكهم وأتباعهم لنجدتهم
فاقتحموا الدهليز والسيوف بأيديهم وحالوا بينهم وبين المتوأمين حتى تسلقوا من حائط
البيستان وركبوا خيولهم وهم لا يصدقون بالنجاة وأركبوا عثمان بيك وهو يصيح الى باب
العزب وقد قطع السيوف وجهه وفمه فذهبوا به الى باب العزب وأنزلوه فلم يلبث الاهنية
ومات لحملوه الى بيته وجهازوه ودفنوه ولم يمض من جرحوا أحد غيره وباتوا على ذلك وأصبحوا
فاجتمعوا وصعدوا الى الابواب وأرسلوا الى حجة باشا يأمره بالتزول من القلعة على عجل
فنزل من ساعته الى بيت أحمد بيك كشك بقوصون ومر بباب العزب فوقف له حسين بيك
كشكش وسبه سبا فاحشا وخاطبه بيذى القول وفش الكلام فلم يجبه بشئ ثم رتبوا أمورهم
وسلموا بعض الوظائف المهمة لمن يعتمدون عليه واستمكشفوا خفي هذه الحادثة فقبضوا أنها
كانت باغراء من حجة باشا وقيل بل هى خليقة على بيك بلاط فانه ما برح منذ تبعيده الى
النوسات يرسل حسن بيك جوجو ويكاتبه سرا ومازالا على هذا الحال حتى تم التدبير لحسن
بيك واستحضر طائفة من الخلفية وأطلعهم على ما فى نفسه فوافقوه فأخفاهم فى بيته أياما
كثيرة وقد دبروا أن يكون ايقاعهم بالامراء فى أول يوم العيد وذهبوا الى الكشك بقراميدان
فى ذلك اليوم وكانوا نحو الاربعين فاختلفت عندئذ كلمتهم وانتقصوا ثم عادوا فانفقوا على

أن يتوا الأمر في ثاني يوم بدهليز بيت القاضي وتفرقوا على ذلك وقد انحلت رابطتهم الأربعة فانهم ثبتوا على هذا الاتفاق وساروا في ثاني يوم الى الدهليز وضربوا من صادفوه بالسيوف والبنادق وبطل من هذا اليوم أمر العبد من قراميدان وتم دم القصر وخرب وكذلك البستان وذهبت نضارته وبعد وقوع هذا الحادث سيروا من يستكشف خبر على بيك بلاط وهمل أفلعت به السفينة الى جندة فوجدوه بالسويس فردوه وأركبوه مع اتباعه ومماليكه الى القاهرة ومروا به من طريق الجبل وذهبوا الى جهة شرق اطفح ثم الى أسبوط * فلما استقر به المقام اجتمع عليه المبعدون كافة وطوائف الهوارة وأخلط آخر كثيرة فراسل صالح بيك بمنية ابن خصيب يريد الانضمام اليه بن معه من هؤلاء الاخلط فلم يرض صالح بيك ونفر منه فجعل يخادعه ويسايره وأرسل اليه خليل بيك الخربطلي أحد المبعدين بكلمه في ذلك ومازال به حتى جنح لطلبه واجتمع به بكفالة شيخ العرب همام وتحالفا وتعاقدا وتعاهدا على الكتاب والسيوف وكتب بذلك حجة وكان العهد بينهما أنه اذا تم لهما الامر أخذ صالح بيك الاقاليم القبلية بتمامها قيد حياته وأرسلوا بما وقع الاتفاق عليه الى شيخ العرب همام قيل فسر بذلك ورضى به ارضاء لصالح بيك وأمدتهما بالعطايا والمال والرجال واجتمع عليهم جميع المتشردين من الغز والاجناد والهوارة والابطال فصار لهم جيش عظيم فساروا الى منية ابن خصيب وكان بها خليل بيك السكران عاملا فلما علم بقدمهم رحل عنها وجاء القاهرة هاربا فاستقر على بيك بلاط وصالح بيك ومن معهما بالمنية وبنوا حولها الاسوار والابراج وركبوا عليها المدافع وقطعوا الطرق على المسافرين برا وبحرا وأرسل على بيك بلاط الى ذى الفقار بيك وكان مبعدا بالنصورة ومعه جماعة من الكشاف يستقدمه الى المنية بن معه فارتحل من المنصورة ليلا الى المنية فلما وردت الاخبار الى القاهرة بما فعله على بيك وصالح بيك وانهما في عدة عظيمة جدا خافوا شرهما وخشوا عاقبة فعلهما فاجتمعوا جميعا وبينهم الشيخ الحفناوى شيخ الوقت يومئذ وتشاوروا في الامر وطال بينهم الاخذ والرد ثم اتفقوا على أن يرسلوا لهما عسكريا لقتالهما فقام الشيخ الحفناوى وخطأ رأيهم واستنقصه وأطال الكلام على ما أصبحت فيه البلاد من الضنك والاضمحلال بأسباب نوالى الفتن وتعاقب الحروب والمحن وقال ماذا عليكم لو أرجعتم على بيك وصالحتموه فيأنى ويقم في بيته آمنا مطمئنا فقالوا ان لم نذهب لقتاله أتى هو لقتالنا بخيله ورجله قال لا تألوا شيئا حتى أكتبه ويأتى منه الجواب وقام وكتب له يوبخه ويذره تارة وينصحه أخرى وينهاه عن فعل ما لا تحمد عاقبته وبعث اليه بالخطاب فلم يلبث الشيخ بعد ذلك الا أباما ومرض ورمى بالدم ومات فشاع يومئذ أنهم أعطوه سمالينالوا أغراضهم من قتال على بيك وصالح بيك ووردت في هذه الاثناء الاخبار بعزل حجة باشا وهو في سجنه لا كلمة له كما تقدم القول ونولية محمد باشا راقم فقام اليه الملاقون ودخل القاهرة في غرة ربيع الثانى سنة احدى وثمانين ومائة وألف هجرية فسافر حجة باشا الى بلاد الروم فكان لبته بمصر سنتين وشهرا

مطلب

عزل حجة باشا وولاية محمد
باشا راقم

وعاد الامراء بعد دخول محمد راقم باشا الى جمع الجوع وتجهيز معدات القتال للعمل على على بيك بلاط وصالح بيك وكلوا محمد باشا في أمرهما وأعلموه بأسباب خروجهما وموهوا عليه الحال وأخذوا منه مرسوما بالقتال وسيروا حسين بيك كشكش ومعه عسكر جرار فطلب حسين بيك النفقة فلم يجدوا في الخزينة شيئا من الاموال فجعلوا يصادرون التجار ويستصفون أموالهم وطلبوا أمراء البهار المعروفين بالتواخيد وألزموهم بدفع مال البهار مجبلا فادعوا الاعسار فهددوهم وأخذوا جميع ما عندهم من مال ومتاع ثم سار حسين بيك بعسكره والتقى الفريقان بناحية بياضة تجاه بنى سويف فاقتتلا قتالا عنيفا فانهزمت عساكر حسين بيك شرهزيمة وانفشلوا وقتل كثير من أمراء العسكر ورجع المنهزمون الى القاهرة يوم السبت سابع عشر الشهر وهم في أسوأ حال * وأصبح يوم الأحد فطلعوا الى أبواب القلعة وطلبوا من الباشا مرسوما باعادة القتال وبأخذ مائتي ككيس من مال الخزينة السلطانية نفقة للجند فامتنع الباشا من ذلك فراجعوه فلم يرض وبيناهم يتازعون في ذلك اذ جاء يوم الاثنين الخبر بوصول على بيك وصالح بيك ومن معهما الى ناحية غمارة وكان حسن بيك جوجو ومن معه من الامراء نازلين بخيامهم جهة البساتين فارتحلوا اميلا وهربوا وانزع خليل بيك وحسين بيك ومن معهما من الجند والعسكر وتحققوا أن لا قبل لهم بقتال على بيك بلاط وأن لا بد من زوال دولتهم * وأرسل الباشا الى أصحاب الوجاقات بملازمة كل وجاق لبابه فوصل على بيك وأصحابه الى البساتين فلم يروا فيها أحدا وتسلل خليل بيك وحسين بيك وأصحابهم ما وطلعوا الى الابواب فوجدوها مقفلة فرجعوا الى قراميدان وأقاموا بها ساعة ثم رجعوا على أعقابهم وقد خرج الكثير في تلك الليلة من الامراء هاربين الى حيث على بيك وصالح بيك وفي مقدمتهم حسن بيك جوجو ومن انضم اليه من الامراء والاجناد وهرب خليل بيك شيخ البلد يومئذ وجميع أتباعه وأعوانه ومماليكه وحسين بيك كشكش وأتباعه وأعوانه وكانوا عدة كبيرة * وأصبح يوم الخميس فخرج الاعيان وغيرهم للقاء على بيك وصالح بيك ومن جاء معهم ما من الامراء فدخلوا القاهرة في ذلك اليوم ومعهما جميع الذين كانوا مبعدين ولبسوا الى يوم الأحد ثم طلعا ومعهما باقي الامراء المبعدين والذين تخلفوا عن الذهابين الى الديوان بقلعة الجبل فخلع الباشا على على بيك خلع الرضا وقرره شيخا للبلد وخلع على صناعته خلع الاستمرار أيضا في اماراتهم واستقر المنصب على بيك في اماره مصر ورياستها ونظر نبله وعلت كلمته حتى ساعدته الاقدار وملك الديار المصرية والاقطار الحجازية والبلاد الشاميه كما سيأتى بيان هذا كله في محله ان شاء الله تعالى

وتأقت نفسه « وان النفس لأماره بالسوء » الى الانتقام من بعض الامراء وأعيان البلد وتبعيدهم فرأى أن لا قبل له بذلك خوفا من حسن بيك جوجو وأنه مادام حيا لا يصفوه الحال فأخذ من هذا الحين يدبر على قتله وأطلع بعض خواصه على مافى سره فتهوؤوا له الأمر وتعهدوا له بالعمل فلما كانت ليلة الثلاثاء ثامن رجب سنة احدى وثمانين ومائة وألف حضر

حسن بيك جوجو ومعه آخر اسمه على بيك جن وآخر اسمه محمد بيك أبو الذهب وأيوب
 بيك الى بيت على بيك بلاط لزيارته فلبثوا عنده برهة من الليل يتحادثون ثم قام حسن بيك
 ومعه على بيك جن وربكا ومعهما الامراء المذكورون ونقر من أصحاب على بيك يسايرونهم
 وهم المتكفلون بالقتل فلما صاروا في الطريق التي عند بيت الشاوي خلف جامع قوصون
 بخردوا سيوفهم وطعنوا حسن بيك فقتلوه وقتلوا معه على جن وتركوهما ورجعوا فاخبروا
 على بيك بلاط بما جرى فسر سرورا عظيما وبات وأصبح على بيك المذكور مالكا لجميع
 الابواب لارادة لكلمته ولا يد فوق يده فلما صفا له الوقت ودانت له الامور أبعد كثيرا من
 الامراء والاعيان والوجهاء وشردهم في الاقاليم القبلية والبحرية وضيق على كل من كان
 يتوسم فيه سمة الانكار فخافه الناس وهابه الامراء وعت شهرته واتسعت صولته وجعل
 ينصرف في الامور كما يشاء * وبينما هو على هذا الحال من تتبع الخصوم وقطع دابر
 المخالفين اذ جاءه الخبر برجوع حسين بيك كشكش وخليص بيك من جهة غزة وهما في
 جوع كثيرة للغاية وأخسلاط من الجند والعسكر يريدون القتال والزحف على الديار المصرية
 فأكبر هذا الامر جدا وجيش لقتالهم جيشا ضخما للغاية في البر والبحر واجتمع الفريقان
 عند الدريس والجراح من بلاد المنصورة وكان حسين بيك كشكش وأصحابه قد عرجوا
 أولا الى دمياط فنهبوا وسلبوا شيئا كثيرا ثم حضروا الى المنصورة ففعلوا كذلك فلما التقى
 الجيشان واقتتلا انهزم أصحاب على بيك بلاط وانفصلوا وولوا راجعين وقتل منهم عدة كبيرة
 من الامراء والجاوشية ولم يزلوا في هزيمتهم الى أن وصلوا دجوة فلما جاء الخبر بذلك
 اهتم له على بيك ونزل الباشا من قلعة الجبل وخرج الى قبة باب النصر خارج القاهرة
 وجمع أمراء العسكر كافة والعلماء وأرباب السجاجيد ورسم أن كل من كان من الجند
 وأصحاب الوجاهات يبادر بالتأهب للخروج أو يخرج بدلا عنه واحدا واهتم كذلك على بيك
 بجمع العسكر وإعداد معدات الحرب بجمع جيشا عظيما وسلم لواءه الى محمد بيك أبي الذهب
 فسار أبو الذهب من فوره والتقى بمن بقي من العساكر المتشردين فضمهم الى عسكره وسار
 بهم في طلب حسين بيك وخليص بيك وكانا قد نزلا باقليم الغربية وساروا سيرا حثيثا يريدون
 القاهرة ليدخلوها فلاقته جيوش أبي الذهب بمدينة طنطا وهم معسكرون فيها فأحاط أبو
 الذهب وعسكره بالمدينة من كل جانب فوقع الحرب بين الفريقين ولم يزل القتال قائما حتى
 فرغ ما عندهم من الذخيرة وقلت الازواد فأرسلوا الى أبي الذهب يطلبون الامان فأمنهم
 وبطل القتال وكانهم أبو الذهب وخادعهم وتعهد لهم باسترضاء على بيك فالتجسوا وانحلت
 عزائهم وتفرقت كلمتهم وبأوا ليلتهم تلك على بساط الطمان * فلما كان ثاني يوم أرسل أبو
 الذهب الى حسين بيك كشكش يستدعيه الى معسكره ليتكلم معه في أمر الصلح فسار اليه
 وليس معه سوى خليل بيك السكران أحد أتباعه فلما وصلا ودخلا مجلسه لم يجدها بخلسا
 برهة لطيفة ينتظرانه واذا بجماعة من العسكر قد دخلت عليهما وضربتهما بالسيوف حتى

ماتا وجاء في أثرهما حسن بيك شبكة ولم يعلم بما جرى لأستاذه حسين بيك فلما اقترب من
العسكر داخله الخوف وشعر برجفة فأراد الرجوع فعاقه رجل سائس اسمه مرزوق وضربه
بنموت فوقع الى الارض فلحقه أحد الجند واحترأ رأسه * وجاء الخبر الى خليل بيك الكبير
ومن معه بما جرى على حسين بيك وأتباعه فخافوا خوفا عظيما وذهبوا الى ضريح السيد
أحمد البدوي والتجؤا الى قبره وأيقنوا أنهم لاحقون باخوانهم وأرسل أبوالذهب الى علي بيك
بلاط يستشير في أمر خليل بيك ومن معه فرسم بتبعيده الى الاسكندرية فقبض عليه وبعث
به اليها فلم يلبث بها الا أباما وقتلوه خنقا ورجع أبوالذهب ومن معه ودخلوا المدينة من
باب النصر في موكب عظيم وأمامهم رؤس القتلى محمولة في صوان من الفضة والخدم أمامها
يقولون « صاوا على محمد » وكانت عدة تلك الرؤس ستا وهي رأس حسين بيك وخليل بيك
السكران وحسن بيك شبكة وحمة بيك واسماعيل بيك أبو مدفع وسليمان أنا الوالي وكان
دخولهم على هذه الصورة في يوم الجمعة سابع عشر المحرم افتتاح سنة اثنتين وثمانين ومائة
وألف هجرية

واشتد على بيك بلاط على من بقي من الامراء المخالفين وأبعد منهم عدة كثيرة الى الصعيد
الاعلى وأخرى الى الاقطار الجازية وقبض على أولاد سعد خادم ضريح السيد أحمد البدوي
وصادرهم وأخذ أموالهم وكانت كثيرة وأبعدهم عن طنطا وأرسل آخر بدلهم اسمه الحاج
حسن عبد المعطى وشرع في بناء الجامع والقبسة والسبيل والقيصرية العظيمة وأبطل عنها
مظالم أولاد الخادم والحمل والنساليين والحرامية والصيادين وضمان المومسات وغير ذلك
من أنواع المغارم التي كانت مفروضة عليها وبلغ على بيك شهرة عظيمة وكبر اسمه في دار
السلطنة العثمانية فأرسل اليه السلطان هدية قفطانا وسيفا محبة رسول مخصوص برسم
سلطاني فتقاطر الامراء لتهنئته ونزل الباشا الى بيته وتراجت على بابه أقدام المهشين فداخل
صالح بيك من ذلك بعض الحسد وآس منه على بيك بعض الوحشة فأصر له على بيك السوء
وعزم أن يجمل به قبل أن تستفعل الوحشة فيجمل هو به وكاشف بعض رجاله على ما يريد
بصالح بيك فهون عليه الامر وتعهده بالعمل فلما جاء صالح بيك الى بيت علي بيك لينشئه بهدية
السلطان وقفل واجعا الى بيته ركب معه محمد بيك تابيع علي بيك وآخرون من الامراء أتباع
علي بيك وساروا في ركابه وخلفهم بعض الجند والاتباع فلما صاروا في مضيق الطريق عند
المفارق بسويقة عصفور تأخر محمد بيك ومن معه قليلا عن صالح بيك وصاح محمد بيك بخادمه
ونهره وسبه وجرده سيفه بسرعة غريبة كأنه يريد قتله وطعن به صالح بيك فاخترط ببقية من
كانوا معه سيمونهم وضربوه فسقط عن جواده الى الارض ميتا وتركوه وصعدوا من فورهم
الى قلعة الجبل فلما استقر بهم المقام أخذتهم نشوة الظفر بصالح بيك فجعلوا يتحدثون في أمر
قتله ومافعله كل منهم وعابوا أحدهم أحمد بيك بشناق حيث لم يسرع في اخراج سيفه وأججم

عن الطعن والضرب كما فعلوا هم فقال انى ضربته كما فعلتم فكذبوه وقالوا ارنا سيفك ان كنت صادقا فلم يفعل وخاف أن يخبروا على بيك بلاط بما وقع منه فيقتله ثم انصرفوا وبات هو ليلة يدبر أمرا لخلاصه فلم ير له سبيلا غير الفرار الى أرض الله الواسعة وأصبح فأخبر زوجته بما عزم عليه وشدد عليها أن لا تخبر بخبره أحدا حتى يصل الى الاسكندرية ثم قام وتزيا بزى المغاربة وسار من ساعته وجد في السير من ناحية شلقان فأنت السعاة وأخبرت على بيك بخبره فرسم لحاكم الاسكندرية بالقبض عليه فلم يتمكن من ذلك حيث كان قد نزل بأحدى السفن الفاصدة بلاد الروم وكان من أمره بعد ذلك ما كان مما سيذكر في حينه وأجد بيك هذا هو أجد باشا الجزائر الشهير الذى ملك عكا وتولى الشام وامارة الحاج الشامي وطار صيته في الممالك شرقا وغربا فساء على بيك فراره وخشى عاقبة أمره

وانسعت كلمة على بيك وكبرت هيئته فسقطت حرمة محمد باشا الوالى فى جانب حرمة وذهب اعتباره وصار مغلوبا على أمره ليس له من الولاية سوى الاسم فخاف على نفسه وأخذ يدبر على قتل على بيك وأعمل في ذلك جهده وكشف كتحدها عبدالله بيك بما في خاطره فلم يكتم سره بل أعلم على بيك به وكشف عما ينويه له محمد باشا فلما علم على بيك بذلك أصبح فلك الابواب والرميلة وحوالى قلعة الجبل والحجر وأرسل الى الباشا يلزمه بالتزول من القلعة فنزل من باب الميدان الى بيت أجد بيك كشك ولبت فيه محجورا عليه تخفزه العسكر وتولى على بيك النيابة وجعل يتصرف فكثرت مصادرتة للناس فى أموالهم ومتاعهم بلا فرق ولا تمييز فكانت هذه السنة السيئة من مبتكراته من يوم نشأته ثم صارت سنة لمن يأتى بعده * وتناقت نفسه بعميد ذلك الى الولاية على الشام أيضا فعمل على ذلك وهيا هدية نفيسة للغاية وخيولا مصرية جيادا وبعث بها الى السلطان وبعض رجال الدولة وكتب يشتكى من عثمان بيك ابن العظم والى الشام ويطلب من دار السلطنة عزله لقبوله المنفيين من أمراء مصر وانضمامهم اليه والاخذ بقولهم فى جميع أعماله وبالع فى الشكوى واستفاض الخبر بذلك فى القاهرة ومصر وعلم محمد باشا الوالى به فكان يتحزن ويتوجع ولا قبل له على عمل شئ وما زال على هذا الحال من الحزن والضيق حتى مات فى الحرم افتتاح سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف هجرية بقصر عبد الرحمن كتحدا بشاطئ النيل حيث كان مسجوناً لم يخرج منه منذ أنزل من قلعة الجبل وقيل كان موته مسموما فدفن بالقرافة الصغرى عند مدفن الباشاوات بالقرب من الامام الشافعى ولم يحتفلوا بمجنازته

واجتمع الامراء المبعدون الى الاقاليم القبلية على اختلاف درجاتهم بشيخ العرب همام لعله يعاونهم على العود الى ديارهم فأشار عليهم بالتفرع الى أسبوط وأخذها عنوة وأن يقيموا بها ولم يسمح لهم بالمقام عنده خوفا من على بيك بلاط ووفاء بما بينهما من العهد فارتحلوا جميعا من عنده وترفعوا نحو أسبوط وكانوا عدة كبيرة واجتمع عليهم أيضا طوائف الهوارة وأخلط من الناس ممن لاشاغل لهم وكان بمدينة أسبوط فى هذا الحين من قبل على

بيك بلاط عبد الرحمن كاشف وذو الفقار كاشف وقد رموا أسوار البلد وحصنها تحصينا عظيما فلما وصلوا اليها ووجدوها على هذه الحال من المنعة والتحصين جعلوا يتلصصون الى أن اتصل قوم منهم في جنح الليل ببوابة البلد ومعهم خرق ملوثة بالقار والكبريت والزيت وأوقدوا فيها النيران فاشتعل الباب فهجموا على المدينة هجمة رجل واحد فلم يكن لهم بهم طاقة لكثرتهم وملكوها أسيوط وحصنوها بها وهرب من كان فيها من العساكر والكشاف وجاءت الاخبار بذلك الى على بيك فهاله الامر واستعظمه وجيش لهم جيشا عظيما وسيره مع ابراهيم بيك بليقيه ومحمد بيك أبوشنب وعلى بيك الطنطاوي وبالح في ارسال الذخيرة والميرة وغيرها فلما صاروا على مقربة من أسيوط خيموا عند جزيرة منقبط وعلم من بأسيوط بحضورهم تخافوا وتشاوروا في الامر فانفقت كلمتهم على أن يركبوا ليلا ويدهموا عسكر على بيك فركبوا في ساعة معلومة بينهم وسار بهم الدليل في طوق الجبل فضل بهم وأسرى واباهم حتى تجاوزوا المكان المقصود بنحو الساعتين تخافوا وعلموا فوات الوقت وأن القوم متى علموا بخروجهم ملكوا المدينة من غير ممانع قبل رجوعهم فما وسعهم الا الذهاب الى المعسكر ومصادمتهم على أي حال كان فلم يصلوهم الا بعد طلوع الشمس وتيقظ القوم واستعدوا لهم والتطموا معهم وهم قليلون فوقع القتال واشتد الجلال وبذلوا جهدهم في الطعن والضرب وبرز رجل منهم يريد محمد بيك أبوشنب فيرزله محمد بيك وهو يقول لبيك هاأنا هاأنا فقصدته جماعة منهم وقتلوه وقتلهم حتى قتل وحى الوطيس وكثر الصياح وارتفع الغبار وانكشف عن هزيمة أهل الثورة ونصرة أصحاب على بيك وكانت هذه الواقعة الهائلة عند جبانة مدينة أسيوط فتمزقوا وتفرقوا أيدي سبأ ثم عاد من بقي وانضم الى كبار الهوارة وملك أصحاب على بيك مدينة أسيوط واحتلوها ولبثوا بها أياما ثم ترفعوا لقتال شيخ العرب همام وكبار الهوارة ومن انضم اليهم من المهزومين فاتحد كبار الهوارة مع الامراء المهزومين واستعدوا للقاء عسكر على بيك فراسل محمد بك اسماعيل أبو عبد الله ابن عم همام واستماله ومنه ووعدته برياسة الصعيد عوضا عن عمه همام ان هو ختل قومه وتخلي عن القتال معهم وما زال به حتى ركن لقوله وصدق تعويهاة وتناقل عن القتال وخذل قومه ومن كان معهم من الامراء فانفسلوا وتمزقوا كل ممزق وخاف شيخ العرب همام شر العاقبة فارتحل عن فرشوط وانحدر على بعد ثلاثة أيام منها ثم مرض أياما قلائل ثم مات كذا وخزنا على ماجرى وسار محمد بيك بالجند الى فرشوط فدخلها من غير ممانع ونهب ما فيها وأخذوا جميع ما كان بدور همام وأقاربه وأتباعه من ذخائر وأموال وغلال فزالت دولة همام المذكور من الاقاليم القبلية من ذلك الحين ثم سار محمد بيك بعد ذلك من فرشوط يريد القاهرة فحضر اليه درويش ولد همام بعد موت أبيه مستجيبا فأحضره معه الى القاهرة فلبث بها أياما حتى رضى عنه على بيك وأعادته الى فرشوط نحت عهود عاهدها له قبل السفر * أما محمد بيك أبو الذهب فإنه لم يلبث بالقاهرة الا أياما قلائل بعد عوده ظافرا منصورا حتى وقعت بينه وبين

أستاذة على بيك وحشة فخرج منها مغضبا الى الاقاليم القبلية ولحق بدرويش بن همام وأقام عنده نخلت البلاد شرفا وغربا لعل على بيك ومماليكه واستتبت كلمته وعمت الآفاق شهرته وتفرغ لقطع شأفة المنفيين في الثغور كدمياط ورشيد والاسكندرية والمنصورة وغيرها ووكل جماعة من قومه بذلك فكانوا يذهبون الى تلك الجهات واحدة فواحدة فيقيمون بها أياما ويقتلون من بها من أولئك المبعدين خنقا ثم ينتقلون لغيرها حتى أفنواهم ولم يبقوا منهم أحدا وخاف الناس على بيك خوفا عظيما فاتفق أنه دخل يصلي يوما بجامع الداودية فصعد خطيب الجامع وخطب ثم دعا للسلطان ولعل على بيك بالنصر والتأييد فلما انقضت الصلاة وقام على بيك يريد الانصراف استدعى الخطيب وقال له من أمرك بالدعاء باسمي على المنبر أقبل لك اني سلطان وكان الخطيب يغلب عليه البله فقال نعم أنت سلطان وأنا أدعو لك فأظهر على بيك الغيظ وأمر به فضربوه بالعصى وتركوه فركب حمارا لشدة ما أصابه من الضرب وسار الى بيته وهو يصيح في الطريق « بدأ الاسلام غربا وسيعود كما بدأ » وأكثر من الصياح على هذا الحال فتبعه العامة الى أن دخل بيته فلما علم على بيك بذلك خاف العقوبة فأرسل الى الشيخ كسوة سنية وبعض دنائير واستعطفه لما وقع منه * وبعد أيام جاء الخبر بولاية الوزير محمد باشا الاورفلي بدلا من محمد باشا راقم الذي مات كما تقدم القول فحضر على البر في أبهة وكبكية عظيمة وقصد الى قلعة الجبل وذلك في أواخر سنة اثنين وثمانين ومائة وألف هجرية وجعل يتصرف بقدر الاستطاعة الى سنة ثلاث وثمانين ثم عزل وولى بعده الوزير أحمد باشا فأتى من الاقطار الحجازية الى السويس بالقلم ودخل القاهرة في موكب حافل وهو متوعك ولم يصعد قلعة الجبل وسكن بدرب الجر أشهر ثم اشتد به مرضه فمات في السنة المذكورة

مطلب

ولاية محمد باشا الاورفلي
ثم عزله وولاية الوزير أحمد
باشا

واشتدت رغبة على بيك بلاط في الغزو وفتح المدن والامصار لاسيما الديار الشامية والحجاز وقد تقدم القول انه كتب الى دار السلطنة يشتكي من ابن العظم ويرميه بالسوء فكانت رساله لا تنكشف عن استطلاع اخبار الشام والحجاز وكان يتقى لو أن الله ييسر له فتحهما فينبأ هو على هذا الحال بين الرجاء والتمنى واستطلاع أخبار تلك الاصقاع اذ قدم الى القاهرة في المحرم افتتاح سنة أربع وثمانين ومائة وألف هجرية الشريف عبد الله من أشرف مكة وكان من أمره أنه وقع بينه وبين ابن عمه الشريف أحمد أخى الشريف مساعد منازعة في اماره مكة بعد وفاة الشريف مساعد فتغلب على الشريف أحمد واستقل بالامارة وخرج الشريف عبد الله هاربا الى دار السلطنة مستنجدا فرسم السلطان الى على بيك بلاط بمساعدته واعادة الامارة اليه كما كانت فأثرله على بيك منزلا رحبا وأكرم وفادته وفرح فرحا عظيما ورتب له المرتبات من مأكول ومشروب وأمر بتجهيز الذخائر ومعدات الحرب وملائي بيوت الأشراف الذين قتلوا بالذخيرة وآلات القتال والمؤن واستعرض أصناف العسكر من ترك ومغاربة وشوام ومتاوله ودروز وحضارمة ويمانية وسودان وحباشان ودلاة وغير ذلك وأرسل معهم طوائف

في المقدمات وأنزل المشاة منهم الى القلزم في السفن وسار بقية الجند في صفر من السنة بعد دخول الحاج في تجمّل زائد وكبكية عظيمة ومعهم محمد بيك أبو الذهب وبعض كبار الامراء وسار معهم الشريف عبد الله وقد ودعه على بيك وطيب نفسه فلما التقى الجمعان اقتتلا قتالا عنيفا على الينبع فانتهصر المصريون على العرب نصرة مؤثرة وهزموهم شر هزيمة وقتلوا خلقا كثيرا من الاشراف وقتلوا وزير الينبع العامل عليها من قبل الشريف ثم سار محمد بيك بعسكره حتى اقتربوا من سواد مكة فخرج عليهم قوم الشريف اُجد وأصحابه فقاتلهم وانتصر عليهم ودخل مكة عنوة فخرج الشريف منها هاربا فأباحها ثلاثة أيام فنهبوا ما فيها ونهبوا بيت الشريف وبيوت أصحابه وأخذوا شيئا كثيرا للغاية من متاع وأموال وجواهر وحلى ونفائس وغير ذلك وأجلس الشريف عبد الله في منصب إمارة مكة وولى حسين بيك أحد الامراء المصريين على ولاية جدة عوضا عن واليهما من قبل الدولة وأقام أبو الذهب أياما بمكة حتى استتب قدم الشريف عبد الله ثم سار بعسكره يريد القاهرة ووصلت الاخبار بذلك فخرج لللافاه الملاقون بالعقبة فلما جاء الخبر بوضوئه إليها خرج الأمراء الى بركة الحاج والدار الجراء لانتظاره فدخل في أوائل شهر رجب من السنة وقدم القاهرة في ثمانه في موكب عظيم للغاية وأتى اليه العلماء وأعيان البلاد وقصده الشعراء بالقصائد والتهاني فعلت شهرة على بيك بالاقطار الخجازية وطار صيته في الآفاق * ولما تكامل ورود عسكره من غزوة الجاز عزم على أن يوجه بهم لغزو الشام فبدأ بأن أرسل يهد الطرق أمامهم وكان بغزة شيخ لعربانها اسمه طيط طاغية شديد المراس وكان يكره على بيك ويتمنى خذلانه وزوال دولته فسير اليه على بيك رجلا من أعوانه اسمه عبد الرحمن أنما ورسم له بقتله فسار الى غزة في نفر من الجند ولم يزل يتحيل حتى ظفربه وقتله هو واخوته وأولاده وقد كان عقبة كبرى في طريق الشام ثم استكثر على بيك من جمع طوائف الجند واعداد معدات القتال والمؤن والذخائر وجيش جيشا ضخما وسلمه الى اسمعيل بيك ومعه عدة من الامراء فبرزوا الى العادلية بالآلات والاحمال والخيام وأقاموا بها أياما ثم ارتحلوا الى الشام وسار خلفهم جيش آخر بجرا ومقدمه سليمان بيك والتقى الجمعان فقامت الحرب على ساقها بين الطرفين واشتدت وحى وطيسها فتابع على بيك ارسال المدد من جند وسلاح ومؤن وذخيرة في البر والبحر حتى نفذ ما عنده والطلب متواصل فعمد الى مصادرة الناس وأخذ أموالهم بأرذل الطرق وأخس الوسائل وفرض على القرى أموالا وقرر على كل طائفة مائة ريال وثلاثة ريال حق الطريق فضج الناس وتعطلت أسباب الرزق وهاجر البعض وطلب من قبط مصر مائة ألف ريال ومن يهودها أربعين ألفا وضيق وشدد وهدد وبالع في الوعيد فأخذها جميعها

وسير بعد ذلك جيشا آخر كامل العدد والعدد الى يافا فحاصرها وضيق عليها وما زال منع الواصل اليها متتابعات حتى فتحت وأخذت عنوة ثم ركبوا على باقي المدن والقرى وقتلوا من بها من النواب والولاة وهزموهم ففروا من وجوههم واستولى المصريون على جميع الديار

الشامية الى حلب وطار صيت على بيك وملاً الآفاق فداخله الغرور وتاقت نفسه الى الغزو
 والفتوح فأرسل الى محمد بيك أبي الذهب يأمره بتولية الامراء الذين معه المناصب والولايات
 على البلاد التي ملكوها وأن يستمر على الغزو والفتوح ويتجاوز الحدود ويستولى على كل
 ما يصادفه من الممالك والبلدان الى حيث شاء الله وهو يتابع ارسال المدد اليه من مال
 ورجال فجمع أبو الذهب من معه من الامراء والاقدران وبكار الجند وشاورهم في الامر
 وأخبرهم بما يريد على بيك فاختلعت كلمتهم وتفرقت أغراضهم وطال الجدل بينهم ثم اتفقوا
 على الرجوع بجميع العسكر الى مصر ونحالفوا على أن يكونوا على قلب رجل واحد
 وساروا من يومهم فجاؤا القاهرة في رجب من السنة ودخلوها على خلاف مارسم به على بيك
 فسأه فعلهم واستعظمه جدا وبقي الأمر على السكوت أياما ثم تكلم على بيك مع أبي الذهب
 في أمر رجوعه الى الديار الشامية لفتح كل ما تسر له فتحه من مدنها وأمصارها وشدد عليه
 في ذلك فأظهر محمد بيك عين السخط وعدم الرضا وعارض في الأمر كثيرا فصمم على بيك وقال
 لابد من السفر فبدأت بينهما الوحشة باطنا من هذا الحين وأخذت في الازدياد يوما عن يوم
 وجعل كل يراقب الفرص ويتبين وجه الانتفاع بها * فلما كانت ليلة الرابع من شوال من
 السنة دس على بيك بلاط الى على بيك الطنطاوي وآخرين معه أن يغتالوا محمد بيك أبو
 الذهب ويقتلوه على كل حال فركبوا عليه في تلك الليلة وأحاطوا بداره ووقفت العساكر بأسلحتها
 في الطريق فلما أحس محمد بيك بحضورهم ركب من فوره وخرج من بينهم راكبا والسيف
 بيده وخلفه خواصه وبعض الاتباع وذهب الى البساتين ثم ارتحل منها الى الصعيد وعلم من
 بالأقاليم القبلية من الأمراء المبعدين بحضوره على هذا الحال فساروا اليه وقدموا له
 ما عندهم من مال ورجال وقدم له أيوب بيك أحد رفاقه هدايا من خيل وأقشة ونخيام وغيرها
 وقد وضع محمد بيك المذكور بالطريق عيوناً وأرصاداً لتأتي له بأخبار القادمين عليه من مصر
 فأحضروا له يوما رجلاً يحمل مكتبة من على بيك بلاط الى أيوب بيك يأمره بها ويستخذه
 على سرعة قتل أبي الذهب على أي حال كان ويعده بامارته وبلاده وغير ذلك فلما قرأ
 المكتبة أكرم الرجل وناولها إياها وقال له اذهب وائتني بجوابه ولك عندي غاية الاكرام فذهب
 الرجل وغاب ثم عاد بالجواب وناوله الى محمد بيك فقرأ فإذا هو يذكرفيه أنه باذل ما في
 الوسع وهو يراقب الفرص لينتظرها فتحقق محمد بيك خبث طوية أيوب بيك فجمع اليه
 خاصته وأمرائه وأعلمهم بالخبر وأمرهم بالاستعداد والتأهب وأنه اذا حضر أيوب بيك اليه
 أخذ الامراء نظراءهم من قوم أيوب بيك وتحفظوا عليهم * فلما حضر اليه أيوب بيك جلس
 معه في خلوة فقال له أبو الذهب بدا لي أن أسألك هل نحن مقيمون على الاخاء والمصافاة
 والصداقة والعهد الذي تعاهدنا عليه بالشام قال نعم وزيادة قال ومن تكث وخان اليمين
 ونقض العهد قال يقطع لسانه الذي حلف به وعينه التي وضعها على المصحف فقال له
 بلغني أنه أنك كذب من عند أسناننا على بيك فقال لا فقال لعل ذلك صحيح وقد كتبت له

الجواب أيضا قال لم يكن ذلك أبدا ولو أتاني منه خطاب لأطاعتك عليه ولا يصح أن أكنه
عنتك أو أرد له جوابا فأخرج له الجواب واستحضر له ذلك الرسول فسقط في يده وأخذ يتنصل
ببارد العذر فقال له أبو الذهب لا يصح أن تكون من رفاقي فقم واذهب الى أستاذك واهنا
به فلما خرج قبضوا عليه وأنزلوه الى مركب وأحاطوا بوطاقه وأسبابه فتهافت عنه جموعه
ثم أمر محمد بيك أحد رجاله فذهبوا وقطعوا يده ثم وضعوا صنارة في لسانه وجذبوه ليقطعوه
كما حكم هو بذلك فأقلت منهم ورعى بنفسه الى الماء فغرق ومات فأخرجوه وغسلوه ودفنوه
ولما فاض الخبر بما وقع لايوب بك تحقق الناس استفعال الوحشة بين أبي الذهب
وأستاذه على بيك وأقبل الامراء والاجناد المنفيون اليه ودخلوا تحت لوائه واجتمع اليه جميع
اتباع القاسمية والهواره الذين شردهم على بك وسلب نعمتهم فأكرمهم وأنعم عليهم وواساهم
وقلدهم الخدم والمناصب فتمقيدوا بخدمة وبذلوا جهدهم في طاعته وأخلصوا له النية فلما
وردت الاخبار بذلك الى القاهرة نزل بعلي بيك بلاط من القهر والغيط المكثوم مالا يوصف
وجعل يجيش الجيوش ويعد المعدات وسير اسمعيل بيك أحد اتباعه بجيش عظيم في البر
والبحر وذلك في أواخر ذى القعدة من السنة فلما التقى الجمعان لم يقع بينهما من القتال
الاشئ خفيف جدا ثم انضم اسمعيل بيك باكثر جنده الى جند محمد بيك وصاروا جميعا
على قلب رجل واحد فاشتد الامر بعلي بيك ولاحت عليه لوائح الغم وكاد يموت قهرا وغما
وعاد الى جمع العساكر والاكثر من السلاح ومعدات الحرب وسير سبعة من الصناجق قال
أحد الكتاب وكلهم عزلقون أى مترفهون متمعنون وضم الى كل منهم عساكر وطوائف
ومعاليك وأتباعا وبرز بنفسه الى جهة البساتين ورسم بعمل المناريس من النيل الى طريق
الجبيل ووضع عليها المدافع وسارت العساكر ومعها على بيك الطنطاوى وبقية الامراء في
منتصف المحرم افتتاح سنة ست وثمانين ومائة وألف فالتقى الجمعان في الطريق حيث كان أبو
الذهب وقومه متحدرين الى القاهرة واقتتلا عند بياضة أمام بنى سويف ووقعت بينهما مقتلة
عظيمة انجلت عن هزيمة عسكر على بيك فساق أبو الذهب خلفهم بأصحابه وهم يمانعون عن
أنفسهم حتى عبروا النيل ووصلوا الى دير الطين وكان على بيك بلاط مقيما به فلما رأى أصحابه
مقبليين على هذا الحال من الهزيمة والفشل اشتد قهره وتحير في أمره ولكنه أظهر التجلد
وأمر بالاستعداد وترتيب المدافع وأقام الى الغروب على هذا الحال وقد تفرقت عنه
عساكره من المغاربة وغيرهم ووصل محمد بيك الى شاطئ النيل المقابل لدير الطين ونصب
صيموانه وخيامه مجاه صيموان وخيام على بيك فنظر اليها على بيك وقلبه يخرق بنار الغيظ ثم
ركب عند الغروب ودخل من باب القرافة وطلع الى باب العزب فلبث برهة من الليل ثم
نزل الى بيته وقد عقد النية على الفرار فحمل أحماله وأمواله وعياله وخرج سائرا الى الشام
وذلك في ليلة خامس عشر المحرم افتتاح سنة ست وثمانين وسار معه على بيك الطنطاوى

وجميع مناجقه ومماليكه وأتباعه وطوائفه * وأصبح يوم الخميس سادس عشرينه فعلم محمد بيك أبو الذهب بخروج علي بيك ومن معه فعبر محمد بيك النيل الى الجانب الشرقي وأمر فأوقدوا النار في دير الطين ودمروه تدميرا بعد نهبه ثم دخل المدينة بلا عمانع ونادى أصحاب الشرطة على أتباع علي بيك بلاط بان لا يؤثروهم - ثم أحد فكانت مدة غيبة محمد بك عن مصر سبعين يوما * فلما استقر به لمنصب أرسل فقتل عبد الله كتنخدا الباشا ونادى بإبطال السكة التي كان ضربها علي بيك باسمه وكانت قروشا وأنصاف قروش وكلها من النحاس قد صنعها العلم رزق أحد قبط مصر وجعل يتصرف في الامور وينظر في مصالح البلاد ويعطى المناصب ويفرق الوظائف وغير ذلك * وبينما هو على هذا الحال من النقض والابرار اذ جاءه الخبر بخروج علي بيك بلاط من الشام في جيش عظيم يريد قتال محمد بيك فتها محمد بيك للقاءه وبرز بخيامه جهة العادلية ونصب صميوانه فأقام يومين حتى تكامل خروج العسكر وجاء الخبر بوصول علي بيك بمجنوده الى الصالحية فارتحل محمد بيك في خامس صفر سنة سبع وثمانين ومائة وألف هجرية في جيش عظيم للغاية فالتقيا بالصالحية واقتتلا قتالا عنيفا جدا فكانت الدائرة على علي بيك وأصحابه واصابته جراحة في وجهه فسقط عن جواده فاحتاطوا به وحملوه الى مخيم محمد بيك فخرج اليه محمد بيك وتلقاه بأحسن لقاء وقبل يده وأخذ بيده حتى أجلسه بصميوانه وجلس بين يديه وكان القتلى في هذه الموقعة كثيرين للغاية وقد قتل بينهم علي بيك الطنطاوى وسليمان كتنخدا وعمر جاويز وغيرهم من بكار جند علي بيك بلاط وكانت هذه الموقعة في يوم الجمعة ثامن شهر صفر من السنة ثم قتل محمد بيك راجعا بعسكره الى القاهرة ومعه أسستاده علي بيك بلاط وأنزله في بيته الكائن بالازبكية بدرب عبد الحق وحضر الاطباء لعلاجه فلم يلبث الا سبعة أيام ومات قيل انه سم في جراحته ودفن عند أسلافه بالقرافة وزال وزالت دواته العظيمة * قال أصحاب الاخبار وكان شهما شجاعا مقداما في الحروب داهية طاغية شديد البطش صعب المراس ثابت الجنان سريع الخاطر والانتقام فخلا الجو لمحمد بيك أبي الذهب واتسعت من هذا الحين شهرته وعلت كلمته واستتبت قدمه في منصب الرياسة أو كادت * وجاء الخبر بعد هذا الحادث بقليل بولاية الوزير خليل باشا على ديار مصر فدخل القاهرة في تاسع عشر ربيع من سنة سبع وثمانين (١) وصعد الى قلعة الجبل في موكب حافل للغاية وكان وصوله من طريق دمياط فجلس في ثاني يوم للناس فدخل عليه أرباب الديوان وأصحاب الوظائف فخلع عليهم الخلع المعتادة وجعل يتصرف في الامور كما سيدكر مفصلا في محله

مطلب

ولاية الوزير خليل باشا

(١) لم أجد فيما راجعته من مذكرات أصحاب التاريخ التي جمعت منها هذا المؤلف اسمها لمن تولى مصر من الباشاوات بعد الوزير أحمد باشا الذي قدم من الجواز في سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف هجرية الى ولاية خليل باشا هذا التي هي سنة سبع وثمانين فصارت المدة الحالية زهاء خمس سنين والله أعلم اه مؤلفه

قال بعض أهل التاريخ واشتدت رغبة السلطان مصطفى في رد ما أخذه المحاربون من المدن والامصار وجيش لذلك جيشا عظيما وعزم على الخروج به الى الدانوب فلم يتمكن لمرض أصابه ولازم الفراش فاشتدت به علته فلما أحس بقرب أجله استدعى اليه أخاه عبد الحميد وأوصاه بولده سليم وكان قاصرا ثم مات في سنة سبع وثمانين ومائة وألف هجرية أى سنة أربع وسبعين وسبعائة وألف ميلادية فكانت مدة تصرفه ست عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وكانت له عناية ومعرفة تامة بالعلوم الرياضية محبا لاهل العلم وله مؤلفات في الرياضة تعرف باسمه وكان شهرا حازما مهيبا أعماله مشهورة للغاية

ومات في أيامه يوحنا بطرك الاسكندرية بعد ان أقام ثمان عشرة سنة واشتد في أيامه على بيك بلاط على النصارى شدة عظيمة وضيق عليهم جدا وصادر الكثير منهم ثم ضرب عليهم غرامة قدرها مائة ألف ريال كما تقدم القول فانبت أعوانه لجمعها وقد عاثوا وأفسدوا وفعلوا مالا خيرا فيه وبيعت بسبب هذه الغرامة الجواهر والاشجار الكريمة بأبخس الاثمان وبعونه أقيم بعده مرقس السادس بعد المائة وهو من رهبان دير انبا بولا واسمه سمعان من بلدة قلوصنا وكان في أيامه من الحوادث ما سيذكر في محله

ولما مات السلطان مصطفى تولى الملك بعده أخوه السلطان عبد الحميد بن السلطان أحمد

(الفصل العشرون)

(في سلطنة السلطان عبد الحميد ابن السلطان أحمد)

ثم قام بالامر بعد السلطان مصطفى أخوه السلطان عبد الحميد ابن السلطان أحمد ببيع له بالملك يوم موت أخيه سنة ثمان وثمانين ومائة وألف هجرية أى سنة أربع وسبعين وسبعائة وألف ميلادية وله من العمر يومئذ خمسون سنة أمضى منها أربعاً وأربعين في السجن محجورا عليه لا يجتمع عليه الا بعض العلمان والاتباع ولا يدري من أحوال الدنيا شيئا فلم تكن فيه الاهلية لسياسة البلاد ولا القدرة على تدبير أمور المملكة في ذلك الحين وقد كانت الاخطار تتمدها من كل جانب بسبب الحروب القائمة عليها من الداخل والخارج وكان السلطان مصطفى قبل موته قد جيش جيشا عظيما للزحف به على الروس واسترداد ما أخذ من أملاكه فاخترعته المنية قبل ذلك كما تقدم فلما تولى السلطنة السلطان عبد الحميد أمر بانفاذ جيش السلطان مصطفى وبالغ جدا في تنظيمه وأعد له كل ما يحتاجه من ذخيرة وميرة وأسلحة وكراع وكان زهاء أربعمائة ألف وسلم لواءه الى الصدر الاعظم فساروا والتقوا بجيوش الروس واقتتلوا فذهب الفشل في العساكر العثمانية وانحصروا في مدينة شوملة لسوء تدبير الصدر

الاعظم وفساد رأيه فحاصره الروس وضيقوا عليهم جدا وكادوا يقتلونهم عن بكرة أبيهم فرأى
الصدر أن يرسل قائد العساكر الروسية في طلب الصلح فوافقه القائد على ذلك اذ كان كل
من الطرفين يرى ان لا قبل له على اطالة زمن الحرب ف عقدوا مجلسا في مدينة بكرش وحرر
المرخص العثماني عهدا وأرسل صورته الى دار السلطنة وكان محصل ما في العهد المذكور
اعطاء الحرية التامة للتتار وبقاء قلعة بكرش وبكى قلعة في يد الروس وحرية سير السفن
الروسية التجارية في البحرين الابيض والاسود فرضيت دولة الروس بشرط هذا العهد
وتسكت بها لاسيما ما جاء فيها من اعطاء التتار حرية فقد كان ذلك ما تتمناه وتسمى في الحصول عليه
وبناء على ذلك تساهلت هي أيضا للدولة العثمانية في كثير من الامور ولكنها كانت طفيفة
في جانب ما نالته هي * ولما شاع خبر هذا الصلح في دار السلطنة هاج الناس وماجوا وخشى
أكابر الدولة شر العقوبة وأنكروا قبول منح الحرية للقرم وسير السفن في البحرين وقالوا الحرب
والنار ولا هذا العار * قال بعض كتاب الاخبار وكان قصد الروس من منح الحرية للتتار انما هو ايقاد
نار الفتنة في القريم وبث روح التعصب والفساد كما فعلوا في لهستان من قبل فاذا تم لهم ذلك
سهل عليهم الاستيلاء عليها كما استولوا على اياتي قزان وازدرهان قال ولم يمنعهم من العمل
للمستقبل ما هو واقع من الخلل والارتباك الداخلي وعدم استقامة الاحوال فانه لما أخذت
قبصرتهم كاترينة في ادخال أولاد الناس في صفوف الجند وأكثرت من المغارم والمكوس
لنفقة الحروب أبغض الناس الحرب ونفرت قلوبهم منه ونوى الحراب على الكثير من
مدنها وبلدانها وضع الناس وابتهلوا الى الله بزوال ملكها وأخذت من هذا الحين تذبل
نضارة دولة آل عثمان وكادت تزول سلطتها من وراء الدافوب زوالا تاما فاشتد الامر على
السلطان عبد الحميد وأعظمه جدا وكان منه ما سيذكر في محله

وجاء الامر عقب ولاية السلطان عبد الحميد بقليل بعزل الوزير خليل باشا من ولاية مصر
وتوليت له على جدة وقيام الوزير مصطفى باشا النابلسي من دار السلطنة ليتولى على مصر
ف حضر مصطفى باشا الى القاهرة في أواخر جمادى الثانية من السنة وطلع الى قلعة الجبل
وقيل انه سكن ببركة الفيصل * والثاني أصح * وجعل يتصرف في الامور فلم يقو على
ذلك حيث كانت الكلمة والتصرف للامير الكبير محمد بيك أبي الذهب وأصحابه وكان وصول
مصطفى باشا الى القاهرة والوقت في هدوء والحال في سكون والقلوب مطمئنة والاقوات كثيرة
والاسعار رخيصة ولكن كما قال الشاعر

وما الدهر في حال السكون بساكن * ولكنه مستجمع لو ثوب

ولما اطمأن قلب الامير محمد بيك بسكون الحال بعد موت استاذة على بيك بلاط تاقته
نفسه الى غزو الشام واستخلاص ما ييد الظاهر عمرو من المدن والبلدان فجيش لذلك عسكرا عظيما
وبرز بنجيامة الى العادلية وفرق الاموال على الامراء والعسكر وسيرهم في البر والبحر وأنزل
الذخيرة والميرة وأكثر من المدافع والقنابل الكبيرة وسار بنفسه مع هذا الجيش في أوائل

مطلب

عزل الوزير خليل باشا
ولاية مصطفى باشا
النابلسي

المحرم افتتح سنة تسع وثمانين ومائة وألف هجرية وسلم الامارة ونيابة الغيبة بمصر الى
 ابراهيم بيك أحد كبار مماليكه ثم ترك بقية الامراء ولم يصعبه منهم الا القليل فلما وصل مدينة
 غزة وشاع خبر وصوله خاف أهل البلاد ولم يظهروا امامه وتحصن أهل يافا وتحصن كذلك
 الظاهر عمرو وبعا فلما وصل محمد بيك الى يافا حاصرها وضيق عليها وشدد فامتنعوا عليه
 وحاربوه من وراء السور فخاربهم ورمى عليهم بالمدافع والمكاحل وواصل الرمي عدة أيام
 ولما لم يفلحوا يصعدون على الاسوار ويسبون المصريين وأميرهم سبا فبيحا فلم يزل المصريون
 يوالون الرمي بالقنابل حتى نقبوا أسوارها وهجموا عليها من كل صوب وحذب وملكوها
 ونهبوها وقبضوا على أهلها وقيدوهم بالحبال والحديد وسبوا النساء والصبيان وقتلوا منهم
 مقتلة عظيمة ثم جعوا الاسرى خارج البلد وذبحواهم ذبح الغنم ولم يميزوا بين صنوف
 الناس وبنوا من رؤس القتلى عدة صوامع ووجوهها بارزة والرياح تنسف عليها التراب
 ثم ارتحل عنها طالبا عكا فلما بلغ الظاهر عمرا ما وقع لاهل يافا اشتد خوفه وخرج من عكا
 هاربا وتركها وحصونها فوصل اليها محمد بك ودخلها من غير ممانع وأذعنت له باقي البلاد
 وأطاعته وهي صاغرة * فلما دانت له مصر والشام أرسل اسمعيل أغا الى دار الخلافة
 بهدايا وأموال عظيمة جدا ملتصا اماره مصر والشام وكان السلطان يخشى استقلال محمد
 بيك بملك البلاد والخروج عن طاعته فأجابه على الفور الى ما طلب وأرسل اليه مع رسوله
 تقاليد الولاية والخلع والبيرق والداقم وجاءت له الاخبار بذلك ووردت عليه البشائر بتمام
 الامر فوافاه ذلك يوم دخوله عكا فامتلا فرحا فخم بدنه في الحال فأقام مجوما ثلاثة أيام
 ومات ليلة الاربعاء ثامن ربيع الثاني من السنة ووافي خبر موته دار السلطنة قبل
 قيام الرسول الذي كان يحمل التقاليد فانتقض الامر وردت التقاليد وفرح السلطان بموته
 * وكان قد جمع اليه قبل موته الامراء ومقدمي الاجناد وأعلمهم بعزمه على السير الى
 الامام وفتح ما يفتح الله به عليه من المدن والبلدان فشق الامر عليهم جدا اذ كانوا قد سئموا
 الحرب والابتعاد عن الاوطان فلم يجابوه بشئ خوفا منه * قال ناقل هذه الرواية وأقنا على
 ما نحن عليه من الغم والكمد الثلاثة الايام التي تعرض فيها وأكثرنا لا يعلم بمرضه ولا يدخل
 اليه الا بعض خواصه ولم يذكروا مرضه الا في اليوم الثالث قالوا انه منحرف المزاج فلما
 كان في صبح البلاء التي مات فيها نظرنا الى صيوانه وقد انهدم ركنه وأولاد الخزانة في حركة ثم
 زاد الحال وجرى السيوف بعضهم على بعضهم بسبب المال وظهر أمر موته وارتبك العسكر
 وحضر مراد بيك فكففهم عما هم عليه وجعل كبارهم في الحال وشاورهم فاتفق رأيهم على
 الرحيل الى مصر فقاموا وقد غسلوا جثته وكفنوها ولفوها في أقشة ثخينة وجعلوها على
 عربة وساروا طالبين الديار المصرية فدخلناها بعد ستة عشر يوما وكان دخولنا في ليلة
 الاربعاء الرابع والعشرين من ربيع الثاني فاردوا دفن الجثة بالقرافة فحضر الشيخ الصعيدي
 وأشار بدفنه في مدرسته تجاه الازهر فحفروا له قبرا بالليوان الصغير الشرق وبنوه ليلا فلما

أصبحوا خرجوا بجنازته من بيته الذي بقوصون ومشى امامه المشايخ والعلماء والامراء
وجميع الاحزاب وأولاد المكاتب وامام نعشه مجامر العنبر والعود لاختفاء رائحة نعشه حتى
واروه التراب اه واستقر أتباعه أمراء البلاد المشار اليهم في الحل والعقد ومقدماهم ابراهيم
بيك ومراد بيك وكانت عدتهم ستة عشر أميرا

ووردت الاخبار بعزل مصطفى باشا النابلسي وولاية الوزير ابراهيم باشا عرب كرتي
فدخل القاهرة وسافر مصطفى باشا في أواخر جمادى الثانية سنة تسع وثمانين ومائة وألف
هجريه الى جده ومات بالمدينة وكان وصول ابراهيم باشا المذكور الى القاهرة رابع شعبان
سنة تسع وثمانين فنزل بامبابه وأقام بها ولم يكن له من الولاية سوى الاسم فقط والتصرف
لابراهيم بيك ومراد بيك وما زال بامبابه حتى مرض ومات فدفن بالامام الشافعي وتولى بعده
الوزير محمد باشا المعروف بالعزلي الكبير فدخل القاهرة في يوم الخميس سابع عشر ربيع
الاول سنة تسعين فكان كمن سبقه محجورا عليه في جميع أعماله ليس له من الولاية الا الاسم
فقط والتوقيع على القصص والجلوس في صدر الديوان * ولم تكن لتسكن الفتن بموت على
بيك بلاط واسماعيل بيك الكبير حتى ظهرت فتنة أخرى بالجامع الازهر واشتدت نارها وارتفع
لهيها وكان سبب ذلك ان طائفة من المغاربة المجاورين بالازهر آل اليهم مكان موقوف فطلبوا
استلامه واستغلاله فناع واضع اليد وطعن في الدعوى واستعان بالامير يوسف بيك من
الامراء المقدمين ودافع عن المكان المذكور فرفع المغاربة أمره الى القاضي وترافعوا امامه
فظهر الأمر على خلاف ما يشاء يوسف بيك فحنق لذلك ووسمهم بالغش وارتكاب الباطل
وأرسل جماعة من أصحابه ليقبضوا على الشيخ عباس أحد المغاربة العاملين في هذه القضية
فطردهم المجاورون وسبوههم ولم يكتفوا منه وأخبروا الشيخ الدريد بما جرى فكتب الشيخ
الى يوسف بيك ينعه من التعرض لاهل العلم ومعاندة الحكم الشرعي وأرسل المكاتبه حجة
اثين من المشايخ فلما قرأ الرسالة غضب وأمر بالاثين فقبضوا عليهما وأودعوهما السجن
فوصل الخبر الى الشيخ الدريد وأهل الجامع فاجتمعوا في صبح ثاني يوم وأبطلوا الدروس
والاذان والصلوات وقفوا أبواب الجامع وجلس المشايخ بالقبلة القديمة وصعد الصغار على
المنارات يكثر من الصياح والدعاء على الامراء وأصحابهم وأغلق أهل الاسواق القريبة
الخوانيت وبلغ الامراء الخبر فأرسلوا الى يوسف بيك فأطلق المسجونين وأرسل ابراهيم
بيك الى المشايخ بملازمة الهدوء والسكون فلم يلتفتوا لقوله وسبوا رسوله فحضر الانا الى
الغورية ونادى بالامان وفتح الخوانيت فبلغ مجاورى المغاربة ذلك فذهب اليه جماعة منهم
وتبعهم العامة والغوغاء بأيديهم العصي والمساوق وضربوا أتباع الانا ورجعوا بالحجارة فركب
الانا عليهم وركبت مماليكه والسيوف بأيديهم فقتل من مجاورى المغاربة ثلاثة وجرح منهم
ومن العامة كذلك وبقي الهرج الى ثاني يوم فحضر اسمعيل بيك والشيخ السادات وعلى كتحدا
الجاويشية وحسن أغا أغا المتفرقان وغيرهم ونزلوا بالاشرفية وأرسلوا الى الجامع بانفضاض

مطلب

عزل مصطفى باشا وولاية
الوزير ابراهيم باشا عرب
كرتي وموته وولاية محمد باشا
المعروف بالعزلي الكبير

الجمع وتعلم المطلوب وكان ذلك عند الغروب فلم يرضوا وطلبوا الجاكي والمرتبات المتأخرة فرجعوا وأصبحوا والهرج في ازدياد فعاد اسمعيل بيك ومعه الشيخ السادات وجلسا بالجامع المؤيد وأرسل إلى المشايخ على يدى الشيخ ابراهيم السندوبى بان اسمعيل بيك المشار اليه قد تكفل بقضاء أشغال المشايخ وقضاء جميع حوائجهم وقبول فتواهم واعتبارها معمولا بها على كل حال مع صرف جساكيهم وجميع مرتباتهم المتأخرة وان الضامن له في ذلك الشيخ السادات فلما وصل الشيخ السندوبى ومعه الكتاب قرأه الشيخ عبد الرحمن العريشى على رؤس الملا وهو قائم على الاقدام فلما سمعوه أكرهوا الهرج والجلبة وعلت أصواتهم وقالوا لا نقبل بذلك وترددت الرسل بين الفريقين بطول النهار ثم وقع الصلح وفتحت أبواب الجامع وعادت أموره إلى ما كانت عليه وبعثوا لهم في ثلثي يوم مبلغا برسم الجاكي وقد اشترطوا عدم مرور الاغا والوالى والمحاسب من حارة الازهر وغير ذلك من الاشتراطات التي لم يتم منها شئ البتة * ولما سكنت الفتنة تبع الاغا كل من كان له يد فيها من أولاد البلد فجعل يقبض عليهم واحدا فواحدا ويقتلهم خنقا وتغريبا ودفنا تحت التراب

ووقعت الوحشة بعد هذا الحادث بقليل بين اسمعيل بيك وبين مراد بيك الكبير لاسباب بطول شرحها نخرج اسمعيل بك مغضبا يريد العادلية مرتحلا عن مصر نخرج خلفه ابراهيم بيك الكبير وطيب خاطره وأرجعه فعاد وهو في غيظ ولبث أياما والوحشة ضاربة أطناها بينه وبين مراد بيك فبعد مراد بيك إلى قتله واتفق مع جماعة من قومه على ان يركبوا عليه ويقتلوه في بيته وعينوا لذلك يوما معلوما فعلم اسمعيل بيك بخفي سرهم وخاف على نفسه فحمل أثقاله وجميع متاعه وركب في الصباح إلى العادلية وجلس بالازبكية وركب مراد بيك ومر سمعيل بيك ليعرف خبره فوجده قد خرج إلى الازبكية وكان ابراهيم بيك الكبير قد ذهب في هذا اليوم إلى قصر العمى فبلغه خبر خروج اسمعيل بيك فخشي عاقبة خروجه وشاع الخبر بذلك فخرج خلفه كثير من الامراء الناقين على مراد بيك وابراهيم بيك وكانت عدتهم خمسة أمراء ولحقوا به بالعادلية وعلم ابراهيم بيك ومراد بيك بذلك فربكا لساعتهما وركب معهما بعض الامراء من خواصهما وصعدوا إلى قلعة الجبل وملكوا الابواب واستفاض الخبر فكثر الهرج وتوارد الامراء إلى الرميلة واضطربت المدينة وأغلق الناس الدكاكين وأقفلت أبواب البيوت وانقطع الناس عن الخروج واستمروا على ذلك أربعة أيام لميلاليها وخرج الكثير من أهل القلعة سرا ولحقوا بالامير اسمعيل بيك ويوسف بيك ومن معهما فأرسل لذلك أهل القلعة ابراهيم آغا والى مجلس بباب النصر لمنع خروج من يريد الالتحاق بأصحاب اسمعيل بيك وأغلق الباب ونزل الباشا إلى باب العزب فحضر قاسم كتحدا أمين البحرين وعبد الرحمن آغا وهما من أصحاب الامير اسمعيل بيك ومعهما آخرون إلى باب النصر وفتحوا الباب عنوة وطرردوا والى ومن كان معه وملكوا الباب فأرسلوا لهما جماعة من العسكر المغاربة فاقتتل الفريقان وتفرق أصحاب اسمعيل بيك وجرح كثير من

المغاربة وانتشر أصحاب اسمعيل بيك حوالى القاهرة ومصر وسارت طائفة منهم الى بولاق
القاهرة فصادفوا فريقا من العسكر يحمل علوفة الخيل التى بالمعسكر فهجموا عليهم وفرقوهم
وأخذوا ما كان معهم من فول وتبن وتوجه فريق منهم أيضا الى المقطم فاشتد الحال وعظمت
الفتنة وخاف الباشا شر العقابة فسعى في تدارك الامر قبل استفحال الخطب وأرسل الى
اسمعيل بيك فى طلب الصلح فلم يقبل فراجعته وأرسل ولده اليه وكتخذه مرارا فلم يقبل
ودخل فى ثلثى يوم عبد الرحمن أغا من باب النصر وممن من وسط المدينة وامامه المنادى
ينادى على أصحاب الخوانيت برفع بضائعهم والتحذر فرفع الناس ما بقى منها ولم يزل سائرا
حتى وصل الى باب زويلة ونزل بجامع المؤيد ورتب عسكرا هناك على السقائف والاسبله
ثم سار من هناك فى جند كثير الى باب زويلة ومنه الى الدرب الأحمر الى جامع المرداني
وزحفوا الى التبانة وعملوا متاريس بالقرب من الحجر ووضعوا بها عسكرا وكذلك فعلوا
بناحية سوق العزى فنزل اليهم بعض الجند الذين بالقلعة وأطلقوا عليهم النيران
فدفعوهم برى البنادق وقطعوا الطرق على من كانوا بالقلعة الى ما بعد عصر اليوم فنزل
اليهم بعض الفرسان المدرعة فحملوا عليهم وهزموهم أيضا وقتلوا منهم جماعة ورجع من
بقى منهم الى القلعة على أعقابهم وما دخل غروب اليوم حتى انفصل عن القلعة جميع
العسكر المغاربة وحملوا سلاحهم وانحدروا وانضموا الى من كانوا بالحجر من أصحاب اسمعيل
بيك ولاحت على أصحاب ابراهيم بيك ومراد بيك لوائح الخذلان وأصبحوا وقد دخل جماعة
كثيرة من أصحاب اسمعيل بيك الى المدينة ورابطوا فى جميع الجهات حتى انحصروا من بقعة
الجبل ولم يبق نخلصهم سبيل وأخذوا ينقبون الاسوار فلما أحسوا بذلك أيقنوا بالهزيمة
انحدر ابراهيم بيك ومراد بيك وجماعة من الامراء ليلا من باب الميدان وذهبوا جهة
البساتين الى الاقاليم القبلية وتخلف منهم جماعة فخرجوا الى اسمعيل بيك وطلبوا
الامان فلما شاع خبر هروب ابراهيم بيك ومراد بيك هجم الم رابطون بالحجر وسوق السلاح
على الرميلة ونهبوا جميع خيامهم التى كانت بها وبالميدان ولم يتركوا شيئا حتى
ولاجال الباشا ودخل اسمعيل بيك ويوسف بيك بعد العصر من ذلك اليوم من باب
النصر فى عسدة من الجند والمماليك والاتباع وسارا الى بيوتهم وأصبح ثلثى يوم فزار
عبد الرحمن أغا فى الشوارع ونادى بالامان والبيع والشراء فزال عن الناس بعض الخوف
* ولما كان يوم الأحد ثلثى عشرى جمادى الثانية من السنة أى سنة احدى وتسعين صعد
اسمعيل بيك ويوسف بيك الى الديوان فى كبة وزينة تفاع عليهما الباشا خلعتى سمور وولى اسمعيل
بيك مشيخة البلد بدل ابراهيم بيك فتصرف وجعل يفرق المناصب العالية بين أصحابه وأصحاب
يوسف بيك واتباعهما وقبضوا على الكثير من الامراء وأصحاب الوظائف على عهد ابراهيم بيك
وأبعدوهم الى أقاصى البلاد ولم يلبث اسمعيل بيك ويوسف بيك طويلا على الاناء والمودة حتى

قامت بينهما الشكنا وتبدل ودهما جفء فجعل اسمعيل بيك يتدبر في قتل يوسف بيك وما زال على هذا العزم حتى أرسل اليه جماعة من اتباعه الاخضاء ليقتلوه في بيته فدخلوا عليه فوجدوه جالسا بالمقعد المثل على البركة فجلس أحدهم أمامه وجلس آخرون على شماله وجماعة بقوا واقفين يحادثونه ساعة لطيفة في أمر من الأمور وتناقشوا مع بعض بجدة فتأخر عنهم الواقفون من الممالك والاجناد فسحب أحدهم وهو عبد الرحمن بيك خنجرا وطعن به يوسف بيك ففهم يوسف بيك ليدفع عن نفسه فداس على فروة من كان جالسا بجانبه فسقط على ظهره فقاموا عليه جميعا وضربوه بسيفوفهم وأطلق أحدهم طبنجة على الواقفين من الخدم والاتباع ففروا من أمامهم فتنزلوا مسرعين من القيطون الموصل الى البركة وركبوا وذهبوا الى اسمعيل بيك وأخبروه بالخبر فركب في الحال وصعد الى قلعة الجبل وأرسل الى الباشا وكان بقصر العيني يتنزه فركب من هناك وصعد الى القلعة وجلس بباب العزب مع اسمعيل بيك فلما بلغ أصحاب خليل بيك واتباعه خبر موت أستاذهم تلك الليلة ركبوا وخرجوا من المدينة يريدون الصعيد فاركب اسمعيل بيك خلفهم جماعة فلم يدركوهم فأرسل الى من تخلف منهم فاحتفوا ثم خرجوا ولحقوا بمن فر * وجاءت الاخبار في هذه الاثناء بعزل محمد باشا العزلي وتولية الوزير اسمعيل باشا فدخل القاهرة في يوم الاثنين سادس ذى القعدة من السنة وصعد الى قلعة الجبل في موكب حافل ودخل عليه اسمعيل بيك الكبير وباقي الامراء فطلع على اسمعيل بيك خلعة سمور وأقره على مشيخة البلد وتبدير الدولة والتصرف في الامور فرسم اسمعيل بيك بعد ذلك بجمع العسكر والجنود لقتال من هرب من أصحاب يوسف بيك ومن انضم اليهم من الامراء الهاربين بالاقليم القبلية واهتم بذلك وسلم قيادة هذه الحملة الى اسمعيل بيك الصغير وبرز العسكر الى البساتين ونصبوا خيامهم أباما ثم ساروا في البر والبحر فالتقى الجمعان عند بياضة تجاه بني سويف واقتتلا قتالا عنيفا انكشف عن هزيمة أصحاب اسمعيل بيك وتمزيق جمعهم فرجعوا الى القاهرة على الاعقاب ودخلوها في أسوأ حال وأخذت جميع خيامهم وأسلحتهم ومراكبهم وكانت نيفا وخسمائة وكان مقدم عسكر اسمعيل بيك في حراقة صغيرة فلما انهزم العسكر انحدر الى القاهرة وكذلك بقية الامراء انحدروا فيما لحقوه من المراكب وكان اسمعيل بيك بالفسطاط فلما علم بخبر حضورهم على هذا الحال من الهزيمة حزن حزنا كبيرا وأحس بزوال دولته ونزل الباشا من قلعة الجبل وخرج الى الآثار ونادوا في الناس بالنفيس العام فخرج القاضي والمشايع والتجار وأرباب الصنائع والمغاربة وأهل الحارات كافة وأغلقت الاسواق حتى ملؤا الفضاء فلما عين ذلك اسمعيل بيك وعلم انهم يحتاجون الى المال والميرة فضلا عن الذخيرة اختار منهم طائفة المغاربة والترك وصرف من بقى من العامة وأرباب الحرف والمشايع وأصحاب الاشياير والفقراء ووصل الامراء من الصعيد الى حلوان وتعلقت آمالهم بالاستيلاء على مصر والقاهرة بعد تلك النصر العظيمة التي انتصروها فأرسل اليهم اسمعيل بيك جيشا عظيما من الترك والمغاربة

مطلب

عزل محمد باشا العزلي
وولاية الوزير اسمعيل باشا

ومعهم المدافع الكبيرة فنصبوا متاربسهم ما بين التبين وحلوان تجاه العدو وركب في ليلتها اسمعيل بيك وأمرأؤه وأجناده وكان الباشا قد استحضر من ثغر دمياط مراكبا حربيا يحمل خمسا وعشرين مدفعا وكان ربانه ذا خبرة تامة بالحرب وفنونه اسمه حسن الغاوى فأقلع به ليلًا تجاه المعسكر وارتفع حتى تجاوز مراكب العدو وأطلق المدافع على معسكرهم برا وعلى مراكبهم بحرا وساق جميع المراكب بما فيها واشتد الجلال بين الفريقين فكانت موقعة عظيمة قتل فيها كثير من الأمراء أعداء اسمعيل بيك وانهمزوا شر هزيمة وهرب إبراهيم بيك الكبير ولم يظهر مراد بيك الكبير بسبب جراحته وهم أصحاب اسمعيل بيك على خيامهم ومعسكرهم فنهبوه جميعه وفر من بقي منهم إلى الأقاليم القبلية فساقوا خلفهم فلم يدر كوههم ودخل اسمعيل بيك بعساكره القاهرة منصورا مؤيدا ولم تكن لهم هذه النصرة في حساب فكان رجوعهم في يوم الأربعاء غرة شعبان من السنة

واستوحش اسمعيل بيك الكبير من اسمعيل بيك الصغير بعد ذلك حيث ظهر عليه في أحكامه وأوامره فكان كلما أصدر أمرا عارضه فيه ورده عنه بل عمل على خلافه حتى ظهرت كلمته وعلت وتزاحم الناس على بابه وأقبل إليه أصحاب الظلمات والدعاوى وانضم إليه الكثير من الكشاف والأمراء وحدته نفسه بالانفراد والاستقلال بحكم البلاد فانس ذلك منه اسمعيل بيك الكبير فتركه شأنه وأظهر أنه رمد بعينيه وانقطع عن الخروج من أول شهر رمضان ثم خرج في أواخره إلى زيارة السيد أحمد البدوي ثم رجع وجمع إليه خواصه وشاورهم في أمر قتل اسمعيل بيك الصغير وكشفهم بما في نفسه فاتفقوا على قتله ودبروا لذلك تدبيرا * فلما كان ليلة التاسع والعشرين من رمضان ركبوا في آخر الليل ومعهم طائفة من العساكر والجناد وأحاطوا ببيت اسمعيل بيك المذكور فأحس بهم وركب في مماليكه وخرج فوجد الطرق كلها مزدجة بالجنود فدخل من عطفة الفرن يريد الفرار وخرج إلى قنطرة عمر شاه فوجد الجنود أمامه وخلفه فصار يقاتلهم ويدفع عن نفسه من عطفة إلى عطفة حتى وصل إلى عطفة البيدق وقد أصيب بضربة سيف على كتفه وسقطت عمامته وصار حاسر الرأس والدم يسيل منه إلى أن وصل تجاه درب عبد الحق بالازبكية فلقبه عثمان بيك أحد خواص اسمعيل بيك الكبير فردّه وسقط عن فرسه فأحتاطوا به ونزل على دكان أحد الأسواق وهو في أسوأ حال فعصبوا رأسه بعمامة رجل جمال كان في الطريق وحمله عثمان بيك إلى بيته وتركه وذهب إلى اسمعيل بيك فأخبره بخبره فخلع عليه فروة سمور وأعطاها فرسا مرخنا وأمر الوالي فذهب إليه وقتله خنقا ثم وضعوه في تابوت وأرسلوه إلى بيت صغير كان له فبقى به إلى الصباح فأخرجوه ودفنوه بغير احتفال بجنازته * ورسم اسمعيل بيك بالقبض على أشباع اسمعيل بيك المقتول وأنصاره وإبعادهم إلى أقاصى البلاد فأبعدوا منهم جماعة كثيرة وصادروهم وقتلوا منهم آخرين بعضهم ببولاق القاهرة وبعضهم بغيرها * ولم يطمئن قلب اسمعيل بيك الكبير بموت اسمعيل بيك الصغير وتشريد أنصاره حتى جاءه الخبر بأشداد أزر

الامراء الهاريين في الاقليم القبلى واستفحال أمرهم وانهم تملكوا جميع البلاد التى من جرجا الى فوق وقبضوا الخراج ومنعوا ارسال الغلال فأخذ اسمعيل بيك فى تجييش الجيوش ولإعداد المعدات وضرب لذلك المغارم على القرى فجعل على كل قرية منها ثلثمائة ريال وأمر جميع الامراء بالتأهب والاستعداد للخروج وخرج هو الى دير الطين يريد السفر وكذلك رسم الباشا لجميع الامراء وأرباب المناصب العسكرية فخرجوا جميعا ونصبوا خيامهم عند معادى الخبيرى ونزل الباشا من قلعة الجبل وجلس بقصر العيني وساروا وسار معهم اسمعيل بيك وقد ترك بالقاهرة جماعة من الامراء من خواصه الذين يعتمد عليهم ورسم لمقادم الابواب بأن يطوفوا فكافوا يطوفون بالاجناد فى الحارات ليلا ونهارا فلما وصل اسمعيل بيك بعسكره الى منية ابن خصيب لم يجد للعدو بها أثرا وعلم انهم ساروا الى مدينة أسيوط ومعهم اسمعيل أبو على أحد كبار الهوارة فسار لقتالهم وبينما هو يجد السير الى أسيوط جاءه الخبر من القاهرة بالتحاد جماعة من الامراء الذين تركهم بها لتدبير أمورهما على الانضمام الى ابراهيم بيك ومراد بيك وكان زعيم هذه العصاة حسن بيك الجداوى ومعه جميع أصحابه ووافقهم على ذلك أيضا حسن بيك سوق السلاح وأجد بيك شنن وأصحاب القلاع بأسرهم فلما تحقق ما وراء ذلك هاله الامر جدا وركب من ساعته بمن معه وانحدر يريد القاهرة وجد حتى دخلها فلم يشعر الا وهو فى وسطهم وبات ليلته وأصبح فأمر بمنع المعادى من التعدي وصعد فى ثانى يوم الى قلعة الجبل وعقد الديوان بحضور الباشا فاجتمع جميع الامراء وأرباب الوجاهات والمشايخ وتكلموا فى أمر قتال المحاربين وفيما ظهر من الفتنة بالقاهرة وطال الكلام بينهم فلم يتفقوا على أمر ما وتفرقوا وأخذوا فى توزيع متاعهم وقد اضطربت أحوالهم وأصبح اسمعيل بيك وقد جمع تجار البهار والمبشرين من الاقباط وطلب منهم مالا قرضه لنفقة الحرب وشدد فى الطلب وأرهب وتوعد * وبينما هو على هذا الحال اذ جاءه الخبر بوصول طلائع أصحاب ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك الى البساتين وأن قد وصل بعضهم الى الخيزة فلما تحقق ذلك وقد كان على أهبة الفرار أمر اتباعه بحمل متاعه والخروج به فحملوه وخرجوا تباعا من بعد العصر الى الساعة الرابعة من ليلة الثلاثاء رابع عشر المحرم من السنة أى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف هجرية ونزلوا بالعادية وخرج معه جميع خواصه من الامراء والمماليك والاتباع وبات الناس تلك الليلة فى وجل ما عليهم من مزيد وأصبحوا فعلوا بخروجهم فاندفعت عند ذلك العامة على بيوتهم ونهبوا ما وجدوه فيها أما هم فانهم ساروا فى صبح اليوم قاصدين الديار الشامية وزالت دولة اسمعيل بيك المذكور فكانت مدة تصرفه فى الامارة على مصر فى هذه المرة ستة أشهر وأياما لا غير

وعلم ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك بخبر خروج اسمعيل بيك من القاهرة فعبر مراد بيك ومصطفى بيك وآخرون النيل فى ذلك اليوم الى مصر القديمة ومروا من وسط المدينة وفودى بالامان

بالامان وأرسل ابراهيم بيك يطلب من الباشا الامر بدخولهم القاهرة فأرسله اليه صعبه ولده
وكتخذه فدخل ابراهيم بيك وبات ليلته تلك بقصر العيني وكذلك بقيت الامراء ثم ركب
ابراهيم بيك الى بيته ومعه اسمعيل أبوعلى أحد كبار الهوارة وأصبحا وقد صعدا الى قلعة
الجبل فقابلهما الباشا وخلع عليهما خلع القدوم ثم استدعى الباشا ابراهيم بيك ثانية وخلع
عليه وأقامه في منصب مشيخة البلد كما كان من قبل فلما استقرت بها سلم الوظائف العالية
الى أصحابه وخواصه فانقسم من هذا اليوم الامراء بمصر الى قسمين الاول أصحاب حسن
بيك الجداوى ومن كان معه من الامراء الذين نكثوا العهد مع اسمعيل بيك الكبير وانضموا
الى عصابة ابراهيم بيك ومراد بيك كما تقدم وسمى هذا القسم بالعلوية والثاني أصحاب ابراهيم
بيك ومراد بيك الاولين وسمى بالمحمدية فكان فريق العلوية شامخ الانف على الحمدية
يرى المنة لنفسه والفضيلة لانه لولا ما بدا منه من الانحراف وخذله اسمعيل بيك ما دخل
المحمدية قط الى مصر ولاعدت اليهم الامور فكان الحمدية لا يتصرفون في أمر من الامور
الا باذن من العلوية وبرأيهم فكانوا مغلوبين على أمرهم محجورا على تصرفهم * واتفق
ان حضر بعد قليل من الايام ابراهيم بيك أوده باشى وهو من كانوا هربوا الى غزة مع اسمعيل
بيك الكبير وكان قد طلب الاجازة بالرجوع فأذنوا له فدخل بيته واعتزل عن الناس ولبث
منكشا أياما ثم يلبث بعدها الا قليلا حتى اتهمه رضوان بيك بالموالسة وانه انما هو
جاسوس من قبل اسمعيل بيك وعمل على تبعيه فاستجار أوده باشى المذكور بمراد بيك والتجأ
اليه فطمئن خاطره وخفف عنه وهون عليه فترك ذلك ساكنا في قلوب العلوية وفشت الوحشة
بينهم وبين الحمدية وأخذت تزداد يوما عن يوم الى أن خرج مراد بيك يوما ومعه بعض
خواصه الى ضرب النشاب فجعل يكلمهم في أمر العلوية وتصدى لهم لسائر الامور وتعلمهم عليها
وغير ذلك ويظهر الغيظ والكبد فبينما هو على هذا الحال اذ أقبل عليه عبد الرحمن بيك وعلى
بيك الحبشى وهما من العلوية وجلسا عنده برهة فلما أرادوا الانصراف أشار مراد بيك الى بعض
أتباعه بأن اقتلها فوثب عليهما وطعن عبد الرحمن بيك فقتله وهرب الحبشى واختفى
في بعض الاشجار فمروا به ولم ينظروا فركب مسرعا ودخل على حسن بيك الجداوى
وأخبره بما جرى فجمع حسن بيك أصحابه وخواصه وجميع الامراء المتحمدين معه
وشاورهم في الامر فاتفقت كلمتهم على القتال والتتس في بيت الجداوى فنترسوا به وعملوا
مدرس أيضا بباب زويلة وناحية باب الخرق والسروجية والقنطرة الجديدة وجاء الخبر الى
مراد بيك بما هم عليه من التأهب للقتال فجمع أصحابه وخواصه وكانوا عدة كبيرة وركب
ابراهيم بيك الكبير من قبة العزب وصعد الى قلعة الجبل وملك الابواب وصوب المدافع نحو
بيت الجداوى بالداودية وانتشبت الحرب بينهم طول النهار فأغلقت الاسواق وأقفلت كافة
الدكاكين وباتوا على ذلك ليلة الاحد وأصبحوا واطلاق المدافع والبنادق متتابع وهم
ينحفون على بعضهم نارة ويتقهقرون أخرى ويتقبون البيوت على من يكون داخلها منهم

فسقطت بسبب ذلك عدة دور وتم دمت بأصحابها فبات خلق كثير تحت الردم وكثر النهب والحريق والقتل واختل النظام فتناولت أيدي العامة الى أصحاب البيوت وقام الخصم على خصمه فقتله من غير مراقب ولا ممانع وتسلى جماعة من الحمديّة من الخليج وسعدوا الى جامع الحين من بين المناريس وفتحوا بيت عبد الرحمن أغا من خلف وملكوه ووضعوا عليه المدافع ورموا بها على بيت الجداوى تباعا فأيقن العلوية بالغلبة وأحسوا بالهزيمة فركبوا وخرجوا من باب زويلة الى باب النصر فركب خلفهم الحمديّة وأعملوا في أقفيتهم السيف فقتلوا منهم خلقا ومات أغلب بكارهم وهرب حسن بيك الجداوى ورضوان بيك وكان ذلك وقت القائلة من يوم الاحد وكان يوما شديد الحر ولم يمت أحد من الحمديّة بجراحة سوى مصطفى بيك الكبير بعد أيام فلائل

وسار حسن بيك ورضوان بك في طائفة قليلة على وجوههم هائمين فخرج عليهم جماعة من العربان وقاتلوهم قتالا شديدا وهزقوهم فتخلص رضوان بيك وذهب بمخاصته الى شبين الكوم وتبع العربان اثر حسن بيك الجداوى وضيقوا عليه المسالك حتى قبضوا عليه وأخذوا ما معه وجرده وشدوا وثاقه ثم قادوه بينهم ماشيا على أقدامه وهو حاف وأرسلوا الى الامراء بمصر من يخبرهم بخبره فبعث اليه ابراهيم بيك بن يستحضره فسار معه حتى دخل القاهرة ثم أفلت منه وسار الى بولاق ودخل الى بيت الشيخ أحمد الدمنهورى فرجع الرسول وأخبر بذلك فركبت طائفة من الحمديّة وذهبوا الى دار الشيخ الدمنهورى وطلبوه فامتنع من تسليمه فلم يجسروا على أخذه قهرا واشتد به الخوف فصعد الى سطح البيت وتسلى الى سطح آخر ولم يزل حتى نزل بالقرب من وكالة الكتان فصادف بعض المماليك فضربه وأخذ حصانه وركبه وذهب مسرعا يريد النجاة فشاع خبر هربه فركبت الجند خلفه وسدوا عليه المسالك وهو يدافع ولم ير للوصول الى الفضاء سبيلا فعاد الى المدينة ثانيا وذهب الى بيت ابراهيم بيك وكان جالسا مع مراد بيك فاستجار بابراهيم بيك فأجاره وأمنه ولبث في بيته خمسة أيام وهو مفقود الشعور فلما أفاق وحسنت حاله رسموا له بالذهاب الى جدة وبعثوا به الى السويس في محفة فلما نزل بالمركب وأقلعت به طلب من ربابها أن يذهب به الى القصير فامتنع الربابان من ذلك فتهده بالقتل فسار به وأنزله هناك فترفع الى الصعيد واختفى خبره ثم أمر ابراهيم بيك ومراد بيك بتبعيد من بقى من العلوية فأبعدوهم الى رشيد ودمياط وشبين وغيرها ثم سيروا جماعة فقتلوهم جميعا ولم يبقوا على أحد منهم * ولم تكدر تسكن الفتنة حتى أحس ابراهيم بيك الكبير بانحراف من الباشا وتدليس مع اسمعيل بيك الكبير فاجتمع بمراد بيك وكله في ذلك فاتفقت كلمتهما على تنزيله من قلعة الجبل والنجار عليه فأرسلوا له أرباب الوجاهات يأمرونه بذلك وان يسكن في بيت حسن بيك الجداوى بالداودية فامتنع فأمر ابراهيم بيك الجند بالركوب عليه فظلعوا الى حوش القاعة فلما علم الباشا بحضورهم خاف ونزل من ساعتته الى الداودية فأنزلوا خلفه خدمه ومتاعه في ذلك اليوم وهو

وهو يوم الثلاثاء تاسع عشر جادى الثانية من السنة أى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف هجرية فكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر

مطلب

خلع الوزير اسمعيل باشا
وولاية اسمعيل باشا الثانى

وجاء الخبر بولاية اسمعيل باشا (لعله اسمعيل باشا الثانى) فذهب اليه الملاقون وأرباب العكاكيز وأصحاب المناصب فحضر فى يوم السبت خامس المحرم سنة ثلاث وتسعين وبات بامبابه ليلته تلك ثم أقام بالعادلية الى يوم الثلاثاء ودخل بالموكب من باب النصر وصر بالقاهرة وصعد الى القلعة فى الكبكبة المعتادة ولم تكن الاحوال على مايرام من الهدوء والطمانينة فلم يبرم أمرا ولم يأت عملا اذ كان مغلوبا على أمره والكلمة يومئذ لابراهيم بيك الكبير ومراد بيك ولم يستقر بالبasha المقام حتى جاء الخبر باستفحال أمر حسن بيك ورضوان بيك بالأقليم القبلى وانهما جمعا جوعا كبيرة وانحدروا الى جرجا وانضم لهم من العربان أولاد همام والجعافرة واسمعيل أبو على وانهم سينحدرون الى مصر فحكم البasha ابراهيم بيك ومراد بيك فى ذلك فأعلماه بالخبر وجعلوا من هذا الحين يجيشون الجيوش ويعدون المعدات وسيروها مع أيوب بيك الصغير وسار خلفهم كذلك مراد بيك فلما وصلوا جرجا رجع حسن بيك بمن معه الى الوراء فأقام مراد بيك بالعسكر فى جرجا الى أوائل رجب من السنة وأخذ يعمل الحيلة حتى قبض على اسمعيل أبو على أحد مشايخ العرب وقتله ونهب ماله وعبيده ثم رجع الى القاهرة واختفى خبر حسن بيك وأصحابه بعد ذلك ولم يعلم لهم مستقر ووافق وصول مراد بيك الى القاهرة من هذه الغزوة الصغيرة أوان خروج الحاج فتولى الامارة عليه وأخذ يتأهب فكثر الطلبات وجمع الاموال والاحتياج للجمال والبغال والخيول فكانوا يأخذون بغال الناس ومن وجدوه راكبا على بغلة أنزلوه عنها وأخذوها بلا ثمن وان كان من أصحاب المظهر دفعوا له ثمنا زهيدا فضج الناس وأخفوا دوابهم حتى سافر ركب الحاج وخرج مراد بيك فى كبكبة وزينة وخرج معه عدة كبيرة من الامراء والصناديق ومشوا فى ركابه وبعد خروج الحاج بأيام قليلة جاء رسول من دار السلطنة ومعه مرسوم سلطاني بخلع اسمعيل باشا عن ولاية مصر وقيامه الى جدة وتولية ابراهيم باشا والى جدة واليا على مصر فنزل اسمعيل باشا من يومه من قلعة الجبل وسكن بمصر القديمة شهرا ثم تحول الى العادلية ليسيير منها الى السويس ويذهب الى جدة فقد رآه بعون الله بعون ابراهيم باشا فى جدة فجاء الى اسمعيل باشا مرسوم السلطان ببقائه على ولاية مصر ففرح بذلك وقد كان لا يود الخروج منها وركب فى موكبته وطلع الى القلعة فى كبكبة واجهة زائدة ودخل اليها من باب الجبل فلما استقر به المنصب تأقت نفسه الى التصرف والانفراد بالامر فهناك ابراهيم بيك عن ذلك فأظهر الطاعة ولكنه كان يعمل على خلاف ذلك جهد الاستطاعة فهناك ابراهيم بيك ثمانية وثلاثة فلم يرعو فأرسل يأمره بالنزول من قلعة الجبل فلم يربدا من الطاعة ونزل الى مصر القديمة ولبت بها وتولى ابراهيم بيك النيابة فكانت مدة ولايته الثمانية ثمانية أشهر تنقص ثلاثة أيام وهو من أصحاب القلم وكتاب السكران فى دار السلطنة قال بعض أهل التاريخ وكان مراد بيك الكبير من مماليكه

مطلب

ورود الامر السلطاني
بعزل اسمعيل باشا ثم
رجوعه الى الولاية ثانيا

فباعه لبعض التجار معاوضة وحضر الى مصر ورافقته العناية والعناية صدف حتى صار أمير
البلاد وكبيرها وحضر سيده هذا في أيام امارته فلم يراع له حرمة وعزله من الولاية لاسباب
لم تعلم ولكنه كان يتأدب معه كثيرا ويذكري سيادته عليه وكان اسمعيل باشا هذا رئيسا عاقلا
ذا رأى وتدبير * وجاء عقب ذلك بأيام مراد بيك ودخل بالحاج وهم في أسوأ حال مما قاسوه
بالطريق من العربان فقد فعلوا معهم مالا خيرا فيه وسدوا عليهم الطرق وأخذوا منهم كل
ما وصلت اليه أيديهم من الدواب والمتاع وأعقب دخولهم ورود الاخبار بظهور حسن بيك
ورضوان بيك ثانية واستفحال أمرهما وانضم اليه الكثير من الجند والعسكر والعرب وغيرهم
من اتباع اسمعيل بيك الكبير الى جوعهم نخاف ابراهيم بيك ومراد بيك شر العقابسة وجعا
جيشا ضخما وسار به مراد بيك ومعه بعض الامراء من خواصه وطلبوا الاموال وصادروا
الكثير من التجار وأصحاب المظاهر وجمعوا المراكب وبرزوا بجيادهم الى جهة البساتين
فجاءهم الخبر بحضور اسمعيل بيك الكبير من الديار الرومية خفية الى الاقاليم القبلية فانزعج
مراد بيك من هذا الخبر وأكب وسار مسرعا بعسكره الى الصعيد فكان كلما اقترب من مقام لهم
رحلوا الى آخر واذا حل بعسكره في محلة حلواهم كذلك قبالة ولبشوا على هذا الحال أشهر ولم
يقع بين الفريقين حرب ولا قتال ثم خابروه في الصلح فرضى به وتقررت القاعدة بينهم على
اعطاء اخيم لاسمعيل بيك الكبير مع جميع أعمالها وقناوقوص وأعمالها الى حسن بيك واسنا
الى رضوان بيك فلما تم الصلح على هذه القاعدة أرسل اليهم الهدايا والتقدم ورجع بعسكره
الى القاهرة ومعه ابراهيم بيك قشطة صهر اسمعيل بيك الكبير وسليم بيك أحد صناعه رهنا
على عدم التظاهر والخروج فكانت مدة غيبة اسمعيل بيك ثمانية أشهر وأياما

مطلب

عزل اسمعيل باشا وولاية
محمد باشا

وبقي اسمعيل باشا والى معتقلا في دار عصر القديمة حتى جاء الخبر بولاية محمد باشا
ملك فدخل محمد باشا القاهرة أواخر صفر سنة خمس وتسعين ومائة وألف وصعد الى
قلعة الجبل وخرج اسمعيل باشا من حبسه وسار الى الديار الرومية فلم يكن لمحمد باشا من
حظ الولاية أكثر مما لغيره اذ كان كلما هم بالنظر في الامور والتصرف في الولاية وأحوال
الدولة رأى من ابراهيم بك خصما عنيدا ومائعا لا يتحول فلازم الانكماش واتبع سنة أسلافه
واقصر على ما بيده من التوقيع على المراسيم الديوانية بدون بحث ولا تنقيب * وأعلمه مراد
بك بعزمه على الخروج الى بلاد الشرقية وقراها فأجاز له ذلك كارها فسار الى بلاد الشرقية
وطافها وضرب على أهلها المغارم الثقيلة والاموال الكثيرة والكلف الباهظة وصادر
الموسرين منهم وحول عليهم أصحاب الجباية وأعوان المغارم حتى ضج الناس واستغاثوا
ورفعوا أصواتهم باللعن والسب ثم نزل الى الغربية وفعل بها كذلك ثم الى المنوفية ثم الى
غديرها فكان تطوافه بالبلاد على هذا الحال أشد هولا من هول الطاعون وأصعب
على أهل البلاد * وتمكن سليم بيك وابراهيم بيك قشطة صهر اسمعيل بيك الكبير في غيبة

مرادبيك هذه من الاتفاق مع جماعة من الامراء الذين ضاقت بهم الاسباب واشتدت عليهم
الخطوب على الفرار والهروب فخرجوا ليلا على الهجن وجرد الخيل وهم نحو الثمانين
وساروا الى الصعيد وأصبح الخبر شائعا بذلك فارتبك ابراهيم بيك ونادى الانا والوالى فى
الناس بترك المشى بعبد العشاء وملازمة الناس لبيوتها فخاف الناس وكثر اللغط وتنوعت
الاقوال وكادت تمعطل أسباب الرزق وتوقف المعاملات واشتد الخوف بالناس حتى انهم
أغلقوا حوانيتهم نهارا ولم تسكن الخواطر حتى شاع خبر طلب محمد باشا ملك الى دار
السلطنة ليتولى صدارة الدولة وكأنه هو الباعث على هذا الخوف والاضطراب فنزل محمد باشا
من قلعة الجبل فى موكب عظيم فى منتصف شعبان من السنة وأقام بقصر العيسى
بقية شعبان وسافر الى الاسكندرية فى غرة رمضان فكانت مدة ولايته ثلاثة عشر شهرا
ونصفا وهاداه جميع الامراء بالهدايا النفيسة وكان من أفاضل العلماء متضلعا من الفنون
والآداب وكان شيخا جليلا متواضعا لا بأس به * وقدم على باشا القصاب واليا ودخل القاهرة
فى أواسط رمضان أو فى عاشر شوال وصعد الى قلعة الجبل مارا من الصليبية خلافا لعادة أسلافه
فلما استقر به المقام تحجب عن الناس الا القليل ولم يتعرض لشيء من أمور الدولة وفد زاده
تحجبا وامتناعا اللغط المستمر والاقوال الشائعة برجوع اسمعيل بيك الكبير ومن معه الى
شق عصا الطاعة وتطواف الوالى كل قليل من الايام يكرر المناداة على الناس ويشدد بملازمة
بيوتهم ليلا * وانحرفت خواطر الامراء والصناعى الذين بمصر على ابراهيم بيك ومراد بيك
من فعالهما ولا سيما فعال مراد بيك وبدت منهم أمارات الوحشة فخرج منهم أيضا جماعة
كثيرة ولحقوا باسمعيل بيك بالصعيد ولم يبالوا بوعيد مراد بيك ولا بتهديده فكبر خوفه مع
ابراهيم بيك وأخذوا فى جمع العساكر واعداد آلات الحرب وعزم مراد بيك على الخروج
بهذه الحملة فطاب الاموال وقبض على مساتير الناس والتجار وجبسهم وصادرهم فى أموالهم
وأخذ ما يأتى بهم بجمع من المال ما جاوز الحد وكانت مغارم القبضة فى هذه المرة شيا كثيرا
جدا ثم برز بخيامة فى منتصف ربيع الآخر من السنة أى سنة سبع وتسعين الى جهة
البناتين وخرج معه جماعة من الامراء وساروا الى الصعيد فلما صاروا على مقربة من
العدوة فشل أصحاب اسمعيل بيك وانصرفت خزمهم وتركهم رضوان بيك وجاء الى مراد
بيك طائعا فقبله وأبقاه عنده وقد تشتت بانفصاله عنهم عصابتهم وتفرق شملها وساروا الى
الجهات القبلىة فرجع مراد بيك الى القاهرة وسلم قيادة العسكر الى ثلاثة من الامراء وهم
مصطفى بيك وعثمان بيك الشرقاوى وعثمان بيك الاشقر فلم يستقر به المقام بالقاهرة حتى
وقف على سر مؤامرة أخرى من بعض أمراءه وأمرأه ابراهيم بيك ومماليكه ومماليك
ابراهيم بيك فعاجلهم بالنفى والتشريد بعضهم الى المنصورة والحملة وبعضهم الى السرو ورأس
الخليج والبحيرة وغيرها وكان بينهم ابراهيم أغا الوالى
وجاء فى غضون هذا الحادث الخبر بخلع على باشا القصاب وولاية محمد باشا

مطلب

عزل محمد باشا ملك وولاية
على باشا القصاب

مطلب

عزل على باشا القصاب
وحضور محمد باشا
السلطان وقيل الصابونجي
واليا

السلحدار وقيل محمد باشا الصابونجي فنزل على باشا من قلعة الجبل الى قصر العيني وأقام به
 ينتظر حضور محمد باشا فحضر كتحذاه ومعه مرسوم بالنيابة الى ابراهيم بيك وخلعه فتولى
 ابراهيم بيك النيابة وجعل يتصرف في جميع الامور ويوقع على القصص وغير ذلك ووصل الخبر
 بذلك الى جميع الامراء المدفيعين بالمنصورة والحلة ورأس الخليج وغيرها فاجتمعوا وساروا معالي الاقليم
 القبل يريدون اللحاق باسماعيل بيك ومن معه فأرسل عند ذلك ابراهيم بيك فرمانا الى عثمان بيك
 الشرفاوى باستقراره كما على جرجا وقد كان تركه مراد بيك مع العسكر على ما تقدم بيانه
 وشدد عليه بمراقبته الاحوال ومنع تظاهر الامراء المذكورين فتكفل عثمان بيك بذلك
 وجعل يتصرف في الامور أياما كانت فيها رسل اسماعيل بيك ومن معه لا يتكفون عن
 الاجتماع به والتكلم معه في أمر انضمامه الى عصابته وما زالوا به حتى انضم اليهم فتفوق
 جانبهم واجتمعت به كلمتهم فلما علم ابراهيم بيك بذلك هاله الامر واستعظمه للغاية وأرسل الى
 كبارهم يؤمنهم وعينهم بالاماني الكبيرة ويستميلهم الى عقد الصلح فامنعوا فطلب ابراهيم
 بيك حضور عثمان بيك الشرفاوى ومصطفى بك فامنعوا أيضا وقالوا لا نحضر الا اذا عاد اخواننا
 الى مناصبهم وعادت اليهم إقطاعاتهم وأرزاقهم والا دافعنا عنهم حتى يقضى الله بيننا فخشى
 ابراهيم بيك ومراد بيك العاقبة وجها لذلك عسكرا عظيما وجعلوا يفتشون بيوت جميع الامراء
 المبعدين ويأخذون كل ما فيها فكان شيا كثيرا من غلال ومناخ ثم برز ابراهيم بيك بخيامة مع
 العسكر يريد المسير لقتال الخوارج وجعوا سائر مرابطي النقل وأوقفوها وجعوا جميع
 الملتزمين وأصحاب المزارع وأخذوا منهم أموالا جزيلة وسار ابراهيم بيك بالعسكر في كبكة
 ونجمل فلما اقترب من الاعداء راسلهم وطلبهم الى الصلح فأجابوه اليه وتقررت القاعدة بينهم
 على رجوعهم الى القاهرة واعادة اقطاعاتهم اليهم فحضر واجتمعوا في سادس عشر ذى القعدة
 من السنة فساء هذا الصلح مراد بيك ولم يرض عنه ولكنه كظم غيظه وسار الى زيارة ابراهيم بيك
 ولم يزر أحدا منهم فسمي ابراهيم بيك في اصلاح ذات البين فلم ينتج وكبر الامر على مراد
 بيك فأخذ في جمع أرزاقه ومناخه وأتقال بيته حتى تم له ذلك ثم خرج الى جزيرة الذهب
 فتبعه كشافه وأتباعه ومماليكه وأرسل الى بولاق القاهرة وأخذ منها أرزا وغلالا وشعبا
 وبقصماتا وغير ذلك فسير اليه ابراهيم بيك بعض أخصائه ليمنعوه عن الرحيل فلم يقبل وعبر
 النيل الى الشرق وسار الى الصعيد وتبعه أصحابه وأتباعه ومماليكه وأجلاه في البر والبحر
 فنزل في منية ابن خصيب واتخذها له مقرا واتفق أن حضر في هذه الاثناء محمد باشا
 الوالى الجديد فأنزلوه في قصر عبدالرحمن كتحذاه على النيل فأقام به يومين ثم صعد الى قلعة
 الجبل في موكب وسافر على باشا القصاب الى دار السلطنة فلما استقر بالوالى المقام وعلم
 بما جرى ما بين ابراهيم بيك ومراد بيك تكلم مع ابراهيم بيك في شأن ذلك وحثه على ارجاع
 مراد بيك فنزل ابراهيم بيك من ساعته وجمع اليه الامراء فاتفقوا على أن يرسلوا اليه محمد
 أفندى البكرى والشيخ أبا الانوار والشيخ السادات والشيخ أحمد العروسي شيخ الجامع الازهر

يومئذ ايرجعوه عن عزمه ويهونوا عليه أمر الصلح فساروا اليه واجتمعوا به وكلموه
فاعتذر وقال انه لم يخرج من القاهرة الا هاربا خوفا على حياته فان ضمنوا له عدم مسه
بضر عاد معهم بشرط أن يحلفوا له الأيمان فلم يجيبوه الى اليمين وقالوا نضمن الراحة لك
ولهم عسى ان ترتاح العباد فصرفهم على ذلك فرجعوا وأخبروا بما جرى ولم يرض على
رجوعهم الا أيام حتى انهم درمراد بيك الى الجيزة في جوع كثيرة جدا من الغزو والاجناد
والعربان والغوغاء فهال ابراهيم بيك أمر حضوره وجع أصحابه وجبجبع الامراء وحضر بهم
الى ناحية معادى الخبيرى قبالة مراد بيك وأصحابه وأرسل اليه بعض الامراء فى حراقة ليكلموه
فى الصلح ويسألوه عن جميع طلباته فلم يأذن لهم بالدخول عليه فرجعوا وكان الباشا
قد أرسل كنفه داه أيضا مع اسمعيل أفندى الخلقى فى حراقة أخرى ليحققا عن ذهبوا
الى مراد بيك ويهونوا عليه الامر فلم تصل بهما الحراقة الى منتصف النهر حتى صادفتهم
الحراقة الاولى راجعة عن فيها قبعها فأطلق عليهما أصحاب مراد بيك مدفعا فاختأهما
فأسرعا بالرجوع وهما لا يصدقان بالنجاة ورأى ذلك ابراهيم بيك فغضب جدا وأمر بالمدافع
فأطلقت على معسكر مراد بيك فأطلق كذلك مراد بيك مدافعه واستمر الطلق متتابعين
الفريقين ولم يعبر فريق الى الآخر وحجزت المعادى جميعها فى الجانبين واستمر الحال
على ذلك عشرين يوما واشتد الخطب وضج الناس وتعطلت الاسباب وقفلت الاسواق
وتعطلت الطرق برا وبحرا وكثر تعدى الاشقياء والمفسدين وتناولت أيدى اللصوص وغلت
الاسعار وقل وجود الغلال وأخش قوم مراد بيك فى النهب والسلب من بلاد الجيزة وأكلوا
المزروعات فلم يتركوا على وجه الارض عودا أخضر وعين مراد بيك بعض الكشف
والاتباع يطوفون البلاد ويجمعون الخراج ويقضون الكلف والغرامات من أصحاب
المزارع واعتقد الناس تمام الظفر لمراد بيك وأصحابه واشتد خوف الامراء بمصر منه وتحدث
الناس بعزم ابراهيم بيك على الهروب فكبر خوف أهل مصر والقاهرة وكادوا يتفرقون
أستاثا فلما كان يوم الخميس أمر ابراهيم بيك برى المدافع تباعا فلبثوا اليوم بطوله بوالون
الرى بلا انقطاع فلما خيم الظلام أمر بالكف عن ذلك وعبر خمسة من أمرائه ليلا الى
الجانب الثانى من النيل وساروا تحت جنح الظلام فقابلهم طائفة من عسكر مراد بيك فأطلق
الامراء عليهم بنادقهم فولوا منهزمين فلكوا مكانهم واحتلوه وكان على مقربة من بولاق
التكرور وعبر آخرون معهم مدفعان وجعلوا يزحفون قليلا قليلا حتى صاروا على مقربة
من معسكر مراد بيك وأطلقوا عليه المدافع ووالوا اطلاقها فلم يجيبهم أحد فباتوا على ذلك
وهم فى تحذر وتتابع بهم عسكرهم وخيلهم فلما ظهر نور الصباح نظروا فلم يروا أحدا فى
معسكر مراد بيك وقد رحلوا وتركوا جميع أنقاعهم ومدافعهم فساروا اليه واحتلوه وعبر
رجال ابراهيم بيك وساقوا خلف مراد بيك وأصحابه الى حشد الشيمى فلم يدركوهم فأقاموا
بأرض الجيزة أربعة أيام ثم رجعوا وجازوا بالقاهرة

ورأى ابراهيم بيك ان بقاء الحال على هذا الوصف مجلبة للدمار ووسيلة للبوار فأراد
 مصلحة مراد بيك فأرسل لذلك اثنين من كبار أصحابه قال بعض الكتاب وكان الحامل له
 على طلب الصلح واستمالة مراد بيك اليه ما رآه من تحزب عثمان بيك الشرقاوى وعدة من
 الامراء ضده وعقددهم النية على الانتفاض عليه وقد استخفوا به وقعدوا له بالمرصاد
 فأخذوا الحذر منهم ثم حضر بعد أيام كتحدا مراد بيك واجتمع بابراهيم بيك ثم عاد فأرسل ابراهيم
 بيك معه ولده مرزوق بيك وهو طفل صغير قد حلقه مرضعته فلما وصل الطفل الى مراد بيك
 جنح الصلح ومال اليه وقدم للطفل هدية سنية وتقدم بجليلة منها بقرة ولابنتها رأسان وعاد
 مرزوق بيك مع مرضعته ومعه كتحدا مراد بيك ثم عاد الكتحدا وشاع الخبر بقرب قدوم
 مراد بيك فاجتمع الامراء عند ابراهيم بيك وخوفوه من حضور مراد بيك وعدم سكونه فالفهم
 وعاهددهم أنهم لم يعتدل يكون الجميع يدا واحدة عليه فلما كان يوم الجمعة وصل مراد بيك
 الى غمارة فركب ابراهيم بيك وقت القائلة في جماعة وخرج الى ناحية البساتين ثم رجع من
 الليل وصعد الى قلعة الجبل وملك الابواب ومدرسة السلطان حسن والرميلة والصليبة والتبانة
 وأرسل الى عثمان الشرقاوى وأيوب بيك ومصطفى بيك وسليمان بيك وابراهيم أغا الوالى بأن
 يخرجوا على الفور من مصر وعين لهم دمياط والمنصورة وفارسكور لينذهبوا اليها فامتنعوا
 وأظهروا العصيان وأخلدوا الى التترس والقتال فلم يروا لذلك سبيلا حيث ملك ابراهيم بيك
 القلعة وجميع المواقع الحصينة وقد بدأت جوع مراد بيك بالدخول الى القاهرة فلم يروا بدا من
 الخروج وساروا الى القليوبية ودخل مراد بيك في كيكبة وسار الى زيارة الامام الشافعي
 فبلغه هناك خبر تباعد الشرقاوى ومن معه وقد كان يبغضه بغضا ماعليه من مزيد فأسرع
 وسار من فوره خلف قلعة الجبل ونزل الى الصحراء وحث السير حتى أدرك قناطر أبي المنجا
 ونزل عليها وأرسل خلف الشرقاوى ومن معه طائفة من العسكر فأدركوهم عند شبرا شهاب
 وناوشوهم القتال وأدركهم مراد بيك فالتظموا فكبا بمراد بيك فرسه وكاد يهلك فأدركه أصحابه
 ووقعت بين الفريقين مقاتلة خفيفة ثم رجع مراد بيك ومن معه الى القاهرة وسار الامراء
 الخمسة المذكورون وعبروا الى وردان وكان معهم رجل من كبار العرب اسمه طرهونة يدلهم
 على الطريق الموصلة الى الصعيد فسار بهم في طريق مقفرة وعرة ليس فيها ماء ولا نبات
 يوما وليلة حتى كادوا يهلكون من العطش وانقطع عنهم جماعة من تبعهم وكانوا ينقطعون
 عنهم كلما اشتد بهم الظمأ حتى اقتربوا من سقاره ورأوا أنفسهم على مقربة من الاهرام
 فضاقت خناقهم وأيقنوا بالوقوع في محالب العطش فطلبوا هجنا ليركبوها وتركوا أنقالهم
 ومن معهم فقام عليهم الاتباع ونهبوا الانقال والاحمال وتفرقوا عنهم قتعطوا وأناخوا مطاياهم
 وأسرع مملوك من مماليك الشرقاوى على فرس وحضر الى مراد بيك وكان بالروضة فأعلمه
 بخبرهم فأرسل لهم طائفة من الجنود فلم يجدهم وقد كانوا رحلوا الى جهة أخرى خوفا من
 وقوعهم في أيدي مراد بك واغتم الناس غما شديدا عند ما شاع خبر هروبهم الى الاقليم

القبلى لما ينجم عن ذلك من تعطيل ورود الاقوات مع القحط والغلاء المستحوز على البلد
وبات الناس تلك الليلة وأصبحوا يوم الاربعاء حادى عشرى رجب سنة ثمان وتسعين وقد
شاع الخبر بالقبض عليهم وكان من أمرهم أنهم لما وصلوا الى ناحية الاهرام ووجدوا أنفسهم
على مقربة من مصر تواروا قليلا وطلبوا من الدليل أن يتظر لهم طريقا يسلكون منها
فركب الدليل وانطلق الى مراد بيك وأعلمه بمكانهم فأرسل لهم جماعة ليقبضوا عليهم فأحسوا
بهم فركبوا هجنا وتركوا أثقالهم ولوا هاربين وكان أصحاب مراد بيك قد أكنوا لهم
كينا فلما مروا بالكين خرج عليهم ومسيك بزمام هجنهم من غير ضرب ولا قتال وحضروا
هم الى مراد بيك بجيزة الذهب فباتوا عنده ليلتهم وأصبحوا فأنزلوهم بالمرابك كل بمفرده
تخفروهم الممالك والاجناد وأبعدوهم الى الاقاليم البحرية فلبثوا بها زمانا يسيرا ثم راسل
بعضهم بعضا واتفقوا على الهروب الى الصعيد فهرب بعضهم وقبض على بعضهم فشددوا
في تسكيلهم

واتفق بعد ذلك بقليل خروج الحاج الى الافطار الجبازية فامروا عليه الامير
مصطفى بيك الكبير فخرج في موكب حافل للغاية وبرز بخيامه الى بركة الحاج ينتظر مايقى
من مال الصرة فطال عليه الانتظار فذهب الى ابراهيم بيك وطالبه بالمال فأحاله على مراد بيك
فامتنع مراد بيك وأكثر أمير الحاج من الاطلاح على مراد بيك فلم يسع مراد بيك الا الدفع
وعلم أنها مكيدة من ابراهيم بيك فخرج الى قصره بالروضة مغضبا وأرسل فى الحال الى
الامراء المنفيين والهاربين بالصعيد أن يتأهبوا فلما علم ابراهيم بيك بذلك أرسل يستعطفه
وترددت الرسل بينهما ونظر ابراهيم بيك فلم يجد حوله أحدا من قومه ورفاقه وقد تركوه
وذهبوا الى مراد بيك فساء ذلك جدا وركب الى الرملة ووقف بها ساعة حتى سارت
أجالة وأتقاه صحبة عثمان بيك الاشقر وعلى بيك أباطه يريد الصعيد وسار هو بعد ذلك من
خلف الجبل وليس له من الاتباع سوى على أغا كتخدا الجاويشبة وعلى أغا مستحفظان
المحتسب وصناجقه الاربعة فلما بلغ مراد بيك خبر ركوبه على هذه الصورة ركب خلفه
برهة من الليل ثم رجع وأصبح وهو منفرد بمحكم البلاد فسر بذلك كثيرا وجعل يولى المناصب
العالية لمن شاء من قومه واستقدم بعض الامراء المنفيين وقلدهم بعض المناصب ونادى
مناديه بالامان وأخرج الغلال المخزونة لتباع على الناس وقد كان اشتد بهم الجوع وعظم
أمر مراد بيك وعلت كلمته فلم يترك للوالى شيئا يتصرف فيه بل زاد فى الحجر عليه اذ كان
يغضه لميله الى ابراهيم بيك عليه واتفق أن قدم فى هذه الاثناء رسول من دار السلطنة ومعه
مرسوم سلطاني بتقرير محمد باشا الوالى المذكور على ولاية مصر سنة أخرى فظن الباشا
بلوغ الامل فطلب جميع الامراء الى الديوان ليقرأ عليهم ذلك المرسوم كالعادة فلم يجبه أحد
منهم وأهمل ذلك مراد بيك ولم يلتفت اليه فكرر الباشا الطلب فلم يسمعوا قوله فسأه ذلك
وأغضبه وأرسل الى مراد بيك بعاتبه ويسفه رأيه فأرسل اليه مراد بيك فى الحال بأمره

بالنزول من القلعة فامتنع فأرسل جماعة من أتباعه فأنزله فهدمها إلى قصر العيني محجورا عليه وتولى مراد بيك النيابة وعلق الاستار فكانت ولاية محمد باشا المذكور أحد عشر شهرا سوى الخمسة أشهر التي أقامها بشعر الاسكندرية وكانت أيامه كلها شداً ومحنًا وخطوبًا وإحنا وجوعًا وغلاء وزيادة ونقصًا في النيل وغير ذلك

ولما استقر المنصب بمراد بيك وتم له الأمر أكثر من طلب الأموال وتفريد المغارم على البلاد فلما لم يبق فيها شيء حوّل الطلب على الملتزمين وبعث لهم المعينين في البيوت فاحتاج الكثير منهم إلى بيع متاعه ودوره ومواشيه بسبب ذلك ثم تطاولت أيدي عمال مراد بيك إلى الموارد فكان إذا مات أحد أحاطوا بمستروكاته سواء كان له وارث أو لا قال بعض كتاب الأخبار وصار بيت مال المسلمين من هذا الحين مناصبًا من المناصب الديوانية التي يتولاها الناس بجملة من المال في كل شهر ولا يعارض فيما يفعل فخل بالناس ما لا يوصف من أنواع البلاء وانقطعت الطرق وكثرت عريضة الأشقياء والغوغاء ومنعت السبل إلا بالخفارة ورحل الفلاحون من بلادهم لقصور النيل وشرق الأرض والمطالم المتراكم بعضها فوق بعض وانتشروا في جوف المدينة بأولادهم ونسائهم يضجون من الجوع ويأكلون ما يتساقط في الطرقات من فطور البطيخ وغيره ثم اشتد بهم الحال فأكلوا الميتات من الخيل والحمار والجمل قال فكان إذا خرج من المدينة حمار ميت تراجوا عليه وتضاربوا وقطعوه وأخذوه بل منهم من كان يأكل منه نيشًا من شدة الجوع ومات كثير من فقراء المدينة أيضا جوعا وعز الدرهم والدينار في أيدي الناس وقل التعامل فيما يؤكل اه ثم وردت الغلال من الديار الشامية والرومية فأنفجرت الأزمة بعد الشدة وبيع الأرب منها بألف وثلثمائة نصف فضة وأرسل شريف مكة إلى المشايخ والعلماء يتشكى من انقطاع ورود غلال الحرمين فلم يلتفتوا إليه ولا ردوا عليه جوابا فكانت جميع هذه البلاء والمحن ضربة شديدة على هامة مراد بيك وسببا في عجزه عن القيام بتدبير البلاد وسياستها لاسيما وقد كان إبراهيم بيك الكبير له بالمرصاد فلما أحس بعجزه وأيقن أن لا قبل له على تولى أمور البلاد أرسل إلى إبراهيم بيك الشيخ الدردير وآخرين معه ليكلموه في أمر الصلح ورجوعه إلى القاهرة على ما يجب فساروا إليه وكلوه وبعد جدال قبل الصلح والعود إلى القاهرة بشرط رجوعه إلى مشيخة البلد ورجوعه على أن لا يتخذ الجاويشية إلى منصبه فلما رجع الرسل وأخبروا بما سأله إبراهيم بيك جمع مراد بيك الأمراء وأصحاب المناصب العالية وقرأ عليهم شروط إبراهيم بيك فأذعنوا لها وأحلوها محل القبول وأعادوا الرسل بالإجابة فلما وصلوا إليه عاد فانتقض وطلب طلبات أخرى جديدة فعاد الشيخ الدردير ومن معه وأخبروا بانتقاض إبراهيم بيك فلم ير مراد بيك بدا من معاودته وأرسل إليه ثانياً أيوب بيك الكبير وأيوب بيك الصغير ليهوتا عليه فلما وصلوا إلى بني سويف أرسلوا فاستقدا اليهما سليمان بيك الأغا وعثمان بيك الأشقر ثم ساروا جميعا إلى إبراهيم بيك وتكلموا معه في الصلح فأجابهم وساروا جميعا إلى

منية ابن خصيب ثم انحدروا منها الى مصر فدخلوها في يوم الاثنين رابع ربيع الثاني سنة تسع وتسعين ومائة وألف وحطوا رحالهم عند معادى الخبيري فغير اليهم مراد بيك في عدة كبيرة من الامراء والوجاقلية والمشايخ وعانق مراد بيك ابراهيم بيك وبكى ثم عبروا جميعا النيل الى مصر ودخل ابراهيم بيك بيته ودخل معه مراد بيك ولبثا معا حصنة طويلة فأقام ثلاثة أيام ثم جاء مرسوم الباشا بالاستقرار على مشيخة البلد ومع المرسوم خلعة الولاية فلبسها بحضرة مراد بيك والمشايخ فقام عند ذلك مراد بيك وقبل يده وكذلك بقية الامراء وردت الوظائف الى أصحابها وأخذ ابراهيم بيك من يومه يتصرف في الامور ويتظر في مصالح الرعية فتراحم أرباب الخصومات على بابه ورفعت اليه القصص فأمر ونهى وأعطى ومنع وقسم المناصب بين ذويها

وأعقب رجوع ابراهيم بيك الى القاهرة حصول طاعون شديد فأخذ في الاشتداد يوما عن يوم وكثر بسببه الموات فخرج الناس من مصر والقاهرة الى الضواحي والقرى فرارا منه فلحق بهم واشتد وسقط الناس في الشوارع والطرق واهتم ابراهيم بيك بدفن الموتى فشد على الولى وأعوانه فكانوا يطوفون في النهار والليل ويحملون الموتى من الطرق على ظهور الدواب ويدفنونهم بغير غسل ولا كفن عشرات عشرات وطالت مدته فكانت ثقبلة للغاية حتى قدر الله فارتفع وعاد الناس الى القاهرة وتناسوا أمره وكان عدد من مات لا يكاد يدخل تحت الحصر وأعقب زوال الطاعون ورود الخبر من دار السلطنة بخلع محمد باشا وولاية آخر اسمه محمد يكن باشا فلما وصل الى الاسكندرية ومر بشوارعها يريد التفرج وقف له العامة بالطريق وصاحوا في وجهه وسبوا حاكم الاسكندرية وقبحوا أعماله ونادوا عليه بالويل وكان قد وقع بينهم وبينه فتنة كبرى وذلك ان أحد أتباعه وقع بينه وبين أحد العامة مشاجرة أدت الى الملائكة فتطاول تابع الحاكم وضرب الرجل فقتله فاجتمعت عند ذلك العامة وعات الضوواء وكثرت الغوغاء وحلوا المقتول على نعش الى مقر الحاكم وشكوا له ما وقع من تابعه فحول وجهه عنهم ولم يلتفت الى شكواهم فألحوا عليه فأمر أعوانه بطردهم فثاروا وقبضوا عليه وأنزلوه من ديوانه وأركبوه على حمار بالكف عرضا وهو حاسر الرأس وعلا الصياح وطاقوا به جميع شوارع المدينة على هذا الحال وهم يضربونه ويصفعونه بالنعال ويلطخون وجهه بالطين فكان يوما عبوسا أقفلت فيه جميع الدكاكين وسدت الابواب وانكش الناس في بيوتهم وتطاولت أيدي الحرافيش الى الخطف والسرقة وفعل مالا خير فيه وما زالوا على هذا الحال اليوم كله حتى سقط الحاكم بين أيديهم فتركوه وتفرقوا بخفاء أتباعه وحلوه فلبث أياما كثيرة حتى تراجعت اليه صحته فلما كثر صياحهم في وجه الباشا سأل عن السبب فحدثوه بخبر ماجرى للحاكم فانقبض وهون عليهم ووعدهم خيرا ثم نزل من يومه على إحدى السفن يريد القاهرة ووصل الى أمبائه فبات ليلته وأصبح فذهب لى إليه الامراء وأصحاب الوظائف وعبروا معه النيل الى قصر العيني فلبث به

مطلب
عزل محمد باشا وولاية
محمد يكن باشا

ثلاثة أيام ثم ركب في موكبه وصعد الى قلعة الجبل فلما استقر به المنصب سأل مراد بيك
عن مال الخزينة السلطانية وطلب منه سرعة ارساله فأظهر العناية بذلك وسار في جماعة
من كشافه ومماليكه وأتباعه الى الغربية وجعل يطلب أهلها بالاموال وقد فرض عليهم
منها شيئاً كثيراً فضلاً عن الكلف الخارجية وغير ذلك فكان المعينون للطلب اذا استوفوا
شيئاً من ذلك طلبوا حق الطريق فان تأخرت قرية أو بلدة في أداء شيء من ذلك قاموا عليها
ونهبوها وربما قتلوا منها اناس ولم يزل مراد بيك وأصحابه على هذا الحال حتى وصلوا الى رشيد
فقرروا على أهلها جملة من المال وكذلك على التجار واشتد الطلب وعين على الاسكندرية
أحد كشافه وضرب عليها كذلك مائة ألف ريال نقرة وقيد معه بعض الجباة فعاثوا وشدوا
وضيقوا وأمرهم بهدم جميع كنائس الاسكندرية فهدموا منها عدة كنائس وهرب التجار
وسافروا الى الديار الشامية والرومية وغيرهما فرارا من الطلبات المتتابعة ثم أقفل راجعا بن
معه الى الدقهلية ففعلوا به ما فعلوه برشيد والاسكندرية ثم إلى الشرقية وغيرها * وقد أخش كشافه
بمصر والقاهرة في تعقب الناس وسلب أموالهم ومصادرة أصحاب البيوت * وهجموا يوماً على
بيت شخص اسمه أحمد سالم الجزار متولى رياسة دراويش الشيخ البيومي فتهبوه ولم يبقوا به
شيئاً البتة فنار لذلك أهل الحسينية وحضروا الى الجامع الازهر وهم في ضجة وامامهم طبول
ودفوف فاجتمع عليهم جماعة كثيرة من العامة والسوقة وبأيديهم المساوق والعصى وذهبوا
الى الشيخ الدردير وشكوا اليه فشجعهم وحرضهم على التظاهر والخروج فساروا من الجامع
وقد أقفلوا أبوابه وصعد منهم جماعة على المنارات وجعلوا يضجون ويضربون بالطبول ثم
انتشروا في الاسواق وهم في صياح وجلبة وأغلقوا الخوانيت قال بعض كتاب الاخبار ومنهم
الشيخ الدردير بالركوب معهم في غد ومعه أهل الاطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة
لنهب البيوت أو أن يموتوا شهداء فلما كان بعد المغرب جاء سليم أغا مستحفظان ومحمد كتحدا
ابراهيم بيك وجلسوا في الغورية ثم ذهبوا الى الشيخ الدردير وكلموه في الامر وقد خافوا من
نضاعف الخطب واستفعال الفتنة ووعدهم بردي جميع ما أخذ من بيوت الحسينية واجراء
ما فيه المصلحة للعيان والمجاورين بالازهر وبعد جدال تقررت القاعدة بينهم على ماذكر
وسكنت الفتنة وعادت الامور الى سابق مجراها

ولما لم يرسلا الى الخزينة السلطانية مالها من الاموال رغباعن كثرة الطلب أمر السلطان
بتسيير بعض مرأكب الحرب الى الاسكندرية ورسولا مخصوصا معه مرسوم سلطاني خطابا
الى الامراء في شأن ذلك فدخل الرسول القاهرة وسلم المرسوم الى ابراهيم بيك فجمع اليه
مراد بيك وبقية الامراء وتكلموا في الامر طويلا فلم يتفقوا على شيء وطال اجتماعهم
أباما على غير جدوى فبينما هم على هذا الحال اذ جاءهم الخبر بحضور مرأكب أخرى الى
نغردمياط وعلى إحدى تلك المرأكب أحمد بكار البحر المدعو حسن باشا نخاف الامراء
وارتبكوا في أمرهم وشاع الخبر فتحدث الناس به وكثر اللغط فركب سليم أغا مستحفظان

ونادى فى الاسواق على الروم والغليونجية والترك المقيمين بمصر بأن يرحلوا الى بلادهم بلا مهل ومن وجد منهم بعد ثلاثة أيام قتل بلا معاودة فأثر هذا النداء فى الناس وتزايد خوفهم وأرسل ابراهيم بيك اثنين من كبار أمراءه الى رشيد لخفارتها ولكي يتحالفوا مع عرب الهنادى على أن يكونوا عوناً لهم عند تأسيس الحاجة ثم كتبوا قصة ليرفعوها الى دار السلطنة تتضمن أنه لم يكن من مانع يمنع ارسال أموال الخزينة السلطانية سوى كساد الحال وتعطيل أسباب التجارة والزراعة وانهم سيبدلون جهدهم بالاستطاعة فى ارسالها فى العاجل القريب * فلما كانت ليلة الخميس عاشر رمضان سنة مائتين وألف هجرية ركب ابراهيم بيك ومعه مراد بيك وجماعة من الامراء ومشايخ الوقت ودخلوا على الباشا بمقره فأعلموه بصورة ماوقع الاتفاق عليه وطلبوا وساطتته بينهم وبين الباب العالي وانهم من الآن يقومون بترتيب الامور وتنظيم الاحوال على ما تشاؤه الدولة فكان طورا يمنهم وأخرى يقبح فعالهم ثم بعد أخذ ورد وافقهم على ارسال قصتهم وسير بها كتحذاه وانصرف الامراء وهم لا يدرون ما ستكون عاقبة حضور تلك السفن * وجاءهم الخبر بعد أيام قلائل من حاكم رشيد بأن قد نزل فريق من العساكر العثمانية المنظمة بالاسلحة وآلات الحرب الى البر ومعههم قائد من كبار القواد وانه لم يعرف شيئاً من عزمهم فكبر خوف ابراهيم بيك ومراد بيك وهالهما حضور العساكر فشددوا فى جمع غلال الحرمين وغلال الانبار وجمع أموال الخزينة السلطانية وبالغا فى التشديد وألزموا المعلم ابراهيم الجوهري عظيم القبط بمصر يومئذ بجمع ذلك وبعثوا سفراء الى حسن باشا أمير سفن الحرب من المشايخ والعلماء والوجاهة ومعهم هدية مائة فرق من البن اليمنى ومائة قنطار سكر وعشر بقج ثياب هندية وتفصيل كثيرة وعودا وعنبرا وغير ذلك فسافروا فى يوم الجمعة ثامن عشر رمضان من السنة فلم يكادوا يبلغون الاسكندرية حتى قدم الى القاهرة رسول من قبل تلك السفن واجتمع بابراهيم بيك قيل وعاتبه وقال كيف تبعثون بسفارة الى الامير فى طلب الصفع عما وقع والعفو عما فات وقد أخذتم أهبتكم للحرب والقتال وأكثرتم من جمع الاسلحة والكرارخ فقال ابراهيم بيك معاذ الله أن نخارب رجال دولتنا وأمنا سلطاننا على عساكره وجنوده وهب أنا فعلنا فقد تبنا وندمنا ورجعنا الى الحق فقال وكيف ذلك وقد بعثتم منذ أيام يقوم قد طافوا البلاد فضربوا على أهلها المغارم الثقيلة والمكوس الفادحة وجمعوا الغلال وضربوا على كل بلد ارديين من بن القوة وهذا الصنف غريب عن زراعة البلاد حتى ضج الناس وهربوا وتركوا البلاد خاوية على عروشها وهاهم يموتون جوعا وبردا على الجسور وسواحل الترع وقد أقلق القبطان صوت صراخهم فقال مراد بيك وقد كان حاضرا ليس فى الامر شئ من ذلك وماهى الاوشاية من الاعداء يقصدون بها ابعادنا عن رحمة سلطاننا ورضائه وها أنت قد رأيت أن لأمدافع عندنا ولا بنادق ولا أثر للاستعداد والله الجد * قال بعض الكتاب ولم يكن القول من رسول أمير السفن بتطواف الامراء فى البلاد وأخذ الكلف والمغارم جزافا فانه لما سافر الامراء الاثنان اللذان بعث بهما

ابراهيم بيك خلفارة رشيد وسافر معهما أتباعهما وبعض الجند والمماليك مروا بالبلاد وطلبوا هذه الكلف والمغارم وحرقوا وردان لعدم اذعان أهلها للطلب فضج الناس وذهبوا الى المعسكر العثماني وشكوا الى مقدم العسكر ما ألم بهم فهون عليهم وكتب لهم فرمانا برفع الخراج عنهم سفتين ثم سار مقدم العسكر المشار اليه من الاسكندرية الى رشيد في أبهة وجلالة وكتب عدة فرامين بالعربية الى مشايخ البلاد وأعيانها ومشايخ العربان وأصحاب الكلمة من أهالي المدن يقول فيها ما نصه

صدر هذا الفرمان الشريف الواجب القبول والتشريف من ديوان حضرة الوزير المعظم والدستور المكرم عالي الهمم وناصر المظلوم على الظالم مولانا العزيز غازي حسن باشا سر عسكر السفر البحري المنصور حالا ودوناغة همايون أيدت سيادته السنية وزادت رتبته العلية الى المشايخ وعمد البلاد ومشايخ العرب المقيمين بديار مصر وفقهم الله تعالى * نفهمكم أنه بلغ حضرة مولانا السلطان نصره الله ما هو واقع بالقطر المصري من الجور والظلم للفقراء وكافة الناس وان سبب هذا خائنوا الدين ابراهيم بيك ومراد بيك وأتباعهما فتعينا بخط شريف من حضرة مولانا السلطان أيد الله بعساكره المنصورة بحرا لرفع الظلم ولايقاع الانتقام من المذكورين وتعين عليهم عساكر منصورة برا بساري عسكر عليهم من حضرة مولانا السلطان نصره الله وقد وصلنا الى ثغر الاسكندرية ثم الى رشيد في سادس عشر رمضان سنة مائتين وألف فخرنا لكم هذا الفرمان لتحضروا وتقابلونا ثم ترجعوا الى أوطانكم محبورين مسرورين ان شاء الله تعالى فحين وصوله اليكم تعملوا به وتعمدوه والحذر ثم الحذر من المخالفة وقد عرفناكم اه

فلما علم ابراهيم بيك ومراد بيك بما جاء في ذلك الفرمان من الوعيد والتهديد كبر خوفهما وكادا يسقطان في أيديهم - ما واجتمعوا بأصحابهم وتشاوروا فرأوا ان الخرق قد اتسع والوحشة قد استفحلت والقتال لا بد منه فاستقر رأيهم على العصيان والخروج عن طاعة السلطان وكان النيل قد أخذ في الزيادة فباتوا ليلتهم وأصبحوا وقد بدؤا في جمع العساكر وتجنيد الجند واعداد معدات الحرب واتفصوا على أن يسيروا هذا الجيش مع مراد بيك الى مدينة قوة فيمنعوا الطريق ثم يرسلوا الى حسن باشا المشار اليه خطابا يعلمونه بانهم شارعون في عمل الحساب والقيام بغسل المطالب للدولة ويسألونه الرجوع الى دار السلطنة فان امتثل فيها والا فالحرب * وجعوا السفن وعبوا الذخيرة ونقلوا متاعهم وأثاثهم ورباشهم الى بيوت أخرى صغيرة بجهة المشهد الحسيني والشمواني والازهر وأمروا بغلق الاسواق ليللا والكف عن الختمات والقراآت في ليلتي رمضان فكثرت عند ذلك اللغط وتزايد الهرج وخاف الناس سوء العاقبة وظهرت على مراد بيك وابراهيم بيك وأصحابهما لوائح الخذلان وبرز مراد بيك بعسكره الى ناحية بولاق وعبروا النيل ليللا الى انبابه ونصبوا معسكرهم وخرج مع مراد بيك مصطفى بيك الداودية ومحمد بيك الاني وحسين بيك الشفت ويحيى بيك وعثمان بيك الأعيا وعثمان بيك

الشرفاوى وعثمان بيك الاشقر فسايرهم ابراهيم بيك الكبير مودعا وعانق كلا منهم وعاد الى
 القاهرة وسار مراد بيك قاصدا فوة وأصبح ابراهيم بيك وقد عاد رسله الذين ساروا الى أمير
 سفن الحرب العثمانية وقالوا انهم اجتمعوا عليه ثلاث مرات الاولى عند وصولهم فقابلهم
 بالاعزاز وأكرم وفادتهم وأنزلهم بمكان ورتب لهم الماء كل والمشراب في الافطار والسمور ثم دعاهم
 في ثاني يوم وكلهم قليلا في أمر البلاد وما يكابده أهلها من جور الحكام وظلم الولاة والحروب
 المستمرة وانه قدم ليعاقب الظالم قال راوى هذه الحكاية فقال الشيخ العروسي يامولانا رعية
 مصر ضعفاء وبيوت الامراء مختلطة ببيوت الالهالي وهذه طامة كبرى فقال لا تخشوا من شئ
 فان أول ما أوصاني مولانا أوصاني بالرعية وقال ان الرعية وديعة الله عندي وأنا استودعك
 ما أودعني الله تعالى ثم قال كيف ترضون أن يملككم مملوكان كافران وترضونهم حكاما
 عليكم يسومونكم العذاب والظلم ولماذا لم تجتمعوا عليهم وتخرجوهم من بينكم فأجابهم
 اسمعيل أفندي الخلوتي وقال هؤلاء يامولاي عصابة شديدة البأس وكلهم يد واحدة فغضب
 الأمير من قوله ونهره وقال ويحك أترهبني ببأسهم وشدتهم فاستدرك وقال أعني بذلك
 يامولاي أنفسنا لانهم أضعفوا الرعية فخلو وجهه عنهم ساعة ثم صرفهم قالوا والثالثة كانت
 في يوم جمعة بعد الصلاة فاستأذنوه في الانصراف فقال في غد أكتب لكم مرسوما للرعية
 فتقرؤنه جهارا في الجامع الازهر فاعتذر الشيخ العروسي وقال تشتد الفتنة يامولاي فقبل
 عذره وقال يكفي الاستفاضة ثم عوقهم يومين آخرين ثم كتب لهم مكاتبات وسلمها الى
 أحدهم سليمان بيك الشاوري وسرحهم فودعوه ورجعوا وحدثوا بما جرى * أما رسول
 ابراهيم بيك الذي سار بالهدية الى مقدم العسكر الشاهاني والمكاتبة كما تقدم فانه
 لما وصل الى الاسكندرية قبض عليه مقدم العسكر المشار اليه وعوقه عن السفر الى
 دار السلطنة وأخذ منه المكاتبة ثم سرحه فعاد الى القاهرة وأخبر بما جرى له
 * ووزع مقدم العسكر المذكور عدة مراسيم على مشايخ البلاد وبكار القرى وقد كانت
 هذه المراسيم وردت اليه من دار السلطنة خطابا الى المشايخ والاعيان فشاع خبرها وتحدث
 الناس بها وبالغوا وهولوا وأرجفوا وقالوا لم يبق الا الحرب والقتال فركب ابراهيم بيك عندئذ
 واجتمع بالشيخ العروسي والشيخ الدردير والشيخ البكري وكلهم في أمر العامة وأراجيفهم
 وحثهم على مراقبة أحوالهم ولزوم حضهم على ملازمة الهدوء والسكينة وأبلغهم خبر انتصار
 عسكر مراد بيك على بعض العساكر العثمانية بعد قتال عسى أن تهدأ الخواطر وتطمئن
 القلوب مع أنه لم يحصل شئ من ذلك الى يومها * وجعل ابراهيم بيك يوالى ارسال المدد
 والمؤن والاسلحة الى مراد بيك فكانوا يرون بها من وسط المدينة ليراها الناس ويعجبوا بها
 وينتماهم على هذا الحال من المواربة واخفاء الحقائق اذ رست ببولاق مصر سفينة
 من السفن التي كانت تتبع عسكر مراد بيك في النيل وفيها كثير من المرضى والجرحى من
 العسكر والمماليك والوجاقية فتسابق الناس لاستطلاع أحوالهم ومعرفة حقيقة أخبارهم

فأخبروا بهزيمة مراد بيك وعساكره وتزريق شملهم * وذلك انه لما وصل مراد بيك الى
الرحمانية عبر سليمان بيك الانغا وعثمان بيك الشراوى والالقي النيل الى البر الشرق وساروا
فوقع بينهم نزاع أدى الى الخلف فراجع بعضهم بعضا فكان ذلك أول الفشل ثم تقدموا الى
محلة العساكر وكان بها فريق من العساكر الشاهانية فدخلوا عنها فدخلوا اليها وملكوها
وأرسلوا الى مراد بيك في طلب المدد فرسم الى بعض الامراء أن يعبروا النيل لامدادهم
فامتنعوا فأكبر مراد بيك ذلك وأعظمه وسير بدلهم جماعة من العربان ثم أمر بالركوب
فركب من ركب وتأخر من تأخر وسار العسكر جميعه يريدون قوة فصادفهم في طريقهم
فريق من العساكر الشاهانية وراء المتاريس خافوا من التقدم الى الامام لوعر الطريق
وضيقه وكثرة المساقى والمزارع وكان في مقدمة العساكر المصرية سليمان بيك أحد كبار
الجند فلما صاروا على مقربة من متاريس عسكر السلطان وجهت العساكر السلطانية
أفواه بنادقهم نحو سليمان بيك المذكور ومن معه فاندعروا رجوعا مسرعا الى الوراء فكبوا به
فرسه وسقط خصلت في جوعه ضجة وظنوها هزيمة فرجعوا جميعا القهقري فقتلهم العربان
الذين كانوا معهم وأخذوا منهم ما قدروا على أخذه من متاع وسلاح فعبروا النيل وكان مراد
بيك محتلا بمن معه في مكان ضيق وعر المسالك فأشاروا عليه بتركه والارتحال الى غيره
واجتمعوا وهم على يقين من الهزيمة فكافوا يتخيلون ان العساكر السلطانية سائرة
خلفهم ومن أمامهم لتذيقهم مر العطب وما زالوا على هذا الحال من الخوف والطيرة حتى
خيم الليل فساروا تحت جنح الظلام ورجعوا القهقري وطارأت الاخبار بذلك في مصر
والقاهرة فعم الخوف جميع الاهالي وصاروا يضطربون من كل شئ ويتطربون من كل شئ
فكان اذا صاح صبي بأمامه ظنوا صياحه مقتله واذا نادى مناد على شئ قالوا هي عريضة
* واتفق أن مملوكا أراد الركوب على جمار أحد المكارية فازدحم عليه الجمارة على
عادتهم وتراكضوا خلفه ناحية الصاغة فظن الناس أنها وقعة وان العدو على أبواب الصاغة
فتراكضوا جماعة خلف جماعة وصاحت الصغار فاضطرب أصحاب الخوانيت وأسرعوا في غلق
خوانيتهم بالاشراقية والغورية والعقادين الى باب زويلة وغيره من الجهات القريبة ثم ظهر بعد
ذلك أن لاشئ البتة فعاد الناس الى أشغالهم * ووصل في غروب ذلك اليوم كثير من الجرحى
 والمرضى من عسكر مراد بيك ومماليكه وطوائفه فزاد الارجاج واشتد القلق ونزل الباشا من
القلعة الى باب العزب واستقر به وهم إبراهيم بيك بأخذ أبواب القلعة فلم يفلح وأرسل الباشا
بطلب قاضي القضاة والمشايخ في تلك الليلة فصعد اليه بعضهم وتأخر البعض الى الصباح
فصعدوا جميعا وصعدت كذلك طوائف الوجاقلية ورفع الباشا البيرق على باب العزب ونزل
جاويز مستحفظان وجاويز العزب وأمامهما المناداة على العساكر والاجناد والطائعين
كافة لله تعالى والاسلطان أن يأتوا تحت البيرق فخرج جميع العساكر والاجناد والتجار وأهل
خان الخليلي وعامة الناس على اختلافهم حتى امتلأت الرميطة وقرا ميدان من الخلائق

وأرسل الباشا يستحث أمير السفن العثمانية في القدوم وكان في عزمه التبرص الى خروج الحاج فيأتى الى القاهرة ومعه العساكر البرية أيضا فأخذ يتأهب للحضور ووردت الاخبار بذلك الى ابراهيم بيك

ولما رأى ابراهيم بيك تسابق الناس الى الطاعة واجتماعهم بقرا ميدان والرميلة وغيرهما أخذ في نقل أمتعته من ثقييل وخفيف الى دوره الصغيرة واحتجب عن الناس الا القليل وتركه الامراء كافة وطلعو الى الباشا يطلبون الامان فكان الرجل منهم يأتى الى باب العزب فيطرقه وينادى فلان يطلب الامان ويكرر النداء وينتظر واقفا على أقدامه برهة طويلة حتى يأتبه فرمان بالامان فيدخل بغير سلاح خاضعا ويبقى مع من بالقلعة أما الصغير منهم فانه بعد ان كان يعطى له الامان يتحدر الى الرميطة أو قرا ميدان ويبقى مع من هم بها وكان الذين طلبوا الامان من كبار الامراء جماعة كثيرة وكذلك من الغز والاحناد ولما تكامل حضور من حضر من المشايخ والعلماء الطائعين أبرز الباشا خطا سلطانيا وقرأه عليهم وهو يتضمن الحث على سرعة ارسال ابراهيم بيك ومراد بيك الى دار السلطنة وتأمين كل من يطلب الامان أو غير ذلك وبعد تلاوة ذلك المرسوم أقرب بعض أصحاب الوظائف العالمية في مناصبهم وفرق بقية الوظائف بينهم ونزلوا الى المدينة ونادوا بالامان والبيع والشراء ونادوا كذلك في الناس بالانصراف الى بيوتهم بشرط الاجابة عند الطلب ولم يبق الا المحافظون على الابواب وأصحاب الرتب * أما مراد بيك فانه حضر في ثاني يوم هذا الحادث الى جهة انبابة وبات ليلته تلك وقام غلسا الى جزيرة الذهب وركب ابراهيم بيك في تلك الليلة وذهب أيضا الى الآثار ونادى المنادى في ثاني يوم بصعود الناس الى قرا ميدان والرميلة فصعدوا أفواجا أفواجا وكثر زحامهم فنودى فيهم بالامان وملازمة الهدوء والسكون * وتخييل الباشا من ابراهيم بيك أمير الحاج وقد كان ممن طلب الامان فرسم له عند ذلك بالنزول الى بيته فنزل من القلعة الى جامع السلطان وحسن وأقام به فأرسل اليه الباشا بالذهاب الى بيته فذهب واجتمع ببعض الامراء في تلك الليلة سرا وأصبحوا نخرج سليمان بيك وأبوب بيك الكبير والصغير وهم ممن طلبوا الامان أيضا فأجيبوا اليه وساروا الى مضرب النشاب وركب ابراهيم بيك أمير الحاج وذهب الى بولاق ليأخذ جال المناخ المعدة لخدمة الحاج فنعه من أخذها عسكريا فخرج الى مضرب النشاب فلما جاء الخبر بذلك الى الباشا بعث اليهم رسولا ومعه مرسوم خطاب لهم بأن يرجعوا الى بيوتهم وأن لا يجتمعوا أبدا على هذه الصورة فزقوا المرسوم وضربوا الرسول وأقاموا على هذا الحال أياما بالمصاطب فاجتمعت عليهم عند ذلك طوائفهم وركبوا ولحقوا بمن خرج قبلهم فاضطربت البلد وظن الناس صعودهم الى المقطم بالمدايع ليطلقوها على المدينة والقلعة وأغلق الناس حوانيتهم فركب الباشا بعد صلاة الجمعة وركب كذلك قائدًا ومعهما كثير من المماليك والعسكر يحملون البنادق والقرايين ووصلوا الى الرميطة ورموا بالبنادق على جماعة الامراء وأطلقوا

عليهم المدافع فانهزوا المتحزبون الى الصليبية ثم الى باب زويلة ومرو بالغورية والاشرفية
وبين القصرين وطلعوا من باب النصر وامامهم المنادى ينادى امان واطمئنان حكم مارسم
ابراهيم بيك ومراد بيك وحكم الباشا بطل فلما سمع الناس ذلك ورأوا اجتماع الامراء على
هذه الصورة انزعجوا وأغلقوا الدكاكين وهاجوا وماجوا وعلم الباشا بخروجهم على هذه
الصورة فأمر فخصنوا القلعة والمحمودية والسلطان حسن ونادى الاغا في الجند والعسكر بالصعود
الى قلعة الجبل فصعدوا وجعل كل فريق يتأهب للحرب والقتال وعم الخبر بمصر والقاهرة فانتشر
عند ذلك الاشقياء في الطرق والحارات ينهبون المارة وتناولت أيديهم الى القتل في رابعة النهار
وانقطعت الطرق حتى الى بولاق القاهرة ومصر القديمة وركب ابراهيم بيك وحسين بيك في نفر
وأثوا الى مناخ الجبال ليأخذوا جبال الحاج فدفعهم المغاربة فعربدو في ذلك الصقع عريضة
لا توصف وطلعوا بعد العشاء وباتوا في السبيل الذي على رأس الرملة وشدد الباشا في طلب
العسكر وأنفق عليهم نفقة عظيمة فكثرت وازدهرت الى قلعة الجبل وفي مواقع المتاريس
والحصون واشتد الكرب بالناس وضاق خناقهم وكان الصباح لا ينقطع في كل يوم في أطراف
الحارات من قحة اللصوص وتسلب النشالين ودخولهم البيوت ليلا وقتالهم مع أصحابها نهرا
وشاع في هذه الاثناء خبر وصول بعض مراكب حرب الدولة الى شلقان ومجيء حسن باشا
مقدم العسكر السلطاني ففرح الناس وصعدوا الى المنارات وأعلى الاسطحة يتظرون
الى النيل فلم يروا شيئا في ذلك اليوم فاشتد الانتظار وزاغت الابصار فلما كان بعد عصر اليوم
سمع صوت مدافع على بعد فأجابتها مدافع القلعة ففرحوا واستبشروا وحصل بعض
الاطمئنان وصعدوا الى المنارات فرأوا عدة مراكب ونقاير رست على بولاق القاهرة فسروا
سرورا ما عليه من مزيد وضجوا ضجيج الفرح فارتجت الارض من ضجيجهم وكان مراد بيك
وجماة من أمرائه قد ذهبوا الى بولاق وشرعوا في عمل المتاريس بجهة السبتية وأحضروا
عدة مدافع وجعوا أخشابا وشيا كثيرا من حطب الذرة وزنايل وغير ذلك فبينما هم يشتغلون
في إحكام تلك المتاريس اذ دهمتهم مراكب حسن باشا تجاه المتاريس فتركوها وولوا الادبار
فضج الناس وصاح الصبيان صباح الهز والفرح وخرجت النساء يزغردن واحتطن بمدافع
مراد بيك وكسرن أخشابها وأخذنها للحريق

واجتمع ابراهيم بيك ومراد بيك وجميع الخوارج وكتبوا الى قاضي القضاة والمشايخ
يظهرون التوبة والرجوع الى الطاعة فقرئت كتابتهم بحضور محمد باشا يكن قال الراوى
فقال سبحان الله كم يتوبون وكم يعودون فاكتبوا لهم جوابا معلقا على قدوم قبطان باشا
فكتبوا لهم بذلك ووصل حسن باشا في عشاء ليلة الاثنين ثاني عشر شوال سنة مائتين
وألف فأطلقوا قدومه المدافع من بولاق القاهرة وبات ليلته وأصبح فركب ودخل القاهرة
من ناحية باب الخرق ونزل ببيت ابراهيم بيك الكبير بأتباعه وحاشيته وعسكره ووصل بعده
الشيخ الاترم المغربي في طائفة من المغاربة فنزل بهم ببيت يحيى بيك فسكن الحال واطمأنت

قلوب الرعية وفتحت أبواب قلعة الجبل ونزل من بها وشاع الخبر بذهاب ابراهيم بيك ورفاقه الى الاقليم القبلي من خلف الجبل فسارت خلفهم طوائف العسكر على ظهور السفن لقتالهم فقبضوا على عدة مراكب مشحونة بالذخيرة والمؤن وأنفذ حسن باشا أمير السفن رسلا الى اسمعيل بيك الكبير وحسن بيك الجداوى يطلبهما الى مصر وكانا مبعدين بالاقليم القبلي كما تقدم وجمع محمد باشا يكن من بقي من أهل الخير من الامراء وقلدهم المناصب العالية وسلمهم الوظائف ورتب أمور البلاد ترتيبا محكما وأباح على ما قبل للعساكر الشاهانية نهب بيوت الامراء الفارين فدخلوا بعضها وأخذوا ما وجدوه من أمتعة وأثاث وتبعهم العامة والحرافيش فبلغ ذلك مقدم العسكر فركب بنفسه وطاف المدينة وقبض على من صادفه من العسكر وعلى من وجدته في تلك البيوت فقتل بجاعة منهم ممن كانوا يحملون بعض المنهوبات فأنكفوا عن النهب ثم نزل من باب زويلة ومر بالغورية ودخل من عطفة الخياطين على باب الازهر وذهب الى المشهد الحسيني فزاره وكان قد زاد إعجابه بنفسه أو وثى اليه بعض الوشاة فأمر فنودي على النصارى بان لا يركبوا الدواب المظهمة وأن لا يستخدموا المسلمين ولا يشتروا الجوارى ولا العبيد ومن كان منهم عنده شئ من ذلك باعه أو اعتقه وأن يلزموا زعيمهم الاصلى من شد الزناير والزفوف فتسلط العامة عليهم وتبعوهم بالايذاء ومن وجدوه بغير زناير رجوه بالجارية وحثوا التراب في وجهه فأنكشوا وانكفوا عن الخروج أباما وأرسل يطلب من قاضى القضاة احصاء ما أوقفه المعلم ابراهيم الجوهري عظيم القبط بمصر يومئذ على الكنائس والديارات من أطيان ورزق وأملاك وغير ذلك ثم أحس بما وراء ذلك من الفشل وظهور الفتنه خفاف واستدعى اليه المعلم ابراهيم وكله في الامر فصالحه المعلم ابراهيم على مبلغ عظيم من المال فأمر فنودي فيهم بالامان وعدم التعرض لهم بمكره فعادوا الى ما كانوا عليه وكان ما فعله بالقبط مشجعا للعساكر السلطانية على العود الى الخطف من السوقه وأصحاب الحوانيت وكثر تعديهم على أهل الحرف مثل القهوجية والحامية والمزينين والخياطين وغيرهم فكان يأتي الرجل منهم الى الحامى أو القهوجى أو الخياط ويخلع عنه سلاحه ويعلقه على باب الحمام أو القهوة أو حانوت الخياط ويرسم زنكه في ورقة أو على باب دكان آخر وكأنه صار شريكه وفي حمايته ثم يذهب حيث شاء أو يجلس متى شاء ثم يأتي في آخر اليوم ويحاسبه ويقاسمه في ربح يومه ذلك قيل وهذه عادتهم اذا ملكوا بلدا ذهب كل ذى حرفة الى حرفته التى كان يحترفها في بلده ويشارك ابن تلك البلد فيها فتقتل على أهل مصر هذا الفعل وشكوا للبasha واستغاثوا فنودى بإبطال هذه المحنة ومن أتاه عسكرى يشاركه أو يأخذ منه شئ بغير حق قبض عليه وضرب وأتى به الى الحكام ثم طاف الوالى وقبض على كل من وجدته منهم بالجارات والقهاوى وطردهم ونهرهم فلم ينكفوا الا بعد حين ورسم حسن باشا أمير السفن فجملت ودائع جميع الامراء وأموالهم المحفوظة عند الناس واستحضرت زوجات ابراهيم بيك الكبير وأخذ ما كان عندهن من مال وحلى وغيره

وكذلك زوجات مراد بيك وقبضوا على خفراء الحارات ليدلوا على البيوت التي فيها تلك الودائع فلم يتركوا محلا الا فتشوه وأخذوا مافيها ونودي في الاسواق بان من كان عنده ودعة أو شيء من متاع الامراء الخارجين ولم يظهره في ثلاثة أيام أهدر دمه من غير معاودة وجروا على زوجات ابراهيم بيك ومراد بيك بيت كنفدا أياما كثيرة فشفع فيهن العلماء والمشايخ فلم يفرج عنهن واستحضر الخفاسين والدلائن وأخرجوا جوارى ابراهيم بيك وباقي الامراء بيضا وسودا وأحباشا ونودي عليهن بالبيع والشراء في حوش البيت فبيعوا بالجس بالثمان اشتران طوائف الضباط والعساكر السلطانية واشتد أمير السفن في الغلظة وبالحق في التهديد فأمر ببيع ولدى ابراهيم بيك الكبير وهما مرزوق بيك وعديلة هانم وضيق على زوجته تضييقا عظيما فاجتمع المشايخ وصعدوا الى قلعة الجبل وكلوا الولى في ذلك وقالوا هذا أمر لا ترضاه الشريعة ولا يجوز قطعاً ببيع الاحرار وطلبوا منه أن يراجع أمير السفن في ذلك فقال لا قدرة لي على رد كلمته فاذهبوا أنتم اليه وكلوهم قالوا ولا بد من ان تذهب معنا فذهبوا جميعا وكله الشيخ السادات وقال يا مولانا قد بعثك السلطان لتذب عن الشريعة المطهرة وتقيم الحدود وتقطع عرق الفساد وتنع الظالم عن المظلوم لان تهمدم معالم الدين وتبيع الاحرار فلما سمع كلام الشيخ السادات اغتاظ وأشار الى أحد الكتاب ان يكتب أسماء هؤلاء المشايخ كي ابعث بها الى السلطان واعلمه بحالهم وثوقهم في سبيل أعمالى ثم التفت اليهم وقال لا أجد الآن للإقامة بين ظهرانيكم سبيلا وقد عزمت على الرجوع فليرسل اليكم مولانا السلطان آخر فتروا ماذا يفعل بكم أو ما كفاكم انى في كل يوم أقتل من عسكرى طائفة على أيسر شيء دفعا لآذاهم عن البلاد وأهلها وارهبا لمن لم يعرف الحدود ولو كان قائد هذه الجوع غيرى لنظرتم كيف كانت تفعل بالبيوت والاسواق والناس تخاف المشايخ وسقطوا في أيديهم وتلجج فصيحتهم وقالوا انما نحن يا مولانا شفيعون والواجب علينا قول الحق ثم انصرفوا وهم على أشد ما يكون من الخجل ولما كان يوم السبت غرة القعدة من السنة قدمت الى القاهرة الجيوش البرية ومعهم أمير اسمه عابدى باشا وآخر اسمه درويش باشا وهما مقدما الجيش المذكور فلاقاهم حسن باشا بالعادية وسار معهم حتى دخلوا المدينة في أبهة وجلالة وعسكروا بها فلم يحصل منهم إيذاء ولا عريضة بل كانوا اذا اشترى أحدهم شيئا نقد صاحبه ثمنه حالا وباتوا تلك الليلة بخيامهم عند سميل قاز وأصبحوا وقد ركب عابدى باشا ودرويش باشا وسارا امام العسكر الى البساتين ففروا بالصمراء وباب الوزير وأجروا عليهم الرواتب من الخبز واللحم والارز وكانه لما استقر بهم المقام تافقت نفوسهم الى استخدام الجوارى كما فعل عسكر حسن باشا بجوارى الامراء المصريين وجوارى قبطة مصر فقد نودي بعد أيام على المسيحيين من أهل البلاد كافة باحضار ما عندهم من الجوارى ثم نزل العساكر بعد النداء وهجموا على بيوت المسيحيين واستخرجوا مافيها من الجوارى والعبيد فكان شيئا كثيرا وأحضروهم الى حسن باشا فباعهم الى العسكر بالجس بالثمان ثم صاروا يبيعونهم بالمرايحة فاذا أراد أحد أن يشتري جارية ذهب الى بيت الباشا وطلب

ذلك فيعرض عليه الجوارى من مكان عند بيت النساء فاذا أعجبتته جارية أو أكثر حضر صاحبها الذي اشتراها فيخبره برأس ماله ويقول له وأنا آخذ مكسبي كذا فلا يزيد ولا ينقص فان أعجبه الثمن دفعه والآخر كها وذهب ثم وقع التشديد على ذلك وأحضروا الدلائل والتخاسين واستدلوا منهم على من عنده واحدة من الجوارى فكافوا يفتشون بيوتهم دفعات متوالية حتى اشتد الكرب وعم الخطب ولم يقف حسن باشا المذكور عند هذا الحد من الجور والعسف بل أمر بجمعوا المهندسين والبنائين ليدلوا على الخبايا والمطامير التي ربما يكونون قد أنشئوها للامراء والناس كافة في بيوتهم فكان لا يشعر صاحب البيت وهو بجانب عياله الا وقد هجم عليه جماعة من العسكر ودخلوا البيت وأخذوا يتقبون الخيطان وينبشون الارض ويدخلون المحال بلا حياء فيأخذون ما يجسدونه من فراش أو نحاس أو غير ذلك ويخرجون وصاحب البيت في دهشة وجود لا يدري ما سبب حضورهم ولما أخذوه وهكذا حتى ضج الناس وعم الخوف وراحت السعاية وظهر شأن أصحاب الدسائس والفتن وعمت الشدة جميع النصارى فضربت عليهم المغارم وطولبوا بخمسة وسبعين ألف ريال نقرة وأمر باحصاء جميع دورهم وملكهم فاحصيت فقرر عليها أجرة تدفع الى خزانة السلطان ثم ضرب عليهم غرامة أخرى قدرها خمسة آلاف كيس فضاقت عليهم الدنيا برحبها وباع الكثير منهم جميع ما عنده حتى ملابسه وملابس عياله وقرر على كل شخص منهم جزية جديدة قدرها دينار بلافرق وذلك خلاف الجزية الديوانية المقررة على كل واحد منهم وتتبع الديارات وأخذ كل ما وجده فيها من ودائع وقبض على المعلم واصف أحد عظماء القبط يومئذ ورئيس حسابات الديار المصرية وعليه جميع الإيرادات والمصروفات فجلده وجبسه وطالبه بالاموال وكان المعلم واصف المشار اليه كاتباً حاسباً عاقلاً حاد الذهن وفاد الزاكرة وكان يعرف التركية حق المعرفة وقبض أيضاً على نساء المعلم ابراهيم الجوهري وكن في بيت حسن أنفاً كتحدا على بيك أمين الحساب وضيق عليهن فاعترفن ببعض الخبايا فأخرجوا منها أمتعة وأواني ذهب وفضة وسروجا وغير ذلك فأخذها ولم يترك سراح النساء بل بقين تحت الحجر أياماً كثيرة

وجاء الخبر بوصول ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك ومن معهما الى أسسيوط وان السفن الحاملة للعساكر السلطانية سائرة خلفهم فبعث حسن باشا بسفن أخرى وعليها بعض طوائف الجند فسارت ولحقت بالاولى فلما صاروا امام أسسيوط أطلقوا عليها المدافع تبارعا فأجابتهم مدافع ابراهيم بيك ثم رفع ابراهيم بيك ومن معه الى الجبابة فلم تتمكن السفن من اطلاق المدافع عليهم وبهشوا الى حسن باشا بذلك فعقد الديوان وجمع الامراء وقلد قاسم بيك أبو سبف ولاية بجرجا وقيادة الاجناد والعساكر التي تقرر ارسالها مع عابدى باشا ودرويش باشا وعين معهم عدة كثيرة من الامراء ورسم بسرعة التجهيز والرحيل وصرف النفقة فأنفق هو على قومه فأعطى لكل أمير خمسة عشر ألف ريال والوجاقية سبعة عشر ألف ريال وأنفق عابدى باشا في عسكره فأعطى لكل نفر خمسة عشر قرشا فغضبت من ذلك طائفة الدلاء

واجتمعوا بأسرهم وخرجوا الى ناحية العادلية مغضبين يريدون الرجوع الى أوطانهم فانزعج
الناس ولم يعرفوا ما الخبر فلما بلغ حسن باشا ما وقع ركب في عسكره وسار الى العادلية يريد
قتلهم فخرج معه بعض العساكر المصرية وركب كذلك عابدى باشا ولحق به عند قصر قايمار
وكان هناك أحمد باشا الجداوى فنزل اليه أيضا وأخذوا يستعطفونه ويسكنون غضبه وأرسلوا
الى الدلاة فاسترضوهم وزادوا أعطيتهم وجعلوا لكل نفر أربعين قرشا فاذعنوا وأطاعوا وعادوا
جميعا الى القاهرة * وخرج عابدى باشا ودرويش باشا بعسكرهم ما ونزلوا بالبساتين يومين ثم
ارتحلوا الى الاقاليم القبلية فخرجت طوائف الوجافلية أيضا ونزلوا بخيامهم في البساتين
ولبشوا أباما فلائل حتى جاء أحد كبار العساكر السلطانية من الشام ومعه طائفة من العسكر
فنزّلوا بالعادلية يوما ثم ساروا الى البساتين وقاموا منها الى الاقاليم القبلية فقامت معهم
طوائف الوجافلية وفودى بان لا يتخلف أحد من العسكر ومن تناقل قتل من غير معاونة
ولم يكن تسمير الجنود وإعداد معدات الحرب ليشغل حسن باشا أمير السفن عن كشف
عورات الناس ومصادرتهم في متاعهم وأموالهم وأخذ كل ما وصلت اليه يده وتفتيش مساكن
أصحاب البيوتات العالية واخراج ما فيها وقد دلوه على مكان بيت المعلم ابراهيم الجوهري مرتفع
مهدوم الدرج وكان هذا المكان لولده مات في عنفوان شبابه من نحو الستين سنة فلما
مات هدمت والدته الدرج الذى يوصل اليه حزنا على ولدها وترك بما فيه فصعدوا اليه وأخرجوا
منه شيا كثيرا من فرش وأمتعة من ركشة وأواني ذهبية وفضية وصينية وغير ذلك فاحضرن
جميعها الى حسن باشا فباعها بالمزاد بين يديه في عدة أيام وبائع في تفتيش البيوت والاصفاة
لاهل السعاية والوشاة واشتدت رغبته في قطع دابر ابراهيم بيك ومراد بيك ومن معهما
ومحو آثارهم فاجهد النفس وبائع في اتخاذ الطرق والوسائل وأكثر من المدد لعساكره الذين
ذهبوا لقتالهم وكان في كل يوم يبعث بالرسائل لئلا يله بالاعخبار فلما كان يوم الاربعاء عاشر ذى الحجة
من السنة الذى هو يوم عيد النحر وردت اليه الاخبار بوقوع موقعة عنيفة بين ابراهيم بيك
والعساكر السلطانية لم يتم فيها الظفر لاحد من الطرفين فاعتناظ من ذلك جدا اذ كان يرجو
انقضاء الامر قبل دخول فصل الشتاء وهبوط النيل وتعتذر انحدار سفن الحرب فأمر عند ذلك
بعدم فتح الترع التى كانت تفتح عادة بعد عيد الصليب كبحر أبى المنجا وبحر مويس والقريتين
خوفا من نقص الماء وأرسل الى عابدى باشا ودرويش باشا ومن معهما من كبار العسكر
يستحثهم ويستنهضهم الى الفتح بابراهيم بيك ومراد بيك فرد عليه عابدى باشا ردا
حسنا وأرسل اليه أيضا بكتابة كانت وردت اليه من ابراهيم بيك ردا على خطاب كان يبعث
به عابدى باشا يقول فيه بعد كلام مانصه * كم تخاطبوننا بالكفرة والمشركين والظلمة والعصاة
مع اننا بحمد الله تعالى موحدون واسلامنا صحيح وحجبتنا بيت الله الحرام وتكفير المؤمنين
كفر ولسنا عصاة ولا مخالفين وما خرجنا من مصر عجزا ولا جبنا عن الحرب الاطاعة للسلطان
ولنا بيه فانه أمرنا بالخروج تسكيننا للفتنة وحققنا للدماء وقد وعدنا انه يسعى في تقرير

فأعده للصلي فخرجنا على هذا الشرط ولم نرض بأشهار السلاح في وجوهكم وتركنا بيوتنا
وعيالنا في عرض السلطان ففعلتم بهم ما فعلتم ونهبت أموالنا وهتكتم اعراضنا وبعتم أولادنا
وأحرارنا وأمهات أولادنا وهذا الفعل ما سمعنا به حتى ولا في بلاد الكفر وما كفاكم ذلك حتى
أخرجتم خلفنا العساكر ليخرجونا من بلاد الله الواسعة ويهدونا بكثرتهم وكم من فتنة قليلة
غلبت فتنة كثيرة بأذن الله وأما عساكر مصر فأمرها في الحروب والشجاعة مشهور في سائر
الأقاليم والأيام بيننا وكان الأولى لكم الاجتهاد والهمة في استخلاص البلاد التي أخذها الكفار
واستولوا عليها مثل القرم والورن واسماعيل لا أن تأوؤا هنا على هذه الصورة المنكرة وكتب غير
ذلك من اقوال أخرى ركيكة المبني قد أضربنا عن إيرادها * فأجابهم عابدى باشا ونقض عليهم
وزحف بعسكره فاشتبك بينهم القتال عند المنشية والتحم الفريقان فقتل منهم جملة كبيرة
وابلى المصريون بلاء حسنا للغاية فتحت عنهم العساكر السلطانية ناحية وهجم ابراهيم بيك
وأصحابه وألقوا بأنفسهم في نيران الحرب وطلب كل غريمه ثم اندفع العثمانيون وظهر من شجاعة
عابدى باشا ما شهدت به الاعداء وأصاب اسمعيل بيك الكبير رصاصة في فمه فخرجت من
صدغه فولى منهزما وألقى بنفسه الى النيل وركب في حراقة صغيرة واتحدر الى مصر وكان حسن
باشا أكثر من استدعائه وهو بعده ويرجوه كتمان خبر طلبه فلما دخل القاهرة اجتمع بحسن
باشا برهة ثم ذهب الى بيت مملوكه على بيك يركس وقد خلع عليه حسن باشا خلعة سمور
وأصبح وقد شاع خبر حضوره على هذه الصورة فتحدث الناس في أمره وكثر اللغط وأعقب
ذلك أيضا الاشاعة بهزيمة العساكر السلطانية وأرسل حسن باشا في طلب طوائف العسكر الذين
بندينة الاسكندرية وأرسل أيضا الى دار السلطنة يطلب المدد وحضر حسن بيك الجداوى ومعه
بعض الجنود وقد أصيب بجراحة عظيمة فثبت بحضوره خبر هزيمة العساكر السلطانية وكذلك
حضر بقية الامراء وأكثرهم مصاب بجروح ثم وصل عابدى باشا أيضا ونزل بقصر العيني
أياما وهو محتجب عن الناس الا القليل من قومه ولم يظهر الاملاقة الرسول الذي حضر من
دار السلطنة برسوم ولايته على مصر وخلع محمد باشا يكن وتسميته الى ديار بكر بدلا من
عابدى باشا وانتشر الخبر بذلك في مصر والقاهرة وعم الآفاق وجعل عابدى باشا ينقل
أمنعته الى بولاق القاهرة وينأهب للصعود الى قلعة الجبل وذلك في المحرم افتتاح سنة احدى
وماثنين وألف هجرية وسافر محمد باشا يكن الى مركز ولايته الجديدة فكانت مدة تصرفه
سنتين وبضعة أشهر وكان كريم الاخلاق عاقلا رزينًا يكره الظلم ويبغض أهله فلذلك لم يكن
ليرضى عن أعمال حسن باشا أمير السفن بل كان ناقصا عليه كثير التوجع مما أصاب الرعية
من عسفه وجوره * وصعد عابدى باشا الى قلعة الجبل وأخذ يتصرف في الامور ويدبر مع
حسن باشا أمر الحرب مع الامراء المصريين فأكثر من ارسال المدد الى درويش باشا وبث
العيون والارصاد حول ابراهيم بيك ومن معه فجاءه الخبر يوما بانحدار ابراهيم بيك وجنوده
الى مصر واقترب طلائعهم من بنى سويف وانه مات منهم عدة كبيرة من الامراء والكشاف

مطلب

عزل محمد باشا يكن وولاية
عابدى باشا

ولكن ما زالت نفوسهم قوية على الحرب وقد أحبوا الموت فأزججه هذا الخبر واستعظمه ثم جاءه بعد قليل رسول من قبل مراد بيك ومعه مكاتبة تتضمن طلب الصلح والاحساح بالكف عن القتال حقنا للدماء وانهم قد تابوا ورجعوا عما كانوا عليه ثم قالوا * فان لم تجنحوا الى الصلح فليس بيننا وبينكم غير الحرب والقتال فلما وقف أمير السفن على ما في خطاب مراد بيك أسرع في تسيير ما بقي عنده من مراكب الحرب الى ناحية التبين فاصطفت هناك وأمر فعملوا متاريس وحفروا خنادقاً ووضعوا من المدافع عدة كثيرة وخرج رضوان بيك بليفيها وسليمان بيك الشاوري وعبد الرحمن بيك عثمان وبرزوا بخيامهم ناحية البساتين ليسيروا منها الى الصعيد وأتت الجواسيس فأخبروا بترص ابراهيم بيك وجوعه بناحية بنى سويف ومراقبتهم للفرص فاتفق حسن باشا في العسكر ثلث نفقة وطلب من التجار قرصة لينفقها فشكوا من كساد الحال فشدد في الطلب فأغلقوا حوانيتهم فهجم الجنود على بيوتهم ونهبوا ما وجدوه فيها وفرض على الاهالى مبلغا عظيما من المال فجمعوه بشق الانفس وطلب الخيول والبغال والحمر والجمال فأخذوا دواب الناس بلا ثمن وجمال السقائين كافة والمكارية فضج الناس وبعجوا الى الله تعالى ووقع الصياح في العامة والبكاء من نساء السقائين والمكارية وغيرهن وكثرت ولولتهن وطفن حاسرات يندبن فلم يلبثت اليهن ولا رد شيئا مما أخذ ووردت مكاتبة أخرى من ابراهيم بيك بطلب الصلح وحقن دماء المسلمين فجمع حسن باشا الامراء كافة وقرأها عليهم فأبوا جميعا الا القتال وبعد كلام أشار حسن بيك الجداوى بصرف طائفة المحمدية من العساكر تخوفاً وتخيلا منهم اذ هم ميالون الى ابراهيم بيك وأصحابه فأجابه حسن باشا الى ذلك وأمر فجمعت منهم خيولهم وسروجهم فكان لذلك أثر مهم وكادت جيوشه لذلك تفشل فهاله الامر ووقف في وسط الجند وقال مخاطبا لكبار العسكر قد أمنتكم فلا تكونوا من الخائنين وإياكم والخذلة والاختذ بالوجوه فتنازروا الى الاعداء بغضا فينا أو تزلقا اليهم وحرصا على النفسية فافقهوا واعلموا انكم ان فعلتم شيئا من ذلك خربت البلاد سبع سنين عقبا وجعلت الدماء فيها الى لب الخيل * ثم نادى المنادى بالتأهب وعدم تخلف أحد وطاف الأغا على العساكر والاجناد يخرجهم من أماكنهم ويقف على الخانات ويسأل عن بها منهم ويحثهم على سرعة الخروج والاتحاق بالعسكر * وعادت رسل ابراهيم بيك الى معاودة حسن باشا في أمر الصلح وأحضروا معهم ابن أخ عابدى باشا وكان قد أسرم مع بعض العساكر السلطانية في الواقعة الاخيرة وأرسلوا معه منوبات عابدى باشا وجميع التجار وقد أنفقوا على كل واحد منهم دينارا فلم يجيبهم حسن باشا الى الصلح الا بشرط خروجهم من الديار المصرية بعيا لهم ونسأهم الى بلد يختارونها والا فالحرب والقتال فلما عادت الرسل بهذا البلاغ اتفقوا جميعا على الانحدار الى مصر واصلوا نار الحرب حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا فأنحدروا ووصلت طلائعهم الى أرض الحبزة وصاروا بين الرق والجيزة وفرضوا الكلف

والمغارم ومؤنة العساكر على أهالي الجيزة فبرز عند ذلك اسمعيل بيك الكبير وحسن بيك الجداوى بخيامهما الى ناحية طرا ومنعوا السفن والمعادى كافة وأرسوهم بالجانب الشرقى من النيل كي لا يتمكن جوع ابراهيم بيك من العبور الى مصر وفودى على جميع طوائف المدينة بالخروج والاجتماع تحت لواء اسمعيل بيك ومن تأخر عوقب وقبضوا على عدة كبيرة منهم ونهبوا بيوتهم وسجنوهم بقلعة الجبل فخرجوا جميعا من عساكر وماليك واتباع وطلب اسمعيل بيك من تجار المدينة قرضا للنفقة فاعذروا فادعى على تجار البن مبلغ من المال قال هو باقى حساب له يوم كان قابضا على زمام مشيخة البلد فصالحوه على مبلغ أربعة آلاف ريال وجاء رسول من قبل ابراهيم بيك الى حسن باشا ينذره بالحرب والقتال ويعلمه بخروج جوع ابراهيم بيك وانذارهم الى مصر فتعجب حسن باشا من ذلك ولم يعوق الرسول بل سرحه ونادى فى عسكره بالتأهب وخرج هو واسمعيل بيك وحسن بيك الجداوى وجميع الامراء وساروا الى نواحي البساتين ثم اجتاز بعض العساكر البحرية النيل الى انبابة وعملوا هناك متاريس وخنادق وانحاز ابراهيم بيك ومراد بيك وجوعهما الى ناحية الاهرام باجالهم وجعلوا يترصدون الفرص ويتبينون ارتفاعها وقد سئمت نفوسهم الحياة على هذا الحال واتفق انه دخل المحمل والحاج القاهرة فى هذه الايام بعد أمور وقعت للحجاج فى الطريق يطول شرحها فسار حسن باشا وبعض الامراء للقائه وتحقق ما جرى على الحاج فلما علم ابراهيم بيك بتغيب حسن باشا عن القاهرة زحف ليلًا بجموعه على المتاريس التى بانبابة وهجموا عليها هجمة رجل واحد فصدهم أصحاب المتاريس وأطلقوا عليهم المدافع من البحر والبر وتابعوا الرمي من الفجر الى طلوع الشمس فرجع ابراهيم بيك وأصحابه الى مواقعهم من غير طائل ثم عادوا بعد ظهر اليوم فردوا على أعقابهم وارتحلوا الى دهشور وأقاموا بها أياما فسأت جوعهم وداخلهم الفشل وانسلخ منهم جماعة كثيرة وانحازوا الى العساكر البحرية فخاف ابراهيم بيك شر العاقبة وجنح الى إعادة الكلام فى أمر الصلح وكتب يطلب ان تعطى لهم بعض الجهات بالصعيد ليقموا بها ويتعيشوا منها وينكفوا عن القتال فأجابه حسن باشا الى ذلك بشرط ان لا يسمح بذلك الا لجماعة قليلة منهم ويحضر باقى الامراء والعسكر الى القاهرة ويقموا بها فلم يرض ابراهيم بيك بذلك وترفعوا الى ناحية بنى سويف واستقروا بها فرجعت عنهم عند ذلك عرب الهنادى الذين كانوا معهم وفارقوهم وأخذت أحوالهم فى التأخر وشدد حسن باشا فى تسيير العساكر الى الصعيد فساروا فى خيل ومدافع وكثير من المعدات وسار خلفهم عابدى باشا ومعه لفيق الامراء وجاء الى حسن باشا المدد من عساكر السلطان من قبرس والقصرمان وغيرهما فعسكروا فى البساتين ورسم حسن باشا فصنعوا أبراجا نقالة ومتاريس على اشكال مختلفة وسيرها خلف العساكر ثم وردت الاخبار بعد أيام بانحاز ابراهيم بيك ومن معه من بنى سويف الى أسسيوط وان قد تخلف عنهم كثير من المماليك والاتباع فى نواحي منية ابن

خصيب وغيرها وجاء منهم جماعة الى القاهرة وحدثوا بأخبارهم وقد انضم جماعة من الامراء
 الى معسكر عابدى باشا طامعين فأمهم واستبقاهم ولما وصلت العساكر السلطانية الى
 أسبوط ترفع ابراهيم بيك وجوعه الى طحطا وترسوا بها وتأهبوا للقتال فسارت العساكر
 خلفهم ثم انقطعت بعد ذلك الاخبار حينما فخاف حسن باشا وتابع ارسال الرسل لاستطلاع
 الاخبار ومعرفة ما حل بالعسكر فلم يرجع منهم من يخبر بالخبر وبقي الحال هكذا أياما ثم قدم
 رسول ومعه مکتوب من عابدى باشا يخبر بوقوع الحرب في يوم الجمعة ثامن عشر ربيع
 الآخر سنة احدى ومائتين ناحية الامير ضرار فكانت الهزيمة على ابراهيم بيك وجوعه
 بعد ان أبلوا بلاء حسنا جدا وهزموا العساكر السلطانية هزيمتين وهجموا على الحصون
 والمتاريس والابراج النقالة هجوم الاسود الضواري فقتل منهم عدة كبيرة من الامراء
 والاجناد والمماليك قال الراوى وكانت الحرب بيننا نحو ست ساعات مات فيها من العساكر
 السلطانية عدة وافرة فلما علم حسن باشا بما ذكر سكن روعه وأمر فأطلقت المدافع من
 قلعة الجبل نهارا والحراقات والالعب النارية ليلا وطاف المبشرون على بيوت المشايخ
 والاعيان يبشرونهم بنصر العساكر السلطانية فأثوا وهنؤا حسن باشا بهذا النصر ورتفع
 ابراهيم بيك ومن بقي من جوعه الى عقبه الهو ثم ساروا منها الى ابريم والعساكر في اثرهم
 تخطفهم من خلف ثم عادت العساكر الى اسنا ونزلت بها وكتب عابدى باشا يسأل البقاء بمن
 معه من العسكر والامراء باسنا أو الانحدار الى مصر فكتب له حسن باشا بالانحدار ومعه
 اسمعيل بيك الكبير وباقي الامراء وترك حسن بيك ومحمد بيك المبدول ويحيى بيك
 باسنا مع سائر العسكر فأنحدر عابدى باشا والامراء المذكورون الى مصر فدخلوها في يوم
 الاحد حادى عشر رجب وصعد عابدى باشا الى قلعة الجبل من غير ابهة ولا كبكة فلم
 يستقر به المقام حتى جاءت الاخبار منبئة بزحف ابراهيم بيك وجوعه الى أسوان وانهم
 عبروا النيل الى اسنا فأجلوا عنها من كان بها من العساكر واحتلوها وانحدروا الى جرجا
 فارتحل عنها من بها من العساكر أيضا ورجعوا القهقرى فادهش حسن باشا بهذا الخبر
 وجمع اليه الامراء وأرباب المناصب وشاورهم في الامر فاختلفت كلمتهم وتباينت أهواؤهم ثم
 استقر رأيهم على ان يخبروهم في الصلح بشرط انهم يقيمون في البلاد التي كانت بيد اسمعيل
 بيك الكبير وحسن بيك الجداوى وأن يرسلوا الى مصر أيوب بيك الكبير وأيوب بيك الصغير
 وعثمان بيك الاشقر وعثمان بيك المرادى ليقبوا بها رهائن وكتبوا بذلك مكاتبات وأرسلوها
 صعبة الشيخ سليمان الفيوى وبعض الامراء فقبل ابراهيم بيك ومراد بيك هذا الصلح
 وحنخوا لشروطه فأرسلوا أيوب بيك الكبير رهينة عن المماليك المحمية وعثمان بيك الطنبرجى
 عن مراد بيك وعبد الرحمن بيك عن ابراهيم بيك الكبير فلما تمتل هؤلاء بين يدى حسن باشا
 سأل الامراء في أمرهم فقالوا لم يحضر ممن طلب سوى أيوب بيك الكبير ولا سبيل للصلح
 الا بتنفيذ شروطه فكتب حسن باشا بذلك ثانيا الى ابراهيم بيك ومراد بيك وأرسل اليهما

كتخذاء فقبلوا بشرط اعطائهما بلادا زيادة حيث ان ما أعطى اليهما لم يكفهما فزادهم حسن باشا خمسة بلاد آخر فلما استقرت القاعدة بينهم على ما ذكر جاء الطلب الى حسن باشا بسرعة الرجوع الى دار السلطنة حيث انتشب القتال بين الدولة العلية والروس وقامت الحرب على ساقها فجمع المشايخ وسائر الامراء وعابدى باشا في مقره وقرأ عليهم مرسوم السلطان بالطلب وطرف من أخبار الحرب مع الروس وتولى الروس على ما بقى من بلاد القرم وشنهم الغارة على كثير من أملاك السلطنة ثم ابرز مرسوما آخر يتضمن العفو عن ابراهيم بيك ومراد بيك من القتل وبقاء ابراهيم بيك بقنا ومراد بيك باسنا وعدم التصريح لهما بالعود الى مصر أبدا ثم أظهر عزمه على الركوب والسفر في يوم الجمعة بعد صلاة الظهر ثلثي عشر ذى الحجة من السنة

فلما كان اليوم المذكور ركب جميع الامراء وسار ارباب المناصب لوداعه فلما تكامل حضورهم في مقره أمر فقبضوا على جميع الامراء الرهائن وسلمهم الى اسمعيل بيك وأمر فسلموا له أيضا عدة مدافع وكثيرا من آلات الحرب وقليلونا صغيرا ورتب له جماعة من العساكر السلطانية عددهم ألف وخمسمائة يقيمون بمصر ثم رحل الى الديار الرومية وأخذ معه الامراء الرهائن ففرح الناس بارتحاله اذ لم يروا على يديه خيرا وقد ضاقت نفوسهم مما ذاقوه من جوره وعسفه فانفرد اسمعيل بيك بامارة البلاد وعلت كلمته ونفذت اشارته وهابه الامراء فوزع المناصب العالية بين قومه وأتباعه ومماليكه واستوزر محمد أغا البارودى فأعانه على فعل ما في نفسه فتعقب زلات الناس وأخذ على صغائر الامور وبكائرها وشدد وهدد في طلب المغارم وفرضها على الناس على اختلاف أجناسهم فضجوا واستغاثوا واجتمعوا وذهبوا الى الازهر وصاحوا من جور هذا النازل وحضر الشيخ العروسي فقاموا في وجهه وهموا بقفل أبواب الجامع فنهضهم من ذلك فصاحوا عليه وسبوه وسحبوه بينهم الى جهة رواق الشوام فنع عنه المجاورون وأدخلوه في الرواق ودفعوا عنه الناس وأغلقوا عليه الباب ومعهم طائفة المتعممين وكتبوا كناية بذلك الى اسمعيل بيك وأرسلوها اليه صحبة الشيخ الفيومي فبعث جوابا بالعفو والامان وعدم المطالبة بتلك النوازل وانها انما هي قرض من القادرين على دفعه فلما قرأ عليهم الجواب صاحوا هذه خدعة لا ترضى بها أبدا فركب الشيخ العروسي وحوله هذا الجمع العظيم والغوغاء والمجاورون ولا سيما العميان منهم وطائفة من المجاورين تدفع الناس عن العروسي والعامية يصيحون عليه ويسبونونه ويخاطبونه بفحش القول الى أن وصل الى باب زويلة فنزل بجامع المؤيد وأرسل الى اسمعيل بيك يخبره بهذا الحال فحقق اسمعيل بيك وظن انها مكيدة من الشيخ وانهم انما فعلوا ذلك باغراء منه فأجابه الرسول وحلف له ان الشيخ بريء من ذلك ولا قصد له سوى الخلاص فأرسل لهم بالامان ومعافاتهم من تلك المطالب فبلغهم الشيخ ذلك وأشار عليهم بالانصراف فأطاعوا وانصرفوا ومضى على ذلك يومان ثم أمر اسمعيل بيك فانطلق المطالبون الى أهل الصاغة

والجواهر جيسة والنحاسين وطالبوهم بالمقرر عليهم فقاموا بوفائه صاغرين ثم طالبوا وكلاء
الخلافة وتطرقوا الى مطالبة بقية الاهالى وأرباب الحرف كافة فكانت اثنتين وسبعين حرفة
ولم تكن لتستقر الراحة باسمعيل بيك بعد تلك الخطوب حتى جاءه الخبر بانتفاض
ابراهيم بيك ومراد بيك ومن معهما من الامراء وانهم زحفوا من أسسوط على منفلوط
فهرب من كان بها من الجنود والكشاف وجاءوا الى مصر وأخبروا بذلك فلما تحقق الخبر
صعد اسمعيل بيك في صبح اليوم الى قلعة الجبل وجعل الامراء وكبار الوجقات والمشايخ
وقص عليهم الخبر وقال هل يجوز قتالهم الآن فقال المشايخ يجوز قال حيث جاز قتالهم
فقد وجبت النفقة من الخزينة السلطانية وحيث لا خزينة للسلطان في هذه الديار فقد
وجبت عليكم جميعا فضاخوا عند سماعهم هذا الكلام واعتسذروا وأظهروا العجز وكساد
الحال وضيق ذات اليد فلم يقبل منهم وشدد في الطلب وهدد وبالغ في الوعيد فطالبوا مهلة
وعادوا الى الكلام في هذا الموضوع فانفقوا على أن يبلغوا دار السلطنة خبر انتفاضهم
ورجوعهم الى العصيان وأن يكتبوا لهم أيضا انذارا وتحذيرا فان زحفوا على مصر قبل أن
يأتى جواب الباب العالي قوتلوا ولا تربصوا حتى يأتى الجواب واتفق في هذه الاثناء حضور
وال الى جدة اسمه محمد باشا بعسكر جرار ونزل بالسويس يريد ركوب السفن بعسكره الى
جدة فكتبوا اليه أن يحضر بعسكره الى القاهرة وأمر اسمعيل بيك بغلق جميع أبواب
المدينة الا باب النصر ووضع على الابواب طوائف الحراس وضربت المغارم على البلاد من
أجل نفقة العسكر فجعلوا على كل بلد مائة دينار نقرة وعشرة عدا ما يتبع ذلك من الكلف
وقيدوا بتحصيلها قوما وجعوا جميع ممالك واتباع الامراء الذين مع ابراهيم بيك وهم
الذين تخلفوا بمصر والقاهرة فأخذوا ما وجدوه معهم من خيل وسلاح وأنزلوهم في سفن
الى الاسكندرية وحبسوهم في برج هناك وشرع اسمعيل بيك في اعداد معدات الحرب
وجمع الذخيرة والمؤن واجتهد في سبك القنابل واتقان المدافع وكان يباشر ذلك بنفسه في
كل يوم وبينما هو على هذا الحال اذ قدم رسول من قبل ابراهيم بيك ومعه مکتوب
للأمراء والمشايخ بمصر يكذب فيه ما عزی اليهم من نقض العهد والخروج ويقول ان الذي
انتقض وعمل على خلاف العهد هو حسن باشا القبطان حيث أخذ معه الرهائن وأذاق
الذراى والنساء مضض الضيق فكتبوا له يلاطفونه ويهتفون عليه حتى يتمكنوا من جمع
العساكر والتأهب للقتال ولم يكتبوا له بما وقع الاتفاق عليه حتى جاءت منه مكتابة أخرى
بعزمه هو ومن معه على القتال ومبارزة الاعداء وجهها لوجه لجمع الباشا المشايخ والعلماء
والامراء في ديوانه وقرأ عليهم مكتابة ابراهيم بيك فوقع فيهم الهرج وكثر القتل والقتل
فابرز لهم الباشا فتوى موقعا عليها من شيخ اسلام دار السلطنة أجاز فيها قتال ابراهيم
بيك وجوعه ومحاربتهم ثم طالب منهم أن يفتوه هم كذلك يجوز الحرب والقتال ليدفع

أذاهم عن البلاد وأهلها فنزل المشايخ في الحال من قلعة الجبل الى الجامع الازهر واجتمعوا جميعا ونظموا هذا السؤال

ماقولكم دام فضلكم في جماعة أمراء وكشاف تغلبوا على البلاد المصرية وحصل منهم الفساد والافساد ومنعوا خراج السلطان وأكلوا حقوق الفقراء والحرمين ومنعوا زيارة النبي عليه الصلاة والسلام وقطعوا علوفات الفقراء وجأوا الى المستخدين والانباء وأرسل لهم السلطان يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوا ولم يمتثلوا وكرر عليهم أوامره فلم ينتهوا فعين عليهم عساكره وأخرجهم من البلاد ثم ان نائبه صالحهم وفرض لهم أماكن وعاهدهم على أن لا يتعدوها حقنا للدماء وقطعا للنزاع وتسكيننا للفتن وأخذ منهم رهائن على ذلك ورجع لمخدومه فعند ذلك تحركوا ثانيا وزحفوا على البلاد وسعوا في ايقاع الفساد وقطعوا الطرق ونقضوا العهود فهل يجوز لنائب السلطان دفعهم وقتلهم بشرط عدم ازالة الضرر بالضرر أم كيف الحال * ثم كتبوا الجواب يجوز قتالهم ودفعهم وانه يجب على كل مسلم المساعدة ورفعوا هذه الفتوى الى الباشا فكتب الباشا فرمانا بالقتال ونزل أغاة مستحفظان ونادى في المدينة بقتال ابراهيم بيك ومن معه ونادى على أصحاب الوجاهات بملازمة أبوابهم وعلى العساكر والاجناد بالتأهب للرحيل الى الصعيد وانفق اسمعيل بيك على العسكر وكتب الباشا الى ابراهيم بيك يلزمه الرجوع الى مقره والخلود الى السكون وعدم نقض العهد ودفع الاموال المقررة على اقطاعاته واقطاعات بقية الامراء والا وجب قتالهم فلم يصل اليه هذا الكلام الا وقد زحف من طحطا الى منية ابن خصيب وقسم مراد بيك جميع البلاد التي ما بين منية ابن خصيب ومصر على اتباعه ومماليكه والامراء الذين معه وصمم على الانحدار وإصلاء نار الحرب فلما علم الباشا بذلك قترت همته وضعفت عزيمته وقل اجتهاده في جمع العساكر وترتيب الاجناد ثم بعثنا الى الباشا ثانيا يقولان قد تركنا مصر وما فيها ولم نقصد الرجوع اليها واننا قد اتخذنا هذا الاقليم لنا مقرا فان قاتلتمونا عليه قاتلناكم الى النفس الاخير وان تركتمونا تركناكم ومصر ترتعون فيها وعقدنا معكم صلحا لا يتخلل فان قبلتم ذلك فأرسلوا لنا بعض المشايخ والاختيارية تتفق معهم على ما يحسن السكوت عليه فعقد الباشا الديوان وجمع جميع الامراء والمشايخ وأرباب الوجاهات وتشاوروا في الامر فاتحدت كلمتهم على أن يكتبوا لهما بقبول جميع طلباتهما بحيث انهما يبعثان من قبلهما أميرين كبيرين فيهما الكفاية لفض النزاع ثم يعودان ومعهما من يلزم من المشايخ والاختيارية فقبل ابراهيم بيك ومراد بيك بذلك بشرط أن يكون لهما من البلاد من أسبوط وما فوق وطلبا ارسال المشايخ فارسلوا لهما الشيخ محمد الامير واسماعيل أفندي الخلوفي ولم يرتحل الشيخ ومن معه عن مصر حتى جاء الارصاد فأخبروا بزحف ابراهيم بيك في جوعه الى طحطا وانحداره منها الى بنى سويف وتأكد الخبر فخاف اسمعيل بيك الكبير وهاله الامر وأمر بخروج العسكر فاخرجوا الخيام والمدافع الى ناحية البساتين وعملوا المتاريس ناحية طرا

والمعصرة والجيزة وجمعوا البنائين والفعلة وحفروا الخنادق وبنوا أبراجا من الحجر وأسوارا
لوضع المدافع والمتاريس على جانبي النيل شرقا وغربا وكبر خوف بعض الكشاف والعسكر
من أصحاب اسمعيل بيك وهربوا الى حيث مراد بيك فأحاط اسمعيل بيك بدورهم ونهب
ما فيها وأخرج نساءهم حاسرات حفايا تشغيا وانتقاما وعاد الشيخ الأمير ومن معه وأخبروا
بأنحدار ابراهيم بيك في أربعين من أصحابه الى ناحية بني سويف ولبث بها وانه عدل عن
الاقامة بالصعيد ويرغب الرجوع الى مصر فيعيش مع أصحابه ومن هم بها عيشة راضية
هادئة وعفا الله عما سلف والا فالحرب والقتال فانزعج المشايخ عند سماع هذا الخبر
 واجتمعوا وصعدوا الى قلعة الجبل ودخلوا على الباشا فادرك اسمعيل بيك ما وراء ذلك من
الفسل والخيبة * قال بعض الكتاب * فزور مرسوما من السلطان بالحث على الخروج وقتال
ابراهيم بيك وجوعه فلما استقر بالمشايخ المقام كلموا الباشا في أمر مجيء ابراهيم بيك
فدخل عليهم اسمعيل بيك وأخبرهم بوصول المرسوم السلطاني فأمر به الباشا فقرئ فاختلفت
عند ذلك كلمتهم وتفرقت أغراضهم وكادوا يفترقون على غير طائل ثم عادوا
فاتفقوا على القتال فنودي في الحال على العسكر بالخروج وملازمة المتاريس وفودي في الاجناد
كذلك بعد أخذهم النفقة فخرجت طوائفهم وملأت الحصون والمتاريس واشتد الامر على
الناس فتعطلت الاسواق وارتفع الأمن وكثرت مخاوف الطرق خصوصا خارج أبواب مصر
والقاهرة وتعطلت الاسفار وقل الوارد برا وبحرا واستقدم اسمعيل بيك عرب الهنادى فقدموا
في جوع كثيرة وأخلط عظمة وانتشروا في الجهة الغربية من رشيد الى الجيزة فجعلوا
ينهبون البلاد ويأكلون المزروعات ويوقفون السفن في النيل فيقتلون من بها ويأخذون أجمالها
فبيل انهم قتلوا في يوم واحد من بلدة النجيلة نيفا وثلاثمائة انسان وكذلك كانت فعال عرب
الشرق والجزيرة ببلاد الجانب الشرقي وجاء المدد من الشام بناء على طلب الباشا فحضر
فريق من الارنؤد وكبيرهم اسمه اسمعيل باشا فخرج اسمعيل بيك للقائهم فدخلوا من باب
النصر الى بولاق واستقروا بها فقدمت لكبيرهم التقادم والهدايا النفيسة من جميع الامراء
ولبثوا على هذا الحال من الوقوف خلف المتاريس أياما حتى سئمت نفوسهم وانصب
الكثير منهم الى بيوتهم وكاد يتمزق جمعهم وقد وصل في هذه الاثناء طائفة من جوع ابراهيم
بيك على مقربة من متاريس ناحية طرا وعزموا على ان يدهموا من بالمتاريس في الثالثة
من الليل فسبق العين وأخبر اسمعيل بيك بذلك فانزعج وركب الامراء كافة وخرجوا الى
المتاريس وركب الوالى والاغاة وصاروا يفتحون الدروب والحارات ويخرجون الجنود من
بيوتهم الى الحصون والابراج وبنوا ليلتهم في هرج واضطراب وأصبحوا والمناداة متتابعة
على الاهالى والعساكر والجند بالخروج فلما كان آخر النهار تحقق الخبر بأن ابراهيم بيك وقومه
ترفعوا الى بياضة ثم الى الصعيد

وجاء في هذه الاثناء سفير من قبل قيصر الروس برسالة سرية الى ابراهيم بيك ومراد بيك

ونزل بالاسكندرية فأقام بها أياما وقد علم اسمعيل بيك بخبره فاستقدمه الى مصر بجيلة لطيفة وأول له وليمة فاخرة في قصر العيني ثم قبض عليه في صباح تلك الليلة وصعد به الى قلعة الجبل وحبس به ومنع من الوصول اليه * قال بعض أصحاب التاريخ وكان سبب قدوم ذلك السفير انه لما كثرت عيبت الامراء المصريين بالبلاد وخرجوا عن طاعة السلطان رغب السلطان في قطع شأفتهم ومحو أثرهم ولكنه كان في شغل عنهم بشن الروس الغارة على بلاده وحدود مملكته فكان كلما هم بارسال فريق من عسكره مددا لمن بمصر منهم قامت الروس وشتت الغارة على أملاكه فيجبرهم عن تسليم العسكر الى مصر ويوجه بهم الى رد الروس وهكذا حتى أعياه الحال وكادت تضعف منه الآمال غير انه عزم عزيمة ثابتة على ان لا يبقى لهم أثرا وأمر بجيشوا لذلك جيشا ضخما للغاية فلما علم قيصر الروس بذلك وكان من مصلحته ان تضطرم نارا لحرب بين الفريقين ونظول أيامها أرسل القيصر المشار اليه رسوله الى ابراهيم بيك ومراد بيك يخبرهما بقصد السلطان ويحثهما على جمع الكفة والتكاتف وتخصيص الحصون ومنع حسن باشا أمير السفن من النزول بعسكره الى مدينة الاسكندرية وأغريها من بقية الثغور واجتمع قفصل الروس بابراهيم بيك قبل حضور أمير سفن السلطان وأخبره بخبره فلم يلتفت ابراهيم بيك يومئذ الى قوله فجاء أمير السفن المذكور في عسكره وكان من أمره وما فعله ما مر بيانه وكان لما اشتد الضيق بابراهيم بيك ومراد بيك وأصحابهما أرسلوا الى القنصل بطلبانه فسار اليهما سرا فسألاه المدد فوعدهما ورجع الى الاسكندرية كما حضر وكاتب دولة الروس في ذلك فأجابته الى ما سأل وأرسلت اليه عسكرا جرارا وبعض سفن حربية وقدم ذلك السفير ومعه كتاب القيصر الى الامراء وكان قد شاع خبر رجوعهم الى القاهرة فلما وصل السفير بالكتاب وجد الحال على عكس ما تمنع فكاتب القيصر بصورة ما رأى وانه وان كان الحكيم في البلاد الآن للدولة العثمانية الا أن بمصر من الامراء الذين هم على شاكاة ابراهيم بيك ومراد بيك عدة كثيرة وهم قاهرون للدولة غالبون على أمرها فاذا أمدهم القيصر بعسكره قاموا على الدولة وأخرجوها من البلاد وأذهبوا سلطتها فكتب القيصر الى الامراء بمصر يقول ما نصه * أيها الامراء قد بلغنا ان عبد الحميد الملك الغادر الخائن يريد بكم شررا ويسعى في ايقاع الفتن بينكم رجاء ان يقتل بعضكم بعضا ثم لا يبقى على من بقي منكم وعملك بلادكم ويفعل بها ما فعل بغيرها من البلاد التي دمرها بظلمه وجوره فتيقظوا لانفسكم واطرحوا عنكم الخلاف واطردوا من يأتي اليكم من الترك وارفعوا على حصونكم وقلاعكم رايتنا واختاروا ليكم رؤساء منكم وحصنوا ثغوركم وامنعوا من يصل اليكم من هذه الامم الا من أتى للرزق ولا تهابوه فتحن تكفيكم مؤنته وقلدوا من قبلكم ولاية وعمالا بالديار الشامية كما فعل ملوك مصر من قبلكم ويكون لنا الأمر ببلاد الساحل والواصل لكم كذا وكذا سفينة بها كذا وكذا من العسكر والمقاتلين وعندنا من المال والرجال ما نطلبون وزيادة على ما تظنون اه وجاء السفير بالخطاب ونزل بالاسكندرية وقيل بدمياط

وأنفذ الخبر سرا بوضوئه وطلب الحضور الى القاهرة بنفسه فأعلم اسمعيل بيك الباشا بخبره سرا وأرسلوا اليه بالحضور فلما وصل الى شلقان خرج اليه اسمعيل بيك في نظريدة كأنه لم يشعر بمقدمه وكأنه على العهد معه وأعد له منزلا ببولاق وأنزله به ليلا ثم اجتمع به ومعه على بيك وحسن بيك ورضوان بيك وكانهم هم زعماء العصابة وقرأوا المكاتبة بينهم ولم يتموا قراءتها حتى جاءهم جماعة من اتباع الباشا في طلب السفير وكان ذلك باشارة خفية بينهم وبين الباشا فركبوا معه الى القصر العيني وأرسل الباشا في تلك الليلة الامر بحضور أهل الديوان في صبحها فلما تكامل حضورهم أخرج الباشا تلك المكاتبة فقرئت عليهم قال الراوى لهذه الحكاية فشخصت عند ذلك الابصار ومدت الاعناق وتفرقت الاقوال وتباينت الاغراض ثم عادوا وانفسقوا على أن يبعثوا بها الى دار السلطنة ففعلوا ووضعوا السفير المذكور مكان في قلعة الجبل وأسرعوا في تسيير بعض سفن الحرب الى الصعيد للتشديد في قتال ابراهيم بيك ومن معه * وكانت دولة الروس لا تنكشف عن قتال الدولة العثمانية وتخريض جميع الايالات التابعة لها على الخروج وشق عصا الطاعة فانها بعد أن سیرت سفنها الى مصر وكتبت الى ابراهيم بيك ومراد بيك بما كتبه جعلت تدس الدسائس وتلقى الفتن في بلاد القرم لتتمكن من احتلالها ووضع اليد عليها بحجة منع القلاقل والاضطرابات منها وما زالت على هذا الحال والدولة في شغل عنها حتى قام فريق من أهل القرم على أميرهم دولتشكراي وخلعوه وأقاموا مكانه شاهين كراي خالفهم في ذلك الفريق الثاني وأبوا تعيينه فاشتد الخلاف بين الفريقين وقامت الفتنة وكانت كاترينة قبصرة الروس قد أقامت على حدود القرم زهاء سبعين ألف جندي وجعلتهم على قدم الاحبة والاستعداد فلما بدأت الوحشة تقع بين الحزبين أوعزت الى مقدم ذلك الجيش فدخل بلاد القرم بلا معانعة ولا معارض فتم لدولة الروس وفيصرتها ما كانت تمناه وأصبحت وهي مالكة لجميع سواحل البحر الاسود من الجهة الشمالية فاستعظم السلطان هذا الامر وأكبره وهم بالحرب وعهد الى اعداد معدات القتال وأكثر من تجنيد الجنود وتجهيز سفن الحرب فأشار عليه ملك الفرنسيين يومئذ بالتربص وعدم الاندفاع الى حرب لا تحمد عاقبتها وأعلمه بأن بين كاترينة وامبراطور النمسا معاهدة سرية على قتاله وتخريب مملكته ونحو أثرها من البسيطة فنظر السلطان فلم ير له قبلا على فتح أبواب هذه الحرب فجنح الى مشورة ملك الفرنسيين وغض الطرف عما فعلته الروس بالقرم بل واعترف لكاترينة بملكها على تلك الايالات العظيمة فلم ترض كاترينة من السلطان بهذا الادعان ولسكوت وقد تحققت بحزمه وتقاعده عن الحرب فعمدت هي و يوسف الثاني امبراطور النمسا الى ابقاء نار الفتنة في إيالتى الفلاخ والبغدان وبلاد اليونان وتوغير صمدور مسيحي تلك الايالات على الدولة فأحس السلطان بما وراء ذلك وعلم انهما انما يريدان الحرب على كل حال فعاجلها بها وسير الى سفير الروس في دار السلطنة يطلب منه تقرير أمور لا ترضاهما كاترينة منها جعل الحق للأمورى السلطان في تفتيش جميع سفن الروس

التجارية التي تمر من بونغاز القسطنطينية فلم يقبل السفير شيئا من ذلك البتة فأمر السلطان عند ذلك فقبضوا عليه وسجنوه وساق العسكر فانتشبت الحرب بين الفريقين وخاف إمبراطور النمسا من ظفر العساكر السلطانية بالروس فسير الى مدينة بلغراد جيشا عظيما للاستيلاء عليها وارباله العساكر السلطانية فلم يفلح وعادت عساكره خاسرة وانتصرت عليهم العساكر السلطانية نصرة عظيمة وأدركت السلطان عبد الحميد منيته وهو على قدم القتال ثاني عشرى رجب سنة اثنتين ومائتين وألف هجرية أى سنة تسع وثمانين وسبعمائة وألف ميلادية فكانت سلطنته زهاء ست عشرة سنة وأشهرها فتولى السلطنة بعده ابن أخيه السلطان سليم الثالث ابن مصطفى

(الفصل الحادى والعشرون)

﴿فى سلطنة السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى﴾

ثم قام بالامر بعد السلطان عبد الحميد ابن أخيه السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى ببيع له بالملك فى اليوم الذى مات فيه السلطان عبد الحميد ثانى عشرى رجب سنة اثنتين ومائتين وألف هجرية أى سنة تسع وثمانين وسبعمائة وألف ميلادية فتولى السلطنة وهى مخوفة بصنوف المسكاره والعدو يتهددها بتمزيق شملها ويعمل على ابادتها من عالم الوجود فاشتدت لذلك عزيمه السلطان وجعل يعبى الجيوش ويعد المعدات ويكثر من المؤن والذخائر ويستحث العساكر على القتال ودفع العدو عن البلاد وكانت العساكر قد ملت وكرهت الحرب فساقها فالتقوا مع الروس وعساكر النمسا معا واقتتلوا قتالا عنيفا للغاية دام زهاء ستين يوما ثم انكشف عن هزيمة العساكر السلطانية واستيلاء الروس على أكثر مدن الفلاخ والبغدان وبسارابيا واحتلوا مدينة بندر الشهيرة واحتل النمساويون بلغراد وفتحوا بلاد الصرب وغيرها ثم سارت بعد ذلك العساكر الروسية الى مدينة اسمعيل ونزلوا عليها وقتلوها وكان بها الغازى حسن باشا بعسكر عظيم فقاتلوا عنها واشتد القتال بين الفريقين حتى فتحها الروس عنوة وأباحها قائدهم فاعل فيها العسكر الذبح والنهب وأخشوا فى ذلك جدا وجاء الخبر بما وقع فى المدينة المذكورة الى دار السلطنة فهاج الناس وماجوا وقاموا على ساق وقدم ونادوا بالويل والثبور على الغازى حسن باشا وظلموا قتله أخذا بشار تلك النفوس البريئة فقتل واشتدت الحال على السلطان شدة بالغة وهاله اتحاد الروس مع النمساويين على قتاله وتحقيق ان بقاء الحال على ذلك يدعو الى تمزيق مملكته وتمكن العدو منها فبالغ فى حشد الجيوش وإعداد معدات الحرب واستنهاض همم كبار الجند وأمناء الحرب وبقي الحال على ذلك أياما حتى أتاه الله من الاسباب ما أوقف رجلي القتال وشغل النمساويين بموت إمبراطورهم فنوسطت عند ذلك دولتا الانكليز وبروسيا بين المتحاربين فى أمر الصلح فتم على قاعدة تقررت

لذلك بعد أخذ ورد قد أضربنا عن إيراد تفصيلهما خوفاً الاطالة * ونادى اجتهد اسمعيل بيك الكبير بعد القبض على سفير الروس وسجنه في قلعة الجبل في جمع العسكر ومعدات الحرب وأنشأ في طرا قلعة على ضفة النيل وجعل بها مساكن عديدة ومخازن وحواصل وعمل الابراج والمناريس والابنية ممتدة من قلعة الجبل الى سفحه وأخرج اليها المهمات والادوات وغير ذلك وأرسل الى دار السلطنة بطلب المدد * وارتحل اسمعيل باشا مقدم العساكر السلطانية بعسكره من بولاق الى الصعيد فترصد ابراهيم بيك وجوعه في بلدة صول وعلموا بها سبعة مناريس فلما وصلت سفن عسكر السلطان الى المتراس الاول رست قبالة وأطلقت مدافعها تباعاً فلم تصل الى من المناريس فأطلقت عليها المناريس ووالى الرمي بالقنابل فأحرقت بعضها حتى كادت تغرق بمن بقي فيها فخرج فريق من العساكر الذين بالسفن يريدون الهجوم على ذلك المتراس فدهمهم كمين من أصحاب ابراهيم بيك وأعمل فيهم القتل فقتل منهم خلق كثير وهرب من بقي الى السفن فأخذ أصحاب ابراهيم بيك رؤس القتلى ورفعوها على الرماح ليراها من بالسفن ومع ذلك فانهم أرسلوا الى الباشا في طلب الصلح فلما جنح اليه الباشا ومن معه من الامراء عادوا فتمعللوا ولم يعطوا الرهائن فكبر هذا الامر على الباشا وشدد على مقدم الجيوش السلطانية بسرعة القتال وقطع شأفة هؤلاء الخوارج فقال القائد المذكور بعسكره الى ناحية صول وأخذ من في السفن مما بقي من العسكر وجعلوا على ابراهيم بيك وجوعه في يوم الجمعة ثامن صفر من السنة أى سنة ثلاث ومائتين حملة رجل واحد فأجلوهم عن بعض المناريس وقيل بل هم الذين أغلوا لهم فلما صارت العساكر السلطانية خلف ما أخذوه من تلك المناريس خرج عليهم كمين من الخلف وأعمل السيف في أعقيتهم فقتل منهم مقتلة عظيمة فحصنت العساكر واشتبك القتال بين الفريقين يوم السبت والاحد وإطلاق المدافع متتابع ليلاً ونهاراً فكانت الحرب بينهم سجالاً وكان كل من الفريقين يعمل الحيل وينصب الشباك ويكن ليلاً فيجدون الارصاد والعيون التي لا تغفل وكثر الموات في الفريقين وانفصلوا على غير طائل وقدم المصابون الى القاهرة فانزعج لقدمهم الناس وخافوا عاقبة الهزيمة وتكن ابراهيم بيك وأصحابه من مستقرهم وتربصوا مراقبة الاحوال * واحتاجت العساكر السلطانية الى النفقة فطلبوها من اسمعيل بيك فقررها على البلاد وضيق على أهلها في جبايتها وعمل لها ديواناً في بيت على بيك الدفتر دار فضج الناس واستغاثوا بمشايخ الجامع الازهر ولا محيص فلما علم ابراهيم بيك بالخاح العساكر السلطانية في طلب النفقة واشتغال اسمعيل بيك بجمعها أرسل من قبله رسولا الى الباشا يكلمه في أمر الصلح وقد أعيا عابدى باشا هذا الحال فعقد لذلك الديوان وجع فيه جميع الامراء والمشايخ واستحضر بينهم رسول ابراهيم بيك وسأله عما يطلبه ابراهيم بيك وأصحابه فقال انهم يطلبون أن يكون لهم من أسيوط الى الصعيد الاعلى شرقاً وغرباً بشرط أن يقوموا بدفع الاموال الاميرية والغلال وأن يطلقوا سراح السفن والمسافرين بالغلال والاسباب وأنتم لا تمنعون عنهم الواردين بالاحتياجات الا ما كان من آلات

الحرب أو معدات القتال وبعد أن يتقرر الصلح على هذه القاعدة يعرض منكم ومنهم إلى الدولة وتنتظرون ما يكون فإن جاء الجواب بالعفو والقبول أو تعيبن مكان آخر لاقامتهم فلا يجادلوا ولا ينفقوا بشرط أن يطلعوا على ذات الأمر الذي يرد بذلك فوافق الجميع على هذه الطلبات وكتبوا بها جوابا وسيروا به الرسول وآخرين معه * ووردت الاخبار في هذه الاثناء بمخلع عابدى باشا عن ولاية مصر وتولية اسمعيل بيك كتحدا حسن باشا أمير سفن البحر وفاض الخبر بذلك في مصر والقاهرة وسائر المدن فلما وصل المبعوثون إلى ابراهيم بيك ومعهم المكاتبة على قاعدة ما وقع الاتفاق عليه لإقرار الصلح انتقض وقال لسنا على ثقة من نجاحنا مع عابدى باشا والاعتماد على صلحه وقد بلغنا عزله عن ولاية البلاد فلا نتقدم إلى عقد الصلح معه الا اذا أتاه فرمان من السلطان بتأييد ولايته أو أننا نترصد حتى يتولى الأمر غيره ثم كتب جوابا بذلك وسلمه لمن جاءه من قبل عابدى باشا فغضب عابدى باشا وكاد يتميز من الغيظ وجمع إليه المشايخ والعلماء وقاضى القضاة والأمراء وأطلعهم على الجواب فحسروا في أمرهم وقالوا لا بد من استمرار القتال حتى يرجعوا أو يموتوا عن آخرهم * فقال الباشا قد عيّل صبرى وفرغ تدبيرى فلم يبق عندى الا أن أقبض على جميع نسائهم وأسكنهم في الوكائل وأخذ جميع ما فى بيوتهم وأبيعه وأنفقه على العسكر وأكتب لهم بذلك وتوقعوا جميعكم على ما أكتبه فإن خالفتموني فأنا نارك لكم البلاد وما فيها وأرحل إلى دار السلطنة فأعيش فيها هادئا مطمئنا ثم أخذته بحفصة فقالوا جميعا لانخالف لك كلمة فافعل ما أنت فاعل فكتبوا إلى ابراهيم بيك بذلك ووقع الباشا والعلماء والمشايخ والأمراء كافة على الكتابة ونادى الوالى والاغا بمصر والقاهرة بان من كان عنده وديعة لاحد من اتباع ابراهيم بيك أو جميع من هم معه وأتباعهم ولم يردها لأصحابها عاجلا قتل من غير معاودة وكان ابراهيم بيك قد عمل جسرا من السفن ممتدا من الجانب الشرقى من النيل إلى الجانب الغربى وعبروا جميعا عليه إلى الجانب الغربى فلما وصل إليه الجواب بما ذكر خشى العاقبة وعلم ماسيلحق بالنساء والذرائى فأرسل رسله إلى الباشا بارتحال مع من هم معه إلى الصعيد الأعلى وعدم انحدارهم البتة إلى مصر وانهم لا يأنفون من عقد الصلح على ما رسم به عابدى باشا والمشايخ فعاد الباشا وعقد لذلك ديوانه فأبلغت الرسل أرباب الديوان رسالتهم فرضوا بها وضمن الباشا غائلة ابراهيم بيك وأصحابه وضمن المشايخ غائلة اسمعيل بيك الكبير وحرروا محضرا بذلك ووقعوا عليه جميعا وأرسلوه صحبة مقدم الاختيارية وظهرت علامات الطاعة من ابراهيم بيك ومن معه إذ كسروا ذلك الجسر وسرحوا للسفن بالانحدار فكثرت نوارد الغلال وغيرها وهبطت الاسعار وزال الغلاء واطمأن الفقراء * وقدم في هذه الاثناء رسول من القسطنطينية يحمل ثلاثة كتب سلطانية فأصعده الباشا إلى قلعة الجبل وأمر فعقدوا الديوان وحضره المشايخ والعلماء والأمراء والوجهاء وقرئت تلك الكتب فكان الاول منها بتقرير عابدى باشا واليا على مصر سنة ثلاث ومائتين والثاني بلزوم مقاتلة ابراهيم بيك ومراد بيك حتى يرجعا إلى الطاعة أو يموتا

والتألم بطلب تسيير سفير الروس الذي كان مسجوناً بقلعة الجبل الى دار السلطنة فلما أعوا قراءة تلك الكتب اطلقت المدافع من قصر العيني وقلعة الجبل ومراكب البحر يولاق وذاع الخبر بذلك شرقاً وغرباً وأصبح وقد طلع الباشا الى القلعة واستقر بها فجاء اليه المهتمون وأنزل سفير الروس وسيره الى الديار الرومية وبالغ في التأهب والاستعداد لقتال ابراهيم بيك ومراد بيك حتى يرجعا الى الطاعنة أو انهما ومن معهما يولون عن آخرهم فلم يتم له بعض الاستعداد حتى جاء الامر بالعزل وولاية اسمعيل بيك ووصل رسول دار السلطنة في العاشر من جمادى الآخرة عن طريق دمياط فتنزل عابدى باشا من يومه الى قصر العيني ولبث به أياماً ثم برز بجيانه الى بركة الحاج وسار منها الى ديار بكر وسار معه اسمعيل باشا مقدم العساكر السلطانية التي كانت في قتال ابراهيم بيك

مطلب
عزل عابدى باشا وولاية
اسمعيل باشا

ولما استقر باسمعيل باشا الوالى الجديد منصب الولاية أرسل الى ابراهيم بيك يطلب الغلال والمال حكم قاعدة الاتفاق فلم يرد عليه جواباً ولم يرسل شيئاً من ذلك فخاف اسمعيل بيك الكبير من انتقاض ابراهيم بيك ونزوله الى القاهرة بخيله ورجاله وهى خالية من العسكر والمرابطين فأرسل الى دار السلطنة في طلب المدد فلم يكن بأسرع من ان أرسلوا اليه أخلاطاً من الارنؤد وأهل الاناضول ممن لا كسب له وتواكم حضورهم في هيات مختلفة وأشكال متباينة فأنزلهم في طرا ومصر القديمة والجيزة وبولاق وأجرى عليهم النفقات وجلب له الخناصون المماليك فاشتري منهم عدة كبيرة وخصهم بالغريبة كل ذلك للحرص على مقاومة عدوه وتابع ارسال الهدايا النفيسة والاموال والتحف والخيول العربية وأنواع الاقشة الفاخرة وغير ذلك الى دار السلطنة قصد استمالة جانب الدولة اليه وتقرباً من رجال الحل والعقد بها وتحريضاً لهم على بغض ابراهيم بيك ومن معه ومع ذلك فلم يكن ابراهيم لينكف عن بث العميون والارصاد حول اسمعيل بيك ومن معه ودس الدسائس واستمالة كل من يقدر على استمالته ومازال حتى تمكن بواسطة المعلم يوسف كساب الشامى معلم الجمارك يومئذ من الاتفاق مع أغا جماعة الارنؤد المدعو صالح أغا على ان صالحاً المذكور يسلم الى ابراهيم بيك جميع السفن السلطانية والقلاع التى بناحية طر والجيزة نظير مبلغ من المال التزم به المعلم يوسف وكتب على نفسه تمسكاً به فعلم اسمعيل بيك بخبر ذلك فقبض على المعلم يوسف وسأله فاعترف فأمر به فألقوه في النيل فبات غرقاً وأبعد صالح أغا عن ديار مصر وقيل بل قتله خفية فخابت بذلك مساعى ابراهيم بيك ورأى وجوب الترفع ومراقبة الفرص وان لاشئ أنجح من المطاولة كى تتفرق جوع اسمعيل بيك واخلاطه الذين جاء بهم من البلاد الرومية فلما طال لبث أولئك الأخلاط على هذا الحال بطروا وزاد عسفهم بأهالى بولاق ومصر القديمة والجيزة فضج الناس وملت نفوسهم وضجروا * وكان إلاغا الوالى يخشى من اخلاط أهل الحسينية الى القننة والخروج عند أقل اشارة فكان يكثّر التعبدى عليهم بالضرب والحبس وأخذ الاموال ونهب البيوت لأقل سبب

انخضاعا لهم وتذليلا واتفق انه قبض يوما على شيخ طائفة البيومية وكان له حرمة وافرة بين
أهل هذه الخطة فثار طوائفه على اتبع الوالى ومنعوه منهم وتجمعوا واجتمع عليهم خلق
كثير من تلك النواحي وساروا وهم في ضجة عظيمة وأمامهم جماعة يضربون بالطبول الى ان
وصلوا الى الجامع الازهر وقد أغلقوا الاسواق والدكاكين وصعد جماعة منهم على المنارات
يضجون ويسبون اسمعيل بيك ومن معه وهيجوا من الجامع من المدرسين فقام معهم
العميان وهموا بالخروج ليفسدوا في الشوارع والاسواق فنعهم المشايخ وركب الشيخ العروسى
واجتمع باسمعيل بيك وأخبره بخبر العامة وما يفعله الوالى بهم فاعتذر وقال لو كان الوالى
من اتباعي لخلعت الساعة ارضاء للعامة ولكنه تابع حسن بيك الجداوى وأرسل الى حسن
بيك يخبره بما وقع ويطلب خلع الوالى فلم يرض الجداوى وقال ان كان مراده الرفق بالرعية
فلينزع أولا الاغا تابعه ويخلع رضوان كتحدا المجنون من قلعة الجبل ويخرج مصطفى كاشف
من قلعة طرا ويصرف العساكر القليوبجية والارنؤد الذين عاثوا في الارض ومسلوها فسادا
قال ذلك وخرج الى العادلية مغضبا وكان الوالى المذكور يركب في كل يوم ويمر في شوارع
المدينة بالقاهرة ومصر ليرى العامة أنه أكبر من أن يخشاهم فوقف له العامة بالطرق واجتمع
منهم خلق كثير ووقعت بينهم وبينه مقتلة قتل وجرح فيها كثير واشتد الهرج وكثر اجتماع
العامة جماعات يحملون القرايين والعصى والمساق وامام كل جماعة منهم الطبول فركب
المشايخ كافة وساروا الى بيت البكرى فحضر اليهم اسمعيل بيك وطيب خاطرهم والتزم لهم بعزل
الوالى ومر الوالى في ذلك الوقت على بيت البكرى فنع العامة وصاحوا في وجهه وكادوا
يبتشون به فاستل سيفه وهجم عليهم وشق من وسطهم وذهب في طريقه فزاد الحال بالعامة
وكثرت غوغاء الناس وعلت الضوضاء وسار جماعة منهم يأمررون الناس بغلق الحوانيت واجتمع
آخرون منهم بالازهر يضجون وينادون بالويل والنبور على الوالى وبقي الحال على ذلك ثلاثة
أيام فاجتمع اسمعيل بيك ببقية الامراء وشاورهم في أمر العامة فاتفقوا على خلع الوالى والاغا
معا ونادوا في الناس بذلك فهلل العامة وانصرفوا وانقضت الفتنة * وعقب هذا الحادث بيومين
غامت السماء غما عظيما مطبقا وسحت الامطار كأفواه القرب مع رعد شديد الصوت
وبرق هائل متتابع متصل يخطف الابصار واستمر ذلك ليلة الجمعة ويوم الجمعة والامطار لا تنقطع
حتى سقطت الدور القديمة في عدة جهات ومات من كان بها من السكان وانحدر السيل من
الجبل شديدا حتى ملاء الصحراء وخارج باب النصر فهدمت المقابر وخسفت وانحدر السيل من
باب النصر فدخل المدينة وامتلاّت الكوائل بالمياه وكذلك جامع الحاكم وسقطت عدة بيوت
من الحسينية وكان ذلك أمرا مرعبا جدا فظن الناس انها تشقى ونقمة من قبل الله سبحانه
وتعالى وانذار للأمراء على ما فعله الوالى بشيخ البيومية وما يفعلونه في كل يوم بخلق الله وتكلموا
كثيرا في هذا الامر حتى كاد الامراء يعتقدونه ولم تكذب تجف الارض من مياه ذلك السيل
حتى ظهر الطاعون واشتد وكثر الموات في الامراء والصناعي وأرباب الوجافات والمماليك

فصار الظن عند الناس يقينا واشتد الطاعون شدة لم يسبق لها مثيل وكثر الموات كثرة بالغة فمات ما لا يكاد يدخل تحت الحصر من الاطفال والشبان والحوارى والعبيد والمماليك والاجناد ومن امراء الالوف نحو الاثنى عشر أميرا ومات اسمعيل بيك الكبير شيخ البلد المشار اليه فكان لوفته ضجة ورجة ووقع الموات أيضا في طوائف العسكر الذين ببولاق ومصر القديمة والحيزة وعلى الخصوص منهم القليوبجية والارنؤد فكانوا يحفرون الحفر بجانب أبي هريرة ويلقون الاموات فيها بلا غسل ولا كفن وكان يخرج من البيوتات الكبيرة في جنازة واحدة الخمسة أو الستة نعوش معا لكثرة الموات وقيل العشرة أيضا وكثر تراحم الناس على الحوانيت لاختذ المغسايين والمغسلات والنعوش لنقل الاموات واشتد الخوف بالناس شدة عظيمة ونذر جدا من كان يصاب بالطاعون ولا يموت ونذر ظهور الطعن في الابدان ولم يكن يحجم المصاب كما هي عادة الطاعون بل يكون الانسان جالسا فيرتعش ويبرد فيدثر فلا يفيق الا مخطئا ويموت من نهاره أو ثلثي يوم وربما زاد أو نقص واستمر الحال هكذا شهرين الى أوائل رمضان سنة خمس ومائة وألف ثم ارتفع ولم يقع بعد ذلك الا قليلا نادرا وكان ختام انفضاضه موت الانا والوالى فولوا غيرهما فماتا بعد ثلاثة أيام فولوا خلاهما فماتا أيضا فكان ذلك من غريب الاتفاق وأعجب ما سمع به

ولما مات اسمعيل بيك الكبير تنازع الرياسة حسن بيك الجداوى وعلى بيك الدفتر دار ووقع بينهما نزاع طويل الاهداب واشتد بينهما الخلاف ثم عادا فاتفقا بعد كلام طويل على تعيين عثمان بيك طبل تابع اسمعيل بيك المذكور في مشيخة البلد واعطائه دار سيده ففعلوا ذلك قال بعض كتاب الاخبار وكأنهم تابوا عن اذى الرعية وكفوا عن احداث المغارم والكلف وقصرت أيديهم عن نهب البيوتات العامرة بعد الذى رأوه من فعل الطاعون بهم وفتكه فيهم فنادوا بابطال جميع ذلك وطاف المنادون أياما متواليمة فاطمأنت قلوب الرعية قليلا وقالوا أفلى إن صدق * وورد الخبر عقب ذلك بقليل بجلع اسمعيل باشا الوالى عن مصر وبولية محمد عزت باشا الذى كان واليا على جدة فنزل اسمعيل باشا من قلعة الجبل الى قصر العيني وأنزل جميع أمتعته وتأهب للسفر الى موره حيث تقلد منصب ولايتها فنعه الامراء من ذلك حتى يحضر محمد باشا عزت ويرى فيما له وما عليه للخزينة فأبى اسمعيل باشا الا السفر فحجروا عليه بقصر العيني ووقف الحراس على أبوابه أياما حتى حضر محمد باشا عزت الى القاهرة فى شوال من السنة أى سنة خمس ومائتين ورسى سفينته على بولاق فنزل لاستقباله الامراء كافة وركب معهم الى قصر العيني ثم ركب فى يوم الاثنين رابع الشهر وصعد الى قلعة الجبل فلما استقر به المنصب نظر فى حساب اسمعيل باشا واستخلص ما كان فى ذمته ثم انزل متاعه بالسفن ولم تقلع من ساحل بولاق حتى ورد الخبر بإعادة محاسبته على مال الخزينة واستخلاص ما أخذته منها فعوقوه ووقفوا سفنه حتى استصفوا ما عليه وسافر بعد ذلك بأيام قليلة * ولم يتمكن محمد عزت باشا من التصرف حتى جاءه

مطلب
عزل اسمعيل باشا وولاية
محمد عزت باشا

الخبر بتحرك ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك للقتال وعقدتهما النية على الانحدار بمن معهما الى مصر ودخولها إن طوعا وإن كرها وقد تحقق الامر اذ انحدر مراد بيك من الصعيد الى منية ابن خصيب وانتشرت بجوعه في المقدمة وعبر بعضهم النيل الى الشرق ووصلت طلائعهم الى العياط وتربص ابراهيم بيك بمنفلوط ينتظر ارتحال الحاج من القاهرة فينحدر اليها عاجلا بجموعه ومن معه من الامراء فأخذ محمد عزت باشا والامراء بمصريتهأهبون للقتال وأرسلوا على بيك الى طرا وآخر الى الجيزة وأخذوا في الاهتمام وحفروا خندقا من النيل الى المتاريس وبالغوا في التاهب وأكثروا من الحيلة فيبيناهم على هذا الحال من الاهتمام والارصاد تنقل لهم أخبار مراد بيك وأصحابه اذ جاء عمر أفندي مكرم الاسيوطي بكتاب من ابراهيم بيك خطابا الى شيخ البلد والمشايخ والباشا فعقد الباشا ديوانه وقرئ الكتاب فكان حاصل ما فيه رغبتهم في العودة الى مصر بعد هذه الغربة الطويلة والوعد منهم بملازمة الهدوء والسكينة وعدم الخروج عن حد الطاعة وان قد جاءهم مرسوم من دار السلطنة على يد رسول مخصوص بالعفو عما سلف وان المشايخ يضمنون حسن سيرهم واستقامة أحوالهم فلما أتموا قراءة الكتاب سأل الباشا المشايخ ماذا تقولون في هذا الطلب فقال الشيخ العروسي أصلح الله الأمير ان كان التفاهم بينهم وبين أمراءنا المصريين الموجودين بين ظهرانينا فائنا نترجي عندهم وان كان ذلك بينهم وبين السلطان فالأمر لنا بمراد مولانا السلطان فبعد جدال وقيل وقال اتفقوا جميعا على ان يكتبوا جوابا محصلا * ان طالب الصلح لابد أن يقدم الرسالة بذلك قبل أن يتحرك من مكانه وذكركم انكم تائبون وقد تقدم منكم القول بالتوبة فلم نراها أثرا على ان شرط التوبة رد النظام وعدم اضرار خلق الله تعالى وأنتم لم تفعلوا ذلك ولم تدفعوا ما عليكم من مال الميري في هذه السنة فان كانت نواياكم ثابتة على الصلح وجب ان ترجعوا الى أما كنكم وترسلوا المال والغلال وسنطلب لكم من مولانا السلطان العفو فان عفا عدتم الى دياركم والا فلا * ووقع جميع من حضر على هذا الجواب وبعثوا به على يد السيد عمر ثم قرروا بعد ذلك نفي وتبعيد جميع اتباع ابراهيم بيك ومراد بيك الذين بالقاهرة ومصر فأبعدوهم ووضعوا على أبواب المدينة الحراس والمرابطين ونادوا على العساكر والاجناد بالخروج الى طرا وملازمة المتاريس والخنادق وأشار الامراء على الباشا بالنزول من القلعة الى طرا وملازمة المتاريس فنزل وخرج اليها وخرج أيضا جميع الامراء وطاف الانا والوالى وهما يناديان على الجند بأن لا يتخلفوا وتسلم المرابطون بقلعة الجبل أبوابها وشدوا المراقبة وأتى الجواسيس فأخبروا ان مراد بيك وأصحابه على عزم الانحدار الى العادلية من خلف المقطم فأرسل الباشا بعض الامراء الى العادلية فعمسكروا بها وأرسل أيضا الى عرب العائد فجاءوا الى العادلية ونزلوا بها فلما كان الليل تحول الباشا وجميع الامراء الى ناحية العادلية وأخذوا بعض المدافع وآلات الحرب والمؤنة وعملوا فيها المتاريس والخنادق فلم يكادوا يفرغون من عملهم حتى شاهدوا ابراهيم بيك ومراد بيك وأصحابهما منحدرين من الجبل الى العادلية في أسوأ حال فهم الامراء المصريون

بالهجوم عليهم وأخذهم في حالة التعب ففتحهم عثمان بيك أبو طبل من ذلك ونبط همهم
 وقد كان على عهد مع ابراهيم بيك ومراد بيك بحضورهم في هذا الحين ثم أمر فرجعت
 جميع آلات الحرب والذخيرة الى القاهرة ولبثوا واقفين على ظهور الخيل من غير ان يبدوا
 حراكا ففتح ابراهيم بيك وقومه وترفعوا عن مواقع المتاريس ونزلوا عند سبيل علام للراحة
 حتى يتكامل حضورهم ثم نصبوا خيامهم واستراحوا الى عصر اليوم كل ذلك وعثمان بيك
 والباشا ومن معهم لا يبدون اشارة وركب من كانوا مع الباشا مصطفى كاشف كتحدا على بيك
 الذي هو مملوك محمد بيك الاني وهو أحد الذين كانوا مع ابراهيم بيك الكبير وأخذ معه خمسة
 مماليك وانحاز الى أستاذه بمسكن ابراهيم بيك وركب محمد بيك المبدول أيضا وانحاز باتباعه
 الى أستاذه ابراهيم بيك وكذلك فعل قاسم بيك فانحاز الى مراد بيك الكبير وكذلك مصطفى
 كاشف الغزاي الذي هو أخو عثمان بيك طبل شيخ البلد واستوثق لآخيه فكتب اليه
 ابراهيم بيك بالحضور فلم يتمكن من الذهاب اليه الا بعد العشاء الأخيرة حتى انفرد عن علي
 بيك وحسن بيك الجداوي فلما فعل ذلك وفارقهما علما حقيقة الخبر وأحسا بانهما قد وقعا
 في مخالط العطب فأغى على علي بيك ثم أفاق وركب مع حسن بيك الجداوي وأتبعهما
 وعدتهم ستة وبعض المماليك والخدم وذهبوا جميعا من خلف القلعة الى الاقاليم القبلية
 حيث كانت أنصامهما * فسبحان مقلب الاحوال وهادم بناء صروح تلك الاعمال انه
 الواحد القهار * ولما التقى عثمان بيك بابراهيم بيك الكبير أجله كثيرا وأرسله مع ابنه
 مرزوق بيك الى مقر مراد بيك فسلم عليه وقد حضر أصحاب الوجاهات والاختيارية وأرباب
 المناصب للسلام وبدأ أتباعهم بالدخول الى القاهرة طول ليلة السبت حادى عشرى القعدة
 سنة خمس ومائتين وألف هجرية وأصبحوا قد دخلت الاجال والجمال والدواب فكانت شيا
 كثيرا جدا ثم دخل ابراهيم بيك ومر بالمدينة ومعه امرأته ومماليكه وأكثرهم لابسون الدروع
 ثم دخل بعده سليمان بيك الانغا وأخوه ابراهيم بيك الوالى ثم بقية الامراء ودخل مراد بيك
 من طريق الصحراء ونزل على الرميثة ومعه عثمان بيك الاسماعيلي الذي هو عثمان بيك
 أبو طبل شيخ البلد وجميع أمرائه ومماليكه واتباعه ودخلوا بيوتهم وكان في أكثرها عائلات
 الامراء الذين هلكوا باطاعون وبقى بها نساؤهم ومات أغلب نساء الذين كانوا بالاقاليم القبلية
 من الامراء فلما رجعوا وجدوها أهلة بالنساء والجوارى والخدم فترجوهن وجددوا فراشهم
 وعملوا أعراسهم ومن لم يكن له منهم بيت دخل ما أحب من البيوت وأخذ بما فيه من غير
 ممانع وكأن الله سبحانه قد أورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأزواجهم وهي عبرة وتذكرة
 وركب الانغا في ثاني يوم ونادى على طوائف القليو نجية والارنؤد والشوام بالرحيل عن
 مصر عاجلا وكل من وجد منهم بعد ثلاثة أيام قتل بغير معاودة وتبعهم المماليك والخدم
 فكانوا اذا رأوا أحدا منهم قبضوا عليه وأخذوا ما معه من السلاح وأشبعوه ضربا
 وكانت العامة تسخر بهم ثم صعد ابراهيم بيك ومراد بيك ومن معهم من الامراء الى

الباشا بقلعة الجبل فقابلهم بالترحاب وخلع عليهم الخلع وكتب الى دار السلطنة يومئذ بكل ما جرى ولم تكذب تستقر بهم الراحة بعد تلك الخطوب المدهمة حتى جاء الخبر بان حسن بيك الجداوى وعلى بيك الذين فرا الى الصعيد قد ضبطا المراكب المنحدرة الى مصر باموال ومتاع ابراهيم بيك وأخذوا ما فيها ومنعوا من نزول الغلال وعبثا بالبلاد فاهتم ابراهيم بيك لذلك وجيش جيشا وسلم قيادته الى ابراهيم بيك الوالى وقد علم عثمان بيك المرادى ولاية الصعيد وسيرهما للقبض على حسن بيك وعلى بيك المذكورين وبينما هم على هذا الحال قدم رسول من دار السلطنة يحمل فرمانا بالعفو عن ابراهيم بيك ومراد بيك ومن معهما من الامراء والجنود والاذن لهم بالرجوع الى مصر والبقاء فيها وكان ذلك بالتماس من محمد باشا عزت حيث كتب الى الباب العالي يبالغ فيما ينجم عن بقائهم خارج مصر وفيما هم عليه من المنعة والقوة وفي عجز الامراء الذين بمصر عن ردهم فعقدوا لذلك الديوان بقلعة الجبل فلما قرئ فرمان أطلق المدافع وخلع عليهم الباشا خلع الرضا ونزلوا فزارهم العلماء والمشايخ والامراء وقدمت لهم التقدام والهدايا واستقرت بابراهيم بيك ومراد بيك المناصب وبث ابراهيم بيك العميون لتأني له بخبر حسن بيك الجداوى وعلى بيك بخافوا وأخبروا بانفصال حسن بيك عن على بيك ونذهابه الى جدة عن طريق القصير فاطمأن قلبه وسكن روعه وأخذ في تقسيم المناصب بين أتباعه وأتباع مراد بيك فعزل وولى وأحكم الامور وفتح أبواب المغارم القديمة والفرش والضرائب الفادحة وقد أرباب الجباية وأصحاب المكوس وسيرهم الى القرى والارياف فضلا عن المدن هذا والغلاء منشب أظفاره في جوف البلاد لتقصير النيل في عامه وعدم وجود الغلال وقد تولد عن ذلك اختصاص الامراء بما وجد من الغلال في بعض القرى فنقلوه لانفسهم ووقع القحط في البلاد فهام أهلها ودخلوا مصر والقاهرة طلبا للقوت فكانوا يلوفون في الازقة والحارات والشوارع طائفة خلف طائفة يضجون ويبكون من الجوع وكانوا يلقون باطفالهم في جوانب الجدران أمواتا من الجوع وكذلك كان يقع من أهالى مصر والقاهرة ويموت منهم في كل يوم خلق كثير وكان اذا وجد الارب القمح يبيع بثمانية عشر ريالا والشعير بخمسة عشر والفول بثلاثة عشر ريالا وكانت الاوقية الخبز بنصف فضة واشتد القحط وكثر الصياح والعيول ليلا ونهارا فكانت لاتكاد تقع الارجل الا على خلائق مطروحة بالازقة وكانوا اذا مات جمار أو فرس أخذوه وأكلوه نيئا ولو كان منتنا ثم زاد الحال شدة فصاروا يخطفون الاطفال من أحضان امهاتهم ويأكلونهم فانكف الناس عن الخروج بأطفالهم وطال الحال على ذلك أياما حتى جاءت الغلال من الديار الرومية وتتابع ورودها فكثرت وارتفع القحط فأكل الناس وشبعوا ووافق ورود هذه الغلال حصاد الذرة فعاد الناس الى بلادهم وعمرت بعض القرى بعد نراهم فكانت شدة عظيمة للغاية وعلا النيل ووفاء فأنحطت الاسعار وبورك في رعى الغلال فكان الفدان الواحد ينتج غلة خمسة اقدنة وبلغ النيل زيادته المتوسطة وعم الماء غالب الارض فأحيها بعد الموت

ووصل في هذا الحين الى ثغر الاسكندرية يوسف باشا صدر الدولة العثمانية يريد الاقطار
 الجازية فاهتم ابراهيم بيك بشأته جدا وأرسلوا اليه الملايين وقدموا التعالي والتقدم الثمينة
 وهبوا لمقامه قصر العيني وزينوه بأنواع البسط والفرش الفاخرة وأنزلوه به وتعلموا بين يديه
 فخرج على ابراهيم بيك ومراد بيك خلعة سنية وقدم لهما حصانين مسرجين مرخمين
 وتخوف ابراهيم بيك من حضوره في هذا الحين وترامت ظنونه الى المرمى البعيد فاعمل الحيلة
 ووضع خلفه عبد الرحمن بيك الابراهيمى ومعه فريق من الجند فصعد الصدر المشار اليه
 بعد أيام الى قلعة الجبل باستدعاء من محمد باشا عزت ثم نزل الى مقره وأخذ ابراهيم بيك
 في اعداد ما يلزم لسفر الصدر المذكور من غلال وأرز وتعالى هندية وغير ذلك من الهدايا
 والنفائس خوفا من طول لبثه عصر وفساد أمورهم وأعدوا له السفن بالسويس فركب
 في أواسط جادى الثانية من السنة أى سنة ثمان ومائتين والى هجرية فزالت مخاوف
 ابراهيم بيك ومراد بيك وعادا الى ما كانوا عليه من أعمال الجهد في تحصيل المغارم وتقدير
 المكوس والضرائب وغير ذلك وأكثروا من أعوان الجباية وبشوههم في البلاد والقرى
 لايساريون غنيا ولا يرجون فقيرا * وجاء الخبر بتوجيه مسند الصدارة الى الوزير محمد باشا
 عزت والى مصر وتولية صالح باشا بدله فنزل محمد باشا من القلعة وسافر الى الاسكندرية
 في صفر من السنة أى سنة تسع ومائتين وألف وأقام بالاسكندرية أياما حتى قدم صالح باشا
 في العشرين من ربيع الاول ووصل تقليد الصدارة الى محمد باشا عزت وهو بالاسكندرية
 فنزل من فوره وسافر الى دار السلطنة وحضر صالح باشا الى القاهرة وصعد الى قلعة
 الجبل في الموكب المعتاد وصعد الامراء والمشايخ للسلام عليه فقابلهم وأكرم لقاءهم
 وأراد التصرف في الامور والنظر في مصالح الخلق فلم يتمكن تغلب ابراهيم بيك ومراد
 بيك واستقلالهما بالامر فالتزم التجب والانكماش وبقي على هذا الحال عشرة أشهر حتى جاء
 الخبر بخلع وتولية السيد أبى بكر باشا وذلك في ذى الحجة من سنة عشر ومائتين وألف فنزل
 من قلعة الجبل الى قصر العيني ونأهب للرحيل وأقام به أياما فلائل ثم سار الى الاسكندرية
 فكانت مدة ولايته زهاء عشرة أشهر * وحضر السيد أبوبكر باشا من الاسكندرية الى
 القاهرة وركب في الموكب المعتاد الى القلعة في الخامس والعشرين من ربيع الاول سنة
 احدى عشرة ومائتين وألف هجرية فلم يكن له من حظ الولاية الا ما كان لغيره من الولاية
 فكان مغلوبا على أمره والكلمة لابراهيم بيك ومراد بيك والناس في غم من الضرائب
 الفادحة والمغارم المتواليمة والمكوس المتراكمة وضجيجهم مستمر وابتالهم الى الله تعالى
 متواصل بزوال دولة الظالمين ومحو آثار القوم المفسدين وقد بلغت منهم الروح الحلقوم
 والعظم السكين فأرسل الله سبحانه على زمرة المماليسك بونا بارتة قائد جيوش الفرنسيين
 في عسكر عظيم فقهروهم وأباد سلطانهم حينما كما سيأتى بيان ذلك في محله ان شاء الله

مطلب

عزل محمد عزت باشا وولاية
صالح باشا

مطلب

عزل صالح باشا وولاية
أبى بكر باشا

(فصل)

في

(نزول نابوليون بوناپارته بجيشه على مصر وما جرى بعد ذلك من الحوادث والحكم)

لما عظمت دولة الفرنسيين وكبر سلطانها بما عانت من الغزو وتدويح الممالك على يدي قائد
عسكرها العظيم بوناپارته الكبير واتسعت كلتها وامت هيبتها مشرق الارض ومغربها بعد
قتل لويس السادس عشر ملكها وقيام الحكومة الادارية فيها لم يبق من معاند لها ولا واقف
في وجهها كما قاله أصحاب الاخبار سوى دولة الانجليز فانها كانت لا تضن أبدا ببذل كل مرتخص
وغال في سبيل اذهاب تلك السلطة ومحو تلك الهيبة وقطع شأفة ما استقر منها في قلوب كبار
الممالك والدول الذين علا هامتهم سيف بوناپارته العظيم فأذلهم وأخضعهم وكان كلما عاهدت
دولة الفرنسيين دولة بعد الغلبة عليها حقنا للدماء أو حفظا لحرمة الجوارح كلها الانجليز
ودفعوا بها الى نكث العهود ونقض الوعود وأمدوها بما تحتاجه لذلك من المال ومعدات
القتال أو تاركت دولة أخرى أنقضها الانجليز الى القتال قبل انقضاء الاجل وحسنوا
لها القبيح من هذا العمل فكان بوناپارته من ذلك في كمد دائم وحزن ملازم لا ينكشف
عن تدبير الخيل وتعليل الامل بكسر شوكة هذا العدو الألد وسحق سلطانه من أدنى الافطار
الى أقصاها فكان مما دبره يومئذ نزع الملكة الهندية من يد الانجليز وبذل النفس والنفس
في سبيل ذلك وكانت رأى أن هذا الامر لا يتم الا بنزوله بجيش عرمرم على مصر واستخلاصها
من أيدي الممالك وجعلها رباطا لحركانه الحربية ومقرا لمناوشاته السياسية فجعل يفكر
ويتدبر وهو قلق البال مضطرب الاحوال حتى اجتمع رجال الحكومة الفرنسية وهم
المعروفون في ذلك الوقت برجال الادارة وكشفهم على مافي نفسه وبالح في الشكوى وأراهم
أنه لا سبيل الى الخلاص من مخالب هذا الاسد الرابض الا بارهابه وتذليله ومناقضته في أرض
الهند الواسعة ففكر رجال الادارة في ذلك حينما أحلوه محلا عظيما فكانوا فيه بين إقدام
وإحجام وخوف ورجاء فأنس منهم بوناپارته ذلك فجعل يشجعهم ويستميلهم وكتب اليهم كتابا
يقول ما يحصل ترجته

لستم تنكرون أيها السادة أن مصر أكثر المدن خصوبة وأكبرها عمراناً وانها انما كانت
اهراء لاهل رومية وفي هذا الاوان لاهل القسطنطينية فان أرضها تنبت القمح والبقول والارز
وسائر أنواع البقول فضلا عن القطن وقصب السكر والكتان والنبالة والقنب والخيار
شبر والسنامكي والنطرون وفيها من الماشية أشكال ومن الطيور الداجنة ألوان فضلا عما
فيها من الحجر والابل التي لا مثيل لها في أقطار الارض ومصر كما لا يخفاكم مركز
متوسط بين قارتي آسيا وأفريقية تؤمه القوافل من جزائر العرب والشام وسواحل الغرب

وبلاد الحبشة وربما جاءت من رأس الرجاء الصالح والنغال بأنواع المتاجر من الزيت والخشب والفحم والبن ومن الجوار والعبيد والصمغ والتبر والريش وسن الفيل والشالات والعطريات والاطياب وسائر صنوف المتاجر والمحصولات الهندية وقد كانت هذه المحصولات والارزاق العظيمة تأتي الى بلادنا قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح من طريق مصرفي منذ القدم الطريق المأمون والسبيل الميمون ما بين قارنى آسية وأروبا وكانت تلك الارزاق والمحاصيل العظيمة تخط أحوالها قبلا عند مدينة برنيس على ساحل القلزم ثم تنقل منها حالا على ظهور الابل الى مدينة طيبة زهاء أربع وعشرين مرحلة ثم تسير منها في النيل الى قارة أوروبا وكانت في بعض الاحيان تنقل بحرا الى القصير ثم الى مدينة السويس ومنها على ظهور الابل الى منف فتأتينا كما هي وليعلم السادة رجال الادارة أننا لو فتحنا هذه الديار وأحسننا سياسة أهلها ودبرنا شؤونهم على ما تقتضيه مصلحتهم خسين عاما فقط لعمرت البلاد وسعدت وزاد عدد أهلها أضعاف أضعاف ما هم عليه الآن وراجت محاصيل بلادنا فيها وفيما جاورها من الامصار وأغنمتنا عن أمريكا وكفتنا مؤنة التعاقد معها وليعلم أيضا السادة رجال الادارة أنه اذا قدر الله ركوز قسدمنا في تلك الديار ووفقنا الى حسن ادارتها قصرت أيام الانجليز في بلاد الهند وصار جلاؤهم عنها أمرا خفيفا فأننا نقيم الجند المرابطين على سواحل القلزم وننشئ المعاقل والحصون المنيعـة ونؤخر فيها ما نشاء من محاصيل تلك البلاد ونحوّل التجارة الهندية اليها على أهون ما يكون واذا فرضنا بقاء الانجليز في رأس الرجاء الصالح وقلنا باستحالة رحيلهم عنها فانه يكون من السهل علينا أن نباريهم ونفتح بين النيل والقلزم نرعة تذلل لنا المصاعب وتذهب عنا تلك المتاعب ونسكون قد غلبنا الانجليز وقهرناهم وقبضنا على زمام تجارتهم بيد من حديد وعندى أن فتح هاته الترعة ليس بالامر الصعب فقد كانت جارية من قبل وأمارها باقية الى الآن * وفي فتح مصر وبسط يدنا عليها الطامة الكبرى على الانجليز والداهية الدهياء التي لا بد وان تذهب بهم الى حضيض الذل والدمار اه

فلما وقف رجال الادارة على ما في خطابه هذا من البراهين الدامغة والحجج القوية حاروا في أمرهم وخشوا شر العاقبة وقد كانوا يرون في دولة الانجليز أمة قادرة غنية تضرب بحسام غناها ذات اليمين وذات الشمال كما كانوا يرون في بونابارته هماما مقداما حسن السياسة والتدبير كبير المعرفة باحوال الممالك والامم فلما كان الخامس من شهر مارس سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وألف ميلادية أى سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف هجرية اتفق رجال الادارة مع بونابارته على تسير حملة يقودها هو مع من يصطحبهم لنفسه من رجال الحرب ففرح بونابارته فرحا لا يوصف وبقي السرمكتوما بينهم لا يعلم به أحد البتة ثم جعل من هذا الحين يجيش الجيوش وبعد المعدات فاجتمع له أربعون ألفا من المقاتلين وأربعون ألفا من نخبة القواد أهل النجدة ومائة من المهندسين ومثلهم من أهل العلم بتخطيط الارض وأصحاب الكيمياء والطبيعة ونحوها ومعهم مطبعة عربية وجماعة من الكتاب

والمرجبن والاطباء والجراحين والكهالين ومثلهم من الصنائع وأصحاب العمل والحفر والنقش وهيا عمارة عظيمة لم ينقصها شئ مما من آلات الحرب والقتال وأميرها بريس أحد كبار أمراء البحار وهي مؤلفة من مائة سفينة بين كبيرة وصغيرة وبينها سفينة عظيمة للغاية اسمها الشرق تحمل مائة مدفع وعشرين مدفعا ومن سحب بونابارته في هذه الحملة من كبار القواد كلابير وديزيه المشهوران ورينير وبون وينو للشاة والقائد موراث للفرسان ودومارتين لاصحاب المدافع وكافراي للهندسين وخرجت سفن الحرب بما عليها من المقاتلين البحرية وهم زهاء عشرة آلاف من أربع جهات متباعدة بعضها عن بعض حتى لا يعلم بخبرها أحد من عيون الانجليز وخرجت معها السفن والشوافي التي كانت تحمل جيوش الحملة فكانت تجلثها زهاء سبعمائة سفينة وسار معها بونابارته وحاشيته في التاسع من مايو من السنة تخرجهم السفن في عرض البحر فأنفذ رجال الادارة الى دار السلطنة العثمانية (آلاتاليان) أحد كبار السياسة سفيرا من قبلهم لبكلم السلطان في أمر حملة بونابارته هذه والاقرار عليها فسافر الى القسطنطينية ولم يعلم بخبره أحد البتة

ولما فاض الخبر بقيام تلك الجيوش العظيمة والمعدات الهائلة كثر تحدث الناس بها وتراحت ظنونهم الى المرحى البعيد فن قائل انها لقتال الانجليز وإبادة سلطنتها ومن قائل بل انها لفتح الممدين والامصار في آسية وأفريقية ومن قائل غير ذلك وطارت الاخبار بذلك الى الآفاق تخاف الانجليز شر العقابة وجعلوا يتدبرون في الامر ويبالغون في البحث والتجسس فلم يقفوا لهذه الحملة على جليلة خبر فكبر عليهم هذا الامر وأعظموه وأنفذوا الامير نلسون أحد كبار البحر عندهم في أسطول عظيم وعهدوا اليه أن يتبع سفن بونابارته أينما حلت وأن لا يمكنها من عمل شئ البتة فسار نلسون بسفنه يختر في عرض البحار وقد ظن ان بونابارته انما خرج بجيوشه يريد مصر أو الشام فسار قاصدا مدينة الاسكندرية فأدركها يوم الخميس ثامن المحرم افتتاح سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف هجرية أى سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وألف ميلادية وسفنه أمامها وكان العامل عليها السيد محمد كريم أحد عظماء البلد ثم أنزل نلسون نفرا من عسكريه في زورق فطلعوا الى البر وطلبوا لقاء السيد محمد كريم فأدخلوهم عليه ومعه بعض أعيان المدينة فسألهم عن حالهم وشبب حضورهم بتلك السفن الكثيرة في ذلك الوقت فقالوا أننا نبحث عن طوائف من الفرنسيين خرجوا في عمارة عظيمة يريدون جهة من الجهات ولا ندري اين يقصدون فرمنا دهموكم فلا تقدررون على ردهم ولا تتمكنون من منعهم ولذلك رأينا ان نرسو ههنا بما كبنا للحفاظ على المدينة ومن فيها ولا نسألکم شيأ من المدد سوى الماء والزاد بثمنه فظن السيد محمد كريم انها خدعة وحيلة فقال هذه بلاد السلطان فليس للفرنسيين ولا لغيرهم عليها سبيل فعادت رسل الانكليز بغير طائل وأقلعوا ليمتاروا فيسير السيد محمد كريم الى كاشف البحيرة من يخبره بخبر تلك السفن ويأذنه يجمع العربان والاتبان بهم الى الاسكندرية للحانظة عليها فلما شاعت هذه الاخبار بالقاهرة

ومصر خاف الناس وتحدّثوا في الامر كثيرا وأحسب الحل والعقد في شغل عنه كأنهم في مأمن من العاقبة أو أنهم على ثقة من الظفر والغلبة فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر المحرم وصلت العمارة الفرنسية معاه الاسكندرية امام المدينة وأرسلت جماعة منهم يطلبون قنصل الفرنسي وبعض أهل المدينة فذهبوا اليها فنعوهم من العودة ولما جن الليل تحول من تلك العمارة بعض السفن الى ناحية العجى وأبى قير وأنزلوا من بها من العسكر الى البر وكان برويس أمير السفن يعارض بونا بارتة في ذلك ويمنع من نزول العساكر في تلك الليلة خوفا من حادث يحدث فلم يلتفت بونا بارتة الى كلامه وقال لابد من نزول جميع العسكر فنزلوا ليلا وساروا نحو الاسكندرية فلم يصبح أهل المدينة الا والعساكر منتشرون حول المدينة انتشار الجراد تفرج الناس ومن انضم اليهم من الانكشارية والعربان وكشف البحيرة لبقائهم فلم يستطيعوا مدافعهم ولا أمكنهم معانعتهم ولم يثبتوا لمهمهم وانهمزم الكاشف ومن معه من طوائف العربان ورجع الاهالى الى التترس في البيوت وخلف الحيطان ودخل الفرنسيون المدينة وانبت فيها الكثير من ذلك العدد فأيقن أهل الاسكندرية انهم مأخوذون على كل حال وليس ثم عندهم للقتال استعداد نخلو الابراج من معدات الحرب فضلا عن المقاتلين مع كثرة العدو وغلبته فطلبوا الامان فأمنوهم ورفعوا عنهم القتال ونودي في المدينة بالامان ورفعت الاعلام الفرنسية على مابالمدينة من القلاع والحصون والابراج وأرسل بونا بارتة في طلب أعيان الثغر والسيد محمد كريم فحضروا وهم فزعون وجالون وتمثلوا بين يديه فلاتفهم وكلم السيد محمد كريم لحظة لطيفة ثم ألزمهم بجمع مايد الاهالى من الاسلحة ومعدات القتال واحضاره اليه وأن يضعوا على صدورهم علامة هى على شكل زهرة مستديرة ذات ثلاثة ألوان احمر واسود وبيض وهى ألوان الراية الفرنسية وتسمى هذه العلامة عندهم جوكار ففعلوا وجعلت طوائف العسكر تطوف في شوارع المدينة وبأيديهم البنادق والحرا ب وأخذ جماعة منهم يصلحون ماتهم من الحصون ويرمون ما تخرب من الابراج وزحفت بقية الجيوش الى رشيد ودمهور فهاجر أهلهما ونزحوا عنهما الى فوه ونواحيها فرسم بونا بارتة بتحرير منشور لاهالى كافة يؤمنهم فيه على اعراضهم وأموالهم ويضمن قلوبهم ويسكن روعهم فكان نص ما في ذلك المنشور

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه من طرف الفرنسية المبني على أساس الحرية والقسوية السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنسية بونا بارتة يعرف أهالى مصر جميعهم انه من زمان مديد والصناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة الفرنسية ويظلمون تجارها بانواع الايذاء والتعدي فحضر الآن ساعة عقوبتهم وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الباطنة والشرا كسة يفسدون في الاقليم الحسن الاحسن الذي لا يوجد في كره الارض كلها فاما رب العالمين القادر على كل شئ فانه قد حكم بانقضاء دولتهم * بأمر

المصريون قد قيل لكم اني ما نزلت به هذا الطرف الا بقصد ازالكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه وقولوا للفتن اني ما قدمت اليكم الا لتخليص حقكم من يد الظالمين وانني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم * وقولوا أيضا لهم ان جميع الناس متساوون عند الله وان الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يملكوا مصر وحدهم ويختصوا بكل شيء حسن فيها من الجوارى الحسان والخيل العتاق والمساكن الفرجة فان كانت الارض المصرية التزاما للماليك فليرونا الحجة التي كتبها الله لهم ولكن رب العالمين رؤف وعادل وحليم وبهونه تعالى من الآن فصاعدا لا يأس أحد من اهالي مصر من الدخول في المناصب السامية ومن اكتساب المراتب العالية فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم يدبرون الامور وبذلك يصلح حال الامة كلها * وسابقا كان في الاراضي المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر وما أزال ذلك كله الا الظلم والطمع من المماليك * أيها المشايخ والقضاة والائمة والجريجية وأعيان البلد قولوا لأممكم ان الفرنسيون هم أيضا مسلمون مخلصون واثبات ذلك انهم قد نزلوا رومية الكبرى وغربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائما يحث النصارى على محاربة الاسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردها منها البكولارية الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين ومع ذلك الفرنسيون في كل وقت من الاوقات صاروا محبين لمخلصين لحضرة السلطان العثماني واعدا أعدائه أدام الله ملكه ومع ذلك فان المماليك امتنعوا من الطاعة للسلطان غير ممثلين لأمره فما أطاعوا أصلا الا لطمع انفسهم طوبى ثم طوبى لاهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلموا مراتبهم وطوبى أيضا للذين يقعدون في مساكنهم غير مائلين لاحد من الفريقين المتحاربين فاذا عرفوا بالاكثر تسارعوا اليها بكل قلب لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك في محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقا للخلاص ولا يبق منهم اثر

(المادة الاولى) جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة بثلاث ساعات من المواقع التي يمر بها عسكر الفرنسيون فواجب عليها ان ترسل للسرع عسكر من عندها وكيلا كيما يعرف المشار اليه انهم أطاعوا وانهم نصبوا علم الفرنسيون الذي هو أبيض وكلى واحمر

(المادة الثانية) كل قرية تقوم على العسكر الفرنسيون تحرق بالنار

(المادة الثالثة) كل قرية تطيع العسكر الفرنسيون تنصب صنيق السلطان العثماني

محبنا دام بقاءه

(المادة الرابعة) المشايخ في كل بلدة يختتمون حالا جميع الارزاق والبيوت والاملاك

التي تتبع المماليك وعليهم الاجتهاد التام لئلا يضيع أدنى شيء منها

(المادة الخامسة) الواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والائمة انهم يلزمون وظائفهم

وعلى كل واحد من أهالي البلدان ان يبقى في مسكنه مطمئنا وكذلك تكون الصلاة قائمة في الجوامع على العادة والمصريون بأجمعهم ينبغي أن يشكروا الله سبحانه وتعالى على انقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عال أدام الله اجلال السلطان العثماني أدام الله اجلال العسكر الفرنسي لعن الله المماليك واصلى حال الامة المصرية

تحريرا بعسكر اسكندرية في ١٢ شهر سيدود سنة ١٢١٢ من اقامة الجمهورية الفرنسية يعني في آخر شهر محرم سنة ١٢١٣ هجرية انتهى بنصه

وسارت جيوش بونا بارتة سيرا حثيثا جدا فدخل فريق منهم الى فوه وآخر الى الرجانية وعسكروا فيهما وفاض الخبر بذلك في القاهرة ومصر فارتفع الناس انزعاجا شديدا وعول أكثرهم على الفرار وجمع ابراهيم بيك ومراد بيك جميع الامراء بقصر العيني وكذلك العلماء والمشايخ وقاضى القضاة ونزل الباشا من قلعة الجبل وتكلموا في هذا الامر وطال الاخذ والرد ثم اتفقوا على ان يكتبوا بخبر هذا الحادث الى دار السلطنة العثمانية وان يتجهز مراد بيك بالعسكر ويخرج للقتال وصد هذا العدو فكتبوا الى دار السلطنة وسيروا الكتاب مع مخصوص على البر وأخذوا في الاستعداد وجمع آلات الحرب ومعدات القتال وجعلوا يصادرون الناس ويأخذون ما يحتاجون اليه بغير ثمن ثم ارتحل مراد بيك عن القاهرة وبرز بجنيامه الى الجسر الاسود فأقام به يومين حتى تكامل خروج العسكر وخرج معه على باشا الطرابلسي وآخر اسمه ناصف باشا وقد كانا مقيمين معه بالجيزة وخصيصين به وأخذ عدة كبيرة من المدافع وشيا كثيرا من الذخيرة وساربرا في الفرسان وسافرت العساكر المشاة بجرا بسفن الحرب الصغيرة وقد كانوا أخلاطا من القليونية والاروام والمغاربة وحمل معه سلسلة عظيمة لوضعها على البوغاز عند برج مغيزل لتمنع سفن الفرنسيين من الدخول الى النيل وظن ان الفرنسيين يطاولونه الطرب وهو يطاولهم كذلك حتى تأتته النجدة من جانب الدولة فكان الامر على خلاف ماظنه فانه لما دخل بونا بارتة مدينة الاسكندرية ورتب أموره فيها على ما رأى فيه المصلحة سار بجيوشه على الجانب الغربي من النيل سيرا حثيثا من غير ممانع يطلب القاهرة وبث أمامه العيون والارصاد لتأتى اليه بخبر مراد بيك ومن معه وكانوا اذا نزلوا على قرية أو بلد أو مدينة رأوا من أهلها الطاعة والاخلاد الى السكنية وقد بدأت الوحشة بين سكان مصر والقاهرة وكثر الهرج والارجاج وانقطعت الطرق وأخذت اللصوص في كل ليلة تطرق المدينة وانكف الناس عن الخروج الى الاسواق بعد الغروب فننادى الانا والواى بفتح الحوائيت ليلا وتعليق القناديل على البيوت والدكاكين لانهاب الوحشة من القلوب والاستثناس وكشف خبر الدخيل على البلد اذا دخل ولم يكن الا أيام قلائل من خروج عساكر بونا بارتة من مدينة الاسكندرية حتى اتقوا بجيوش مراد بيك في يوم الجمعة تاسع عشر المحرم عند منية سلامة فاقتتل الفريقان فلم تكن الا ساعة حتى انهزم مراد بيك بمن معه وكان القتال هينا جدا

ثم أطلق الفرنسيين مدافعهم على سفن مراد بيك فأحرقتها بما فيها من البارود وآلات الحرب والمؤن والذخيرة والعساكر فأزعج هذا المنظر المريع مراد بيك وهاله جدا فولى الفرار وتبعه عسكره ونزل المشاة منهم فيما بقي من السفن وأقلعوا بها الى بولاق ووصل بعضهم الى القاهرة وهم في أسوأ حال فأنزعج الناس واشتد الخوف وركب ابراهيم بيك الى ساحل بولاق وتبعه الباشا والعملاء والمشايخ والاعيان فتشاوروا في عمل متاريس من شبرا الى بولاق وان يتولى الإقامة فيها ابراهيم بيك وأتباعه ومعايكة فأجابهم ابراهيم بيك الى ذلك واهتم له جدا وأحضر السفن الكبيرة والغلايين التي أنشأها حديثا وأوقفها على ساحل انبائه وشحنها بالعساكر والمدافع فكان جانبها النيل شرقا وغربا مشحونين بالعساكر والاجناد والمدافع وآلات الحرب والمتاريس * قال بعض كتاب الاخبار وكان العلماء من يوم خروج مراد بيك بجيوشه يجتمعون بالجامع الأزهر كل يوم يقرؤون البخارى وغيره من الدعوات وكذلك مشايخ فقهاء الاجنبية والرفاعية والابراهيمية والقادرية والسعدية وغيرهم من الطوائف وأرباب الاشرار ويميلون الاذكار بالازهر وكذلك أطفال المكاتب كانوا يضجون في كل يوم بياطيف وكان الامراء في وجل ما عليه من مزيد فكانوا يتقلون في هذه المهلة أمتعتهم من بيوتهم وقصورهم الرحمة الى بيوت حقيرة غير معلومة وأرسلوا بعضها الى الارياض وتأهبوا للرحيل وكاد يتبعهم في ذلك أكثر الاغنياء وأصحاب المقامات العالية ووقع النداء بالنفير العام فخرج الناس الى المتاريس وكرروا النداء في كل يوم فأغلق الناس الحوانيت والاسواق وخرج الجميع الى بولاق القاهرة فكانت رجال كل طائفة من أرباب الصنائع يجتمعون وينصبون لهم خياما أو يجلسون في مكان خرب أو مسجد ويرتبون لهم فيما يصرف عليهم ما يحتاجون له مما جمعه من بعضهم من المال وكان البعض يتطوع بالانفاق على الآخرين ومنهم من جهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح والذخيرة وغير ذلك واجتهد الناس اجتهدا عظيما وخرج الفقراء بالطبول والزمور والاعلام والكاسات وهم يضجون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة وصعد السيد عمر افندي نقيب الاشراف الى قلعة الجبل فأنزله منها بيرقا كبيرا سمته العامة البيرق النبوي فنشره بين يديه من قلعة الجبل الى بولاق القاهرة وأمامه وحوله الألوف المؤلفة من العامة وبأيديهم النبائيت والعصى والمساق وهم يضربون بالطبول ويهللون ويكبرون وكانت شوارع القاهرة في غاية الوحشة اذ كنت لا ترى فيها أحسدا سوى من في بيوتها من النساء والاطفال وضعفاء الرجال وكانت الدكاكين كلها مقفلة نهاها ولايسلا وجلس العلماء والمشايخ بزواية على بيك ببولاق القاهرة يدعون ويبتهلون الى الله بالنصر وأرسل ابراهيم بيك الى العربان المجاورين لمصر ورسم لهم بأن يكونوا في المقدمة بنواحي شبرا وما والاها واجتمع له أيضا كثير من عرب البحيرة والصعيد والحيزة والقيعان وأولاد على والهنادى وغيرهم فكان الجمع يزداد في كل يوم ويعظم الهول ويشتد الضيق بالفقراء لتعطل الاسباب واجتماع الناس في صعيد واحد وانقطعت الطرق

وتعدى الناس بعضهم على بعض وجع ابراهيم بيك جميع الفرنجة الذين بعصر والقاهرة
فجس بعضهم بقاعة الجبل وبعضهم بيوت الاسراء وقتشوا بيوتهم لعلهم يجدون فيها شيا
من السلاح أو آلات الحرب وكذلك فتشوا جميع بيوت الشوام والقبط والروم وجميع
الكنائس والديارات والعمامة لا ترضى الا أن يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم الحكام عنهم
قال صاحب عجائب الآثار ولولا ذلك المنع لقتلهم العامة وقت الفتنة اهـ

ولما كان يوم الجمعة سادس صفر وصل بونا بارتة بجيشه الى الجسر الاسود فباتوا ليلتهم
وأصبحوا فساروا الى أم دينار فوصلوها في يومهم وقد كان الظن بهم ان يأووا من جانبي النيل
شرقا وغربا فلم يأووا الا من الجانب الغربى ونظر بونا بارتة الى صفوف العدو على عين
موقفه وهرم الحيلة الكبير على يساره فخطب جنوده وقال أيها الابطال البواسل ان ارواح
أناس قد مضى عليها خمسون قرنا تنظر اليكم من قمة هذا الهرم العظيم وترقب حركاتكم
في قتال هؤلاء المماليك فافطنوا ثم رسم الى الجنرال ديزه ان يسير بعسكره نحو اليمين وبقية
العساكر نحو اليسار وكان الوقت وقت القائلة وقد خرج جماعة من عسكر ابراهيم بيك
وقدموا نحو بشقيل فتلاقوا مع مقدم عسكر الجنرال ديزه ففكروا عليهم بالخيول فرماهم
الفرنسيس بالبنادق رميا متتابعا وأبلى الفريقان بلاء حسنا فقتل جماعة كثيرة من كشاف
محمد بيك الاتي ومماليكه وتعقبتهم عساكر الجنرال ديزه فلما اقتربوا من متاريس مراد بيك
ترامى الفريقان بالمدافع وكان قد حضر من دمياط فريق من عسكر البحر الارنؤد فقاموا
بالقتال من خلف المتاريس وحاربوا مع العساكر البرية فلما احتدم القتال وارتفعت أصوات
المدافع ضج العامة والغوغاء من الرعية وأخلط الناس بالصياح في الجانب الشرقى من النيل
ورفعوا أصواتهم بيارب ويا طيف وبارجال الله وغير ذلك وشرع فريق من العسكر الذين
بالجانب الشرقى في العبور غربا فلم يتم عبورهم حتى تمت الهزيمة على المصريين وكانت لريح
شديدة وأمواج النيل تتلاطم وفي قوة اضطرابها والرمال يرتفع غبارها وتنسفها الريح في
وجوه المصريين فلا يقدر أحد ان يفتح عينيه لشدتها وانقسم الفريق المقاتل من الفرنسيين
الى شطرين بشكل مخصوص واقترب من متاريس مراد بيك فصارت المتاريس في القلب
والفرنسيس من الامام ومن الخلف ودقوا طبولهم ورموا بالبنادق والمدافع تبارعا وقد اشتد
هبوب الريح وانعقد الغبار وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الريح وصمت الأسماع
من أصوات المدافع وبقي الحال هكذا نحو ثلاثة أرباع الساعة وانكشف عن هزيمة
المصريين وغرق العدد العديد من فرسانهم في النيل لاحاطة العدو بهم وظلام الوقت
وأسر منهم خلق وملك الفرنسيين المتاريس جميعها وفر مراد بيك ومن معه هارين الى
الحيزة ثم جاء منزله في حالة رديئة وقضى أشغاله وسار من قوره الى الصعيد الاعلى

ولما تمت هزيمة من كانوا يقاتلون بالجانب الغربى من النيل حول الفرنسيين أفواه
مدافعهم الى الجانب الشرقى وتابعوا الرمي بها مع الرمي بالبنادق أيضا فحقق من كان

بالجانب الشرقى من الهزيمة فقامت فيهم ضجة عظيمة وكثر صياح العامة وتساقط بعضهم فوق بعض وداستهم سنايك خيل الفارين من الامراء والمماليك وفر ابراهيم بيك والباشا والامراء وجميع العسكر والاهالى كافة وتركوا جميع الاثقال والخيام ولم يأخذوا منها شيئا وذهب ابراهيم بيك والباشا الى العادلية ودخل الناس قبيل الغروب المدينة وهم يضجون بالعيول والتخيب ويهتفون الى الله من سر هذا اليوم العصيب فصارت النساء عند ذلك يصرخن بأعلى أصواتهن من البيوت ويولون فلما جن الظلام خرج الكشبر من الناس خارج أبواب المدينة بنسائهم وأولادهم وخرج بعضهم هائما على وجهه لا يرى للسلامة سبيلا غير مبال بترك الزوجة والولد واستمر الحال على هذا المنوال طول تلك الليلة وأصبحوا وقد أحاط بهم العسربان من كل جانب فسلبوا ما كان معهم من متاع ولباس وأحبال فلم يتركوا لمن وقع في أيديهم ما يستتر به عورته أو يسد جوعه وعاد من الهاربين من لم يبعد عن أبواب المدينة فدخلوا عرايا نساء ورجالا حتى الاطفال والصبيان والبنات فكانت ليلة وصباحها من أشنع ما رآته أعين المصريين جرى فيها من القتل والنهب وفضيحة النساء على اختلاف درجاتهن ما لم يسمع بما يشابه بعضه في تواريخ المتقدمين وأصبحوا وقد اجتمع العلماء والمشايخ بالجامع الأزهر وانفقوا على ان يبعثوا بكتاب الى بونا بارتة بمعسكره في انبائه يسألونه فيه عن مراده وعما يسأله من الطلبات فكتبوا الكتاب وأرسلوه مع أحد المشايخ المغاربة فلما وصل الرسول وتمثل بين يدي بونا بارتة بش في وجهه ولاطفه وقرأ الخطاب ثم التفت الى الرسول وقال وأين عظماء البلد ومشايخها ولم تأخروا عن الحضور لترتب أياهم ما يكون فيه الراحة لهم ولاهل بلادهم فقال نريد أمانكم فقال قد أمانكم وبعثناكم به قبل الآن قال الرسول ولكن لتطمئن الناس أيضا فأمر بونا بارتة فكتب جوابا من معسكر الجيزة خطابا لاهل مصر اتنا أرسلنا لكم قبل الآن كتابا فيه الكفاية وذكرنا لكم اننا ما حضرنا الا بقصد اذهاب دولة المماليك الذين أهانوا الفرنسيين وساموهم الخسف وقد تطاولت أيديهم الى سلب التجار ومال السلطان فلما حضرنا الى الجانب الغربى من النيل خرجوا الينا فقابلناهم بما يستحقونه وقتلنا بعضهم وأسروا البعض ونحن في طابهم حتى لا يبقى أحد منهم بالديار المصرية وأما المشايخ ولعلماء وأصحاب المراتب وكلمة الرعية فيكونون مطمئنين ساكنين الخواطر لا خوف عليهم اه ثم التفت الى الرسول وقال لترجمانه قل له انه لا بد من حضور المشايخ والاعيان اليما لترتب ديوانا فنختبه من سبعة من عقلاء الناس يدبرون الامور ويتظرون في مصالح الخلق * فعاد الرسول وأخبر بجميع ما جرى فاطمان الناس وسكنت خواطرهم وركب الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيوى ولم يبق من كبار المشايخ يومئذ غيرهم لفرارهم مع بعض الامراء وعبروا الى الجيزة فتلقاهم بونا بارتة وبش في وجوههم وسألهم أنتم كبار المشايخ فقالوا لا وانما كبار المشايخ قد هربوا فقال لاى سبب يهربون اكتبوا لهم بالحضور وسنعمل لكم ديوانا ينظر في مصالح الرعية ويتقضى أمورها ويقوم بما تقتضيه الشريعة ثم أمر فكتبوا

عدة مكاتيب للمشايخ بالامان وسرعة العودة ثم قام الشيخ الصاوي ومن معه وعبروا الى مصر بعد العشاء الأخيرة فاطمأن الناس برجوعهم وأصبحوا فأرسلوا خطابا بونابارته للمشايخ فحضر الشيخ السادات والشيخ الشرفاوي وبقية المشايخ ومن تبعهم من الالهائي الفارين من ناحية المطرية فنقوت قلوب الرعية برجوعهم ودخل معهم أيضا جماعة كبيرة من الخرافيش والاولباش الذين كانوا يقتفون الهاريين من الامراء والالهائي وقصدوا بيتي ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك اللذين بنحطة قوصون ونهبوا ما بهما وأحرقوهما بغير ممانع ونهبوا عدة بيوت أخرى من بيوت الامراء وأخذوا ما فيها من متاع وغيره وكانوا يبيعون ذلك في الاسواق جهارا

ولما كان يوم الثلاثاء عاشر صفر عبر بونابارته النيل الى مصر في فريق من عساكره ونزل في بيت محمد بيك الالفي بخط الساكت الذي أنشأه وزخرفه وفرشه بأنواع البسط والفرش الثمينة ولم يسكن به الا أياما قلائل ثم رحل عنه عند وصول الاخبار بدخول الفرنسيين مدينة الاسكندرية فاحتله بونابارته وكأنه قد بنى وفرش له ولم يدرج في المدينة من عسكر الفرنسيين الا نفر ومشوا بالاسواق من غير سلاح ومع غاية الحشمة والوقار فكانوا يشون في وجوه الناس ويضاحكونهم ويشنون ما يحتاجون اليه بأعلى ثمن فيأخذ أحدهم الدجاجة ويعطى صاحبها في ثمنها ريبالا ويأخذ البيضة بنصف فضة فلما رأى منهم العامة ذلك أنسوا بهم واطمأنوا لهم وخرجوا اليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات وصاروا يبيعون عليهم بما أحبوا من الاسعار وفتح أكثر السوق الحوانيت والقهواي * وأرسل بونابارته يطلب المشايخ والاعيان فذهبوا اليه فلما استقر بهم المقام كلهم في إقامة عشرة من المشايخ للدنوان وفصل الخصومات وقضاء مصالح الرعية فوقع اتفاقهم على الشيخ عبد الله الشرفاوي والشيخ خليل البكري والشيخ مصطفى الدهموري والشيخ أحمد العريشي والشيخ مصطفى الصاوي والشيخ سليمان الفيومي والشيخ محمد المهدي والشيخ موسى السرسى والشيخ يوسف الشبرخيتي والشيخ محمد الدواخلي وانتظم في عداد هذا المجلس أيضا محمد كتحدا أبو بكر باشا عامل السلطان على مصر وقاضى القضاة وقلدوا محمد آغا المسلماني آغا مستحفظان وعلى آغا الشعراوى والى الشرطة وحسن آغا محرم أمين احتساب وقد ألح المشايخ باعطاء هذه المناصب لمن ذكروا من المماليك خلافا لما أشار به بونابارته من تبعيد طوائف المماليك وعدم ادخالهم في الوظائف العالية وأعلموا بونابارته بان سوق مصر لا يخافون الامن الترك ولا يحكمهم سواهم * قال صاحب عجائب الآثار وأقاموا ذا الفقار كتحدا محمد بيك كتحدا بونابارته والخواجه موسى كانوا وكبلا عن الفرنسيين المقيمين بمصر والخواجه حنا بنتو عن أرباب المجلس * فلما استقر بأرباب هذا المجلس المقام رسم بونابارته فنادى الانا والوالى في شوارع مصر والقاهرة بالامان فلم تكن العامة لتكتثر بهذا النداء وبقيت أكثر الدكاكين مقفلة والناس في ريب من سكون الحال وكانوا لاجل أن يأمنوا شر الطارق من عسكر الفرنسيين يعلقون على أبوابهم الراية الافرنسية

أولاً يأخذون من معسكر الفرنسيين ورقة مكتوبة بالفرنسية يلصقونها على الباب ثم أمر
بونا بارتته بتقليد الوظائف لمن يرون فيه الاهلية لذلك فقلدوا برتلين النصراني الروي كتحدا
مستحفظان قال وهو الذي كانت تسميه العامة فرط الرمان فركب بموكبه المعتاد من بيت
بونا بارتته وأمامه عدة من طوائف الجند مشاة بين يديه وعلى رأسه حشيشة من الحرير الملون
وهو لابس فروة وبين يديه الخدم بالحرايب المفضضة وقد رتب الاربطة في مراكر أخطاط
مصر والقاهرة وسكن بيوت يحيى كاشف الكبير بحارة عابدين وأخذ بهما فيه من فرش ومتاع
فيل وجوار وغير ذلك وكان برتلين هذا من أصحاب المدافع عند محمد بيك الثاني وقلدوا
أحد الفرنجة أمانة البحرين وآخر آغا الرسالة وجعلوا الديوان بيت قائد آغا بالازبكية قرب
الرويحي وسكن به رئيس الديوان وسكن قائم مقام مصر بيت ابراهيم بيك الوالي المثل على
بركة الفيل وسكن شيخ البلد بيت ابراهيم بيك الكبير وآخر بيت مراد بيك على رصيف
الخشب وسكن بوسليك مدير الحدود بيت الشيخ البكري القديم فكان يطلب الكتاب من
القبط في كل يوم ويسألهم عن دفاتر البلاد وحسابها ومريعاتها وغير ذلك * وأفرج بونا بارتته
عن الاسرى من المماليك والاجناد المصرية بشفاعة أرباب الديوان فدخل الكثير منهم
بالجامع الازهر وهم في أسوأ حال وعليهم الثياب الزرق الرثة فكشوا بأكلون من صدقات
الفقراء المجاورين ويتكففون المارين وفي ذلك عبرة وتذكرة لقوم يعقلون * وجعوا جميع
الاسلحة وآلات الحرب وتبعوا من كان عنده شيء من ذلك وأخرجوا الدفاتر والودائع ودلهم
طوائف الخدم على ودائع الامراء وأمتعتهم فأخرجوها وأخذوها الى بيت القائم مقام فكانت
شيأ كثيراً جداً وطلبوا قرضة من التجار المسلمين والقبط والشوام والفرنجة قدرها خمسمائة
ألف ريال فطلبوا التخفيف فلم يرض بونا بارتته فقاموا بدفعها ودخات العساكر الى المدينة
قلوا شوارعها وحاراتها وهم في غاية الحشمة والوقار وكانوا يعاملون الناس بالرفق ويخطبونهم
باللين فاطمأنت القلوب وسكنت الخواطر واسرع السوق الى فتح دكاكينهم وزال عنهم الخوف
وجاء الخبر بوصول الحاج الى العقبة وقرب دخولهم الى مصر فذهب أرباب الديوان
الى بونا بارتته وأخبروه بوصول أمير الحاج ومن معه من العساكر والاجناد وطلبوا منه اذنا له
بالدخول هو ومن معه فامتنع ولم يسمح الا بدخوله في قلة وان لا تدخل معه مماليك كثيرة
ولا عسكر فكتب المشايخ الى أمير الحاج بأن يحضر الى الدار الحمراء ويتربص هناك حتى
ينظر في دخوله الى مصر فلم تصل اليه مكاتبة المشايخ حتى كانه ابراهيم بيك الكبير وحبب
اليه الحضور الى بليس بن معه من العسكر فساروا جميعاً الى بليس وأقاموا بها أياماً
وسكان ابراهيم بيك عند هروبه من مصر قد ذهب الى بليس وأقام بها وبعث النساء
والذراري الى القرين بأقليم الشرقية فلما قدم عليه أمير الحاج بن معه سار بهم الى المنصورة
وقد تفرق جميع الحاج الى بلادهم وعلم بونا بارتته بذلك فخرج في جيش عظيم الى العادلية
وسار الى أن وصلت طلائعه الخائكة وأبازعبل وطلبوا كلفة من أبي زعبل فامتنع أهلها

فقاتلوههم وهزموهم ونهبوا البلد وأحرقوها وارتملوا الى بابليس فلكوها بغير قتال ووصل الخبر بذلك الى ابراهيم بيك الكبير ومن معه من الامراء وبعض الاعيان فركب ليلا بن معه وترفع الى القرين فقبعه بونا بارتة بجيوشه فسار ابراهيم بيك الى الصالحية وأنزل النساء والذراري فيها ومعهم متاعه وأقام عليهم طائفة من العرب يحرسهم فجاء أحد العربان وأخبر بونا بارتة بموضع النساء والامتنعة فسير بونا بارتة فريقا من الفرسان لاختضا فوقف ابراهيم بيك وأصحابه في طريق أولئك الفرسان وشتبك القتال بين الفريقين ساعة كادت تنهزم فيها الفرنسيين لقتلهم واذا بالخبر جاء الى ابراهيم بيك بأن العرب على وشك أن يأخذوا الامتنعة وجميع الاحمال ففر وفر من كان معه على أثره وتركوا قتال الفرنسيين ولحقوا بالاحمال وأجلوا عنها العرب وقتلوا منهم جماعة وساروا مسرعين الى قطيا فلم تدر كههم الفرنسيين بعد ذلك وما زالوا سائرين الى أن استقروهم المقام بغزة فعاد بونا بارتة بجيوشه الى مصر وجعل ينتظر في الامور ويرتب أحوال البلد وأكثر من طلب الكف والمصالحات للذهقة على جيوشه الكثيرة وبينما هو على هذا الحال اذ جاء الخبر بقدوم عمارة الانكليز الى ناحية أبي قير مع نلسون أحد أمراء البحر وأنها أحرقت جميع مراكبه وما فيها من آلات الحرب والذخيرة وغيره عند السد وتحرير الخبر أنه لما خرج بونا بارتة بمراكبه يريد الاسكندرية لم يسرها في درب البحر المعلوم خوفا من أن تلحقه مراكب الانكليز فسار خلفه ربان السفن الانجليزية ولحق بالاسكندرية ليمنع من النزول بها فكان من أمر حضوره وعدم ملاقاته بسفن بونا بارتة ما تقدم بيانه فرجع بمراكبه يختر في البحر لعله يكثر على سفن بونا بارتة فيقاتلها أو يتبعها حيثما سارت فدخلت مراكب بونا بارتة الى أبي قير على يسار مدينة الاسكندرية عند غروب الشمس وقيل بعد غروبها وألقت مرساها وكانت الريح على وشك الخروج والبحر كثير الامواج فقصر بونا بارتة لربانه فالتنزل الجند حالا الى البر فقال كيف يا مولاي والبحر في هياج والامواج في شدة وماذا علينا ان بقينا الى الصباح فقال بونا بارتة لا بد من خروج العسكر بلامهل فأخرجت وأصبحو فلم يبق في المراكب الا ملاحوها فقط وسار بونا بارتة من قوة الى الاسكندرية ومنها الى رشيد ودمهور والرحمانية فاصدا القاهرة كما تقدم لك أما سفن الانجليز فانه بعد أن أفلح بها نلسون من مياه الاسكندرية وسارت تختر في عرض البحار تبحث عن بونا بارتة وسفنه عادت مسرعة الى أبي قير فرأت سفن بونا بارتة راسية هناك فظنت أن بونا بارتة وعسكره بها فأطلقت عليها المدافع وكانت السفن الفرنسية راسية على خط واحد عمدة من الشمال الغربي الى الجنوب الغربي من أبي قير وربانها الاميرال برويس وكان برويس قد أنزل من كل مركب منها في ذلك اليوم خمسة عشر رجلا الى البر لحفر الفعلة الذين أتوا بهم لحفر الابار للاستقاء فلما شاهد الاميرال برويس سفن الانجليز قادمة استدعى عساكره الذين بالبر وعقد مجلسا من ضباطه وتماجوا في أمر القتال مع المراكب الانكليزية فأشاروا عليه بالخروج الى ظهر البحر وملاقاتها بعيدا عن أبي قير فدعا للخطر فلم يذعن لمشورتهم وأبقى سفنه

في مرساها وكان نلسون أمير السفن الانجليزية في كد دائم وحزن ملازم بسبب عدم اهتدائه الى مقر السفن الفرنسية فلما شاهدها عند أبي قير فرح وأخذ يدبر أمر قتالها قيل فسير بعض مرابكه الى التحرش في مرابك الفرنسيين والدخول بينهم حتى وصلوا بالبر وأتى بما بقي من مرابكه أمام مرابك الفرنسيين وكانت الشمس قد مالت الى الغروب وأطلق مدافعه على سفن الفرنسيين فاجابته مدافع الفرنسيين واشتبك القتال بين الفريقين وتتابع الرمي بالقنابل وعلا الدخان وقد دخل الليل فارداد الجوّ ظلاما على ظلامه وتحطم بعض المراكب الفرنسية وأسر البعض الآخر في قليل من الزمن وكاب أميرال السفن الفرنسية على ظهر أكبر مرابكه المسماة الشرق وبها نحو ألف من الملاحين وكان نلسون على ظهر إحدى بوارجه فأصابته رصاصة في جبهته فحملوه الى غرفته وكذلك أصاب أميرال المراكب الفرنسية شظية من قنبلة قطعت نصفين فحملوه لينزلوا به الى غرفته فأبى وأشار لهم ان أبقوني حتى أموت في موقعي هذا واشتد القتال وعلت أصوات المدافع الى غمان السماء فلما كان بعد العشاء الاخيرة أصابت النار مخازن بارود مركب الفرنسيين الكبير المسماة الشرق فأشعلتها فارتفعت بما فيها من الرجال والاموال والذخيرة والمدافع وآلات الحرب أذرا كثيرة عن وجه الماء ثم هبطت الى قاع البحر وقد تمزقت ~~كل~~ ممزق ولم يبق لها من أثر ورأى حريقها أهل الاسكندرية ورشيد وغيرهما وبطل عندئذ القتال نحو ساعة ثم عاد نلسون يرمي بالقنابل تباعا على ما بقي من سفن الفرنسيين الى نحو ظهر اليوم الثاني حتى دمرها تدميرا وكان الجنرال كبير في هذا الحين محتلا بجيشه الاسكندرية فشهد نيران الحريق وعلم بما جرى على السفن الفرنسية من الحريق والدمار فهاله الامر وأزعجه جدا فبات هو ومن معه من العسكر على قدم الاستعداد فلم ينمض لهم جفن ليلتهم تلك وأصبحوا وقد جاء الخبر بما جرى وأقلعت سفن العمارة الانجليزية تنحرف في عرض البحار لا يعلم أحد اين يكون مرساها بعد هذا النصر العظيم

واغتم بونابارته غما شديدا مما حل بالعمارة الفرنسية وكادت تفتر همته وتحمده عزيمته واصبح وهو بين منتطح عزين فقد رجع الانجليز بسفنهم الى مياه الاسكندرية يغمدون ويرحون يرصدون الفرنسيين وينعون عنهم المدد وأطلقوا قنابل مدافعهم على سد أبي قير ليجري فيه الماء الملح على أراضي البحيرة جميعها لتغرق جيوش بونابارته التي كانت منتشرة يومئذ في تلك الاطراف فلم تلحق بهم ضررا وقيل بل ألحق ببعضهم وقيل غير ذلك وكاتب بونابارته أحمد باشا الجزائر عامل السلطان سليم يومئذ على الشام يستميله الى الخروج وشق عصا طاعة مولاه وتسليم البلاد لبونابارته وجعل ينييه بالاماني الطويلة وسير اليه الرسل بذلك من نصارى الشوام ومسلمهم وهون عليه الامر وسار مع هؤلاء الرسل أحد الفرنسيين بهيئة منسكرة وزى التجار فلما قدم على عكا أمر الجزائر بذلك الفرنسيون فنقلوه الى إحدى السفن العائدة الى دمياط ولم يقابله وأمره بالرحيل حالا ولم يأخذ منه

الكتاب وحجز من كانوا معه فعاد ليومسه ولم تتجج سفارته وجعل الجزار يكتاب من هذا
الحين بعض التجار والمشايخ بعصر والقاهرة وراسلهم سرا فكان بونابارته لذلك على حذر
دائم من المشايخ والعلماء والاعيان كثير التطير منهم فكان يقلب عليهم أنواع التجارب
ليعرف ما استكن في صدورهم فكان تارة يلزمهم بلبس الجوارك وأخرى بتركه وطورا بلبس
الفرجيات وأخرى بتغيير شكلها الى شكل آخر وأرسل الى أهل الديوان منهم يوما فحضروا
خفاطهم بواسطة ترجمانه ساعة ثم نهض من المجلس ورجع ويده طيلسانات ملونة بثلاثة
ألوان وكل طيلسان ثلاث شقات ابيض واحمر وكل فوضع منها واحدة بيده على كتف
الشيخ الشرفاوى فرمى بها الشيخ الى الارض وتغير لونه ثم استعفى من لبسها فقال بونابارته
لترجمانه قل لحضرات المشايخ انهم صاروا أحببنا وانى لذلك ارجب في تعظيمهم بزي رابى
وعلامتى فان تزوا بها احترامهم الجند وعظمتهم العساكر فقال المشايخ ولكن يضيع قدرنا
عند الله واخواننا المسلمين فدمدم بونابارته واعتناظ لذلك وقال لا يصلح الشيخ الشرفاوى للرئاسة
فلاطفوه وألأوا له الكلام فكان لا ينكف عن تجربتهم كل قليل بمثل هذه الامور
وغيرها وعلم بونابارته بترفع مراد بيك الكبير الى اليوم بعد فراره من وقعة انبابه فسير اليه
فريقا من الجند فترفع وفارقه عثمان بيك الاشقر وعبر الى الجانب الشرقى من النيل وسار من
خلف الجبل ولحق باستاذة ابراهيم بيك بغزة وكان السيد محمد كريم حاكم الاسكندرية قد
أقره بونابارته فى منصبه كما تقدم فأرسل الى مراد بيك مكاتبة يخبره فيها بتسلم
الاسكندرية اليه ان هو حضر بعسكره ومماليكه واتباعه فعلم بونابارته بتلك المكاتبة وانت
اليه بها الجواسيس فاستقدم السيد محمد كريم وسأله فأنكر فأبرز له تلك المكاتبة فتلجج فحكم
عليه بغرامة من المال عظيمة للغاية فان لم يقم بدفعها قتل بغير معاودة فلم يدفع وشفع فيه
المشايخ والعلماء فلم تقبل شفاعتهم وأمر به بونابارته فقتلوه واحتزوا رأسه وطاقوا بها شوارع
المدينة والمناداة أمامها هذا جزاء الخائن وأخبر بونابارته الجواسيس أيضا بورود مكاتبات
أخرى من ابراهيم بيك الكبير الى بعض المشايخ خطابا لهم وللرعية فأرسل فى الحال يطلبها
فخاف المشايخ خوفا عظيما وأرسلوها اليه فجمع أرباب الديوان وأمر ترجمانه فقرأ المكاتبات
المذكورة فكانت تتضمن الحث لهم على الاتحاد واليقظة والحفاظة على الرعية وان السلطان
بعث اليه بجيش وانه على عزم الحضور به الى الديار فتبسم بونابارته وقال هي قرية لا أنزل
الله بها من سلطان ثم سرح المشايخ فأنصرفوا واتفق ان جاء فى هذه الاثناء أغا من خسيان
دار السلطنة وكان محجورا عليه بالاسكندرية فر من المدينة يريد المشهد الحسينى فرآه
الناس واستغربوا هيأته وقالوا هذا رسول الحى جاء من عند السلطان بمرسوم يأمر الفرنسيين
فيه بالخلاء عن البلاد وكثرت أقوالهم فى هذا الشأن وتباينت أخبارهم واجتمعوا بالمشهد
الحسينى وتبع بعضهم بعضا وتزاحوا فبلغ بونابارته ما تشيعه العامة وما تناقله الناس من

وورد مرسوم من السلطان خطابا للشايخ وقد أخفوه عن بونابارته فركب من فوره وحضر الى بيت الشيخ السادات بالمشهد الحسيني وكان الوقت بعد الظهر فدخل على حين غفلة ولم يكن تقدم له حجيء وهو في كبكبة وخيول كثيرة وعسكر فانزعج الشيخ ونزل اليه وهو لا يعرف السبب في حجيئه في مثل هذا الوقت على هذه الصورة فلما رآه بونابارته سأله عن ذلك المرسوم فقال لا علم لي بذلك ولم يكن بلغه الخبر فجلس بونابارته مقدار ساعة ثم ركب ومر بعسكره من باب المشهد والناس قد كثر ازدحامهم بالجامع والخطبة وهم في هرج فلما نظروه وشاهد هو جمعهم داخله أمر من ذلك فصاحوا جميعا بصوت واحد وقالوا الفاتحة فسأل عن سبب الصباح والحامل عليه فقالوا انهم يدعون لك بخير وأصبح وقد سير جيشا عظيما الى حيث مراد بيك وآخر الى الشرقية لمراقبة أحوال ابراهيم بيك الكبير واستطلاع أخباره وقد انقطعت عنه شأن أرباب الديوان فأهمل أمره أياما ثم شرع في ترتيب ديوان آخر سماه محكمة القضايا ورتب له أصولا وقواعد ترجع أموره اليها وعين له اثني عشر عضوا ورئيسا ستة من القبط وستة من تجار المسلمين وجعل رئيسه المعلم ملطي القبطي وفوض اليهم الفصل في أمور التجارة والعامية والمواريث والدعاوى وجعل لذلك الديوان قواعد وأركانا وكتبوا منها نسخا كثيرة أرسلوا منها الى الاعيان وغيرهم وأمر فانزل من كان بقلعة الجبل من الالهالي الساكنين في دورها ودروها وأصعدوا اليها عدة كبيرة من المدافع ووضعوها في عدة مواقع وهدموا بها أبنية كثيرة ورموا بعض الاسوار بها وما تهدم منها وهدموا قصر يوسف صلاح الدين وحسوا محاسن أولئك الملوك والسلطين ورفعوا ما كان يباب العزب من الاسلحة والدرق والبلط والحراب الهندية وغير ذلك واستقدم مشايخ البلاد وأعيان البنادر والثغور الى القاهرة فحضرُوا واجتمعوا ببيت قائد أغا بالازبكية وجمع من قدم أيضا من الثغور والبنادر معهم وكذلك أعيان التجار ونصارى القبط والشوام ومسديرو الديوان من الفرنسيين وغيرهم جمعوا موفورا فلما استقروا بهم الجلوس برز المعلم ملطي كبير محكمة القضايا وقرأ مرسوم شروط وقواعد أعمال المحكمة المذكورة فلما تمت قراءته أبرز كبير المسديرين قرطاسا كبيرا وناولته لترجمانه فنشره وقرأه فكان محصله شرح حال الديار المصرية وما كانت عليه في القدم من رفعة الشأن والغنى والثروة واتساع نطاق الزراعة والتجارة وتقدم الصنائع وبلوغ المعارف والعلوم الى أقصى الدرجات وانها كانت محط الآمال ومنبت عظماء الرجال ولذلك قد أحقدت بها الابصار ومدت اليها الاعناق وتناولت اليها الايدي فملكها أهل بابل واليونانيون والعرب والترك وغيرهم الا أن الدولة التركية بالغت في تخريبها اذ من طبعها أنها اذا حصلت الثمرة قطعت عروق الشجرة فلذلك لم تبق الترك بأيدي الناس شيئا الا النزر اليسير وصار الناس لاجل ذلك مستترين تحت حجاب الفقر وقاية لارواحهم من الفتك ولاعراضهم من الهتك ثم إن طائفة الفرنسيين بعد أن تهدأ أمرها وبعد صيتها وفتحت البلاد وقبضت على أزمة الممالك العظيمة تأقت نفسها لاستخلاص مصر مما هي فيه من المذلة والضنك

واراحة أهلها من غناء هذه المظالم وانتشالها من وهدة هذه الدولة المقعدة جهلا وغباوة
فقدمت وأتاح الله لها النصر فبددت شمل الممالك ومنزقتهم غزبقا ومع هذا الانتصار فإنها
لم تعامل الرعية بالقسوة ولم تتعرض لشيء من أمورهم الذاتية بكمروه وقد وضعت دولة
الفرنسيس في مقدمات أعمالها الخطيرة في هذه الديار اصلاح الطرق وتأمين السبل وحفر
الخلجان والترع وتقريب المواصلات بين البلاد وبعضها وتوسيع نطاق التجارة وتعمير ما تخرب
من البلاد ومنع القوى من ظم الضعيف وغير ذلك استجلايا لخواطر أهل البلاد وإبقاء للذكر
الحسن فعلى أهل البلد ترك الشغب والاخلاد الى السكون وإخلاص المودة والإقلاع عن فعل
مالات محمد عاقبته ولم يكن المراد من استقدام من استقدموا من أهل البلاد وعمدها في هذا
اليوم الا ابلاغهم نوايا دولة الفرنسيس نحو بلادهم وأهلها وهي على يقين من أنهم يدون
لذلك يد المعونة ويبلغون سر عسكر الدولة الفرنسية بونابارته بما تحتاجه بلادهم من الاعمال
الخطيرة والمنافع الضرورية الى أن قال وإنا نريد منكم الآن بامشايخ أن تختاروا من
بينكم واحدا يكون كبيركم وعليكم طاعته والاحلاد لشارنه عليه السلام فقال بعض الحاضر بن فختار
الشيخ الشرفاوى فقبل لهم وانما يكون ذلك بالقرعة فاقترعوا فظهرت القرعة للشيخ عبد الله
الشرفاوى وما تم هذا الامر حتى غربت الشمس فأذنوا لهم بالانصراف وأن يعودوا في غد
وزهبوا في ثلثي يوم وانتخبوا بقية من وقع الاختيار عليهم لديوان مصر من أهالى البلاد
والمشايخ والقبط والشوام وتجار المسلمين ثم أخذ أعضاء هذا الديوان في ترتيب أمور الحوادث
والنظر في المقررات على العقار والاملاك ورتبوا لذلك ترتيبا بأن جعلوا على الاعلى منها ثمانية
فرانسة في كل سنة وعلى الاوسط ستة وعلى الادنى ثلاثة وما كانت أجرته أقل من ريال في الشهر
فلا شيء عليه وأما الوكائل والخنانات والحمامات والمعاصر والسيارج والحوانيت فنها ما جعلوا
عليه ثلاثين وأربعين بحسب الخسة والرواج والاتساع وكتبوا بذلك أوراقا وألصقوها بالطرق
والمفارق وأرسلوا نسخا للاعيان وعينوا جماعة المهندسين ومعهم أشخاص لتقدير أجرة
كل ملك وعقار وشرعوا في الاحصاء وطافوا ببعض الجهات لتحرير القوائم وضبط أسماء أصحابها
فلما شاع خبر هذا العمل بين الناس استعظموه وانتبذ جماعة منهم وتناجوا في ذلك ووافقهم
عليه بعض المنعمين فاجتمع عند ذلك الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد
يقودهم وأصبحوا يوم الاحد وهم في جمع عظيم وأظهروا ما كانوا قد أخفوه من الآلات
والاسلحة وخرج رجل اسمه السيد بدر ومعه حرافيش خطة الحسينية وزعم الحارات الخارجة
عن القاهرة وهم في صياح وضجيج عظيمين وينادون بأعلى أصواتهم نصر الله دين الاسلام
وساروا الى بيت قاضى القضاة فحشى العاقبة وخاف هذا الامر فأمر فاعلق خدامه الابواب
ووقفوا امامها يمنعون هذه اللوم من الدخول منها فرجوا بيت القاضى بالحجارة واجتمع كذلك
بالجامع الازهر عدد عديد من أولئك السوقة والغوغاء ووصل الخبر الى الجنرال بون حاكم
البلد فركب على الفور في عدة من الفرسان ومر بشارع الغسورية وعطف على خط

المصادقية وذهب الى بيت القاضي فوجد ذلك الزحام العظيم فهاله أمره وخرج من بين
 القصرين وباب الزهومة وكانت جميع هذه الخطط مزدجة باخلاط الاهالى فيبادروا اليه
 وضربوه وأخنوه جراحا وقتلوا بعض فرسانه ثم أخذ المسلمون حذرهم وخرجوا يهرعون
 وضبطوا عدة أما كن بالقاهرة مثل باب الفتوح وباب النصر والبرقية الى باب زويلة وباب
 الشعريه وجهة البندقانيين وماحاذها وهدموا مصاطب الدكاكين وجعلوا أحجارها متاريس
 ووقف دون كل متراس جمع عظيم من الناس واقتصر هذا الحادث على من بقلب القاهرة ولم
 يشاركهم في هذا الخروج أحد من أهالى مصر القدعة ولا أهل بولاق ولا غيرهم من الاطراف
 فسار اليهم طائفة من الفرنسيين وظهروا من ناحية المناخية وأطلقوا بنادقهم على المتاريس
 الكائنة بناحية الشوايين وقد كان بها طائفة من تجار ناحية الفقامين المغاربة فقاتلتهم
 المغاربة قتالا شديدا وأجأهم عن المناخية وعند ذلك زاد الحال وكثر الزحف والزلازل وخرجت
 العامة الخروج التام وبالغوا في الافساد وتطاوت أيديهم الى النهب وهجموا على حارة الجوانية
 ونهبوا دور النصارى الروم والشوام وما جاورها من بيوت المسلمين وسلبوا النساء والبنات
 وكذلك نهبوا خان الملايات وباثوا تلك الليلة على ما هم عليه من النهب والخطف وأصبح
 الفرنسيين وقد رتبوا مدافعهم على تلال البرقية وقلعة الجبل ووقفوا ينتظرون اشارة بونابارته
 وكان بونابارته قد أرسل الى المشايخ خطابا يسألهم فيه رد العامة بالتى هى أحسن حقا
 لدمائهم واستيقاء لارواحهم فلم تجبه المشايخ بشئ فأطال الانتظار فلم يردوا عليه وقد كثرت
 العامة بالبنادق وعينهم بالمدينة وأخسوا في النهب والخطف وما زالوا على هذا الحال الى
 ما بعد الظهر فلما أعياء الانتظار أمر أصحاب المدافع بفعلوا يطلقون مدافعهم تباعا على
 البيوت والحارات وعلى الخصوص الجامع الازهر وما جاوره من المساكن فكانت القنابل
 تخرج من أفواهها كلطر وقد دمرت تلك النواحي وخربتها تخريبا فخرج الناس والمجاورون
 على وجوههم وهم يضجون بأعلى أصواتهم ياخنى اللطاف نجنا مما نخاف ويخرجت النساء
 حاسرات وأولادهن فى أحضانهم وهن مولولات وتتابع الرمي بالقنابل من قلعة الجبل وتلال
 البرقية حتى تزعزعت أركان المدينة وكادت البلد تندك عن آخرها فلما اشتد الخطب وعظم
 الهول والكرب ركب المشايخ الى بونابارته واستغاثوا فعاتبهم واتهمهم بالخدعة والتقصير
 فاعتذروا وتلطفوا فى القول واستنهضوا مروأته فقبل عذرهم وأمر بالكف عن اطلاق
 المدافع فقاموا من عنده وهم ينادون بالأمان وتسامع الناس بذلك فاطمأنت قلوبهم وسكنت
 خواطرهم وكان قد أقبل الليل

أما أهل الحسينية ومن معهم من أهالى الاطراف فانهم لبثوا وراء المتاريس يتابعون
 الرمي حتى فرغ منهم البارود فانكفوا عن القتال وقد مات منهم العدد العديد بنيران
 الفرنسيين التى كانت تتساقط عليهم من كل جانب ثم انكف عنهم الفرنسيين وتركهم
 وبعد هزيع من الليل دخلت العساكر الفرنسية الى المدينة مشاة وفرسانا ومروا بالازقة
 والشوارع فلم يعثروا على أحد فهدموا ما وجدوه من المتاريس ودخل طائفة منهم باب

البرقية وساروا الى الغورية ثم كروا ورجعوا وتراسلوا أرسالا ركبانا ورجالا ثم دخلوا الى الجامع
الازهر وهم على ظهور الخيل وبينهم المشاة وعاثوا بالاروقة وكسروا ما وجدوه من القناديل
والمصابيح وأصبحوا وقد اصطف منهم فريق بباب الجامع وتفرقت طوائف منهم بتلك النواحي
واتخذوا السجى والتطواف بها منهاجا فخرج سكان تلك الخطة يهرعون وهم في أسوأ حال
وكان الفرنسي يسيرون بالشوارع ويفتشون كل من يمر بهم فمن امتنع قتلوه ثم أخذوا
يحملون القتلى من المسلمين والفرنسيين فكانوا كثيرين ومات في هذه الثورة الجنرال بون
بجراحاته التي أصابته وهدموا ما بقى من المتاريس ورفعوا تراجمها وأجارها وقيدوا برتلان
بالعسس والبحث عن الاسلحة الخبأة فبت اعوانه في أطراف المدينة وأكثر من الاساعة وبالغ
في تشكيل المسلمين فعلا منهم الحبوس وكذلك فعل الاغا وأصبح يوم الاربعاء فركب
المشايخ كافة وذهبوا الى بونا بارتة وخاطبوه بالعقوبات وادعاهم وعدا مشوبا بالتسويق
وطالبهم بأن يدلوه على المتعممين الذين أضرموا نار هذه الفتنة فغالطوه وأكثروا من المواربة
فقال ان لم تذكروهم في الساعة فاني لأعفو أبدا فالتمسوا منه اخراج العسكر من الجامع
فأجابهم الى ذلك وامر فخرجوا ولم يبق سوى سبعين جعلوهم رباطا وبالغ بونا بارتة في
البحث عن مبيري هذه الفتنة من المتعممين فكانوا الشيخ سليمان الجوسقي شيخ طائفة
العميان والشيخ أحمد الشرفاوي والشيخ عبد الوهاب الشبراوي والشيخ يوسف المصليحي والشيخ
اسماعيل الشبراوي فأمر بونا بارتة فقبضوا عليهم وسجنوهم ببيت الشيخ البكري ولم يعثروا
على السيد بدر المقدسي الذي جمع لوم الحسينية حيث فر هاربا الى الشام تخاف ببيعة
المشايخ خوفا ما عليه من مزيد وأكثروا من الذهاب الى بونا بارتة والتخضع اليه وطلب
فك سجن أولئك المشايخ فغولطوا وقد اتهم أيضا ابراهيم افندي كاتب البهار بانه جمع جمعا
لا فارة هذه الفتنة من المماليك المختفين عنده وقد أعطاهم شيئا كثيرا من الاسلحة والمساوق
والعصى وغيرها فقبضوا عليه وسجنوه ببيت الاغا ثم قبضوا على آخرين وسجنوهم بقلعة الجبل
واشتد البحث وتبع المشاركون في هذا الحادث فاشتد قلق المشايخ وركب الشيخ السادات
وبقية المشايخ الى بونا بارتة وتشققوا وتخضعوا فلم يقبل واستمر القبض على الناس بأدنى شبهة
ورد بعضهم ما كان نهبه من بيوت النصارى والشوام وغيرهم أيام الثورة فكان شيئا كثيرا
وتطير شرر هذه الفتنة الى جوف البلاد أيضا فقام بعض أهالى القرى والبلدان على كتاب
الفرنسيين المرابطين بها فقتلوههم وأظهروا الخروج والعصيان فاهتم بونا بارتة لذلك واستخدم
جماة من المغاربة فى الجندية وسلم أمرهم لكبير اسمه عمر القلنجي من مغاربة الفجامين
وسيرهم الى تلك النواحي فقهروا الاهالى وظفروا بهم وساموهم الحسف وأسكنوا الفتنة وضربوا
بلدة عسما وقتلوا شيخها ونهبوا داره وأحضر جميع أولاده واخوته فقتلوا جميعهم
ولم يبق منهم سوى ولد صغير قد أقاموه شيخا عوضا عن أبيه وسار برتلان الى ناحية
الشرقية فى طلب من فر من أصحاب الفتنة فلم يدرك أحدا منهم فعاد الى سرياقوس بعسكره
ثم رجع الى القاهرة وقد دخل بعده رسول على هجين قادم من الديار الشاميه ومعه

مكائبات على شكل فرمان من أجد باشا الجزائر والى الشام وآخر من أبى بكر باشا الذى كان عامل مصر قبل دخول جيوش الفرنسيين وقد هرب الى الديار الشامية خطابا الى مصطفى أفغا كتحذائه وخطابا آخر من ابراهيم بيك الكبير الى المشايخ حاصل مافيا بعد الاستهلال وذكر بعض الآيات القرآنية والاحاديث والآثار المتعلقة بالجهاد ولعن طائفة الفرنجة والخط عليهم وذكر عقائدهم وكذبهم وتحيلهم الخس على قتالهم والتخلص منهم وكذلك بقية المكائبات فأخذها الكفخدا المذكور وذهب بها الى بونابارته فلما علم مافيا قال هي أحبولة من حبائل ابراهيم بيك بقصد ايقاع الفتنة واضرام نار الوحشة فاحذروا وانظروا في عواقب الامور

وأخذ الفرنسيين من هذا الحين يشيدون الحصون ويرتبون المعادل ويعدون الابراج العظيمة على التلال والآكام المحيطة بالبلد ووضعوا عليها المدافع وهدموا أما كن كثيرة بالجيزة وحصنها تحصينا عظيما وكذلك مصر القديمة وشبرا وقد هدموا منها عدة جوامع منها الجوامع المجاورة لقنطرة انبابة ومسجد المقس المعروف الآن بأولاد عنان على الخليج الناصرى بباب البحر وقطعوا نخيل جهة الحلى وبولاق وخربوا دورا كثيرة وأخذوا مافيا من الاخشاب ثم ذهب منهم طائفة بعد أيام الى منزل الشيخ البكرى فى نحو نصف الليل وطلبوا المشايخ المحبوسين فخرجوا واذاهم فى وسط فريق من الجند وقد قبضوا عليهم وذهبوا بهم الى بيت حاكم المدينة بدرج الجاميز ثم عثروهم من ثيابهم وصعدوا بهم الى قلعة الجبل وسجنوهم فلما أصبحوا أخرجوهم وقتلهم برى البنادق وألقوهم من السور خلف القلعة وخفي خبرهم عن أكثر الناس وركب فى ذلك اليوم بعض المشايخ الى مصطفى بيك كتحذد الباشا ليتشفعوا واية لاولئك المشايخ فذهبوا الى بيت بونابارته وهم لا يعلمون بموتهم فقابلهم ترجمانه بعين غامضة ثم تركهم فأنصرفوا وأمر بونابارته فكتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها الى البلاد وأرسلوا منها صورا الى المشايخ وهى نصيحة من كافة علماء الاسلام بمصر المحروسة وفيها * نعوذ بالله من الفتنة مظهر منها وما بطن ونترأ الى الله من الساعين فى الارض فسادا نعرف أهل مصر فاطمة أنه حصل بعض الخلل فى المحروسة من بعض الجعيدية وأشرار الناس فخرجوا الشرورين الرعية وبين العساكر الفرنسية بعد ما كانوا أصحابا وأحبابا بالسوية وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ونهبت بعض البيوت ولكن حصلت أظاف الله الخفية وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابارته وارتفعت هذه البلية لانه رجل كامل العقل عنده رجة وشفقة على المسلمين ومحبة للفقراء والمساكين ولولاه لكان العساكر أحرقوا جميع المدينة ونهبوا جميع الاموال وقتلوا كامل أهل مصر فعليكم أن لا تحركوا الفتنة ولا تطيعوا أمر المفسدين ولا تسمعوا كلام المنايقين ولا تتبعوا الاشرار ولا تكفوا من الخاسرين سفهاء العقول الذين لا يقرؤن العواقب لأجل أن تحفظوا أوطانكم وتطمثوا على عيالكم وأديانكم فان الله سبحانه وتعالى يؤتى ملكه من يشاء ويحكم ما يريد ونحبركم أن كل من تسبب فى تحريك هذه

الفتنة قتلوا عن آخرهم وأراح الله منهم العباد والبلاد ونصحتنا لكم أن لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة واشتغلوا بأسباب معاشكم وأمور دينكم وادفعوا الخراج الذي عليكم والدين النصيحة والسلام اه بنصه

ولما طار الخبر في الاتفاق بورود مكاتبات ابراهيم بيك والجزار وتكلم في أمرها أهل البلاد وأكثروا اللغط بها خاف المشايخ من رجوع الحال إلى ما كان عليه وقيام الفتنة فعمدوا إلى تحرير منشور وأرسلوا عدة صوره إلى المدن والبلدان يقولون فيه * نصيحة من علماء الاسلام بمصر نخبكم بأهل المداين والامصار من المؤمنين وباسكان الارياق من العربان والفلاحين أن ابراهيم بيك ومراد بيك وبقيّة دولة المماليك أرسلوا عدة من المكاتبات والمخاطبات إلى سائر الاقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين الخلفاء وادعوا انها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان وسبب ذلك انه حصل لهم الغم الشديد والكرب الزائد واغتاظوا غيظا شديدا من العلماء والرعايا حيث لم يوافقهم على الخروج معهم وأن يتركوا عيالهم وأوطانهم فارادوا أن يوقعوا الفتنة والشربين الرعية وذلك لبسدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر الحمية ولو كانوا في هذه الاوراق صادقين بأنها من حضرة سلطان السلاطين لارسلوها جهارا مع أغوات معينين ونخبكم أن الطائفة الفرنسية بالخصوص عن بقية الطوائف الافرنجية دائما يحبون المسلمين وماتهم ويغضون المشركين وطبيعتهم وهم أصحاب لمولانا السلطان قائلون بنصرته وأصدقاء ملازمون لمودته وعشرته ومعونته يحبون من والاه ويغضون من عاداه ولذلك بين الفرنسيين والموسكوب غاية العداوة الشديدة ومن أجل هذا يعاونون حضرة السلطان على أخذ بلاد الموسكوب ان شاء الله ولا يبقون منهم بقية فتتصحبكم بأهل الاقاليم المصرية أن لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ولا تعارضوا العساكر الفرنسية بشيء من أنواع الإذية فيحصل لكم الضرر والهلاك والبليّة ولا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ولا فتصحبوا على ما فعلتم نادمين وانما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين لتكونوا في أوطانكم سالمين وعلى عيالكم وأموالكم آمنين مطمئنين لأن حضرة صاري عسكر الكبير أمير الجيوش بونا بارتة اتفق معنا على انه لا ينازع أحدا في دين الاسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الاحكام ويرفع عن الرعية سائر المظالم ويقتصر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم فلا تعلقوا آمالكم بابراهيم ومراد وارجعوا إلى مولاكم مالك المماليك وخالق العباد فقد قال نبيه ورسوله الاكرم الفتنة نامة لعن الله من أيقظها بين الامم عليه أفضل الصلاة والسلام نعام اه ولصقوا نسخا من هذا المنشور بشوارع القاهرة وأرسلوا منها في سائر البلاد * وشدد بونا بارتة في البيقطة والالتفات وأكثر من العميون والجواسيس وأقام الجنرال استنك واليا على القاهرة بدل الجنرال بون وايها الذي قتل في الفتنة كما تقدم القول فاطمأن الناس بعد ذلك وسكنت الاحوال وعاد

الامور الى سابق مجراها وأمر بونا بارتته فجعلوا يمهدون الطرق والعقبان ويسهلون المواصلات
 داخل المدينة وقد كانت معرقله بالتلال الكبيرة والوديان العميقة والأشجار الكنسية فردموا
 جميع الجهات التي حوالى بركة الازبكية وهدموا الاماكن المقابلة لبيت بونا بارتته حتى جعلوها
 رحبة متسعة وهدموا الدور المقابلة لها من الجهة الاخرى ورددوا مكانها بالاتربة الممهدة على
 خط معتدل من الجهتين مبتدئين من بيت بونا بارتته الى قنطرة المغربى وفعلا بها
 كذلك على الوضع والنسق بحيث صار جسرا عظيما ممتدا ممهدا مستويا على خط مستقيم من
 الازبكية الى بولاق وينقسم بقرب بولاق الى قسمين قسم الى طريق أبى الغلاء وقسم يذهب الى
 جهة النبانه وساحل النيل وبطريقه الطريق المسلوكة الواصلة من طريق أبى الغلاء وجامع
 الخطيرى الى ناحية المداينغ وحفروا فى جانبى ذلك الجسر جميعه خندقين وغرسوا بجانبه الاشجار
 العظيمة واحدثوا طريقا أخرى فيما بين باب الحديد وباب العدوى عند المكان المعروف بالشيخ
 شعيب حيث معمل الفواخير ورددوا جسرا ممتدا ممهدا مستطيلا يتدنى من الحد المذكور
 وينتهى الى جهة المذبح خارج الحسينية وأزالوا ما يتخلل ذلك من الابنية والغيطان
 والاشجار والتلال وقطعوا جانبيا كبيرا من التل الكبير المجاور لقنطرة الجاحد ورددوا فى طريقهم
 قطعة من خليج بركة الرطلى وقطعوا أشجار بستان كاتب البهار المقابل لجسر بركة الرطلى وأشجار
 الجسر أيضا والابنية التى بين باب الحديد والرحبة التى بظاهر جامع المقس وساروا على المنخفض
 بحيث صارت طريقا ممتدا من الازبكية الى جهة قبة النصر المعروفة بقبة العزب جهة
 العادلية على خط مستقيم من الجانبين وقيدوا بذلك ناسا منهم يتعهدون تلك الطرق وأنشؤا
 مطاحن هواء ومطاحن ماء وجعلوا فى الروضة مستشفى يسع خمسمائة مريض ومثله فى
 الاسكندرية ورشيد ودمياط وأنشؤا مدرسة بالقاهرة لابناء الفرنسيس المولودين بمصر وجريدتين
 بالفرنسية احدهما تسمى مكاد اجبسيان والثانية تسمى كوريه دى اجبت ومعامل للاقفال
 والاسلحة والمدافع وآلات الحرب وصناعة الورق والاقشة وسائر ما يلزم للبلاد وفعلا جميع هذه
 الاعمال العظيمة فى مدة يسيرة جدا مع همة غريبة وجعلوا جامع الظاهر ببيرس خارج
 باب الحسينية قلعة ومنارته برجاً ووضعوا على أسواره المدافع العظيمة وأسكنوا به عدة من
 العسكر وبنوا فى داخله عدة مساكن وكان هذا الجامع معطل الشعائر من مدة وقد باع
 نظاره منه انقاضا وعمدا كثيرة وجعلوا عدة أبراج على تل العقارب بالناصرية ووضعوا فيها عدة
 آلات حربية وأفردوا لجماعة المديرين والفلكيين منهم وأصحاب العلوم الرياضية كالفلك
 والهندسة والهيئة والنقوشات والكتاب والحساب وغيرهم من أرباب القلم حارة الناصرية
 حيث الدرب الجديد ومابه من البيوت وجعلوا بيت حسن كاشف جركس فى تلك الخطة
 مكتبة للطالعة يحضرها من يريد المطالعة منهم فى أوقات معينة من النهار وكان اذا دخلها
 أحد المصريين فرحوا به وأحسنوا لقاءه واذا أراد التفرج أطلعوه على ما أراد أو أراد المطالعة
 أعطوه ما أراد من الكتب ولا سيما الكتب التى تبهج البسطاء بما فيها من الرسوم البديعة وفى

جلبتها رسم صاحب الشريعة المحمدية ورسوم أخرى للخلفاء الراشدين وغيرهم وكانوا يطلقون في كل يوم عند الزوال مدفعا

ولم ينكشف بونا بارتته عن البحث عن كان له يد في الفتنة من ٤٠ البلاد واعيانها فقبض على شيخ العرب سليمان الشواربي شيخ قلوب حيث عثروا على خطاب منه الى أهالي سرياقوس يحضهم على القيام والتأهب للفتك بالفرنسيس عند خروجهم من القاهرة مقهورين فسجنوه بقلعة الجبل وسار بونا بارتته على اثر ذلك ومعه طائفة من الجند والسيد أحمد المحروفي وابراهيم أفندي كاتب البهار وبعض المديرين والمهندسين والمعلم جرجس الجوهري والمعلم أنطون أبو طقية وغيرهم قاصدا مدينة السويس لاهلهم يعلم سره فلما شاع بين أهل السويس خبر مقدمه هربوا كافة وتركوا البيوت قائمة على عروشها فنهبا العسكر وأخذوا ما وجدوه فيها من متاع وفرش فأبلغ بونا بارتته بعض من كانوا معه ما فعله العسكر فرد جميع ما أخذوه ووعد برد ما فقد أو دفع ثمنه وكان مدة لبثه بالسويس يركب في كل يوم ويطوف في حارات وشوارع المدينة وجهات الساحل ليلا ونهارا قيل وكان معه من الادم في هذه السفرة ثلاث دجاجات مقلية ملفوفة في ورقة وقليل من الخبز قال صاحب عجائب الآثار وليس معه طباشير ولا فراش ولا خيمة وكل شخص من عسكره معه رغيف كبير مرشوق في طرف حربته يتزود منه ويشرب من سقاء لطيف من صفيح معلق في عنقه اه * ثم سار من السويس الى الشرقية ودخل مدينة بلبس وقبض على عدة كثيرة من عربان الشرقية وأولادهم من ذكور وإناث وبعث بهم الى القاهرة مع جماعة من العسكر وقام من بلبس قاصدا القاهرة فربأبى زعبل فضرب أهلها وضرب كذلك أهل المنير وأمر فأخذت جميع مواشيها ودخل القاهرة ليلا فلما كان الصباح أنزلوا شيخ العرب سليمان الشواربي ومعه ثلاثة عربان آخرون الى الرملة ومعهم الاتعا فقتلوهم ذبحا ثم سلخوا جثة الشواربي ورأسه لقومه فخلعوه في نعش وساروا به الى قلوب وقاض الخبر بذلك في مصر والقاهرة فخاف الناس وانكشف أصحاب الفتنة وشدد بونا بارتته في تتبع خطوات مراد بيك الكبير وتسيير الجند خلفه اينما سار فكان مراد بيك كلما لحقت به عساكر بونا بارتته ترفع الى الصعيد حتى وصل بن معه الى عقبة الهواء وقد داخلهم من لقاء الفرنسيين هيبسة ورهبة فلم يقابلوه وبونا بارتته يشدد في أمر قتالهم وقطع شأفتهم وقبض على كثير من التجار الترك والقلبيون نجية المقيمين بالقاهرة ومصر بدلالة الاتعا وسجنهم بقلعة الجبل وأخذوا ما كان لهم بوكالة ذى الفقار بالجمالية من متاع وغيره وجعلوا يقتشون على من بقي منهم بالقاهرة ومصر وبولاق وخصوصا من كان منهم في خدمة مراد بيك الكبير وجعلوا جميع الكريدين الذين كانوا في الخدمة العسكرية عند ابراهيم بيك ومراد بيك وأدخلوهم في صفوف العساكر الفرنسية وزيوهم بزيمهم وسير منهم طائفة خاف مراد بيك فلما تزايدت الشدة بمراد بيك ومن معه وضافت عليهم الدنيا برحبها تخلى عنه على باشا ونصوح باشا وسارا مع بعض اتباع ابراهيم بيك الكبير من خلف الجبل

الى الشام فأمر بونا بارتة بتحصين تلك الأطراف فسار قوم من الفرنسيين وبنوا في قطية بعض الابراج والحصون ومهدوا فيها بعض العقبات وأكثروا من الاسلحة والذخيرة ومعدات القتال وأمر بونا بارتة بعد ذلك فقتلوا جميع من كان مسجوناً من المماليك والاجناد التركية بقلعة الجبل وكافوا كثيرين وأخذوا في إعداد دواب النقل من جمال وبغال وحير والتأهب غزو الشام وقتال أحمد باشا الحزار واليهما

ولما شاع بين أهل الحجاز خبر تلك الفرنسيين على ديار مصر وتصرفهم في أمور المسلمين هالهم هذا الامر واستعظموه جدا وقام فيهم مغربي اسمه الكيلاني من مجاوري مكة والمدينة وجعل يحض الناس على الجهاد واستخلاص البلاد من ايدي الفرنسيين فانزعج الناس وضجوا بالحرب وسجوا الى الله وجرّدوا الكعبة من استارها وجعل الكيلاني يعظ الناس ويدعوهم الى الجهاد وقرأ بالحرم كتابا مؤلفا في معنى ذلك فاستنهض بعض الناس وبذلوا أموالهم وأنفسهم وكانوا زهاء الستائة وركبوا البحر الى القصير مع من انضم اليهم من أهل ينبع ونزلوا بالصعيد فانضم اليهم العدد العديد من أهله وبعض الترك والمغاربة الذين كانوا مع مراد بيك والكشاف والغز الذين هربوا بعد مقتل انبائه وزحفوا على جرجا وكان بها الجنرال ديزه بجيشه يطارد مراد بيك ومن معه فلاقت جيوشه تلك الجوع واقتتل الفريقان فلم تثبت الترك والغز كعادتهم وانهمزوا فتبعهم هواره الصعيد واليوم المجتمعة من القرى وثبت الحجازيون برهة ثم اشتدت عليهم نيران الفرنسيين فتهقروا ثم ولوا الادبار وترفع من هرب من الترك والمماليك الى اسناومعهم حسن بيك الجداوى وعثمان بيك تابعه وجاء الخبر بذلك الى بونا بارتة وبما وقع فتأخر عن الخروج بعسكره الى غزو الشام وتربص حتى يرى ماسيكون من أمر الحجازيين وما زال الحجازيون يعاودون الكرة على الجنرال ديزه وعساكره والحرب بينهم سجال حتى تمكن منهم وبدد جوعهم وأغل فيهم القتل والتشريد ومزقهم في شهر رجب سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وانقطع خبرهم ولم يظهر بعد ذلك منهم أحد * ووردت البشائر بما أصابهم الى بونا بارتة فجعل يتأهب للخروج بجيشه وخرج في مستهل رمضان من السنة قاصدا الشام وسارت طوائفه طائفة بعد أخرى في أجال ومهمات وكراع زائدة للغاية وعقد بونا بارتة قبل خروجه ديوانا جمع فيه العلماء والمشايخ والاعيان من النصارى والمسلمين وحدثهم بأمر خروجه بعسكره الى الشام ليقطع شأفة ابراهيم بيك الكبير ومن معه كما فعلت عساكره بمراد بيك ومن معه وأنه سيمهد الطرق ويجعلها في أمن ويفتح باب التجارة بين مصر والشام ترويجا لارتاق مصر وتوسيعا لنطاق ثروتها قال بونا بارتة ولا أغيب عنكم سوى شهر ثم أعود فابذل الجهد في تحسين أحوال البلاد وترتيب جميع أمورها على النحو المرغوب بعون الله ولا أطالبكم الا بالخمود الى السكينة وملازمة الهدوء ومراقبة أحوال العامة وحضهم على ملازمة السكون وعدم الاختلاط بالجنود المقيمين بمصر والقاهرة وهذه وصيتي اليكم فاحفظوها فتعهدوا له بذلك * وقد سلم زمام القاهرة الى الجنرال دونغا والصعيد الى الجنرال ديزه

والاسكندرية الى الجنرال هرمون وخرج الى العادلية في يوم الاحد خامس رمضان من السنة
ومعه طوائف الجند وقاضى القضاة ومصطفى بيك كتحذا الباشا وبعض المشايخ والمديرين
والمترجين وغيرهم من أصحاب الوظائف العالية وترك عدة من العساكر بالقلاع والابراج
التي أنشأها فلما وصل الى قلعة العريش قاتله من بها من العساكر وعدتهم نحو الالف بين
مغاربة وارنؤد فحاصر القلعة وضيق على من بها فأرسلوا يطلبون المدد من غزة فجاء اليهم
قاسم بيك أمير البحرين ومعه طائفة كبيرة فلم يتمكن من الوصول الى القلعة حيث هاجمه
عساكر الفرنسيين وحاولوا بينهم وبينها ثم كبسوا عليهم ليلا فقتل قاسم بيك وقتل معه خلق
كثير وفر من بقي وهزم النذر اليسير واشتد بونا بارتته في حصار القلعة وضيق عليها من كل
جانب فاستأمن من بقي فيها فأمنهم وأنزلهم من القلعة وأدخل منهم بجيوشه من رام الدخول
والانتظام في سلكهم وصرف من لم يقبل الى مصر تخفروهم طائفة من الفرنسيين ثم ارتحل
الى العريش واحتلها وكتب كتابا الى أهل الشام ونصه

فرمان عام موجه من أمير الجيوش الى أهل الشام قاطبة بسم الله الرحمن الرحيم وبه
نستعين من طرف بونا بارتته أمير الجيوش الفرنسية الى حضرة المفتين والعلماء وكافة أهالي
فواحي غزة والرملة ويافا حفظهم الله تعالى بعد السلام نعرفكم اننا حررنا لكم هذه السطور
نعلمكم اننا حضرنا في هذا الطرف لقصد طرد المماليك وعسكر الجزائر عنكم والى أى سبب
حضور عسكر الجزائر وتعبه على بلاد يافا وغزة التي ما كانت من حكمه والى أى سبب أيضا
أرسل عساكره الى قلعة العريش وبذلك هجم على أراضى مصر فلا شك كان مراده اجراء
الحروب معنا ونحن حضرنا لتحريره فأما أنتم يا أهالي الاطراف المشار اليها فلم نقصد لكم
أذية ولا أدنى ضرر فأنتم استمروا في محلكم ووطنكم مطمئنين ومرتاحين وأخبروا من كان
خارجا عن محله ووطنه أن يرجع ويقيم في محله ووطنه ومن قبلنا عليكم ثم عليكم الأمان
الكافي والحماية التامة ولا احد يتعرض لکم في مالكم ولا ما تملكه يدكم وقصدنا أن القضاة
بلازمون خدمهم ووظائفهم على ما كانوا عليه وعلى الخصوص أن دين الاسلام لم يزل معززا
ومعتبرا والجوامع عامرة بالصلاة وزيادة المؤمنين ان كل خير يأتي من الله تعالى وهو يعطي
النصر لمن يشاء ولا يخفاكم أن جميع ما تأمر به الناس ضدنا فبغدر باطل ولا ننتفع لهم به
ولان كل مانضع فيه يدنا لا بد من تمامه بالخير والذي يتظاهر لنا بالحب يفلح والذي يتظاهر
بالغدر يهلك ومن كل ما حصل تفهمون جيدا اننا نقع أعداءنا ونعصدهم من يحبنا وعلى
الخصوص لكوننا متصفين بالرجة والشفقة على الفقراء والمساكين

وسار بجيوشه الى غزة فوصل في ليلة التاسع عشر من رمضان الى خان يونس فباتوا
ليالتهم وعند الفجر ساروا الى غزة فشهدوا قبل الظهر بقليل عساكر المماليك والجزائر
معسكرين أمامها فهاجوهم فلم تدافع عساكر المماليك الا بالأمر الهين ثم ولوا جميعا الفرار
فتبعهم الفرنسيين وقتلوا مؤخرتهم قتالا يسيرا وبينما كانت العساكر الافرنسية تطارد جند

المالِك انعطف الجنرال كبير بجيوشه الى غزة فملكها واحتلها وأخذ ما فيها من الذخائر
 والشعير والبقسمات وزهاء الاربعمئة قنطار بارود واثنى عشر مدفعا وعددا عظيما جدا
 من الخيام وغير ذلك من معدات الحرب وبعث الى القاهرة ببعض الرايات التي غنمها من
 قلعة العريش وغزة صحبة طائفة من الجند فدخلوا القاهرة في كبكبة عظيمة وبأيدي بعضهم
 تلك الرايات ومروا من وسط المدينة الى الجامع الازهر فاصطفوا رجالا وربكنا بباب الجامع
 وضربوا طبولهم وأبواقهم ثم طلبوا شيخ الجامع فسلموه تلك الرايات وأمره برفعها على منارات
 الجامع فنصبوا رايتين منها على المنارة الكبيرة وواحدة على منارة أخرى فلما رفعت تلك
 الرايات أطلقوا لها عدة مدافع من قلعة الجبل وكان ذلك ليلة عيد الفطر فلما كان عند
 الغروب أطلقوا عدة مدافع أيضا اعلاما بالعيد وطاف بعد العشاء أصحاب الشرطة ينادون
 بالأمان وخروج الناس على عادتهم لزيارة القبور بالقرافتين والاجتماع لصلاة العيد وأن
 يفعلوا جميع عوائدهم في ذلك اليوم وسارت جيوش بونابارته من غزة في الثالث والعشرين
 من رمضان فوصلوا الى الرملة في الخامس والعشرين منه فانجبت عنها عساكر الجزائر وولوا
 هاربن فدخلها فريق من الفرنسيين وماكوا ما فيها من الذخائر وآلات الحرب ثم قصدوا
 يافا فوصلت طلائع الجيش اليها في الثامن والعشرين من رمضان ثم حاصروها شرقا وغربا
 فتم حصارها وشددوا عليها وسير بونابارته جيشا آخر الى عكا ليناوشها القتال حتى يأتي اليها
 بجميع عساكره وخذل حول يافا وعمل المتاريس ووضعوا عليها المدافع العظيمة فخرج
 عساكر الجزائر للقتال وهجموا على متاريس الفرنسيين هجمة شديدة للغاية فلاقاهم عسكر
 الفرنسيين وصدموهم صدمة قوية فكروا راجعين الى المدينة وامتنعوا في قلعتها فعند ذلك
 أرسل بونابارته خطابا الى والي يافا يعلمه بان الغرض من حضوره الى يافا انما هو قهر عسكر
 الجزائر واخراجهم وأنه ان جنح الى التسليم بالرضا كان ذلك فيه مصلحة للبلد وأهلها وحقق
 للدماء وان أبي الحرب فلا يمضي الا قليل من الساعات حتى ينسف أسوار المدينة نسفا
 ويعمل السيف في رقاب أهلها حتى لا يبق بها أحد فلما علم الوالي بما في الخطاب قبض على
 رسول بونابارته ووضعته في السجن ولم يجب بونابارته بشيء فلما غاب الرسول وانقطع الامل
 من رجوعه أمر بونابارته فأطلقوا المدافع وتابعدوا الرمي على المدينة بالقنابل وحى الوطيس
 وارتفع الدخان الى عنان السماء واشتد الرمي فلم يمض قليل من الزمن حتى تعطلت مدافع
 حصون يافا وتراسل الرمي من متاريس الفرنسيين وما زالوا حتى تهدم بعض السور وحل
 الفرنسيين حلة رجل واحد على السور فملكوا الابراج ودخلوا المدينة عنوة وأعملوا السيف
 في أهلها واشتد الامر ونهب العسكر المدينة وأخذوا جميع ما صدقوه فكان يوم وليلة يشيب
 من هولهما الرضيع ثم أمر بونابارته بالكف عن القتل والنهب فكان الموتي لا يكادون
 يدخلون تحت حصر * وكان بمدينة يافا عدد كبير من أهالي مصر ودمشق الشام وحلب
 وغيرها فرسم بونابارته برجع كل فريق منهم الى وطنه سواء كان من المحاربين أو غير المحاربين

وجمع الغنائم فسكانت شياً كثيراً من الاموال والمتاع والسلاح والكرع وغير ذلك فأرسل بعضها الى مصر مع بعض رايات عسكر الجزائر وعددها ثلاث عشرة راية فرفعت على منارات الجامع الازهر وأنزلوا ما كان عليها من رايات قلعة العريش وأطلقوا لذلك عدة مدافع من قلعة الجبل ثم سار بونابارته بعساكره الى حيفا ففتحها وغنم ما فيها فكان شياً كثيراً جداً وانتقل الى عكا فحاصرها فتمنعت عليه فشدد في حصارها وضيق وهي لا تزاد الا منعنة قد طال حصارها

وبينما كان بونابارته يقاتل أهل الشام ويفتح مدنها وبلدانها كان عساكره بمصر يقاتلون أيضاً الهاربين من الاهراء المصريين ويبددون شملهم بالصعيد والشرقية ودمهور ويتبعون خطوات الالقي أينما سار فلما ضاق بالالقي رحب الصعيد نزل في قلة من أصحابه من خلف الجبل وخلق بالشرقية وراسل قبائل العربان ومن بقي من المماليك فانضم اليه منهم جماعة كثيرة وأنهبوا لقتال الفرنسيس فسارت لقتالهم طائفة من العسكر وسارت أخرى أيضاً الى دمنهور لقتال أهلها حيث خرجوا على العمال وجباة الاموال وشقوا عصا الطاعة وتبعوا رجلاً مغربياً نزل على دمنهور وادعى المهذوبة وصار يدعو الناس ويحرضهم على القتال والجهاد فاجتمع اليه كثير من أهل البحيرة وغيرهم وجاءوا الى دمنهور وقتلوا من بها من الفرنسيس وطرودوا العمال واستمروا على ذلك أياماً كثيرة وجعل ذلك المغربي يكاتب البلاد ويحرض أهلها على القتال فلما وصلت اليها العساكر الفرنسية قاتلتها وأعلنت فيها السيف وأخشت في لقتل والنهب وأراقت فيها من الدماء شياً كثيراً جداً ونهبت ما وجدته فكان شياً لا يكاد يدخل تحت حصر وقتل في هذه الواقعة ذلك المغربي وكثير من أخصائه وكرادعوته * وجاء الخبر بذلك الى بونابارته وهو على حصار عكا ففرح وبأخ في الحصار واجهد النفس وتابع الرمي بالقنابل عليها فلم ينل منها مثاله وامتنعت عليه فصمم على تركها والعود الى مصر وكتب الى قائده بمصر يقول * اعلم أيها الصديق انه ما جئني على ترك حصار عكا والعود اليكم إلا خمسة عشر سبباً الاول قيام عسكرنا امام أسوارها ستة أيام بدون حرب حتى وصل اليها بعض ضباط الانجليز فخصوها تحصيناً هندسياً قد زاد في منعتها الثاني أخذ الانجليز لمرأكتنا الكبيرة الستة بما فيها من المدافع عند يافا الثالث كثرة الموات في عسكرنا بالطاعون واشتداده الرابع عدم حصول عسكرنا على الاقوات الكافية بأسباب خراب البلاد المجاورة لعكا الخامس اضطراب ضباطنا من حوادث الصعيد وعصيان مراد بيك الكبير وموت طائفة كبيرة من الجنود الفرنسية في تلك الاصقاع السادس خروج الجحازيين مع الكيلاني الى الصعيد السابع خروج المغربي المدعو محمد ومن خرج معه من أهالي البلاد الثامن ضبط مرآكب الانجليز لبوغاز الاسكندرية ودمياط التاسع وقوف عمارة الروس امام رودس العاشر ورود الخبر بنقض الصلح بين امتنا والامّة النمساوية بتحريض الانجليز الحادي عشر موت تيمو أحد ملوك الهند أعداء الانجليز وقد كان بيني وبينه عهد قبل

نزولي بعكا الثاني عشر موت كفرللى الذى قد علمت المتاريس برأيه واشارته وعجزى عن تعيين آخر مكانه لا يثبت ان يغير هيئة تلك المتاريس فيجوزنا الى عطلة لابلد منها وكفرللى هذا هو المعروف بأبى خشبة وهو من خول أركان حرب بونابارته * الثالث عشر نزول مصطفى باشا من القسطنطينية براكب الانكليز وسيره الى ميه لاسكندرية الرابع عشر وقوف مراكب الانكليز امام عكا الخامس عشر ما رأيناه من وجوب اطالة الحصار الى أربعة أشهر على الأقل مع ما وراء ذلك من الارتباك والاختار التى ذكرناها فهذه يا صديقي هى الاسباب الحاملة لى على ترك الحصار والعود اليكم اه

وكان الانجليز قد هيجوا على بونابارته الخواطر وحزبوا عليه سائر أهالى الشام من المسلمين والنصارى وأرسل سفيرهم المقيم فى دار السلطنة منشورات الى لبنان يحض فيها مشايخ وأمرأه تلك الاصقاع على الخروج على بونابارته وجيوشه ومد يد المساعدة للدولة العثمانية وأرسل الى كبار النصارى منهم صورة منشور كان أصدره بونابارته يقول فيه انه هدم أركان الديانة النصرانية وقوض بنيانها فكان لنشر هذا المنشور بينهم أثر مؤلم جدا فتحزبوا عليه ومنعوهم اعطائه الدقيق والخمر والمؤنة للعسكر ولا سيما البارود وكانت السفن الانكليزية تمخر فى البحار طولا وعرضا وتضرب كل ما تصادفه من مراكب الفرنسيس وتدمرها تدميرا ورست امام أسوار عكا بجرا وجعلت تتابع رعى القنابل على معسكر بونابارته ليلا ونهارا حتى عرفت مساعيه وأضعفت أمانيه وبلغت منه الروح التراقي فارتحل عن عكا فى الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة أربع عشرة ومائتين وألف يريد مصر بجميع جيوشه وأركب الجرحى والمرضى منهم على دواب الحمل وخيول الفرسان وسار الجيش بطوى تلك الصحارى طيا لعله يدرك القاهرة فقاوسا الشدائد والاهوال وأعمل فيهم الظما ونفسي فيهم الوباء وكانت مراكب الانجليز تتبعهم فى البحر وترى عليهم القنابل كلما اقتربوا فى طريقهم من ساحل البحر والعربان تتبعهم من خلف تشن الغارة على مؤخرتهم كل قليل وكذلك كانت الجيوش العثمانية تزحف خلفهم مرحلة بعد مرحلة فكانوا لذلك يخربون كل بلد أو مدينة يمرون بها كى لا يتمكن خصومهم من الاستيلاء عليها فلما جاؤا العريش أمر بوناباته فبالغوا فى تحصينها ومنعتها ولبثوا بها أباما ولا ماء عندهم وكان القيظ شديدا جدا فكانوا يأتون بالماء من بعض المستنقعات الآجنة فيشربونه وهو مشحون بالديدان والعلق فكان العلق يلصق بأفواههم ويمتص دماهم ثم رحلوا عن العريش فوصلت مقدماتهم ضواحي القاهرة فى يوم الثلاثاء سابع المحرم سنة أربع عشرة ومائتين وألف هجرية وأخبروا بوصول بونابارته الى الصالحية فلما كانت ليلة الجمعة عاشره أرسلوا الى المشايخ والاعيان للخروج لملاقاته فاجتمعوا بالازبكية عند الفجر بالمشاعل ودقت الطبول فركبوا وركب جميع أرباب الوظائف العالية والمديرين ونائب بونابارته مع كبار العسكر وساروا الى العادلية فقابلوا بونابارته وسار معهم فى خواصه ودخلوا الى القاهرة من باب النصر فى موكب حافل

للغاية وامامهم الطبول وخلفهم المركبات والاحمال وساروا على هذا الحال الى أن دخل
 بونابارته داره بالازبكية وأطلقوا عدة مدافع فلم تكد تستقر ببونابارته وحيوشه الراحة من
 غزوة الشام وقبض تلك الصماري حتى جاء الخبر بالبحر بانحدار مراد بيك وأصحابه فرارا من
 الفرنسيين ونزوله بدهشور أياما ثم ارتحاله منها الى نجع الطرانة ثم الى البحيرة من خلف
 الجبل فأغضبه هذا الخبر وعبر النيل من فوره في عسكره ونزل على نجع الطرانة ودهشور
 وضربهما وأهلك منهما خلقا كثيرا جدا فعلم بعد ذلك ان مراد بيك عاد ثانيا الى الاقاليم
 القبلية وان عثمان بيك الشرفاوى وسليمان أغا الوالى وآخرين همروا من خلف الجبل الى
 ناحية الشرق فسير بونابارته لقتالهم برتلان الرومى في عسكر عظيم من أنحلاط الروم والماليك
 والقبط والفرنجة فأدركوهم على مقربة من مدينة بليس وأتوهم من خلف الطريق المسلول
 فأخذوهم غيلة وكان في هذا الحين عثمان بيك يغتسل فلما أحسوا به بادروا جميعا الى الفرار
 وركبوا وركب عثمان بيك بقميص واحد وطاقية على رأسه وهربوا وتركوا ثيابهم ومناقبهم
 ونذرتهم وجميع ما كان معهم حتى قدور الطعام على النار ووجدوا على فراش عثمان بيك
 مكاتب من ابراهيم بيك الكبير يستدعيهم الى الحضور اليه بالشام * وشاع الخبر عقب
 ذلك بأيام بحضور مراكب كثيرة امام مدينة الاسكندرية وأبى فيروان بها كثيرا من
 الجنود العثمانية فكثرا غط الناس ونجدتهم بهذا الامر وتحقق الخبر بخروج طوائف
 الفرنسيين وعمورهم النيل الى البحيرة واهتمامهم بأعداد مهمات الحرب وآلات القتال
 ثم خروج بونابارته أيضا ومعه المعلم ابراهيم الجوهري واهتم حنا بتتمتولى ساحل بولاق
 بجمع المراكب وشحنها بالمعدات والذخيرة وغيرها وأقام بونابارته في مخيمه بجانب الاهرام
 حتى تكامل الجيش وسير المقدمة وركب هو في ثاني يوم وهو الثلاثاء ثاني عشرى صفر
 سنة أربع عشرة ومائتين قاصدا الاسكندرية فلم يكذبصل بجميع حيوشه الى البحيرة حتى
 جاءته الاخبار بنزول فريق عظيم من العساكر العثمانية على أرض أبى قير فجد في السير
 يريد الوصول على عجل * قال صاحب عجائب الآثار وكتب بونابارته الى أرباب الديوان عصر
 خطابا يقول فيه * لاله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى محفل الديوان عصر
 المنتخب من أحسن الناس وأكملهم بالعقل والتدبير عليكم سلام الله تعالى ورحمته وبركاته
 بعد مزبد السلام عليكم وكثرة الاشواق الزائدة اليكم فخبركم يا أهل الديوان المسكرين العظام
 بهذا المكتوب اننا وضعنا جماعات من عسكرنا بجبل الطرانة وبعد ذلك سرنا الى اقليم البحيرة
 لاجل ما نرذراحة الرعايا المساكين ونقتص من أعدائنا المحاربين وقد وصلنا بالسلامة الى الرجانية
 وعفونا عفوا عموما عن كامل أهل البحيرة حتى صار أهل الاقليم في راحة تامة ونعمة
 عامة وفي هذا التاريخ نخبركم أنه وصل ثمانون مركبا صغارا وكبارا حتى ظهرنا بشعر
 الاسكندرية وقصدوا أن يدخلوها فلم يمكنهم الدخول من كثرة البنب والكلال النازلة عليهم
 فرحلوا عنها وتوجهوا يرسون بناحية أب قير وابتدؤا ينزلون في البر وانا الآن تاركهم وقصدى

أن يتكامل الجميع في البر وأنزل عليهم اقتل من لا يطيع وأخلى بالحياة الطائعين وآتيكم بهم محبوسين تحت السيف لأجل أن يكون في ذلك شأن عظيم في مدينة مصر والسبب في مجيء هذه العمارة إلى هذا القطر العثم بالاجتماع على الممالك والعربان لأجل نهب البلاد ونزاع القطر المصري وفي هذه العمارة خلق كثير من الموسكو الأفرنج الذين كراهم ظاهرة لكل من كان يوحده الله وعداوتهم واضحة لمن كان يعبد الله ويؤمن برسول الله يكرهون الاسلام ولا يحترمون القرآن وهم نظرا لكرههم في معتقدكم يجعلون الآلهة ثلاثة وإن الله ثالث تلك الثلاثة تعالى الله عن الشركاء ولكن عن قريب يظهر لهم أن الثلاثة لا تعطى القوة وإن كثرة الآلهة لا تنفع بل أنه باطل لأن الله تعالى هو الواحد الذي يعطي النصر لمن يوحده هو الرحمن الرحيم الساعد المعين المقوى للعاديين الموحدين المالحق رأى المفسدين المشركين وقد سبق في علمه القديم وقضائه العظيم أنه أعطاني هذا الاقليم وقدر وحكم بحضوري عندكم لأجل تغييرى الامور الفاسدة وأنواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع صلاح الحكم وبرهان قدرته العظيمة ووجدانيته المستقيمة أنه لم يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة قوة مثل قوتنا فلم يقدرُوا أن يعملوا الذى عملناه ونحن المعتقدون وحدانية الاله ونعرف أنه العزيز القادر القوى القاهر المدبر للكائنات والمحيط علما بالارضين والسموات القائم بأمر المخلوقات هذا ما فى الآيات والكتب المنزلات ونخبركم بأن المسلمين ان كانوا بصحبتهم يكونوا من المغضوب عليهم لمخالفتهم وصية النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بسبب اتقافهم مع الكافرين الفجرة اللثام لأن أعداء الاسلام لا ينصرون الاسلام وباويل من كانت نصرته باعداء الله وحاشا الله أن يكون المستنصر بالكفار مؤيدا أو يكون مسلما ساقطهم المقادير للهلاك والتدبير مع الثقالة والذالة وكيف لمسلم أن ينزل في مركب تحت بيرق الصليب ويسمع في حق الواحد الاحد والفرد الصمد من الكفار كل يوم تخريفا واحتقارا لاشك ان هذا المسلم في هذا الحال أقبح من الكافر الاصل في الضلال نريد منكم بأهل الديوان ان تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والامصار لأجل ان يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية في سائر الاقاليم والبلاد لان البلد الذى يحصل فيه الشرى يحصل لهم مزيد الضرر والقصاص انصحوهم يحفظوا أنفسهم من الهلاك خوفا عليهم ان نفعل فيهم مثل ما فعلنا بأهل دمنهور وغيرها من بلاد الشرور بسبب سلوكهم المسالك القبيحة قاصصناهم والسلام بخبرنا في الرحمانية يوم الاحد خامس عشر صفر سنة أربع عشرة ومائتين وألف هجرية انتهى بنصه **قلت** وفي هذا الخطاب ان كان صحيحا من النقد على بونا بارتة والتعيب ورميه بالغش والخديعة ما يزرى ويحط بعظمته ويذهب بشهرته

وسار بونا بارتة بجيوشه حتى نزل على أبي قير واقتتل مع الجيوش العثمانية التي كانت بالقلاع قتالا عنيفا وما زال حتى قهرها واسترد منها ما أخذته من القلاع والحصون وأخذ مصطفى باشا أمير الجيوش العثمانية أسيرا وكذلك عثمان بنجا الذى كان عاملا على رشيد على عهد

ابراهيم بيك الكبير وقتل من العساكر العثمانية خلقا كثيرا وغنم الفرنسيين من آلات الحرب والذخيرة والمؤن وغير ذلك مالا يحصى يدخل تحت الحصر ثم قفل بونا بارتة راجعا بجيشه ورايات النصر تخفق على رؤسهم فدخل القاهرة ليلة الاحد التاسع من ربيع الاول من السنة ومعه عدة كثيرة من أسرى المسلمين وشاع الخبر بحضوره في تلك الليلة فلم تصدق الناس ذلك وذهب جماعة ليتحققوا الخبر على جليته فشاهدوا الاسرى وقوفا في وسط بركة الازبكية وبقوا كذلك الى ظهر اليوم ثم أرسلوا بعضهم الى جامع الظاهر بيسبرس خارج الحسينية وأصعدوا باقيهم الى قلعة الجبل وبعثوا بصطفى باشا الى الجيزة وسيروا عثمان خجا الى اسكندرية فكان لهذا الحادث أثر مؤلم في خواطـر المصريين فقد كانوا يفتنون الخلاص على يدي أولئك المقاتلين نخبت منهم الآمال * ولما استقر بونا بارتة المقام أمر بعثمان خجا فنقل من الاسكندرية الى رشيد وادخلوه اليها في طائفة من العسكر مكشوف الرأس حافي الاقدام وطافوا به حول البلد وهو على هذا الحال ثم ساروا به الى بيته الذي كان يسكنه قبل فراره الى القسطنطينية وأوقفوه امام بابه واحتزوا رأسه وعلقوها على إحدى نوافذ الدور الأعلى ليراها الناس كافة * وعاتب بونا بارتة أرباب الديوان بمصر على عدم ولائهم وإخلافهم للفرنسيين وخص بشديد العتاب الشيخ المهدي والشيخ الصاوي فلا طفاه وساراه حتى أزال عنه ما كانا يخشيانه ولبت بونا بارتة يدبر الامور على ما يشاء الى ان كان يوم الاثنين سادس عشر ربيع الاول من السنة ركب من القاهرة وخرج خروج المسافرين في قلة من خواصه وسار الى الاسكندرية فلما نزل بها استقدم الجنرال منو وولاه قيادة الاسكندرية وولى الجنرال كلاير نيابة الغيبة بمصر وكتب له بذلك مرسوما ثم أعلم الاميرال جانتوم بعزمه فأعد له دارعتين عند العجي فلما رتب أموره على ما أراد ركب ليلا في قلة من خواصه ونزل بأحدى الدارعتين وبات ليلته تلك وأقنع صباحا وقد تركوا خيولهم على البر ولم يعلم أحد بخبر قيامه الى عاصمة الفرنسيين حتى جاء كنه الى الجنرال دوجيه بمصر فتلاه على أرباب المجلس فكان مضمونه قيام بونا بارتة من الاسكندرية الى باريز ليهدد لجمارته البحرية المسالك والعقبات التي أحدثتها سفن الانجليز في سبيلها وأنه لا يتغيب عن مصر أكثر من ثلاثة أشهر وأنه أقام على مصر الجنرال كلاير نائب الغيبة فلما قرئ هذا الخطاب أخذ العجب من أرباب المجلس مأخذه وكادوا لا يصدقونه لملازمة مراكب الانجليز مياه الاسكندرية صيفا وشتاء ومنعها جميع المواصلات بالاسكندرية فكررروا على الامير دوجيه السؤال فأكد لهم سفر بونا بارتة في يوم الجمعة حادي عشر ربيع الاول من السنة وحضر الامير كلاير من معسكره بدمياط الى القاهرة ونزل في مكان بونا بارتة بيت الاتي بالازبكية فذهب المشايخ والاعيان وأرباب الديوان لزيارته فلم يروا منه صدرا رجبا ولا وجهها باشا كما كانوا يرون من بونا بارتة وركب في ثاني يوم في موكب حافل للغاية وصعد الى قلعة الجبل وامامه طائفة كبيرة من القواصة بالعصى يأمرؤن الناس بالقيام اجلالا له وخلفه عدة كثيرة من الفرسان

والمشاة وطوائف الاجناد والوالي والاغا وغيرهما ولبت بالقلعة ساعة ثم رجع الى مقعده وكان رجلا حازما واسع التأمل كبير الفكر عظيم الخبرة يفنون السياسة والحرب فلما استقر به المنصب كتب الى أرباب الحل والعقد بباريز عاصمة الفرنسيين يقول ما ترجمته

قد رحل بونا بارتة عن مصر الى باريز ولم يعلم بخبره أحد ولم أكن لأعلم بذلك الا بعد ان أتاني خطابه وقد علمت أنه أرسل بكتاب أيضا الى صدر الدولة العثمانية بعد علمه بوصول الصدر المشار اليه الى دمشق الشام ولا يخفى كم أنه لم يكن لنا عدو سوى المماليك فقط أما الآن فقد أصبح أعداؤنا غير المماليك وهم كل من دولة الانجليز والدولة العثمانية ودولة الروس وقد صارت جنودنا في نصف العدد الذي احتلت به ديار مصر وهم مع ذلك متفرقون في جوف البلاد من العريش والاسكندرية الى جزيرة اسوان وليس لديهم من معدات الحرب ما يكفيهم لتعطيل معامل الاسلحة والبارود وكذلك ليس عندهم من الثياب ما يقيهم من أمراض البلاد ولا مال عندنا بقدر الكفاية اذ خسرت الخزينة زهاء اثني عشر ألف ألف من الفرنكات هذا وان كنا قد ضربنا المماليك فزقنا جمعهم ولكن ما برح مراد بيك الكبير يقاتلنا في الافايم القبلية في عدة وافرة من الرجال وأخلاق الناس ولا سبيل الى التغلب عليه الا بعد أيام كثيرة وقد جاء صدر الدولة العثمانية من القسطنطينية الى دمشق الشام من أجل الزحف علينا وقتالنا فلا نعلم ما سيكون من وراء ذلك أما حصوننا وقلاعنا فلا تزيد في قوتنا شيئا ومنها حصن العريش فانه لا يدفع مهاجما وما الاسكندرية الا شبه معسكر تحيطه زربية فلذلك أرى ان أنجح الوسائل وأفضلها أن تفتح المحاربة مع الدولة العثمانية عسى نتفق على ما يكون فيه المصلحة فقد علمت اليوم أن عمارة عثمانية عظيمة رست أمام حصون دمياط اه

وجاء الخبر بانحدار مراد بيك الكبير الى الفيوم وعبته بالبلاد وتكليف أهاليها بالمغارم والكاف فأرسل لقتاله عسكريا فساروا والتقوا معه ووقعت بينهم وقائع عدة ثم تردت بين مراد بيك وبين الامير كلاير الرسل والمراسلات وتكلموا في أمر الصلح فانفقوا على شروط منها تقليد مراد بيك امانة الصعيد من قبل دولة الفرنسيين ف وقعت بينهما هدنة على ذلك وكادت تتم لمراد بيك الامارة وتفرغ الامير كلاير الى غير ذلك فخصن الصالحية والقرين وبليس وأكثر فيهما من الاسلحة والذخيرة ورتب الاربطة وهيا الحصون وحصن الابراج وبالغ في ترتيبها فكانت الاخبار تزداد ورودا بجمع العساكر السلطانية في الديار الشامية وقرب حلولها بمصر لاجل اخراج الفرنسيين منها واجلائهم عنها وكان لما سافر بونا بارتة الى باريز وترك الامر في مصر الى الامير كلاير طمعت الدولة العثمانية في استخلاص البلد من أيدي الفرنسيين وزادها رغبة في ذلك السير سدي سميت أمير السفن الانجليزية فرسم السلطان الى يوسف باشا الصدر الاعظم يومئذ بالذهاب الى الشام ليجمع منها الجند والعسكري ويسير بهم برا الى مصر وسير جيشا آخر على ظهر العمارة الانجليزية ومعه كثير من ضباط الانجليز

وكبار الحرب فسارت العمارة بمن فيها حتى أنت دمياط ونزل من كان بها من العسكر في قلعة متخربة شرق البوغاز فخرج الفرنسيين لقتالهم فحاصروهم وضربوهم حتى أجلوهم عنها وقد مات منهم خلق كثير ولم ينالوا من الفرنسيين أما يوسف باشا فإنه لما نزل بالشام ومن معه من كبار السلطنة قيل انهم عسفوا في البلاد وضربوا على أهلها الضرائب الفادحة وجبوا الاموال كرها وعاثوا في الارض مفسدين فكانت شدة عظمية على أهل الشام وما زالوا على هذا الحال حتى رحلوا عنها وجاءوا الى غزة في منتصف رجب من السنة ثم العريش وحاصروا من بها من الفرنسيين وقتلواهم حتى ملكوا قلعتها في التاسع عشر من رجب المذكور وغنموا جميع ما كان بها من الذخيرة وآلات الحرب ودخل قائد الجيوش السلطانية وجماعة كبيرة من عسكره وبعض الامراء المصريين الى القلعة بعد انسحاب الفرنسيين منها ورفعوا عليها أعلامهم وضربوا طبولهم وأبواقهم فرحاً بأخذها من أيدي الفرنسيين وكان الفرنسيين قد تركوا فيها جنديا عند مخازن البارود محتفيا فلما صاروا جميعا داخل القلعة ألهب البارود وكان شسبا كثيرا للغاية فزلزلت الارض في الحال زلزالها وتطايرت أبنية القلعة عن فيها كافة فزقتهم عن آخرهم وتطايرت أشلاؤهم الى عنان السماء ومات كثير من العساكر الذين كانوا خارجا عنها بما سقط عليهم من النيران والاحجار المتطايرة ولم يبق الا نفر قليل فكان حادثا مريعا جدا ومنظرا تقشعر منه الابدان وقد تغطي وجه الارض بالاشلاء والعظام والمشامش المفتتة وجاءت الاخبار الى الامير كلاير فخرج بعسكره من القاهرة وسار مسرعا الى الصالحية وضم اليه من بقى من عسكر قلعة العريش وكان قبل دخول العساكر السلطانية الى قلعة العريش قد ترددت الرسل بين الفرنسيين والعثمانيين على يد أمير الدوارع الانجليزية بشأن تقرير الصلح على قاعدة صالحة للفريقين وجاءت مكاتبة من يوسف باشا الى مقدم الفرنسيين باستدعاء رجلين ليتشاور معهما على أمر يكون فيه المصلحة للفريقين فوجهوا اليه رئيس الكتاب بوسليك والامير ديزه أمير جيوش الصعيد فسارا بحرا وغابا أياما افتتح في خلالها العثمانيون قلعة غزة والعريش وجاءوا الى الصالحية في الثاني والعشرين من شعبان من السنة ومعهم رئيس كتاب الدولة والدفتدار ثم حضروا جميعا الى القاهرة لتقرير الصلح وقد جنح الفريقان اليه حقنا للدماء وأظهر الفرنسيين من المسيرة ما أوتن معه جانبهم وزال عن رجال الدولة الخوف من مكرهم فحصل الاتفاق على مصالحة تضمنت اثنين وعشرين شرطا وهي معربة

قد صار الاتفاق ما بين كل من الجنرال ديزه والجنرال بوسليك مدير الحدود العام النائبين عن الجنرال كلاير قائد عموم جيوش الفرنسيين بمصر من جهة وما بين ساي المقام مصطفى رشيد أفندي الدفتدار ومصطفى راسيه أفندي رئيس الكتاب المفوضين بكل التفويض من قبل حضرة الوزير يوسف باشا من جهة أخرى على ما هوآت

حقنا للدماء واستبقاء للنوع الانساني من غوائل الحروب وتوالى الخطوب قد رغب

ديوان الجمهورية الفرنسية في عقد هذا العهد باخلاء الديار المصرية من جميع الجيوش الفرنسية رجاء أن تذهب الوحشة الموجودة الآن ما بين المشيخة الفرنسية والدولة العثمانية وتتوطد به أيضا دعائم السلام في أنحاء المغرب ولذلك قد صار التوقيع من ذكروا على الشروط الاتية عهدا وميثاقا كافلين باخلاء الديار المذكورة من جميع جيوش المشيخة المشار إليها

الشرط الاول * تنسحب العساكر والايجناد الفرنسية بجميع أسلحتها ومهماتهما وآلات حربها وذخيرتها الى ثغور الاسكندرية ورشيد وأبي قير ليسيروا منها على ظهور السفن التي ترد من جانب المشيخة وان لم توجد فن طرف الدولة العثمانية بقدر الكفاية وقد تعين لذلك مدة شهر واحد وبعد مضي هذه الوعدة التي تبتدئ من تاريخ التوقيع على هذه الشروط يحتل بقلة الاسكندرية نائب من قبل الباب العالي ومعه خمسون شخصا

الثاني * تحصل المهادنة مدة ثلاثة أشهر لا يحصل فيها حرب بكامل الديار المصرية اعتبارا من تاريخ التوقيع على هذا العقد واذا انقضت هذه المدة قبل أن ترد السفن من طرف الدولة العثمانية اللازمة لنقل جميع العساكر جاز تمديدھا لاجل تتمكن معه الدولة المشار إليها من اعداد السفن اللازمة لذلك ووجب محافظة كل من الفريقين على ما بيده من المواقع والحصون والقلاع منعاً لما عساه ان يحدث من الفتن بأسباب دخول العساكر العثمانية أو من خروج الأهالي عن الطاعة

الثالث * انسحاب الجيوش الفرنسية وتسييرها يكون بأوامر وتعليمات كل من يعينه لذلك الباب العالي والامير كلاير امير الجيوش المشار إليها واذا وقع خلاف بين الوكيلين المذكورين يكون فض هذا الخلاف والحكم فيه موكولا لعهد السير سدى سمث امير الدوارع الانجليزية ويجب ان يتبع في فضه الأصول المقررة في القوانين البحرية المرعية بالدولة الانجليزية

الرابع * اخلاء كل من قطية والصاحية من جميع الجيوش الفرنسية يكون في بحر ثمانية أيام بالاقل وعشرة أيام بالاكث من تاريخ التوقيع على هذا العهد أما المنصورة فن بعد خمسة عشر يوما وأما دمياط وبليس فن بعد عشرين يوما والسويس فتخلي كذلك قبل اخلاء مصر والقاهرة بستة أيام ولا تخلى البلدان والحمال الواقعة في الجهة الشرقية من النيل الا في اليوم العاشر من اخلاء مصر والقاهرة وكذلك مصر السفلى لا تخلى بأجمعها الا بعد خمسة عشر يوما من التاريخ المذكور أما الجهة الغربية وما يتبعها فانها تبقى بيد الفرنسيين الى أن يتم جلاء جميع العساكر من الصعيد ومصر والقاهرة ويجب ان تسلم كل جهة من جميع الجهات التي كانت مقاما للجيوش الفرنسية بالحالة التي هي عليها

الخامس * يصير اخلاء مصر والقاهرة بعد مضي أربعين يوما على الاقل وخمسة وأربعين على الاكثر اعتبارا من تاريخ التوقيع على هذا العهد ان أمكن ذلك

السادس § يتعهد الباب العالى ان لا يحصل للعساكر والاجناد الفرنسية لدى انسحابهم من الجهات الغربية أدنى اهانة ولا أن يسوا بأقل ضرر بحيث يخرجون بكامل أسلحتهم وأمتعتهم وذخيرتهم بدون ان يلحق بأحد منهم اهانة لامن افراد الاهالى ولا من افراد العساكر العثمانية

السابع § قياما بهذا الشرط ومنعاً لما ربما ان يحدث يجب حتماً تباعد مواقع العساكر الاسلامية عن مواقع العساكر الفرنسية بقدر الاستطاعة

الثامن § اعتباراً من تاريخ التوقيع على هذا العهد يطلق سراح جميع المسجونين من تبععة الدولة العثمانية على اختلاف أجناسهم في جميع انحاء القطر ما عدا من هم ببلاد الفرنسيين وكذلك يخلّى سبيل جميع التبععة الفرنسية المسجونين بكامل المدن والاساكن والبنادر العثمانية ويعفى عن جميع من دخل في خدمة مراسلات وقناصل المشيخة الفرنسية

التاسع § اعادة املاك وأموال كل من رعايا الباب العالى ورعايا المشيخة الفرنسية يناط برجال تنتخبهم حكومة الدولتين لذلك بالاستانة بحيث يحصل الشروع في اجراء ذلك عقب اخلاء مصر والقاهرة من العساكر الفرنسية

العاشر § يعفى عن كان له علاقة أيا كانت مع الجنود الفرنسية من أهالى مصر على اختلاف مذاهبهم

الحادى عشر § يعطى حتماً للجنود الفرنسية تذكار المرور اللازمة إما من قبل الدولة العثمانية أو من قبل الدولتين المتحدتين معها وهما دولة الروس والدولة الانجليزية وكذلك لجميع السفن التى تحمل أولئك الجنود الى أوطانهم ببلاد الفرنسيين

الثانى عشر § يتعهد الباب العالى والدولتان المتحدتان معه بأن لا يحصل للجنود الفرنسية ما يكدر صفو راحتهم وكذلك يتعهد الجنرال كلاير أمير الجيوش الفرنسية بأن لا يحصل من قبل عساكره مالا يرضاه الباب العالى لا للسفن الحاملة لهم ولا للأساكن والشغور الخاصة بالباب العالى أو بالدولتين المتعاهدين معه كما انه لا يجوز للسفن المذكورة ان تعطف الى أى أسكفة غير الاساكن الفرنسية الا عند الضرورة

الثالث عشر § تنفيذاً لهذا العهد وملاحظة لاخلاء الافطار المصرية من جميع العساكر والاجناد الفرنسية في بحر المدة التى وقع الاتفاق عليها قد اتفق الباب العالى والدولتان المتحدتان معه على انه اذا قدم الى مصر في خلال المدة المقررة للجلاء عنها سفن فرنسية على غير علم من سفن الدولتين المتعاهدين مع الباب العالى وجب قيامها على الفور بعد تزويدها بالماء والزاد ولزم رجوعها الى الموانئ الفرنسية بلا مهل بناء على تذكار المرور التى تعطى اليها من جانب الدولتين المتعاهدين مع الباب العالى واذا تبين ان احدى تلك السفن تحتاج الى ترميم أو تصلح في بعض آلاتها وجب مكثها حتى يتم تصليحها ثم تقوم الى الموانئ الفرنسية بمجرد موافقة الرياح لسيورها

الرابع عشر يتعهد الجنرال كلاير أمير الجيوش الفرنسية أن يبلغ ما وقع الاتفاق عليه الى أرباب الحل والعقد بفرنسا بحيث تعطى لمن يتعين لتوصيل هذه الاجناد تذكرة المرور المطلقة تسهيلات لوصول الخبر في أمد قريب

الخامس عشر حيث يلزم للجنود الفرنسية الحصول على المؤن يوميا بمدة الثلاثة أشهر المعينة لجلائها عن البلاد وكذلك بمدة الثلاثة أشهر التي تبتدئ من يوم نزولهم بالمراب الى يوم وصولهم فقد تعهد الباب العالي بأن يقدم لهم جميع ما يلزم من قمح ولحم وأرز وشعير وتبن بمقتضى القوائم التي تقدم من أمراء العساكر المسكفين بذلك وما يكون قد أخذ من ذلك بعد التوقيع على عهد الجلاء يستبعد من مجموع تلك القوائم

السادس عشر لا يجوز لأمرأ الجيوش الفرنسية بعد التوقيع على عهدة الجلاء أن يضربوا على البلاد ضرائب أو يفرضوا عليها فروضا أيما كانت أو يحدثوا أحداثا بل يكون للباب العالي دون غيره الحق في جميع الضرائب والقرض المقررة اعتبارا من تاريخ التوقيع على العهد وكل ما تركته الجنود الفرنسية بعد الجلاء من جمال أو هجن أو مدافع أو ذخيرة أو غير ذلك وكذلك الغلال التي تبقى بالاشوان من أصل الأموال المفروضة لغاية تاريخ التوقيع على عهد الجلاء فهذه كلها يصير تقديرها بمعرفة معينين من قبل الباب العالي على يد أمين البحر الانجليزي ومن يعينه الجنرال كلاير من قبله ويتعين ثمنها بحيث لا ينقص عن ثلاثة آلاف كيس وهو ما رؤى كفايته لنفقة الجند الى أن تصل الى أوطانها وفي حالة عدم بلوغ أثمان تلك الاشياء الى هذا القدر يجب على الباب العالي دفع العجز من طرفه بصفة قرضة وعلى حكومة الفرنسيين وفاء هذه القرضة اعتمادا على سندات الاستلام التي تكون قد اعطيت من الامير كلاير أمير الجيوش الى الباب العالي

السابع عشر يدفع مبلغ الثلاثة آلاف كيس المذكور على الوجه الآتي بعد وهو خمسمائة كيس تدفع بعد مضي خمسة عشر يوما اعتبارا من تاريخ التوقيع على عقد الاتفاق بذلك وخمسمائة كيس أخرى تدفع بعد انقضاء ثلاثين يوما وبتمام الأربعين يوما ثلثمائة كيس أخرى وخمسمائة كيس عند تمام تسعين يوما وعند تمام ستين يوما ثلثمائة كيس ويدفع أيضا عند تمام سبعين يوما ثلثمائة كيس وعند تمام ثمانين يوما ثلثمائة كيس وأخرى وخمسمائة كيس عند تمام تسعين يوما ويكون اعتبار مبلغ كل كيس من هذه الاكياس خمسمائة قرش عثمانى وعلى الباب العالي بعد التوقيع على نسختي هذا العقد أن يوجه من قبله الى مصر المحروسة وكافة المدن والبنادير التي تحتلها الآن الجيوش الفرنسية مأمورين مخصوصين لاجل تسهيل أسباب الجلاء في أمد مناسب بحيث اذا رؤى عدم كفاية مبلغ الثلاثة آلاف كيس لنقل الجند على الوجه المرغوب وجب على الباب العالي القيام بصرف ما يرى لزوم صرفه أيضا

الثامن عشر جميع الاموال والضرائب التي تكون رجال الفرنسيين قد تحصلت عليها من

البلاد قبل العلم بالتوقيع على عهد الجلاء تقدر وتخصم من مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدمة
الذكر

التاسع عشر ٥ تسهلا لأسباب الجلاء في الاجل المضروب لأبأس من نقل الجند
بالسفن الفرنسية الراسية الآن بأسا كل النيل من وإلى الاسكندرية ورشيد ودمياط
العشرون ٥ حفظا لسلامة الممالك الغربية ومنعاً لنقل الوباء بالطاعون إليها بواسطة
المرضى من الجنود الفرنسية لا ينقل أحد ممن يكون مصاباً منهم بهذا المرض أو بغيره من
الامراض الأخرى التي لا يصح معها السفر بالبحار بل يبقون جميعاً في بيوت المرضى المعدة
لهم تحت أمان الوزير الأعظم ومعالجة أطباء الفرنسيين فإذا شفيوا من أمراضهم عوملوا
في الحل والترحال بما عوملت به بقية الجنود من قبل كما جاء في أحكام الشرطين الحادى عشر
والثانى عشر من هذا الاتفاق وعلى أمير الجيوش الفرنسية أنه عند ركوبهم المراكب للعود
إلى أوطانهم أن يشدد على ضباطهم غاية التشديد بأن لا يسمعوا لهم بالنزول فى أى
أسكلة من الأسا كل التى هى فى طريقهم الا ما تجيز لهم الاطباء النزول فيها لقضاء مدة
الحجر الصحى

الحادى والعشرون ٥ كل خلاف يحدث بعد عقد هذا الاتفاق ولم ينص عنه شئ بهذا
الاتفاق يصير فضه بالطرق الحبية بين المأمورين الذين يعينهم الوزير الأعظم والجنرال كلاير أمير
الجيوش لهذا الغرض على وجه السرعة قياماً بالجلاء فى الاجل المضروب
الثانى والعشرون ٥ لا يعتبر هذا العهد نافذ المفعول الا بعد مضى ثمانية أيام من تاريخ
التوقيع عليه من الفريقين بحيث بعد التوقيع عليه يجب مراعاته والعمل به
ورجع كلاير أمير الجيوش الفرنسية بعد ذلك من الصالحية إلى العادلية ومعه رجل من رجال
الدولة العثمانية اسمه محمد أغا فبعث بمحمد أغا المذكور إلى القاهرة وأرسل إلى المحتسب بأمره
بأن يتلقاه ويكرم مثواه فلما كان بعد العشاء دخل محمد أغا إلى القاهرة فى موكب فحصل فى
الناس ضجة عظيمة وتزاحوا لمشاهدته وارتفعت أصواتهم وعلا ضجيجهم وركبوا على مصاطب
الدكاكين والسقائف قال صاحب عجائب الآثار وانطلقت النساء بالزغاريت من الطافات
واختلفت آراء الناس فى ذلك ولم يعلموا ما هو فدخل من باب النصر وشق القاهرة ولم يزل سائراً
حتى وصل إلى بيت حسن أغا بسويقة اللالا فأنزل هناك فلما استقر به الجلوس ازدحم
الناس والاعيان للسلام عليه ومشاهدته بالمشاعل والفوانيس قال فلما كان صبح تلك الليلة
عمل ديواناً وجمع العلماء والوجاهة وأعيان الناس وكبار النصارى من الاقباط والشوام فلما
تكاملوا أبرز لهم فرماناً من الوزير فقرئ عليهم بالمجلس فدل مضمونه على أنه أغات الجمارك
أى المكوس بمصر وبولاق ومصر القديمة وفيه التحكير على جميع الواردات من أصناف
الاقوات فيشتريها بالتمن الذى يقدره هو بعرفة المحتسب ويودعه فى الخازن قال وأبرز فرماناً
آخر قرئ بالمجلس مضمونه أن الوزير أقام مصطفى باشا الذى كان أسيراً بأبى قير وكيلاً عنه

وقائع قامه بمصر الى حين حضوره وأن السيد أحمد المحروقي كبير التجار ملازم ومقيد بتحصيل الثلاثة آلاف كيس المعينة لترحيل الفرنسيات ووافض المجلس على ذلك وأخذ السيد أحمد المحروقي في تحصيل ذلك القدر من الناس وفرضوه على التجار وأهل الاسواق والحرف وشرعوا في تحكير الاقوات فغلت أسعارها وضاعت مؤن الناس قال ودهى الناس من أول أحكامهم بهاتين الداهيتين وكان أول قادم فيهم أمير المكوسات ومحكم الاقوات وأول مطالبهم مصادرة الناس وأخذ المال منهم وتغريمهم قال واجتهد السيد أحمد المحروقي في توزيع ذلك وجمعه في أيام قليلة فكان كل من توجه عليه مقدار من ذلك اجتهد في تحصيله واخراجهم عن طيب نفس وانشراح وبادر بالدفع من غير تأخير لعلمه أن ذلك لترحيل الفرنسيات ويقول سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة قال كل ذلك بمشاهدة الفرنسيين وسماعهم وهم يحقدون ذلك عليهم اه

وجاء مصطفى أفغا من الجيزة وسكن بيت عبد الرحمن كخدا بحارة عابدين وأرسل الوزير الفرمانات الى البلاد وعين المعينين والمباشرين لطلب الاموال والغلال والكف من الاقاليم وأرسل الى البنادر وجعل في كل بندر أميرا ووكيلا لجمع الغلال والمطلوبات من الذخيرة ووضعها بالحواصل * وجعل العامة وبسطاء العقول من أهالى القاهرة ومصريين يتطرون الى الفرنسيين كافة بعين السخط والسخرية وتطاولوا عليهم بالسب والتحقير وصار فقهاء المكاتب وعلى الخصوص العميان منهم يجمعون الاطفال ويطوفون بهم فرقا وهم يجهرون للنصارى بالسباب وفحش القول وهذر الكلام ولم يملكوا أنفسهم صبرا حتى يتم الجلاء وينقضى الاجل المضروب فنقم الفرنسيين عليهم ذلك وأبغضوهم جدا وصاروا يتطرون الى جميع أهل البلاد بعين القلى ثم أخذوا في أهبة الرحيل وشرعوا في بيع أمتعتهم وما فضل من سلاحهم ودوابهم وسلموا أكثر الثغور والقلاع كالصالحية وبلبيس ودمياط والسويس وتدرج العساكر العثمانية في الدخول الى القاهرة وصار في كل يوم يدخل منهم جماعة بعد جماعة وجعلوا يشاركون الناس في حرفهم وصنائعهم كالحمامية والتهوجية والخياطين والحلاقين وغيرهم فشق الامر على أصحاب تلك الحرف والصنائع فاجتمعوا وذهبوا الى مصطفى باشا النائب عن الصدر الاعظم وشكوا من فعال العساكر العثمانية فلم يلتفت لشكواهم ثم قدم الوزير يوسف باشا الى مدينة بلبيس ونزل بها ومعه الامراء المصريون وأرسلوا الى مراد بيك الكبير بالحضور الى المعسكر العثماني فاعتذر حيث كان يومئذ بالصعيد فلم يقبلوا عذره وشددوا عليه في الحضور قيل فسأل في ذلك كبير الفرنسيين سرا فأذن له وكان سفيره في ذلك عثمان بيك البرديسي فحضر مع ابراهيم بيك الكبير واجتمع بالوزير يوسف باشا فخلع عليهما وعاد مراد بيك نفيم بجهة العادلية وحضر حسن أفغا نزل أمين أحد رجال الدولة ودخل القاهرة فاخلى الفرنسيين عند حضوره قلعة الجبل وبقية القلاع والحصون التي أحسدوها ونزلوا منها فلم يحتلها أحد من العساكر العثمانية وأعرضوا عن

المخادرة استخفافا بالامر ودخل الكثير من الامراء والعساكر المصرية الذين كانوا فروا عند دخول الفرنسيين وأرسل ابراهيم بيك الى السيد أحمد المحروقي يطلب بعض الثياب لمالئكه فخرجت لهم الخيام والتراتيب وهيأت نساء الامراء والجند احتياجا لهم ولازم الخدم والفراشون الغدق والرواح الى مضارب ساداتهم وهم راكبون البغال والحمير الفارهة وفي حجورهم تعالي الثياب والبقع المزركشة بالذهب والفضة وكذلك الخدم الذين يحملون الحيوانات والاسمطة وهم يتغنون برفع أصواتهم ويتجاوبون بكلام وسخریات ولعن للنصارى من أهل البلاد والفرنسيين عراى منهم وسمع ولما استقر المقام بالوزير يوسف باشا في مدينة بلبيس وذلك في أخريات رمضان من السنة بعث بنصوح باشا والامراء المصريين الى القاهرة فوصلوا الى الخانكاه ثم الى المطرية وقدم درويش باشا الذي كان والى الصعيد على عهد حسن باشا أمير البحر ونزل بالشيخ قرايما ثم سار الى الصعيد ومعه طائفة من الجند وكذلك سارت طائفة أخرى الى السويس وأخرى الى المنصورة ودمياط وانبثوا في البلاد شرقا وغربا ودخلوا القاهرة جماعات صغيرة وجعلوا يطوفون بالشوارع وانبثت عساكرهم في الأزقة والحارات يعبثون فيها ويشوشون على النساء والصبيان فلما كان في اليوم السابع من شوال من السنة أى سنة أربع عشرة ومائتين حدث أن تشاجر بعضهم مع بعض الجنود الفرنسية فأدت هذه المشاجرة الى الملاكمة والقبض بالاطواق ثم الى الضرب واشتد تألب العساكر السلطانية وأخشوا في الضرب فقتل بينهم أحد الفرنسيين وفاض الخبر بذلك في القاهرة فوقع في الناس زعجة وأغلقوا الحوانيت وخاف العساكر السلطانية شر العاقبة فأسرعوا وتبرسوا ناحية الجالية وما والاها واجتمعوا جميعا في تلك الانحاء خلف المناريس التي أقاموها ووصل الخبر بما وقع الى مقدم الجيوش الفرنسية فجاءهم جماعة من الفرنسيين ووقع القتال بينهم بالبنادق واشتد فقتل من الفريقين وبأوا ليلتهم وهم على أهبة الحرب والقتال فأصبحوا وقد تداخل كبرأؤهم في الامر وأزالوا المناريس وانكف الفريقان عن القتال وشدد مصطفى باشا في البحث على مشيرى هذه الفتنة فكانوا ستة فقبض عليهم وأمر بهم فقتلوا جهارا وأرسل رؤسهم الى أمير الجيوش الفرنسية فلم يطب خاطره وطالب سرعة خروج جميع من دخل القاهرة ومصر من العساكر العثمانية حتى ينقضى الأجل المفروض واذا دخل منهم أحد الى المدينة فبغير سلاحه فلم يسع مصطفى باشا الا الاذعان وأمر فنادوا على جميع من كان في مصر والقاهرة من الجنود العثمانية فخرجوا على الفور ووقف جماعة من العساكر الفرنسية خارج باب النصر رباطا فكان اذا أراد أحد من العساكر أو الاعيان من العثمانيين الدخول الى المدينة ترجل عن دابته عند قربه منهم ونزع عنه جميع سلاحه ثم يتركه عندهم ويدخل ومعه شخص أو شخصان موكلان به بمشيان أمامه حتى يقضى حاجته ويرجع فاذا وصل الى العسكر المرابطين أعطوه سلاحه وظل الحال هكذا أياما وسافر فريق من الجند الفرنسية الى الاسكندرية بمتاعهم وأثقالهم وفيهم الأمير دورجيح النائب العام والأمير دينه سر عساكر الصعيد والأمير رئيس الكتاب ومدير الحدود ولبثوا بالاسكندرية

أياماً قد تأهبوا في خلالها الى ركوب السفن الى أوطانهم قيل فلما صاروا على ظهور السفن بدت لهم من سفن الانجليز اشارات الوحشة وعلامات الانتقام فاجموا عن السير وبعثوا الى الامير كلاير يعلمونه بالخبر فأرسل الى الصدر الاعظم يعلمه بنوايا الانجليز نحو الجنود الفرنسية ومخالفتهم لاحكام العهد فاجابه بجواب لم يرضه وأصبح زاحفا الى سطح الخائنكاه وكان ذلك في آخر المهلة المتفق عليها في دخول الصدر الاعظم الى القاهرة وجلاء الفرنسيين عنها فلما رأى الامير كلاير ذلك طلب عثمانية أيام أخرى آجلة زيادة على أيام المهلة المقررة فأجيب الى ذلك ووصل الامراء المصريون وجيوش نصوح باشا وكثير من العساكر العثمانية الى ناحية المطرية وعسكروا هناك وكان من الفرنسيين أن جعلوا الثمانية أيام التي طلبوها طرفاً لجمع عساكرهم وطوائفهم من البلاد القبلية والبحرية ونصبوا معسكرهم على ساحل النيل متصلاً بطراف المدينة ممتداً من مصر القديمة الى شبرا وترددوا الى نواحي القلاع التي كانوا أنشئوها داخل البلد فلم يكن بها أحد من العساكر العثمانية فأخذوا في رد آلات حربهم وذخيرتهم من بارود وقنابل ومدافع وغيره الى تلك القلاع ليلاً ونهاراً والناس يتعجبون من ذلك ومصطفى باشا نائب الصدر الاعظم ومن معه يشاهدون ذلك وهم في شغل عنه قيل وكان السبب في ذلك هو ماظهر من سوء نوايا أمير العمارة الانجليزية بسفن الفرنسيين الحاملة لعساكرهم وان بعض أصدقاء الفرنسيين من جماعة الانجليز أبلغوهم أن الصدر الاعظم اتفق مع أمير العمارة الانجليزية على الاحاطة بسفن الفرنسيين اذا صارت على ظهر البحر فلما وقع ماسبقت الاشارة اليه تحقق الامير كلاير صحة الخبر وأرسل الى يوسف باشا الوزير فلم يجبه بجواب شاف بل أسرع في الرحيل والقعود الى مصر كما تقدم القول

وكان الفرنسيين عند ما ترأسوا وترددوا على معسكر يوسف باشا عرفوا عدد جنوده وأحوالهم وما هم عليه من القوة والضعف وتحققوا ضعفهم عن المقاومة وقد ردوا أدوات حربهم وجميع آلاتهم الى القلاع وحصنوا الجهات وأبقوا جماعة وقعدوا بتلك القلاع والحصون عدة من عساكرهم واستوثقوا من ذلك جيداً ثم خرج من بقي وهم السواد الاعظم الى ظاهر القاهرة عند قبة النصر وانتشروا في تلك النواحي ولم يبق في المدينة منهم الا من كان بداخل القلاع ونفر بيت الالقي بالازبكية وبعض بيوت أخرى من الجهة المذكورة ولبثوا الى العشرين من شوال من السنة ثم أرسل كلاير في طلب مصطفى باشا وحسن أنما نزل امين فلما تمثلا بين يديه أمر فقبض عليهما وأرسلوهما الى الجيزة وسجنوهما بها فلما كان ثالث عشر الشهر المذكور ركب الامير كلاير قبل طلوع الفجر وسار بعسكره ومدافعه وقد قسم العسكر الى قسمين قسم سار الى معسكر الوزير يوسف باشا وقسم سار الى من هم بالمطرية من الامراء المصريين والجند الذين معهم فلما صاروا على مقربة منهم رموهم بالبنادق وتابعوا الرمي بقنابل المدافع وأحدقوا بهم واشتدوا في الرمي شدة بالغة فولوا الفرار منهزمين وتركوا خيامهم وجميع آلات حربهم وركب نصوح باشا ومن معه

من الامراء المضربين وطلبوا جهة القاهرة فتركهم كلابير ولم يلتفت احد منهم عنها وسار
خلف الفارين الى الخائنكاه وهو يعمل السيف في أفقيتهم وقد تمجوا جميع ما في معسكرهم
وألقوا المدافع وأخذوا جميع ما وجدوه من متاع وغيره وطلقوا معسكر الصدر الأعظم
فأرسل اليه كلابير يأمره بالرحيل في مدة لا تتجاوز اربعين وعشرين ساعة فلم يستعده المخالفة
وسار فسار خلفه كلابير بجيوشه وكان أكثر عساكر الصدر الأعظم متفرقة في هذا اليوم
في أنحاء القرى والبلدان بل جمع المال ومفردات الفرض والتشديد على الرعية والتضييق عليهم
فسمع أهالي القاهرة ومصر أصوات المدافع والبنادق فهاجوا وهاجوا وتراكموا الى أطراف
البلد فصادفوا في طريقهم بعض رعايا الفرنسيين فقتلواهم وذهبت جماعة منهم الى بركة
الازبكية فتهبوا ما وجدوه فيها حيث كان معسكر الفرنسيين وجعلوا يكثرون من الجلبة
والضجاج وهم لا يعرفون السبب الحامل لهم على ذلك سوى ما سمعوه من أصوات المدافع
والبنادق وخرج السيد عمر نقيب الاشراف والسيد أحمد المحروقي قال صاحب عجائب
الانوار وانضم اليهما أترك خان الخليلي والمغازبة الذين بعصر وكذلك حسين أغا شنار
أيوب بك الصغير وبعدهم كثير من عامة الناس وتجمعوا على التلال خارج باب النصر
وبأيدي الكثير منهم النبايت والعصى والقليل منهم السلاح وكذلك تحزب كثير من طوائف
العامة والاولباش وجعلوا يظفون بالازقة وأطراف البلد ولهم صياح وضجيج وتحارب
بكلمات يقفون من اختراعاتهم وخرافاتهم وقاموا على ساق وخرج الكثير منهم الى خارج
البلد على تلك الضورة فلما ارتفع النهار حضر بعض الاجناد المضربين ودخلوا مصر
وفيهم المجارح وظففي النام يستألوهم فلم يخبروهم بشئ بلهلوهم أيضا حقيقة الحال قال
ثم لم يزل الحال كذلك الى أن دخل وقت العصر فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان
خارج البلدة ولهم صياح وجلبة على الشرح المتقدم ذكره وخلفهم ابراهيم بك الكبير
ثم أخرى وخلفهم سليم أغا ثم أخرى وخلفهم عثمان كتحدا الدولة ثم نصوح باشا ومعه عدة
وافرة من عسكرهم وصحبهم السيد عمر النقيب والسيد أحمد المحروقي وحسن بك الجداوي
وعثمان بك المزددي وعثمان بك الاشقر وعثمان بك الشرقاوي وعثمان أغا الخازندار
وابراهيم كتحدا مراد بك المغزوف بالشناري ومعهم مماليكهم وأتباعهم فدخلوا من باب
النصر وباب الفتوح ومنزوا على الجمالية حتى وصلوا الى وكالة ذي الفقار فقال نصوح باشا
عند ذلك للعامة اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم فعند ما سمعوا منه ذلك القول صاحوا وهاجوا
ورفعوا أصواتهم ومنزوا مسرعين يقتلون من يصادفونه من نصارى القبط والشوام وغيرهم
فذهبت طائفة الى حارة النصارى وبيوتهم التي بناحية بين الصورين وباب الشعزية وجهة
الموسكى فصاروا يكبسون الدور ويقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء والصبيان وينهبون
ويأسرون حتى اتصل ذلك بالمسلمين المجاوزين فقتلوا النصارى واختلسوا وجمع كل منهم
ما قدر عليه من العساكر الفرنسية والروم وقد كانوا قبل ذلك محترسين وعندهم الاسلحة

والبارود والمقاتلون انظمهم وقومهم هذا الأمر فوقع الحرب بين الفريقين وصارت النصارى
تقاتل وترى بالبنادق والآخرون يرمون من أسفل ويكبسون للدور وينسورون عليها وبات
نصوح باشا وكتفها الدولة واراهايم بيك وبعض من صيناجق مصر والكشاف والأتباع
وطوائف من العسكر بخط الجمالية بوكالة ذي الفقار فلما أصبح الصباح أرسلوا إلى المطرية
وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة القالية فعالجوها حتى فتحوها وقام ناصيف
باشا وشمر عن ساعديه وشيد وسطه ومشى وصحبه الامراء المصرية على أقسامهم وحروا
إمامهم الثلاثة بمدافع وسحبوها إلى الازبكية وضربوا بها على بيت الالفي وكان به بعض
المراطين من عساكر الفرنسية فضربوهم أيضا بالمدافع والبنادق واستمرت الحرب بين
الفريقين إلى آخر النهار ثم انكفأ وباتوا ينادون بالسهر اه

وفي هذا اليوم وضع أهل القاهرة ومصر والعساكر المتاريس باطراف المدينة كلها
وبجهة الازبكية وشروعوا في بناء وترميم بعض جهات سور المدينة وبالغوا في تحصينها جهدا
الاستطاعة وبات الناس في تلك الليلة خلف المتاريس فلما أظلم الليل عمد الفرنسيون إلى
اطلاق مدافعهم على المدينة ورسلوا اطلاق القنابل من القلاع وتابعوا الرمي على خط الجمالية
لاجتماع الامراء والجند به وشيدوا رافعتا الجويديخان البارود وتهدم الكثير من الوكائل
والبيوت وكثر الصراخ من كل صوب وجذب وخرج الناس على وجوههم هائمين وجزر الامراء
عن الدفاع واسكات مدافع الفرنسيين ثم أجمع رأي الكبراء والرؤساء منهم على الخروج من
المدينة في تلك الليلة ليجزهم عن المقاومة وعدم وجود آلات الحرب وغير ذلك من وسائل
الدفاع وفاض اخير بذلك بين الناس فركب بعضهم بعضا وازدجت تلك النواحي بالحمر
والبغال والخيول والجمل المحملة بالانقال وباتوا على تلك الصورة المهيضة ووصلت الاخبار
بخروج الناس إلى أهل خان الخليلي وبعض مغاربة الفخامين والغورية فجاءوا إلى الجمالية
وشبغوا على من يريد الخروج وعرضدهم طائفة الإنكشارية وعبدوا إلى خيول الامراء
فحبسوها ببيت القاضي والوكائل وأغلقوا باب النصر وبات في تلك الليلة أكثر الناس على
مصاطب الخوانيت وبعض الاعيان في بيوت أصحابهم بخط الجمالية وفي الازقة والخارات
وكلهم على أهبة الخروج إلى ظاهر المدينة وأصبح يوم السبت فتهاجرا الجنيد والجنيد كافة
والكثير من سكان القاهرة ومصر من لا قدرة له على الحرب وساروا إلى الازبكية فأقام
بعضهم في البيوت الخالية التي بها وأقام جماعة أخرى خلف المتاريس واستحضروا عيدة
بمدافع مما كان مسدودا في بيوت الأمراء قال صاحب عجائب الآثار واستحضروا من
جوانيت البطاريين من المنقالات التي يزنون بها البضائع من حديد وأحجار يرمون بها على
العبيد وبذل القنابل وجعلوا يرمون بها على بيت الأمير كلابير بالازبكية ولبث عثمان كتيذا
بوكالة ذي الفقار فكان كل من قبض على نصراني أو يهودي أو فرنسوي أخذه وذهب به
إلى الجمالية عند عثمان بيك المذكور وأخذ عليه الجيش فيحبس البعض حتى يتجرى

عن أمره ويقتل البعض ظلما وربما تقتل العامة من تقتله وتأتي برأسه لتأخذ الخشيش وكذلك كل من قطع رأسا من رؤس الفرنسيين يذهب بها اما الى تصوح باشا بالازبكية واما الى عثمان بيك بالجمالية وبعد أيام أغلقوا باب القرافة وباب البرقية وبقية الابواب التي باطراف البلد وزاد الناس في عمل المتاريس وفي الاحتراس والتحذر وجلس عثمان بيك الاشقر عند متاريس باب اللوق وناحية المدابغ وعثمان بيك طبل عند متاريس الحجر ومحمد بيك المبدول عند الشيخ ربحان ومحمد كاشف أيوب وأصحاب أيوب بيك الكبير وأيوب بيك الصغير عند الناصرية ومصطفى بيك الكبير بقناطر السباع وسليمان كاشف الحزاوي عند سوق السلاح وأولاد القرافة والعامة وزعر الحسينية والعطوف عند باب النصر مع طائفة من الانكشارية وباب الحديد وباب القرافة وطائفة خان الخليلي والجمالية عند باب البرقية المعروف الآن بالغريب ولم يبق أحد من أهل البلد الا وانضم الى من يقرب اليه من طوائف العسكر بحيث صار جميع أهل مصر والعساكر كلها واقفة باطراف البلد عند الابواب والمتاريس والاسوار وأقام بعض العساكر العثمانية ومعهم جماعة من الاهالي بالاسلحة عند الجمالية حتى اذا جاء صارخ من جهة من الجهات أمدوه بفريق منهم ولم يبق أحد في بيته الا الضعيف وكان ناصف باشا وابراهيم بيك الكبير ومن معهم من الانكشارية والارنؤد والدلاة وغيرهم مرابطين جهة الازبكية وناحية باب الهواء والرحبة الواسعة عند جامع أربك والعتبة الزرقاء وأنشأ عثمان بيك كتحدا معملا للبارود ببنت قائد أغا بخط الخرنفش وأحضر الحسادين والتجارين والسباكين لسبك المدافع والقنابل واصلاح المدافع التي وجدت في بيوت الامراء وعمل العجلات وما يلزم للقتال واهتم لذلك اهتماما عظيما وأرسلوا فاستحضروا بقية المدافع التي كانت بعسكر المطرية وقد عطلتها عساكر الفرنسيين فكافوا كلها أدخلوا مدفعا أدخلوه بجمع عظيم من الارباش والخرافيش والاطفال ولهم صياح ونباح وتجاوب بكلمات من مثل قولهم الله ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان وغير ذلك اه

واشدت عزيمة الامراء المصريين وبدا منهم غاية الهمة والافدام وثابروا على القتال من خلف المتاريس وظهر رجل مغربي قيل انه الذي كان يقاتل الفرنسيين بالبحيرة واجتمع اليه طائفة من المغاربة ممن كان قدم مع الجيلاي الذي سبق الكلام عنه ففعل المغربي المذكور ما لا خير فيه من النهب والقتل والسبي وكان يتجسس على البيوت التي بها الفرنسيين والتصاري فيكبسها ومعه جمع من العوام وأسافل الناس والعسكر فيقتلون من يجدونه منهم وينهبون الدار ويسجنون النساء ويسلبون ما عليهم من الحلى والثياب وكانوا يقطعون رؤس الاطفال وبعض البنات طمعا فيما عليهم من الحلى وتتبع الناس عورات بعضهم وما دعته اليه النفس الامارة بالسوء واتهم الشيخ خليل البكري بأنه يسالم الفرنسيين ويرسل اليهم الاطعمة وغير ذلك فهجم عليه طائفة من العسكر مع بعض الارباش من العامة ونهبوا داره

وأخذوه مع أولاده ونسائه وأحضره الى الجالية وهو ماش على أقدامه حاسر الرأس فكان العامة يخاطبونه بفحش القول ويكثرون من سبه ولعنه فلما مثلوه بين يدي عثمان كتحذا هاله أمره وطيب خاطره وسيره بنسائه الى دار بعض الاعيان وطلبت العساكر النفقة فبادر السيد أجد المحروقي وبقية التجار وأصحاب المظاهر من الناس بالنفقة على الجند والامراء والمقاتلين من مأكل ومشرب وكذلك فعل جميع أهل القاهرة ومصر أما الفرنسيين فانهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالمدينة وبيت الالقي وما والاها من البيوت الخاصة بهم كل ذلك ولا يعلم أحد حقيقة الحال ولا ما جرى بالفرنسيين الذين ساروا مع كلاير خلف عسكر الصدر الاعظم بطاردونهم من بلد الى آخر واختلفت في شأنهم الاقوال وكان الصدر الاعظم قد ترك ببلبيس فريقا من عسكره أوهم تخلفوا عنه بعد أن مزقت شملهم العساكر الفرنسية فسارت اليهم طائفة من الفرنسيين وحاصرتهم وشددت عليهم وضيقت فاستأمنوا فأخرجوهم بغير سلاح وصرفوهم حيث شاؤوا فذهبوا أشتاتا بالازياق يتكفون الناس ويأوون الى المساجد الخربة فمات أكثرهم من العرى والجوع ولحق بعض الامراء المصريين بالصدر الاعظم عند الصالحية فعابوا عليه فعله وفجوهه وبالغوا في سوء تدبيره وخاطبوه بيدى الكلام وفحش القول فاعتذر وقال إنه لم يكن عليه أهبة القتال لتركه الاسلحة والكراع بقلعة العريش اعتمادا على ما تقر بينه وبين مقدم الجيوش الفرنسية من الصلح وانه لم يكن ليعتقد بقلعة الفرنسيين الى حد كشف مادبره عليهم مع أمير السفن الانجليزية عند ركوبهم السفن فطلب منه عثمان بيك أن يأمر بجمع الجنود الهائجة على وجهها كالابل وهو يسير بهم لقتال العدو فاجابه الى ذلك وخاطب العسكر وبذل لهم الرغائب فامتنعوا ولم يمتثل منهم الا المطيع وهم لا يبلغون الالف وعادوا على إثرهم وجعوا اليهم المتشردين منهم ورجعوا يريدون قتال الفرنسيين فنزلوا بوهدة على مقربة من القرين حيث كان الفرنسيين في قلة يستكشفون مواقع العدو فقاموا عليهم بالنبايت والجارة فأصابوا ترجان الأمير كلاير وسقط على الارض وتسامع المسلمون فركبوا لنجدتهم واستصرخ الفرنسيين عسكرهم فلحقوا بهم ووقع القتال بين الفريقين حتى حال بينهم الليل والفرنسيين يطاولونهم ثم انكف الفريقان واتحاز كل فريق الى ناحية فلما دخل الليل واشتد الظلام أحاط الفرنسيين بعسكر المسلمين فأصبح المسلمون وقد رأوا احاطة العسكر بهم من كل جانب فركب الفرسان وتبعهم المشاة وقاتلوا حتى اخترقوا صفوف العدو ونجا من نجا وهم قليلون وقتل خلق كثير ورجعوا الى الصالحية على إثرهم فلما رأى الصدر الأعظم ما حصل بهؤلاء أيضا وقد كان يعمل الامل بفوزهم رحل الى الشام فيمن بقي أما مراد بيك الكبير فانه لما رأى هجوم الفرنسيين على من كانوا بالمطرية مع نصوح باشا وكان هو على مقربة من المقطم ركب من ساعته هو ومن معه وهروا بسفح الجبل وساروا الى دير الطين وعسكروا فيها لينظروا ما سيجل بعساكر السلطان وأقام مطمئنا على نفسه واعتزل الفريقين وحافظ على عهده وولائه للفرنسيين واشتد الخوف والفرع بنصوح

باشا ومن معه من الامراء المصريين لما علموا بما اصاب الصدر الاعظم وجنوده وخارت منهم
العزائم وذهب الصبر والجلد وانكسرت قلوبهم خافوا أيضا عاقبة صرف من اجتمع عليهم من العامة
والخرافيش وأهل العطف وأخلطوا العسكر فكانوا يذيعون بينهم أخبارا ملفقة لأصل لها
وعنون الناس يقرب حضور الصدر الاعظم بحموشه المظفرة وتابعوا المناداة بالتركي والعربي
بالتهريض والاحتماد والحرص على الصبر والقتال وملاقات العدو وبينما الناس على هذا الحال
وتعلق الآمال بقرب عودة الصدر الاعظم وحموشه اذ حضر فريق من الفرنسيين بقيادة
لاخوانهم الذين بالحصون والقلاع التي بداخل البلد ووقفت طائفة منهم خارج باب النصر
وباب الحسينية ونهبوا زاوية الدمرداش وما حولها كعبة الغوري والمنيل وعسكروا على بعض
التلول ورجع في هذه الاثناء طائفة قليلة من عسكر الدولة وهم الذين كانوا بالقرى والارياف
يقبضون الكلف والقرض بأمر الصدر الاعظم فلما صاروا عند أبواب المدينة دفعتهم طوائف
الفرنسيين فدافعوا عن أنفسهم حتى تمكنوا من دخول المدينة ففرح الناس بقيدهم
ونقوت نفوسهم فكانوا يقولون للناس انهم حاضرون مديدا وأن سيأتي على ائزهم عشرة آلاف
مقاتل من حموش الصدر الاعظم لقطع شاقة العدو * وقام بيولاقي رجل اسمه الحاج مصطفى
البيشتلي وجمع اليه طوائف السوق وخرافيش السبئية فكانوا عدة وافرة وساروا نحو معسكر
الفرنسيين الذي كان بساحل بولاق وهجموا على من كان به من المرابطين فقتلوا منهم من
أدركوه ونهبوا جميع ما فيه من خيام ومتاع وغيره ورجعوا الى المدينة وهم يتراحمون وفتحوا
مخازن الغلال والودائع التي لحموش بونايارته وأخذوا منها ما قدروا على حمله وتبرسوا حول
بولاق واستطالوا على من كان بها من القبط والشوام فأوقعوا فيهم القتل والنهب وفعلوا مالا
خير فيه فكان البلاء عاما والخطب شديدا جدا

ولما استوثق الامير كلاير من هزيمة الوزير يوسف باشا وعجزه عن الرجوع وهروبه الى
الديار الشامية وضع بالصالحية رباطا من الفرنسيين وكذلك بالقبرين وبلميس وسار الى
القاهرة وقد بلغه خبر دخول نصح باشا اليها وما جرى على يديه من قتل ونهب وتخريب
وتعيب وغير ذلك فوصلها بعد ثمانية أيام من ظهور الفتنة ودخل الى داره بالازبكية من
غير ممانع اذ لم يقف في طريقه أحد من الخند ولان العامة وأمر فأحاط جنوده بالقاهرة
وبولاق من الخارج وشددوا في الحصار فصار لا يدخل اليها أحد ولا يخرج منها أحد ومنعوا
عنهما الوارد من الاطعمة ثم جعلوا يطلقون عليهما المدافع ويرسلون القنايل من أعلى التلال
والقلاع ليلا ونهارا واشندوا في ذلك شدة بالغة وقد عذمت الاقوات وعجز وجود الخبز وصار
العساكر السلطانية الذين بالقاهرة يحفظون ما يجدونه بأيدي الناس من المأكول وغلا يسعر
الماء المأخوذ من الآبار والاسبله حتى بلغ سعر القرية نيفا وستين نصفا اذ تعذر الوصول
الى النيل * قال صاحب عجائب الآثار وتسكفل التجار ومساير الناس والاعيان بكلف
العساكر المقيمين بالمتاريس المجاورة لهم فألزموا الشيخ السادات بكلف الذين عند قنطرة

السباع وأما أكابر القبط مثل جرجس الجوهري وقلناؤس وملطى فانهم طلبوا الامان من
المسلمين من المشيئين لكونهم انحصروا في دورهم وهم في وسطهم وخافوا من نهب دورهم
اذا خرجوا فارين فأرسلوا اليهم الامان فحضروا وقابلوا الباشا والسكندرا والامراء وأغاثوهم
بالمال واللوازم وأما يعقوب فاته كرك في داره بالدرب الواسع جهة الرويعي والمتعد استعدادا
كثيرا بالسلاح والعسكر المحاربين وتحصن بقلعته التي كان شيدها بعد الواقعة الاولى فكان
معظم حرب حسن بيك الجداوى معه هذا والمناداة في كل يوم بالعريسة والتركية على الناس
بالجهاد والحفاظة على المناريس قال واتهم مصطفى أغا مستخفظان بمؤالة الفرنسيات وان
في بيته جماعة من الفرنسيين فهجم العساكر على داره بدرب الحجر فوجدوا أثقارا قليلة
من الفرنسيين فقاتلوا ودافعوا عن أنفسهم وقتل منهم البعض وهرب البعض على حية حتى
خاضوا الى الناصرية وأما الاغا فانهم قبضوا عليه وأحضره بين يدي عثمان كتحدا ثم تسلمه
الانكشارية وخفقوه ليلابا بالوكالة التي عند باب التصرور وما جيفته على منزلة خارج
البلد واستقر عوضه بجاهن كاشف الساكن بالخرنفس فاجتهد وشدد على الناس وكرر المناداة
وشجعهم من دخول الدور وكل من وجدته داخل داره مقتله وضربه فكان الناس يبتغون
بالازقة والأسواق حتى الامراء والاعيان وهلك البهائم من الجوع لعدم وجود العلف من
الخبث والقول والشعير والادريس بحيث صار ينادى على الحمار أو البغل المعداد الذي قيمته
ثلاثون ريالاً وأكثر بمائة نصف فضة أو ريال واحد أو أقل ولا يوجد من يشتريه وفي كل يوم
يتضاعف الحال ويعظم الهول اهـ

وزحف المسلمون على رصيف الخشاب وتراعى الفريقان بالمدافع والسيران حتى احترق
ما بينهم من الدور وكان اسمعيل كاشف الالقي قد تحصن ببيت أحمد أغا شويكار في نفر من
العسكر وقد كان الفرنسيين قبل الجلاء عنه عملوا به لغنا بالبارود المدفون فلما استقروا به
أشعل الفرنسيين اللغم فارتفع ما فوقه من الابنية والناس الى عنان السماء واحترقوا جميعا
وماك بينهم الالقي واتهم عدم ما كان حوله من البناء والدور والوكائل والمباني العظيمة
والقصور المطلة على بركة الازبكية واحترقت جميع البيوت الى رصيف الخشاب والخطبة
المعروفة بالساكت بأجعتها الى الرحبة المقابلة لبيت الالقي مقر الامير كلابير وكذلك
جميع خطبة القوالة وخطبة الرويعي بالسباطين العظمين وما في ضمن ذلك من البيوت
الى حارة النصارى فحاربت كلها تلالاً وخرائب كأنها لم تكن فضعفت عند ذلك عزيمه
نصوح باشا والامراء المصريين وكادوا يفشلون وأرسلوا الى مراد بيك الكبير يسألونه
الاستراخ في نجدتهم عن معه وألحوا عليه فأرسل يعثذر ويقول انه يحافظ على الجهة التي هو
فيها فأرسلوا اليه ليكشف لهم خبر المدر الاعظم وما جرى عليه فأرسل يقول لهم اعملوا أن
الفرنسيين اذا ظفروا بأحد من المشيئين فلا يقتلوه ولا يضربوه فإذا أحسنتم فافعلوا أنتم
كذلك وخبروهم في الصلح فهو خير لكم وأبقى وانجسوا عن البلاد سالمين فحنق حسن بيك

الحدادى وعثمان بيك الاشقر وغيرهم من المسلمين عند سماعهم هذا الكلام وسفهوا رايه وقبحوا قوله ورموه بالموالة للفرنسيس فأشار ابراهيم بيك الكبير بذهاب البردينى اليه ومعه عثمان بيك الاشقر ليبيئنا له خلطه وشططه فذهبا ورجع عثمان بيك وقد تبدلت أحواله وتغيرت أفكاره وذهبت عنه تلك الحدة التى كانت ترتجحه وجنح لراى مراد بيك فدخلهم من ذلك القمور وكاد يتولاهم الملل وقد اشتد الخطب وعظم البلاء وعم الكرب وتوالى سقوط القنابل على الدور والمساكن من القلاع وكثر صياح النساء فى البيوت وبكاء الصغار من الخوف والهلع والجوع ومات الكثير من النساء والاطفال والشيوخ والحيوانات والطيور وغير ذلك تحت ردم الدور والمساكن التى سقطت وكان مقام الرجال بالازقة والاسواق ليللا ونهارا ومقام النساء والصبيان بأسفل الحواصل والعقودات تحت طباق الابنية الى غير ذلك وكان المشايخ والسيد أحمد الحرقى والسيد عمر نقيب الاشراف يـمرون فى كل وقت ويأمرون الناس بالقتال ويحضونهم على الجهاد وبقي الحال على هذا الوصف عشرة أيام كوامل وترددت الرسل من أصحاب مراد بيك الكبير بين الفرنسيس والامراء المصريين بشأن الصلح وجماع جميع العساكر السلطانية عن البلاد فلم يتفقوا على أمر ما فلما كان اليوم الثانى عشر أمر كلاير فأقاموا ببركة الازبكيسة فسطاطا لطيفا ورفعوا عليه علما وانكفوا عن الرمح فى تلك الليلة وأرسل كلاير يطلب المشايخ ليتكلم معهم فيما فيه المصلحة فأمرهم نصوح باشا بالذهاب فصار اليه جماعة منهم فلما استقر بهم المقام مع الامير كلاير عاتبهم على ما وقع ثم أمن جميع الرعية وعفا عما سلف بشرط خروج نصوح باشا وجماع جميع العساكر السلطانية وارتحالهم الى حيث الصدر الاعظم وعلى الفرنسيس النفقة عليهم بقدر الكفاية وأما الجنود المصرية الذين أتوا معهم فن شأ منهم الجلاء فله مالهـم ومن شأ البقاء بقى معـززا وان الجرحى والمرضى من العساكر العثمانية ينزعون عنهم أسلحتهم ويعالجون فن تم برؤه منهم وشأ الإقامة فعزز أو الرحيل فله ما كان لأصحابه من الكلفة حتى يصل الى وطنه فجح المشايخ الى هذا الصلح وتقررت القاعدة بينهم على ذلك ورجعوا فلما كان الغد شاع أمر المودعة واستفاض أمر الصلح وعلم الانكشارية بخبره فقاموا على ساق وقدم وقالوا لا يكون هذا أبدا وخرجوا وخرج العامة معهم وسبوا المشايخ وقبضوا على اثنين منهم وأوسعوهما ضربا ورموا عمائمهما قال صاحب عجائب الآثار وصاروا يقولون هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين وانهم أخذوا دراهم من الفرنسيس وتكلم السفلة والغوغاء من أمثال هذا الفضول وشدد فى ذلك الرجل المغربى الماتف عليه انحلاط العالم ونادى من عند نفسه الصلح منقوض وعليكم بالجهاد ومن تأخر عنه ضرب عنقه قال وكان السادات بيت الصاوى فقهر واحتال بأن يخرج وامامه شخص ينادى بقوله الزموا المتاربس ليقى بذلك نفسه من العامة وكان قصد المغربى المذكور دوام الفتنة ليتوصل بها الى ما يريد من النهب والسلب والتصور بصورة الامارة باجتماع الاوغاد عليه وتكفل

الناس له بالما كل والمشرّب هو ومن انضم اليه واشتطاطه في الماء كل مع فقد الناس لأدنى ما يؤكل حتى انه كان اذا نزل جهة من جهات المدينة لاطهار أنه يريد المعونة أو الحرس فيقتدمون له بالطعام فيقول لا آكل الا الفراخ ويظهر انه صائم فيكلف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفت بتعنته في هذه الشدة بطلب أهل الماء كولات وما هو مفقود قال ثم هو مع ذلك لا يغني شيأ بل اذا دهم العدو تلك الجهة التي هو فيها فارقتها وانتقل لغيرها وهكذا كان ديدنه وسبجه اه

ولما وقع من الانكشارية والعامّة هذا التظاهر ومانعوا في امضاء الصلح لم ترد العلماء على الامير كلاير جوابا وأطلقوا مدافعهم على معسكر كلاير وأكثروا من اطلاق البنادق اعلانا بأنهم مازالوا على قدم الدفاع فأرسل كلاير يطلب الجواب فأجابه الباشا والكتخدا إن العسكر يرفضون كل صلح وهم يقولون لا ترجع عن حرب الفرنسيّس حتى نظفر بهم أو نموت عن آخرنا فأرسل عند ذلك كلاير مكاتبة يقول فيها قد عجبنا من قولكم ان العساكر لم ترض بالصلح فكأن الامر بيدهم وكيف يكون الامير أميرا على جيش ولا ينفذ أمره فيهم ثم أرسل كلاير رسولا الى أهل بولاق أيضا يطلبهم للصلح وترك الحرب ويحذرهم العاقبة فلم يذعنوا فكرر عليهم الطلب فكافوا لا يزدادون الاعناد فأرسل كلاير أحد فرسانه فطاف ينادى بالأمان فقام عليه العامة وأنزلوه عن فرسه وقتلوه وظن الناس بالقاهرة ومصر وبولاق أن الفرنسيّس انما يطلبون الصلح ليجزهم وعدم قدرتهم على استمرار القتال فلما علم كلاير بما فعلوه برسوله غضب وأمر فأطلقت عساكره المدافع على المدينة ووالوا الرمي بالقنابل من جميع الحصون والقلاع وراسلوا نيران البنادق واستمروا على هذا الحال الشديد الى يوم الخميس ثاني عشرى شوال من السنة فلما كان ضحوة هذا اليوم غامت السماء وأرعدت وأبرقت ثم أمطرت مدرارا وطالت وأظلمت الدنيا واشتد المطر وانفتحت أبواب السماء فانهمل السبل انهما لا عظيمي لم يسبق له مثال وكثرت الاحوال وتعطلت الطرق بالقاهرة ومصر وبولاق فاشتغل الناس والعساكر بنزع المياه من بعض الطرق وحمل الاحوال تخفيفا لهما فانهمز الفرنسيّس هذه الفرصة المناسبة وهجموا على القاهرة وبولاق من كل ناحية وكبسوا من ناحية باب الحديد وكوم أبي الريش وجهة بركة الرطل وقنطرة الحاجب وجهة الحسينية والرميلة وكانوا يرمون القنابل من قلعة جامع الظاهر وقلعة قنطرة الليمون ويزحفون وأمامهم المدافع وخلفهم المشاة بالبنادق يتابعون رميها وطائفة أخرى بأيديهم فتائل ممخسة بالنفوط والزيت والقطران وكعكات مدبرة تلتهب عند نزول الماء عليها فكافوا يلقونها ملتبسة بالسقائف وأبواب الحوانيت وشبابيك الدور ويزحفون على هذه الصورة والمسلمون يقسانلون قتال الابطال وانتقل الانا وأغلب العامة الى تلك الجهات وزلزلوا في ذلك اليوم زلا شديدا وهاج العامة وأكثر النساء من الصياح والولولة وتركبن البيوت وخرجن حاسرات عن وجوههن فكانت النيران تأخذ كل من صادفته ثم هجموا هجمة رجل واحد على مدينة

بولاق من ناحيتي النيل وبوابة أبي العلا فقاتل أهل بولاق وبذلوا الجهد حتى أحاطت بهم
 الفرنسيس احاطة السوار بالمعصم وأخذوهم من كل جانب وأعملوا فيهم السيف والتخريب
 فقتلوا في هذا اليوم مالا يكاد يدخل تحت الحصر وملكوا بولاق عنوة وفعلوا بأهلها ما تشيب
 من هوله النواصي وصارت القتل مطروحة تدوسها سنايك الخيل وأقدام الناس في الازقة
 والطرفات واحترق أكثر المدينة من الدور والقصور المطلة على النيل ونرج الناس على
 وجوههم هائمين الى الصعيد ثم أحاط الفرنسيس بالبلد ومنعوا من يخرج منها واستولوا على
 الخانات والوكائل والحواسل والودائع والبضائع وملكوا الدور وما فيها من متاع وأموال
 ونهبوا جميع ما عثروا عليه وصنعوا بكبارها وتجارها مالا خيفه وكان ذلك اليوم يوم الجمعة ثالث
 عشر شوال واختفى البشتيلي زعيم عصابة بولاق ففتشوا عليه وقبضوا عليه وعلى وكيله وجميع
 أنصاره وكبار العصابة كافة وسجنوهم وضيقوا عليهم عدة أيام ثم أطلقوهم ماعدا البشتيلي
 وكبار عصابته وكان البشتيلي هذا قد بعث في أيام الفتنة بخطاب الى عثمان كفتخدا يقول فيه
 ان الكلب دعانا للصالح يريد كلابير فأبيننا منه وأرسل الخطاب مع رجل ليوصله الى الكفتخدا فوقع
 في يد الامير كلابير قبل خفره ذلك الى فعل ما فعله بيولاق ثم سلم البشتيلي الى أهل عصابته ووكلائهم
 بقتله جزاء ما فعل مما كان سببا لما حل بهم فأركبوه حمارا وطاقوا به جميع أنحاء بولاق ثم قتلوه
 بضرب النبايت وألزم كلابير أهل بولاق بغرامة قدرها مائتا ألف ريال فأدوها وهم صاغرون
 أما أهالي القاهرة ومن فيها من العساكر العثمانية والامراء المصريين فانهم جعلوا
 يقاتلون ويدافعون جيوش الفرنسيس الى السادس والعشرين من شوال حتى ضاق
 خناقهم وكادوا يهلكون من الجوع فضلا عن نيران العدو فهجم الفرنسيس على المدينة
 في ذلك اليوم من ناحية باب الحديد وناحية كوم أبي الريش وقنطرة الحاجب وغيرها ودخلوا
 البلد وهم يحرقون بالفتائل والنيران الموقدة ويحلقون العساكر السلطانية عن المناريس واحدا
 فواحدا الى أن وصلوا الى ناحية قنطرة الخروبي وناحية باب الحديد الى قرب الشعبة
 وزحفوا على المناريس التي بها فوفعت الهزيمة على من كانوا بها من الامراء المصريين والجند
 فولوا الادبار وتبعهم العامة بالصياح والولولة وملك الفرنسيس كوم أبي الريش وصعدوا الى
 أعلاه وصوبوا أفواه المدافع ناحية المسلمين والمسلمون من أسفل الكوم فعمت فيهم نيران
 المدافع مالا يمكن وصفه وقتلت مالا يكاد يدخل تحت الحصر وكان البرديسي ومصطفى كاشف
 الاشقر أصحاب مراد بيك يسعون بين نصوح باشا والامير كلابير في المهادنة والكف عن القتال
 ويكثر من الترداد بين الفريقين فلما شاهد نصوح باشا ما حل بعسكره من الغشل والموات
 جنح الى جميع ما يطلبه الامير كلابير وألح في طلب كف القتال وتقررت القاعدة بين الفريقين
 على ان الفرنسيس يهملون نصوح باشا وجميع من معه من العثمانيين والامراء المصريين ثلاثة
 أيام حتى يتأهبوا للجلاء عن البلاد وجعلوا الخلع بالقاهرة حدا بين مقام الفريقين في خلال

أيام الهدنة وتركوا الحرب وأخذوا النيران وأخذ العساكر السلطانية والمصرية والامراء من الفريقين في التأهب والاستعداد للجلاء وزودهم الامير كلاير بما لزم من مال وميرة ودواب للجمل وكتبوا بعقد الصلح دستوراً من شروطه أن الفرنسيين يبقون عندهم عثمان بيك البرديسي وعثمان بيك الاشقر رهينة ويرسلون ثلاثة من كبار الفرنسيين يكونون مع الكتخدا حتى يصل بمن معه الى الصالحية وأن يرافقهم ثلثمائة من جنود كلاير ثم يعودوا ومعهم الرهائن وأن من شاء الخروج من أهل مصر فلا حرج عليه ما عدا عثمان بيك الاشقر فإنه متى رجعت الرهائن يذهب هو والبرديسي ويلحقان بمراد بيك في الاقليم القبلي * وأمر كلاير بالرهائن من الفرنسيين فذهبوا الى وكالة ذى الفقار وأجلسوهم بجامع الجسالى بالجمالية مع نصوح باشا فلما رأهم العامة هاجوا وماجوا وأرادوا البطش بهم وهموا بقتل عثمان كتخدا فأغلق دونهم الباب ومنع نصوح باشا من دخول العامة من المسجد وركب المغربي الذي تقدم الكلام عنه وسار الى الحسينية وهو ينادى بالجهاد وقتل الكفار فحضر الى عثمان كتخدا من أهل الحسينية من سأل في ذلك فتهاهم وحذروهم وأمرهم بمنع ذلك المغربي وركب كذلك المحروقي وأمامه بعض العامة ينادون بأن لا صلح ولا اتفاق ولا نرموا المتاريس ومر على هذه الصورة بسوق الخشاب فقام عليه نزله أمين وأوقفه عن التطواف ومنعه من المناداة وفتح في الحال باب خان ذى الفقار فخرج منه طائفة من الجنود وبأيديهم العصي فزقوا شمل العامة وفرقوا جمعهم وضربوهم بالعصى فانكشوا وسكن الحال وكان نصوح باشا والامراء المصريون لما دخلوا القاهرة وضربوا على أهل البلاد المغارم وزادوا في المكوس والمظالم وشددوا في تحصيلها حتى من المشايخ وأرباب الطرق طالبوا أيضاً الشيخ أبا الانوار السادات بمبلغ من المال وجاء السيد أحمد المحروقي بخطاب من كتخدا الدولة بشأن ذلك فاعتذر الشيخ وطلب المعافاة فلم يقبل المحروقي وأبى الا أخذ المقرر فشق الامر على الشيخ وأحرته جدا * قال صاحب عجائب الآثار فكتب له الشيخ تذكرة وصورتها حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وما هو من الظالمين ببعيد

وظننت انك عدنى أسطوبها * ويدي اذا اشتد الزمان وساعدى

فرميت منك بغير مأملته * والمرء يشرق بالزالل البارد

أما بعد فقد نقضت عهدي * وتركت مودة آل بيت جدى * وأطعت الظلمة السفلى وامتملت
أمر المارقين الثقلة * فاعنتهم على البغي والجور * وساعدت في تنجيز مرامهم الفاسد على الفور *
من الزامك الكبير والصغير * والغنى والفقر * اطعام عسكركم الذى أوقع بالموثمين الذل
والمضرات * وبالغ في النهب والفساد غاية الغايات * فكان جهادكم في أماكن الموبقات والملاهي
حتى نزل بالمسلمين أعظم المصائب والدواهي * فاستحكم الدمار والخراب * ومنعت الافوات
وانقطعت الاسباب * فبذلك كان عسكركم مخذولاً * وبهم عم الحريق كل بيت كان بالخير
مشمولاً * كيف لا وأكبركم أضمرت سوء للترتقة في تضيق معاشهم وأخذ مرتباتهم * واتلاف

ما بأيديهم من أرزاقهم وتعلقاتهم * وقد أخفتم أهل البلد بعد أمنها وأشعلتم نار الفتنة بعد طفتها ثم فررتهم فرار الفيران من السنور وتركتهم الضعفاء متوقعين أشنع الامور * فواغوثاه واغوثاه أغثنا يا غياث المستغيثين واحكم بعد ذلك يا أرحم الراحمين اه

فلما وقع ما وقع لنصوح باشا وقومه من الامير كلاير فرح الشيخ بمخذلتهم وفرح معه أيضا جماعة من المشايخ لخلاصهم من ظلم الجنود العثمانية وأمرائهم وخرجوا جميعا وخرج معهم ابراهيم بيك الكبير وأمرأؤه ومسالمة والالقي وأصحابه ومعه السيد عمر مكرم النقيب والسيد أحمد المحروقي وكثيرون من أهل مصر والقاهرة وساروا الى الصالحية وسار معهم حسن بيك الجداوى وأصحابه ودخل الفرنسيين الى المدينة واستولوا على ما كان أعده العثمانيون من المدافع والقنابل والبارود وآلات الحرب وركب المشايخ والاعيان عصر ذلك اليوم الى مقر الامير كلاير فلما استقروا بهم المقام أبرز لهم ورقة مكتوبا فيها مانصه **النصرة لله** الذى أمر من آتاه النصر باستعمال الشفقة مع الناس وبناء على ذلك فان أمير الجيوش الفرنسية لا يخل بالعفو عن جميع الاهالى ولو أنهم شاركوا العثمانيين فيما ارتكبوه من جرائم القتل واراقة الدماء فعليهم اذن أن يشتغلوا بأمر معاشهم * ثم نفت الى المشايخ وقال لترجانه قل لهم أن يأتوا الينا في غد عند قبة النصر فقاموا من عنده مطمئنين وطافوا بالاسواق وبين أيديهم أرباب المناداة ينادون بالامان العام وباتوا وأصبحوا فركبوا جميعا وذهبوا الى خارج باب النصر وخرج أرباب المناصب وكبراء القبط والشوام فلما تكامل حضورهم ركبوا موكبا وساروا ودخلوا من باب النصر وأمامهم القواصة يأمررون الناس بالقيام ثم عدد عظيم من الفرسان ثم المشاة وأمامهم الطبول والابواق ثم الاعيان والمشايخ والعلماء والامراء والوجافلية وأتباعهم ثم الامير كلاير وخلفه الامير عثمان بيك البديسى وعثمان بيك الاشقر وخلفهم طوائف الفرسان وبعد انقضاء الموكب زينت البلد ثلاثة أيام ثم أذب الجنرال كلاير ودعا جميع المشايخ والعلماء والامراء فلما فرغوا من الطعام خلع على الشيخ المبكرى خلعة عظيمة وقد محمد أنا الطناني أغاة مستحفظان ثم انصرفوا ونادى الاغا بالامان فى تلك الليلة وأصبحوا وقد دعا مراد بيك الكبير الامير كلاير وبطانته ومن معه من المقاتلين الى وليمة أعدها لهم بجزيرة الذهب فذهبوا اليه فبالغ مراد بيك فى اكرام الامير كلاير وقدم له تقادم وهدايا نفيسة وكذلك لكل واحد من أركان حرب كلاير وقدم اليه أربعة آلاف رأس من الضأن وبعول البقر وخبول الجاموس وكان قد بعث بها درويش باشا الذى كان بالاقليم القبليسة اعانة الى نصوح باشا ومن معه من الامراء المصريين فسر الجنرال كلاير سرورا عظيما فى ذلك اليوم وانشرح صدره وقد مراد بيك لمارة الصعيد من جرجا الى اسنا ثم عاد راجعا الى داره بالازبكية

ولما كان فى صبح يوم الجمعة ثامن الحجة من السنة أى سنة أربع عشرة ومائتين وألف حضر المشايخ والعلماء فى زيارتهم الى بيت الامير كلاير باستدعاء من أجل ترتيب

الامور وتقسيم الوظائف والمناصب العالية فذهب كل وهو يؤمل بلوغه ما يتمنى فلما دخلوا
أجلاسوهم في مكان برهة طويلة ولم يحضر اليهم أحد وأهملوا ثم طلبوا الى مكان آخر فدخلوا وجلسوا
وأهملوا حصة ثانية أطول من الاولى ثم خرج بعد ذلك الامير كلاير في أصحابه ومعه ترجمانه
فجاس وأصحابه حوله وكلم ترجمانه ثم بعد أن فرغ التفت الترجمان الى المشايخ والعلماء وقال
يقول الجنرال انما قد استحضرت اليوم الى هنا من أجل أن تدفعوا الى خزينة الجيش الفرنسي
عشرة آلاف ألف فرنك عبارة عن ألف ألف فرانسة منها خمسمائة ألف وخمسة
وثلاثون ألف فرانسة على الشيخ السادات خاصة وخمسون ألفا على الشيخ محمد بن الجوهري
 وخمسون ألفا على أخيه الشيخ فتوح وخمسون ألفا على الشيخ مصطفى الصاوي والشيخ العناني
 ومائتان وخمسون ألفا نقتطعها من ذلك نظير نهب دور الفارين مع العساكر العثمانية مثل
الهروقي والسيد عمر مكرم وحسين أغا شن ومابقي من المبلغ توزعونه على التجار والاهالي
 كل بلد وما يناسب حاله ويبقى منكم هنا خمسة عشر رجلا رهينة فاختاروا من يبقى * ثم قام
 كلاير من فوره ودخل مع أصحابه الى داخل وأغلق بينه وبينهم الباب فاستلم فريق من
 الحراس الابواب ووقفوا دونها بالبنادق يمنعون من يخرج من الجالسين فبهت الجماعة
 وانتفعت وجوههم ونظر بعضهم الى بعض وهم في دهشة وحيرة ولم يعاف من هذه الغرامة
 سوى الشيخ المهدي والشيخ البكري واشتد بالمشايخ الامر ولم يزلوا على ذلك الى قريب العصر
 فأخرجوا عن دخل معهم من خايمي الذكر وأخذ أرباب الديوان في توزيع المطلوب
 وتدبيره وترتيبه في قوائم حتى وزعوه على الملتزمين وأرباب الحرف الدنيئة وجميع صنوف
 التجار وقضاة المحاكم وقد وضعوا الشيخ الصاوي والشيخ فتوح بن الجوهري في السجن وهرب
 الشيخ العناني وكانت داره احترقت فضافوا غرامته على الشيخ السادات ووكاوا بالتحصيل
 المعلم يعقوب والقائمة مع الخزانة دار لقبض المتحصل وتدبير الامور والرهونات وركب كلاير
 مع أصحابه وذهب الى الجيزة ونزل الشيخ السادات يريد الذهاب الى داره فسار معه عشرة
 من الفرنسيين وجلسوا على بابه الى نصف الليل فحضر اليه عشرة آخرون فأنزلوه من بيته
 وصعدوا به الى قلعة الجبل وسجنوه في مكان فهاله هذا الامر وأزعجه جدا فأرسل الى عثمان
 بيك البرديسي مستغيثا به فركب الى الامير كلاير وكله في أمره فقال كلاير أما القتل فلا
 نقتله لسفاعتك وأما المال فلا بد منه ان طوعا وان كرها ثم أنزلوه من قلعة الجبل وسجنوه
 في بيت القاء مقام يومين ثم أصدعوه ثانيا الى القلعة وشددوا عليه وضيقوا فلما اشتد به الخطب
 طلب أن ينزلوه الى بيته ليسعى في سداد المفروض فأنزل فباع متاعه وأثاث داره وما عنده
 من المال دفعة فلم يبلغ سوى أحد وعشرين ألف فرانسة لا غير ففتشوا جميع بيته ونهبوا
 أرضه فلم يعثروا فيه على شيء وكان قد نقل نساءه وولده الى مكان آخر وضيقوا على بقية
 المشايخ في تحصيل المفروض فهرب البعض فنهبوا داره واسترحم البعض تخففوا عنه وأضافوا
 ما خففوه على الغرامة العامة وانبت الاعوان يطالبون الناس ويقبضون على من لم يدفع

ما عليه فاشتد بالناس هذا البلاء وعم الخوف والذل الحقيق والعظيم وذهب الدرهم والدينار وعز وجدانهم فصاروا يأخذون المصوغات والامتعسة بأجنس الاثمان حتى نفدت أيضا فأخذوا الدواب وخرج الناس من المدينة وأجلوا عنها الى القسرى والارياف فرارا فكافوا كل مستجير من الرمضاء بالنار

(مطلب)

(مقتل الجنرال كلاير قائد الجيوش الفرنسية وما جرى بعده قتله)

لما خرج نصوح باشا من مصر بعد عقد الصلح مع الامير كلاير وانجلي عن البلاد عن كان معه من العساكر السلطانية والامراء والصناعيق المصريين ولحقوا جميعا بيوسف باشا صدر الدولة كبر هذا الامر عليهم واستعظموه فجعلوا ينظرون في امر الخلاص من شر الامير كلاير ويتدبرون في امر قتله فأرسل أغا الانكشارية الى حلب يطلب رجلا قادرا مقداما يجسر على قتل كلاير ومناء بالعطايا الجزيلة والمناصب السامية والتحف الجليلة فحضر اليهم رجل اسمه سليمان الحلبي لم يبلغ من العمر سوى أربع وعشرين سنة فقربه الاغا ومناء بالعطايا إن هو قتل كلاير فأقسم أنه يقتله وأخذ لذلك خنجرا وسار الى القاهرة ونزل بالجامع الازهر برواق الشوام عند جماعة من مجاوري الشوام له بهم سابق المعرفة ولبث ثلاثين يوما متتبع خطوات كلاير أينما سار ثم كاشف ثلاثة من المجاورين بما عزم عليه من قتل كلاير أحدهم اسمه السيد محمد المغربي والثاني اسمه السيد أحمد الوالي والثالث الشيخ عبد الله المغربي وكاشف آخر غيرهم أيضا اسمه السيد عبد القادر الغزى قيل فنعوه من ذلك ونهوه فلم ينته فلما كان سادس المحرم افتتاح سنة خمس عشرة ومائتين وألف عبر الحلبي النيل الى الجزيرة واجتمع بنقر من بحارة زورق كلاير فسألهم عن كلاير وعن محله وجوده واقامته وغير ذلك وأراهم أنه رجل غريب يريد الاجتماع به لأمرهم -م كلاير فأعلموه بأن عادته أن يتجول في بستان داره في كل يوم حصة مقررة فتركهم ورجع الى مقره بالازهر وبات ليلته تلك وأصبح يوم سابع المحرم قاصدا الفتك بكلاير وأعلم السيد محمد الغزى ومن معه بأنه سيقته في ذلك اليوم وتأبط بخنجره وخرج من الجامع وسار الى بيت كلاير فعلم بخروجه الى الروضة فسار نحوها فصادفه عائدا الى داره بالازبكية فتبعه حتى وصل الى الدار فدخل كلاير ولبث الحلبي يراقب الفرص حتى علم بنزول كلاير الى بستانه على عادته في كل يوم فتمكن من الدخول الى البستان من غير أن يشعر به أحد من الحراس فوجد كلاير يتشى ومعه المسمو بروتين كبير مهندسى الجيش فسار الحلبي نحوهما فوقف كلاير وأشار اليه بيده أن يرجع فلم يرجع فقال له بالعربية ما فيش وكررها فلم يرجع وأداهم أن له حاجة عند الجنرال فلما اقترب منه مديده اليسار كأنه يريد تقبيل يده فداه اليه الجنرال يده فقبض عليها وضربه بخنجره

أربع ضربات متوالية فزق بطنه وظهرت أمعاؤه وسقط الى الارض صارخا فصاح كبير المهندسين على الحرس فأسرع الحلبي نحوه وعاجله بضربة فضربه كبير المهندسين عدة ضربات بعضها كانت في يده فهرب الحلبي واختفى في مكان خرب بقرب سقاية هناك فسمع الحراس الصباح فدخلوا مسرعين فوجدوا الأمير كلاير مطروحا وبه بعض الرمي وكبير المهندسين ملقى بجانبه ولم يجدوا للقاتل أثرا فاضطربوا وهاجوا وماجوا ونفخوا في البوق فاجتمع كثير منهم بين فرسان وركبان وذهب فريق الى القلاع وصوبوا أفواه المدافع نحو المدينة يريدون تدميرها وهلاك جميع من فيها وبحث الفرنسيين عن القاتل فوجدوه متزويا في ناحية من البستان المجاور لبنت كلاير وقيل بل إن جارية سوداء كانت تنظر الى ما وقع من شباك بمنزل سيدها المطل على بستان بنت كلاير وقد رأت القاتل عند ما اختفى في ذلك المكان فصاحت على الجنود الذين كانوا يفتشون عليه ودلتهم على مكانه فقبضوا عليه وأمسكوا معه نخجيره ملوثا بالدم ووجدوا بجانب جثة كلاير قطعة قماش مصبوغة باللون الأخضر هي من لباس القاتل قبيل ولولم تدل تلك السوداء على مكان القاتل لتهدمت المدينة بأسرها وقتل جميع من فيها بحمد السيف ولما قبضوا عليه سأله في الحال عن اسمه وعمره وصنعتة وبلده ومحل اقامته فأتضح انه حلبي واسمه سليمان ومهنته كاتب وقد جاء الى مصر يريد الاستخدام بطرف أحد التجار وهو بأوى بالجامع الأزهر وأنكر قتل الأمير كلاير ودخله الى البستان فشدوا عليه وضربوه فاعترف بارتكابه جناية القتل وبأن الذي ساقه الى ذلك أغاة الانكشارية حيث أطعمه في العطايا الجزيلة والمناصب العالية إن هو فعل ذلك فاستحضروا كبار المشايخ وأخبروهم بخبر هذا الحادث وعوقبهم عندهم الى نصف الليل وألزموهم باحضار الاربعة مشايخ الذين يعلمون بعزم القاتل على فعل القتل فأحضروا ثلاثة وغاب عنهم رابعهم ونقلوا جثة الأمير كلاير فكان بها أربعة جروح أهمها في الجنب الايمن وكانت جثة المسيو بروتاين كبير المهندسين مطعونة ست طعنات أهمها بين ضلوع الجنب الايسر ثم عقدوا مجلسا لحكمة القاتل بعد تحقيق وتدقيق أضربنا عن ايرادهما صفحا لحكم عليه بقطع يده اليمنى ثم رفعه على خزوق بالتل المعروف بتل العقارب وبقي كذلك حتى تأكل الطيور لحمه وأن ينفذ عليه هذا الحكم بعد دفن جثة كلاير بحيث يراه جميع من يمشى في جنازة كلاير وحكم كذلك بقتل السيد عبد القادر الغزي وأخذ جميع ما يملكه لخزينة الجيش ورفع رأسه على بيته كي يرى للناظرين وبجانبه ورقة الحكم وحكوا على محمد الغزي وعبد الله الغزي وأحمد الوالى بقطع رؤسهم ورفعها على خشب وحرق جثثهم بالنار على تل العقارب بمصر رأى من سليمان الحلبي ❦ ولما فرغوا من تحقيق مقتل الجنرال كلاير والحكم على قتله وشركائه أخذوا يشتملون بأمر دفن كلاير وكان ذلك بعد موته بثلاثة أيام وأقاموا بدله الجنرال جاك منو ونادوا ليلة الاربعاء خامس عشر المحرم بتنظيف الطرق والشوارع وأصبحوا فاجتمع عسكرهم وأكبرهم وخرجوا بجنازة كلاير ركباناً ومشاة وقد وضعوا جثته في تابوت

من رصاص ووضعوا التابوت على عربة يجرها أربعة أفراس وعلى التابوت قبعة الأمير وسيفه والخنجر الذي قتل به وهو ملوث بدمه ورفعوا على العربة أربعة أعلام والموسيقى تصدح بأصوات الحزن والبنادق منكبسة إلى أسفل فلما خرج النعش من بينه أطلقوا له عدة مدافع وبنادق وساروا من بيت الأذربكية على باب الخرق إلى درب الجاميز إلى جهة النصرية فلما وصلوا إلى تل العقارب حيث القلعة التي أنشأها هناك أطلقوا عدة مدافع وكانوا قد أضروا سليمان الحلبي وشركائه في الجناية وأوقفوهم عند القلعة تحرسم الجند لمشاهدوا مشهد قتلهم ثم ساروا بالجثة إلى أن وصلوا باب قصر العيني فحملوا التابوت ووضعوه على ربة صغيرة داخل تقفية كانوا أعدوها لذلك وعليها كساء أبيض ووقف عند بابها نفر من الجند بالبنادق ملازمين ليللا ونهارا ثم عاد الجمع فأوقف عند قلعة تل العقارب ونفذ الحكم على سليمان الحلبي وأصحابه على الوجه المتقدم فكان النظر مريعا فظيعا للغاية وعند مادنا الجلال من سليمان ليقد يده اضطرب للغاية وجعل يلتفت عنة ويسرة كأنه يطلب النجاة فلما رفعوه على الخشبة صاح واستغاث وجعل يكرر كلمات لامي لهما ثم انصرف الناس وبقي جماعة من الجند حول الخازوق ولما كان ثاني يوم سار القائمقام والأغا إلى الجامع الأزهر وقتشوا جهاته وأروقته وزواياه بمحضرة المشايخ ثم خرجا بن معهما من الجند ثم عاد الجنرال ومعه القائمقام والأغا بعد أيام وطافوا به ودققوا في تفشيشه وأمر الجنرال فقبشوا أرضه لاستخراج ما هو مدفون فيها من الأسلحة والودائع فأخذ المجاورون عند ذلك في نقل أمتعتهم منه وكتبهم وإخلاء الأروقة وأحصى الأغا المجاورين وكتب أسماءهم ورسم بأن لا يبيت عندهم غريب ولا يؤوا اليهم أحدا مطلقا وأخرجوا منه المجاورين من طوائف الترك فتقدم الشيخ الشرفاوى ومن معه إلى الجنرال جال في قفل أبواب الجامع منعاً للريبة ودفعاً للظنون فأذن بذلك فقفلت ثم جمعوا أرباب الوجقات وألزموهم بجمع ما عندهم من الأسلحة فجمعوها فكانت شيا كثيرا جدا وجعلوا من هذا الحين يؤخذون العامة بأقل سبب ويضيقون ويمددون ويبالغون في السكاية تشفيا وانتقاما فأخذ بعض الناس بهاجرون إلى القرى والأرياف ومالوا إلى الجلاء عن المدينة خلاصا مما يخشون فأمر عند ذلك الجنرال منو فطاف الأغا بنادى بعدم جلاء الناس ورجوع جميع من سافروا بعد خمسة عشر يوما والانهت بيوتهم من غير معاودة فرجعوا على أعقابهم صاغرين فضربوا عليهم غرامة أخرى قدرها أربعة آلاف ألف (لعلها فرنكات) فقرروا منها على العقار والدور مائتي ألف فرانس على الملتزمين مائة وستين ألفا وعلى التجار مائتي ألف وعلى أرباب الحرف المستورين ستين ألفا وقسموا المدينة إلى ثمانية أخطاط وجعلوا على كل خط منها خمسة وعشرين ألف ريال ووكلا مشايخ الحارات بقبض ذلك مع الأمير الساكن في تلك الخطه فضاك خناق الناس واشتد بهم الكرب وعجزوا عن السداد فتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة واحتجب الجنرال منو عن الناس وامتنع عن الاجتماع بالمسلمين وكذلك عظماء القواد واستوحشوا وزادوا في تحصين القلاع

وجددوا منها عدة كثيرة وبنوا بها المخازن والمساكن وصهاريج الماء في جميع أنحاء القطر حتى في الصعيد وهدموا كثيرا من اخطاط الحسينية وخارج باب النصر وباب الفتوح من الحارات والدور وغيرها وزادوا في التنكيل بالأهالي وفي تذليلهم جزاء ما فعلوه وبينما هم على هذا الحال من التحدّر والتعجب اذ قدم على أبي قير والاسكندرية عمارة عظيمة من السفن الانجليزية وجعلت تغدو وتروح أياما وكان بها أيضا جماعة من العساكر العثمانية فلما علم الفرنسيون بخبرها خرج فريق منهم يريد البحيرة والناس لا تعلم ما هناك واستحضروا والى والمحتسب مشايخ الحارات والاطاط وشهدوا في التنبيه عليهم بمراقبة السوق وملاحظة أحوال العامة والتأكد عليهم بالخلود الى السكنى وعدم التظاهر بظواهر الدين الموجبة لتوغير الصدور وظهور كامن الضغائن وبالغا في النصيحة للغاية وأعلمهم بأنهم هم المؤاخذون بذنوب العامة المسؤولين عنها * وبينما كانت العمارة الانجليزية تغدو وتروح في عرض البحر بين أبي قير والاسكندرية وتمنع الوارد عنهما كانت العساكر العثمانية تتحدّر من الشام قاصدة ديار مصر ومعهم يوسف باشا صدر الدولة وما زالوا يجدون السير حتى نزلوا على العريش وعسكروا بها أياما فسار لقاؤهم طائفة من الفرنسيين ومعهم آلات الحرب الكثيرة ونزلوا بالصالحية وأقاموا بها أياما وخرج كذلك الجنرال منوفي نفر من أركان حربه وطائفة من الجنود الى البحيرة فلم يستقربها حتى جاءه الخبر بنزول طائفة عظيمة من عسكر سفن الحرب الانجليزية الى أرض أبي قير وقد كان لا يظن ذلك فسار بمن معه من الجنود من البحيرة الى انبابه وساروا منها الى مدينة الاسكندرية مسرعين ولحق بهم طائفة أخرى ممن هم بالقاهرة ومصر وروح الخفاء وصارت الحرب أدنى من قاب قوسين وتحقق زحف بعض مقدمات الجيوش السلطانية الى مقربة من العريش ووردت الاخبار بذلك الى الجنرال فوريه نائب الغيبة فجمع اليه المشايخ وأرباب الديوان وأعلمهم بخبر وصول السفن الانجليزية الى أبي قير والاسكندرية وزحف يوسف باشا الصدر الاعظم بعساكره الى العريش ووجوب أخذ بعض المشايخ رهينة ما دامت الحرب قائمة بينهم وبين العدو فلم يروا بدا من قبول ذلك بالطاعة ووقع الاختيار على أخذ الشيخ الشرفاوى والشيخ المهدي والشيخ الصاوي والشيخ الفيومي فأصعدوهم الى قلعة الجبل في الساعة الرابعة من الليل وأنزلوهم بجامع سارية ونقلوا اليهم أيضا الشيخ السادات وأمرؤا من بقي من أرباب الديوان وهم أربعة مشايخ بأن يلازموا شيخ البلد ويدأموه على حض الرعية بالخلود الى السكون وملازمة الطاعة واستحضروا كثيرا من الاعيان وأصحاب المناصب القديمة على عهد المماليك وأصعدوهم الى قلعة الجبل رهائن وأكثروا من نقل الذخيرة والامتعة والصناديق والفرش والاسلحة الى قلعة الجبل ليلا ونهارا ۞ وكان الجنرال منوفي لما تولى الرياسة لم يحسن التدبير ولم يفلح في سياسته لعدم خبرته بالتدابير العسكرية وتجرده عن الهيبة الشخصية فأبغضه كبار الفرنسيين وقواد الجنود ومقتوه وكان منوقد أسلم ودعا نفسه عبد الله منو وتزوج احدى

بنات المسلمين وولدت له ولدا فسماه سليمان وسكن بخطه سيدنا الحسين وجعل يحاط العامة والسوقة بتلك الخطه ليستميلهم الى محبته وكان ديوان القاهرة الى ذلك الحين مؤلفا من المسلمين والنصارى كما رتبته بونا بانه وكلاير من بعده فأخرج منهم النصارى وسلم الاحكام لمن بقي من المسلمين ومال الى جانبهم وبالحق في استرضائهم وأخذ جباية الاموال من يد الاقباط وسلمها الى المسلمين وقد كانت بيد القبط من عهد عمرو بن العاص الى ذلك الحين ثم خلط وخبط وقلب نظام الهيئته الحاكمة وأفسد منها ما أصله الامير كلاير وعمل غير ذلك أيضا قال بعض أصحاب التاريخ وقد كان اسلام منو هذا خدعة من مكاييد الفرنسيين وتغريرهم بالمسلمين * قلت وقد اطلعت على صورة عقد زواج منو المذكور بمجلة الموسوعات منقولة بالنور الشمسي من سجل محكمة رشيد الشرعية فأثرت نقله هنا تنبيها للفائدة التاريخية وهي * بمحض كل من مولانا العلامة السيد أحمد الخضرى المفتى الشافعى ومولانا الشيخ محمد صديق النائب المفتى الحنبلى ومولانا السيد محمد غرا النائب المفتى المالكي والسيد أحمد بدوى نقيب الاشراف حالا والامير محمد بدوى حوريجى سردار مستحفظان وأحمد أبو جاویش مستحفظان والحاج أحمد جاویش العسال والحاج محمود اللوى المغربى وابراهيم الجال الرزاز والحاج محمد ميتو وعبد الله بربيره والحاج بدوى الشناوى واودن اسمعيل السلانكلى وعلى جاویش كنفدا البيك دام كمالهم

بعد أن أقر واعترف مينو باشا صارى عسكر القطر المصرى حالا بصريح لفظه وفصح نطقه بكلمتى الشهادتين وهما * أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله عارفا معتقدا معناهما ومصدقا لمضمونهما تاركا لدين النصرانية والادبان الرديئة على الترتيب والولاء واعادة القشهد واستيفاء الشروط المعتبرة فيهما شرعا طائعا مختارا من غير اكراه ولا اجبار بعقتضى ذلك صار له ما للمسلمين وعليه ما عليهم وظهر منه الرغبة والحب للمسلمين والميل اليهم وسمى نفسه عبدالله باشا وأشهد على نفسه الجماعة المذكورين بجميع ذلك اشهادا شرعيا ثم بعد ذلك رغب عبدالله باشا المذكور في تزوجه بامرأة مسلمة فخطبها خطبة شرعية وأجيب لذلك بعد ابرازه لفتيا شرعية لفظ سؤالاها

ماقولكم دام فضلكم فى رجل أحب الاسلام وأهله ورغب فيهما تاركا لدين النصرانية ناطقا بكلمتى الشهادتين مصدقا على الوجه الاكمل ثم أراد أن يتزوج امرأة مسلمة على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم فهل يجوز له حينئذ التزوج بها والعقد عليها بشروطه الشرعية أفيدوا الجواب * وبأدناه * الحمد لله حيث كان الحال ماشرح فى السؤال فيجوز للرجل المسلم المذكور خطبة المرأة المسلمة والعقد عليها بشروطه الشرعية والله أعلم *

كتبه الفقير أحمد الخضرى الشافعى لطف الله به
وبأدناه * الحمد لله حيث أقر الرجل المذكور بالشهادتين بشروطهما الشرعية فيجوز له أن يعقد على المرأة المسلمة عقدا شرعيا مستوفيا لشرائطه الشرعية والله أعلم *
كتبه الفقير محمد صديق الحنبلى عفى عنه

وبأذناه ﷺ الحمد لله حيث رغب الرجل المذكور في الاسلام ونطق بكلمتي التوحيد جاز له أن يتزوج المرأة المسلمة وأن يعقد عليها العقد الشرعي بشروطه الشرعية والله أعلم ﷺ

كتبه الفقير محمد غرا المالكى غفر له الله وعفا عنه

فبمحضر كل من ذكروا أعلاه تزوج عبد الله باشا المذكور بمخطوبته زبيدة المرأة بنت محمد البواب التي كانت زوجا لسليم أغا نعمة الله وطلقها وانقضت عدتها منه شرعا على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم وصداق بجلته ألفا ريال اثنان معاملة ومائة دينار ذهبيا محبوبا فالحال لها من ذلك المائة دينار المذكورة أقبضها لو كيلها الحاج حسين ابن السيد محمد الموقت فقبض منه ذلك عددا بالجلس بمعاينة من ذكر أعلاه وعليه الخروج من عهدة ذلك لها شرعا والباقي الالف ريال الاثنان يحلان لها عليه بموت أو فراق زوجها له ذلك * وعقد نكاحها عليه وكيلها الحاج حسين الموقت المرقوم باذنها له في ذلك بشهادة كل من أخيها لأمرها السيد علي الجمالي ابن حسن البواب والسيد أحمد وشقيقه السيد ابراهيم المسكف كل منهما ابني السيد سليمان النقرزان تزوجا شرعا قبله للزوج المرقوم وكيله الحاج أحمد شهاب حسبا وكاه صريحا بالجلس بشهادة شهوده المذكورين وعلى عبيد الله باشا الزوج المذكور القيام لزوجه المذكورة في كل سنة تمضي من تاريخه أذناه بعمل كسوة أقشة شتاء وصيفا لاثنتين بحالهما وثبت ذلك لدى مولانا أفندي بعد ان ثبت لديه معرفة زبيدة المذكورة المعرفة الشرعية التي لاجهالة معها شرعا بشهادة كل من شهود وكيلها المذكورين ثبوتا شرعا وحكم بموجبه حكما شرعا في الخامس والعشرين من رمضان سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف انتهى بنصه

وبعد أن تم عقد الزوجية بين الجنرال منو المذكور وزبيدة بنت محمد البواب على الوجه المتقدم حصل التعاقد بينهما أيضا على شروط وعهود يعيشان على مقتضاها معا وقد سجلت بالطريقة الشرعية بسجل محكمة رشيد بعد تسجيل عقد الزوجية ونصه

ﷺ بمحضرة كل من مولانا الشيخ أحمد الحضري المفتي الشافعي ومولانا الشيخ محمد صديق النائب والمفتي الحنبلي ومولانا السيد محمد غرا النائب والمفتي المالكى والسيد أحمد بدوي نقيب الاشراف والامير محمد بدوي چورججي سردار مستحفظان وأحمد أبو جاویش مستحفظان والحاج أحمد جاویش العسال والحاج محمد اللوى المغربى وابراهيم الجبال الرزاز والحاج محمد ميتو وعبد الله بربيره والحاج محمد الشناوى وأوزن اسمعيل السلانكلى وعلى جاویش كفتخدا البيك ولوى چوسف ويكتور جوليان صارى عسكر حاكم ولاية الثغر ولوى چوست دروى رئيس طائفة عسكرية وكفتخدا صارى عسكر الا فى ذكره فيه وجان فرنسوا لوى لويكه مهندس وميقانى الجيش الفرنساوى ولويرى وانولى باش حاكم القورنتينسه دام كمالهم * صار التوافق والتراضى بين الحاج حسين ابن السيد محمد المبقانى الوكيل الشرعى عن زبيدة المرأة بنت السيد محمد البواب النائب معرفته وتوكيله عنها فيما

يذكر فيه بشهادة كل من اخيها لامها السيد علي الحامي ابن حسن البواب والسيد أحمد وشقيقه السيد ابراهيم ابني السيد سليمان النقرزان الثبوت الشرعي وبين الحاج أحمد شهاب الحاضر معه بالمجلس القائم في ذلك بوكالته الشرعية عن عبد الله باشا منو صاري عسكر القطر المصري حالا النابتة صريحا بالمجلس وبتصديقه على ذلك التصديق الشرعي وهو زوج زبيدة الموكلة بموجب كتاب الزوجية المسطر بمحكمة الثغر المؤرخ بخميس عشرين شهر تاريخه أدناه على شروط تكون وتوجد بين عبد الله باشا منو وبين زوجته زبيدة باقرار الوكيلين المذكورين

الشرط الاول § ان زبيدة الزوجة أقامت وأذنت زوجها المذكور وكيلا عنها في سائر ما تملكه يدها الآن وفيها يوجد لها من المال يتصرف لها في ذلك بحسن نظره السيد

الثاني § أن عبد الله باشا منو الزوج المذكور أقر بأن كامل ما هو تحت يدها من متاع ومصاغ وحلي فهو ملك لها بمفردها

الثالث § عبد الله باشا منو الزوج المرقوم أعطي لو كيلاه الحاج أحمد شهاب المذكور مائة محبوب كل واحد منها بمائة وثمانين نصفا فضة في نظير صداق زوجته المذكورة وان الحاج أحمد شهاب سلم جميع ذلك ليد وكيلاها الحاج حسين المذكور فسلم له ذلك عسدا بالمجلس وذلك على حسب عادة عقود المسلمين

الرابع § ان الزوج المذكور شرط على نفسه انه ان حصل بينه وبين زوجته فراق يدفع لها ألفي ريال اثنين معاملة في نظير فراقه لها وكل ما كان تحت يدها وقت ذلك يكون جميعه ملكا لها حسب عادة دفع مؤخر صداق المسلمين

الخامس § ان زبيدة الزوجة المذكورة ان كانت تطلب طلاقها من زوجها المذكور بحسب شرع المسلمين لم يكن لها من الالفين ريال المذكورة ولا نصف فضة ما عدا ما تحت يدها من مصاغ وغيره فهو لها

السادس § زبيدة لم تزل وارثة في كل ما كانت ترثه شرعا

السابع § ان زبيدة أقرت بنفسها انه اذا مات زوجها المذكور وهي في عصمته تأخذ من ماله الالفين ريال المذكورة وليس لها موارثة ولا طلب في تركته وذلك في نظير ارثها الشرعي حسب رضاها بذلك

الثامن § أنه ان مات الزوج المذكور وخلف أولادا من زوجته المذكورة وهم قصر يقام عليهم رجلان ناظران ووصيان واحد فرنساوي والثاني ابن عرب يتصرفان في أموالهم بحسب المصلحة في طريقة الفرنسية وطريقة المسلمين

التاسع § ان الزوجة المذكورة ان ماتت وخلفت أولادا من زوجها المذكور في حياته يكون أبوهم هو الوكيل الشرعي على أولاده وعلى مالهم

العاشرة الناظر الوصى الفرنساوى المذكور فى الشرط الثامن يقام من طرف حكام
الفرنساوية الموجودين فى بر مصر وقت ذلك والناظر الوصى الثانى يقام بحسب عادة المسلمين
وان حصل تداع بسبب اختلاف تقام الدعوى على يد الحاكم الشرعى ان كان ببر مصر
أو ببر فرنساوية

الحادى عشر عـبد الله باشا منو وزوجته ان ماتا جميعا وخلفا أولادا تكون
أولادهما تحت حماية جمهور فرنساوية والزوجين المذكورين بقصد أفضل الحكام
الخمس التى يبلد فرنسا يكونوا نظراء على أولادهما وان الزوج والزوجة أقرا واعترف برضاها
على هذه الشروط المذكورة على يد وكيلهما الاقرار والاعتراف الشرعيين الصادرين منهما
بالمجلس بمحضرة من ذكر أعلاه وأنهما التزما بهذه الشروط يفعلانها وقت الاحتياج اليها من
غير اكرام ولا اجبار التزاما مرضيا وثبت ذلك لدى مولانا أفندى ثبوتا شرعيا وحكم بموجبه
فى سابع عشرى رمضان سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف * انتهى بنصه

وبقيت زبيدة فى عصمة الجنرال منو ولم تفارق رشيد مسقط رأسها وسكنها حتى أخذت
رشيد من الفرنسيين وانجبلوا عنها فسارت منها بالبصرى فى المحرم افتتاح سنة ست عشرة
ومائتين وألف مع أخيها السيد على الرشيدى أحد أعضاء الديون بمصر رشيد الى الرجانية
ولبثت امامها أياما حتى نزل على الرجانية القادمون من العساكر السلطانية والعساكر
الانجليزية واحتلوا قلعتها فسار السيد على باخته زبيدة الى مصر ونزل بها بيت الالفى
بالازبكية أياما قلائل ثم صعد بها الى قلعة الجبل فأقامت بها وورد كتاب الجنرال منو على
أعضاء الديوان بالقاهرة بوصيهم خيرا بها وبولده منها سليمان مراد * قال القائمقام توماس ولسن
الانجليزى فى كتابه المسمى البعثة الانجليزية بمصر ما تعريبه * ولما كان سابع عشر يونيه سنة
احدى وعشائة وألف ميلادية سلم الفرنسيين قلعة القاهرة بعد ان وقعوا على شروط الجلاء
عن ديار مصر وخرج من بقى منهم وخرجت امرأة الجنرال منو تريد اللحاق بزوجها فعارض
جماعة الترك فى ذلك وشددوا فى منعها وبالغوا فى التشديد فقام فى وجههم القائد بيار
وقال لابد من ذهابها وانا الكفيل بها والضامن لراحتها فخرجت مع من خرجوا اه وكان
زوج الفرنسيين على اختلاف درجاتهم بالمسلمات قد فشا وعم سائر المدن والقرى وكان
حكام الاخطاط من الفرنسيين يلبسون نساءهم من المسلمين الازياء الفرنجية ويمشون
معهن فى الاخطاط للنظر فى أمور الرعية والاحكام فكان يأمرن وينهين كأنهن الحكام
وكانت تمشى المرأة منهن بنفسها أو معها بعض اترابها واضيفها على مثل زبيها وأممامها
القواصة والخدم وبأيديهم العصى يفرجون لهن لناس كما يفعلون عند مرور كبار الحكام
بالطرق والشوارع وكن كثيرا ما يأمرن أيضا وينهين فى الاحكام وكادت هذه المحنة تم سائر
البلاد لولا جلاء الفرنسيين عنها بقدوم العساكر السلطانية والعساكر الانجليزية * وبينما
كان الفرنسيين يعدون المعدات ويسيرون العساكر الى أبى قبير والاسكندرية ودمهور

والرجانية وغيرها لمنع تقدم الانجليز ظهر الطاعون بالقاهرة ومصر واشتد شدة
عظيمة فكثر الموات وتزايد يوما عن يوم وصار ينتقل من بلد الى آخر حتى بلغ الصعيد
الاعلى وفنك باهله فتكا عظيما ومات به مراد بيك الكبير رابع الحجة سنة خمس عشرة
وماثنين وألف وجاء الخبر بذلك الى القاهرة فأقام الفرنسيين بدله عثمان بيك الجوخدار
المعروف بالطنبرجي وأقروه على إمرة الصعيد الاعلى ومات كثير ممن كان بقلعة الجبل من
الامراء والاعيان الرهائن وكان مع اشتداد الطاعون وكثرة الموات لم ينكف الفرنسيين
عن تعبئة الجنود وارسال المعدات وبذل الجهد في منع جيوش الانجليز من التمكن من
الاسكندرية وكان السير رلف أمير كرومي أمير العمارة الانجليزية قد تمكن من انزال جنوده
خارج الاسكندرية وعملوا بعض المناريس فكانت غاية في المنعة والتحصين والتقت العساكر
الفرنساوية بالعساكر الانجليزية وانتشبت الحرب بين الفريقين واقتتلا قتالا عنيفا اليوم
بطوله فلم يظهر أحد منهما على الآخر ومع ضعف رأى الجنرال منو وقلة تدبيره وجهله بفنون
الحرب وترتيب الصفوف فقد كانت خسائر الفرنسيين في ذلك اليوم خمسمائة رجل وخسائر
الانجليز مائة وألفا ورجع الفرنسيين الى الاسكندرية وأرسل الجنرال منو الى بونا بارت
يطلب المدد وكان قد وصل حسين باشا بجيوشه فأمرهم بأبى قبر فضعت نفوس الفرنسيين وكادت
تفتر عزائهم ولكنهم تابعوا لارسال التجعدات الى الاسكندرية وأبى قبر وصار يخرج في كل
يوم طائفة من كبارهم وقوادهم الى الاسكندرية وخرج معهم المعلم ابراهيم الجوهري وآخرون
من عظماء القبط وكائنهم رهينة وزادوا في تحصين مصر والقاهرة وعملوا خندقا عظيما بباب
البرقية وأصبحوا بين عدوين ألدن وخصمين عنيدين جنود الاعداء المتحالفين والطاعون
الذابح لرجالهم بغير سكين ولكنهم ثابروا على القتال بقلوب مائة وعادوا لقتال الانجليز
والانجليز من خاف المناريس وأشار ضباط الفرنسيين على الجنرال منو بهاجة الانجليز من
ناحية حصنهم الايمن اذ كان هو أقوى حصونهم وأمنعها فتردد في الأمر ولم يقدم عليه الا
في ليل ذلك اليوم فلم يفلح ورجع بغير طائل فلما أصبحوا أعادوا الكرة على المناريس وهجموا
عليها ميمنة وميسرة وقيل بل هجموا عليها فجر اليوم الثانى وكانوا يودون أخذ الانجليز على
عين غفلة ولكن الانجليز كانوا على أهبة واستعداد فانتشبت الحرب بين الفريقين وتناجعت
أصوات المدافع وتراسل الرمي بالقنابل وزاد الجو ظلاما على ظلامه ثم تفهقر
الفرنسيين هجائبة فأدرك السير رلف أمير كرومي أمير السفن الانجليزية قصدهم من
ذلك وخاف العاقبة فعزز ميمنة معسكره فعاد القتال بين الفريقين واشتد وحى الوطيس
وزلزلت الارض من أصوات المدافع وتساقط القنابل وجرح السير أمير كرومي بجراحة عظيمة
ألقت به على الارض وما زالت الحرب على ساقها الى ثمانى يوم فبيل الظهر علا صوت بوق
الفرنسيين بالكف عن القتال فعاد الفرنسيين الى معسكرهم وقد قتل منهم في هذه الواقعة
زهاء الالفين وأقام الانجليز وراء المناريس وقد مات منهم زهاء المائتين وأربعين وجرح نحو

ألف ومائتين وخمسين ومات السير رلف أمير كرومبي بجراحته بعد أيام قليلة فأقاموا
الجنرال هتشنسون أميراً على سفن العمارة الانجليزية وتقدم حسين باشا قبطان بمن معه
من الجيوش السلطانية فأخذ منهم الجنرال هتشنسون أربعة آلاف مقاتل وضم اليهم
فرقتين من الجنود الانجليزية وثمانية من المدافع وسيرهم مع الكولونيل سبنسر لأخذ مدينة
رشيد وكان رشيد حامية قليلة من الفرنسيين فأرسل الجنرال منو يستطلع عدد هؤلاء الجنود
فأعلم بانها أقل عدداً مما هي فاستخف منوبها ولم ينجد حامية رشيد فسار اليها الكولونيل
سبنسر ودخلها بغير قتال ثم حول مدافعه على حصن هناك يسمى حصن جوليان وفيه نفر
من الفرنسيين فضيق الانجليز عليهم وشدوا حتى استسلموا فأمّنوهم وأخرجوهم من الحصن
ولما جاءت الاخبار بذلك الى من كان بالرحمانية من الفرنسيين أرسلوا يطلبون المدد من
الجنرال بيار قائد حامية القاهرة فاعتذر فكانوا في ذلك منو فأمدهم بنفر قليل وملك
الانجليز والعثمانيون مدينة رشيد ودمياط والمنصورة وما جاورها من القرى والبلدان فقويت
عندئذ عزائمهم وتابعوا القتال ووالوا الزحف ومنعوا من وصول مهاكب الفرنسيين الى
الشاطئ المصرية وأطلقوا مياه البحر الملح على الاراضي المجاورة للاسكندرية فأغرقتها وصارت
بلجة عظيمة الى يومنا هذا وما نعا من خروج عساكر الفرنسيين من الاسكندرية فلم يبق
لهم من سبيل الامن ناحية البحر الى البرية وقد وقف لهم فيه الانجليز ثم رجعوا الى الرحمانية
فملكوها وأجلوا من كان بقلاعها من الفرنسيين وأخذوها وأخذوا جميع الحصون القريبة
منها بجهة العطف وغيرها وذلك في الخامس والعشرين من الحجة سنة ست عشرة

وبينما كان الانجليز يقاتلون عساكر الجنرال منو وغيرهم من بقية العساكر الفرنسية
كان يوسف باشا الصدر الأعظم ينتقل بجيوشه على طريق الفرنسيين من قرية الى أخرى
ومن بلد الى آخر وهو لا يدفع الا بالأمر الخفيف حتى احتل الشرقية وتربص بها أياماً لجمع
الكلف والمغارم فأبقى الناس وحضر الكثير منهم فأتين الى القاهرة وأخبروا بوصولهم فخرج
الجنرال بيار لقتالهم وخرج معه القائمقام فقاتلهم العثمانيون فلم يثبت الفرنسيين أمامهم
أقلتهم وكثرة عدد العثمانيين فقد كانوا ثلاثين ألفاً وعساكر بيار لا تتجاوز الخمسة آلاف ورجع
الفرنسيين مسرعين الى القاهرة وكتبوا الأمر عن الناس ومنعت العساكر السلطانية دخول
المأكولات الى المدينة فعزت الاقوات واجتهد الفرنسيين في عمل الخنادق والمتاريس خارج
المدينة وجهة القرافة وألقوا الاحجار العظيمة والمراكب الكبيرة في مجرى النيل لتعطيل سفن
العدو وكانت أوائل متاريسهم من باب الحديد ممتدة الى قنطرة الليمون الى قصر أفرنج أحمد
الى السبئية الى مجرى النيل ووصلت طلائع الجيوش الانجليزية والعثمانية الى بلدة نادر عند
رأس ترعة الفرعونية على الجانب الغربي من النيل ووصلت طلائع جيوش حسين قبطان
باشا من الجانب الشرقي الى بنها العسل وطحلا بساحل النيل ونزل يوسف باشا صدر الدولة
ناحية دجوه وما زال حتى وصل الى شلقان ووصل العساكر الانجليزية أيضاً الى الوراريق

وزحفوا حتى جاؤا ناحية انبابه وعسكروا بها وسار العساكر العثمانية على الجانب الشرقى من النيل ومراكب الذخيرة والمؤنة بين الفريقين حتى وصلوا الى منية السيرج ولما كان يوم الاحد الثانى من صفر من السنة اى سنة ست عشرة اطلق الانجليز الخيمون باراضى انبابه مدافعهم تباعا كأنهم يدعون الفرنسيين الى النزال فردت عليهم مدافع الفرنسيين من جميع القلاع والحصون وخرج فى ثلثى يوم بعض الفرسان من الفرنسيين وقاتلوا فريقى الانجليز والعثمانيين وقد شغلوا ساحلى النيل شرقا وغربا وبينهما فى النيل الذخيرة والمؤنة وظلت الفرسان تناوشهم القتال اليوم بطوله ثم انفصلوا بعد حصه من الليل ورجع كل الى مأمنه واستمروا على هذا الحال الى اليوم السادس من صفر فزحفت العساكر العثمانية حتى قربوا من قبة النصر وكان فى مقدمتهم ابراهيم بيك الكبير فنزل بزاوية الشيخ دمر دأش وأشرف بعض الجنود العثمانية على الجزارين الذين كانوا يومئذ بالمدبح من حائط المذبح وكان به ثلاثة من العساكر الفرنسية فوق وقع بينهم مضاربة أصيب فيها أحد الثلاثة الفرنسيين فى ساقه ومات جزاريهودى فلما أحس من بقلعة الظاهر من الفرنسيين بذلك أطلقوا المدافع على معسكر العثمانيين وكذلك فعل من بقلعة نجم الدين والتل فاضروا بعقدات العثمانيين ضررا عظيما وقتلت نيران المدافع منهم خلقا كثيرا وظل اطلاق المدافع متراصلا الى ما بعد عصر ذلك اليوم ثم انكف الفريقان وأصبحوا فاقتتلوا بالبنادق والمدافع اليوم كله ولم يتعد أحد الفريقين موقفه وأغلق الفرنسيين فى ذلك اليوم باب النصر وباب العدوى وشددوا فى التجسس وأكثر العسس من التطواف ليلا والنأغا والوالى نهارا فكان الناس من الخوف سكارى وماهم بسكارى وزحف الانكاز أيضا من انبابه الى أن وصلوا ناحية البحيرة ومعهم كثير من الامراء المصريين وانتشروا فى الجهات القبليّة من البحيرة وتمعوا المعادى من العبور الى البر الشرقى وانكف الفريقان عن القتال أياما تناجوا فيها على عقد شروط الصلح على قاعدة حافظة لحقوق الفريقين وكان الساعون فى ذلك حسين باشا القبطان وهتشنسون مقدم الجيوش الانجليزية وأفرجوا عن كان أسيرا من العثمانيين بقلعة الجبل وأرسلوهم الى معسكر يوسف باشا وأفرجوا عن المشايخ وغيرهم الذين كانوا رهائن بالقلعة وأخذوا فى نقل أمتعتهم وبيع خيولهم وأنزلوا عدة مدافع من قلعة الجبل وقلعة البرقية وسار عثمان بيك البرديسى الى الصعيد ومعه مرسوم من صدر الدولة خطابا لأهالى الصعيد بالامان ووجوب ملازمة السكون والخلود الى الطاعة ونزل يوسف باشا الى شبرا ومعه فريق من العساكر السلطانية فسارت تجاههم من انبابه فريق من الانجليز ونصبوا هناك جسرا وعبر الفريقان لزبارة بعضهما وتقررت قاعدة الصلح فى ثلاث عشرة مادة حاصل ما فيها سرعة الجلاء عن مصر والقاهرة وجميع القلاع والحصون التى بهما فى مدة أقلها خمسون يوما وقيام عساكر الفرنسيين برا بجميع متاعهم وأثقالهم وكراعهم الى رشيد وعلى مقدم الانجليز النفقة من مؤنة ودواب للجمل ومراكب للنقل وسفن لحمل العساكر بالبحر الابيض وعلوفة الخيول ودواب الجمل التى تؤخذ من القاهرة

بحيث لا تدخل تلك السفن من الموانئ الا ما كان منها للفرنسيين واذا اراد أحد المصريين على اختلاف مذاهبهم الخروج مع الجيوش الفرنسية فلا مانع يمنعهم مع المحافظة على ماله وعياله ولا جناح على من خدم الفرنسيين أو أشار على أحد بخدمتهم وان المرضى والجرحى منهم يبقون بمصر تحت العلاج بعرفة أطباء الفرنسيين المعينين لذلك مع الاعتناء بأمرهم والقيام بجميع احتياجاتهم وان يبعث بكبيرين من كبراء الانجليز والعثمانيين الى مدينة طولون لعرض عقد الصلح وعلى كل من الفرنسيين والعثمانيين تسليم من عنده من الاسرى وابقاء رهائن من أكابر الفريقين حتى يتم الجلاء

ودخل بعض أكابر الانجليز الى القاهرة ومعهم بعض أكابر الفرنسيين لمشاهدة ما فيها من الآثار والابنية وكذلك دخل بعض أكابر العثمانيين فزاروا تربة الامام الشافعي والمشهد الحسيني والشيخ عبد الوهاب الشعرائي فكان كبراء الفرنسيين ينتظرونهم على الابواب مع التمشع والأدب وأصبحوا وقد انسحب من الفرنسيين السواد الاعظم وفودى في الاسواق بأن ستطلق المدافع في غد من جميع القلاع والحصون لإجلال الخروج جثة الامير كلايدر من أرض مصر فأطلقت في ثاني يوم من جميع الابراج والحصون تباعا وجعلوا نعشه من قصر العيني وساروا به في كبكبة وأبهة عظيمة جدا وأخلوا قلعة الجبل في ليلة الجمعة الحادى والعشرين من صفر من السنة أى سنة ست عشرة وكذلك بقية القلاع والحصون وأجلوا عنها تماما وذهبوا الى الجزيرة والروضة وقصر العيني ولم يبق منهم أحد بالمدينة وبولاق ومصر القديمة والازبكية وتكاثر دخول العساكر السلطانية الى القاهرة ﷺ قال صاحب عجائب الآثار ففرح الناس كعادتهم بالقدامين وظنوا فيهم الخسر وصاروا يستقبلونهم بالسلام ويباركون لقدمهم والنساء يلقيهن بالسنن من الطيقان وفي الاسواق وقام للناس جلبة وصياح وتجمع الصغار والاطفال كعادتهم ورفعوا أصواتهم بقولهم نصر الله السلطان ونحو ذلك وهؤلاء الداخلون دخلوا من نقب الغرب المنقوب في السور وتسلقوا أيضا من ناحية العطوف والقرافة وأما باب النصر والعدوى فهما على حالهما مغلقان لم يأنفوا بفتحهما خوفا من تراحم العسكر ودخولهم المدينة دفعة واحدة فيقع منهم القتل والضرر بالناس وباب الفتوح مسدود بالبناء فلما أضحى النهار حضر في قول وفتح باب النصر والعدوى وأجلس بهم جماعة من الانكشارية فدخل كثير من العساكر مشاة وركبانا أجناسا مختلفة ودخلت بلوكات الانكشارية وطافوا بالاسواق ووضعوا نشاناتهم ورنسكهم على القهاوى والخوانيت والحمامات فامتعض أهل الاسواق من ذلك وكثر الخبز واللحم والسمن والشيرج بالاسواق وتواجدت البضائع وانحطت الاسعار وكثرت الفاكهة مثل العنب والخوخ والبطيخ وتعاطى بيع غالبها الاتراك والارنؤد فكانوا يتلقون من يجلبها من الفلاحين بالبر والبحر ويشترونها منهم بالاسعار الرخيصة ويبيعونها على أهل المدينة وبولاق بأغلى الاثمان ووصلت مراكب من جهة بحرى وفيها

البضائع الرومية واليميش من البندق واللوز والجوز والزبيب والتين والزيتون الروحي قال فلما كان قبل صلاة الجمعة واذا بجايوشية وأغوات وعساكر وتلا ذلك حضرة يوسف باشا الصدر فشق من وسط المدينة وتوجه الى المسجد الحسيني فصلى فيه الجمعة وزار المشهد الحسيني ودعا حضرة الشيخ السادات الى داره المجاورة للمشهد فأجابه فدخل معه وجلس هنيهة ثم ذهب الى الجامع الازهر فتفرج عليه وطاف بمقصودته وأروقته وجلس ساعة لطيفة وأنهم على الكناسين والخدمة بدراهم وكذلك خدمة المشهد الحسيني ثم ركب راجعا الى وطاقه بناحية الحلي بشاطئ النيل وعملوا في ذلك الوقت شنكا وضربوا مدافع كثيرة من العرضي والقلعة ودخل قلقات الانكشارية وجلسوا برؤس العطف والحارات وكل طائفة عندها يبرق ونادوا بالامان والبيع والشراء وطلب أولئك القلقات من أهل الاخطاط الماء كل والمشارب والقهوات وألزموهم بذلك وانحاز الفرنسيون الى قصر العيني والروضة والجيزة الى حد قلعة الناصرية وفم الخليج وعليها بنديراتهم ووقف حرسهم عند حدهم يمنعون من ياوي الى جهتهم من العثمانية فلا يمر العثماني الا الى الجهة الموصلة الى بولاق وأما اذا كان من أهل البلد فيمر حيث أراد وفي مدة اقامة المشار اليه بساحل الحلي ببولاق غرب عساكره ما قرب منهم من الابنية والسواق والمترين الذي صنعه الفرنسيون من حد باب الحديد الى البحر وأخذوا ما بذلك من الافلاك الكثيرة المتهدمة والاشخاب المنجزة المرصوة فوق المترين وتحته في الخندق فخرّبوا ذلك جميعه في هذه المدة القليلة وذلك لاجل وقود النار والمطابخ اه

وتتابع دخول العساكر العثمانية الى المدينة وانتشروا في أنحاء مصر والقاهرة واحتل بعضهم القلاع والحصون والطواحي التي كان بها جنود الفرنسيين ورفعوا عليها أعلامهم ماخلا الحصون والقلاع التي انحازت اليها طوائف الفرنسيين وهي من قصر العيني الى جهة الناصرية كما تقدم القول وعاث فريق الانكشارية في المدينة يراجون أرباب الحرف والصنائع في أرزاقهم ووضعوا أسلحتهم على أبواب الخوانيت كافة إشعارا لأصحابها من الخلافيين والخياطين والقهوجية بانهم شركاؤهم في كسبهم اليومي فامتعض السوق وأصحاب الخوانيت وشكوا من ذلك فدخل أغاة الانكشارية وهر من وسط المدينة وخلفه بعض الصناجق المصريين وأمر بالسلحة الانكشارية فرفعوها عن أبواب الخوانيت كافة الا القهاوي فشكا أصحابها فلم يلتفت اليهم ودخل أيضا في ذلك اليوم كثير من الجنود والعسكر المصري ومعهم محمد باشا المعروف بأبي مرق وهو المترشح للولاية على مصر من جانب السلطنة وسكن بيت الهيئات بالقرب من مشهد الخنقي * واتفق في يوم دخوله ان أحد العساكر السلطانية من الارنؤد كان بالجمالية فربه عرقسوسى فشرب منه قدحا ولم يعطه ثمنه فكلم العرقسوسى في ذلك مقدم قلق الانكشارية المرابطين بالجمالية فأحضر ذلك الجندي وأمره بدفع ثمن

ماشربه فامتنع منه - وأراد ضربه فأخرج الجندي غدارته وأطلقها على مقدم القلق فقتله وهرب الى حارة الجوانية ودخل الى إحدى الدور وامتنع فيها وصار يطلق غدارته على كل من يقصده فقتل خمسة من الجنود واتفق أن مر اثنان من الارنؤد بتلك الخطة فقام عليهما نفر من الانكشارية وقتلوهما انتقاما ولما أعياهم أمر ذلك القاتل وتعذر عليهم ضبطه أحرقوا عليه الدار التي امتنع فيها فخرج هاربا من النار فقبضوا عليه وقتلوه شرقلة واشتد الخوف بأهل تلك الخطة فترك أكثرهم دورهم بما فيها وخرجوا على وجوههم ولم تكدر تسكن الخواطر بسكون هذا الحادث حتى وقع آخر على مقربة من الخطة المذكورة فاشتد خوف الناس وتبدل فرحهم بخروج الفرنسيين حزنا وأسفا

مطلب
جلاء الجيوش الفرنسية
عن مصر والقاهرة وسائر
الديار المصرية

وخرج طوائف الفرنسيين في يوم الاربعاء رابع ربيع الاول من السنة أى سنة ست عشرة ومائتين وألف هجرية وأخلوا قصر العيني والروضة والجيزة وانحدروا الى الشمال من الوراقين وارتحل معهم أمير السفن العثمانية وعدد من الانجليز وجاعة كثيرة من الارنؤد وعثمان بيك الاشقر ومراد بيك الصغير وأحمد بيك السكيلارجي وأحمد بيك حسن من الامراء المصريين يريدون الاسكندرية لعرض الصلح أيضا على الجنرال منو قائد الجيوش الفرنسية فلما وصلوا الى الاسكندرية كلوه في أمر الصلح وعرضوا عليه شروطه التي وقع الاتفاق عليها فلم يقبل بها وأبى الا القتال فقاتلوه وحاصروا الاسكندرية وشددوا في حصارها فكان العربان يدخلون الى الفرنسيين بالمؤن وغيرها من طريق مجهول واشتد القتال بين الفريقين وتراسل رعى القنابل وكان الانجليز والعثمانيون يهجمون في كل يوم فلم ينالوا من الفرنسيين وطال الحرب وسئمت أنفس المقاتلين تخاف الانجليز والعثمانيون سوء العاقبة فصمموا على الهجوم وهجموا على متاريس الفرنسيين هجمة رجل واحد فقتل العدد العديد من جيوش حسين باشا أمير السفن العثمانية وكذلك قتل من الانجليز جاعة كثيرة وانجلت الواقعة عن جلاء الفرنسيين عن بعض متاريس ناحية العجي فلذلكها الانجليز وعساكر المسلمين وقتل من الفرنسيين عدد ليس بقليل وكذلك من الامراء والصناعه المصريين وما زالوا على هذا الحال والحرب قائمة والقتال لا ينفك حتى جاءت الى الجنرال منو رسل يونابارته بالاذعان الى الصلح والجلاء عن الاسكندرية فأجلوا عنها بشروط غاية في الفخر وعزة النفس ونزلوا على ظهور السفن التي أتى لهم بها أمير الدوارع الانجليزية وساروا الى أوطانهم في العشرة الأواخر من جادى الاولى من السنة أى سنة ست عشرة ومائتين وألف هجرية فكانت مدة لبث الجنرال منو بمدينة الاسكندرية في الحصار والقتال بعد خروج الفرنسيين جميعا ونزولهم بأبي قير وقيامهم الى أوطانهم شهرين وبضعة أيام ولم يعتبر جاعة السكتاب هذه المدة في مدة تصرفهم في البسلاد بل عدتها أيام حصر وقتال ليس الا وقالوا ان مدة اقامتهم وتسليطهم لغاية جلائهم وخر وجهم من القلاع هي ثلاث سنوات واحد عشر

يوما حيث نزلوا على انبابه والجيزة وغلبوا طوائف المماليك في يوم السبت تاسع صفر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف هجرية وكان انتقالهم وخروجهم من القلاع وجلأؤهم عن المدينة وانحلاهم عن التصرف والحكم ليلة الجمعة الحادى والعشرين من صفر سنة ست عشر ومائتين وألف هجرية فسبحان من بيده الملك بؤيته من يشاء من عباده

(فصل)

(في بقية مدة سلطنة السلطان سليم وما فيها من الحوادث والأخبار)

لما تم جلاء الفرنسيين عن القاهرة ومصر دخل الوزير يوسف باشا الى القاهرة يوم الخميس خامس ربيع الاول في موكب حافل للغاية وكان دخوله من باب النصر ومن وسط المدينة وأمامه الجند المختلف من أرزؤد وانكشارية وشامية والامراء المصريين والمغاربة والقلبيون وطاهر باشا أمير العسكر الارزؤد وابراهيم باشا والى حلب ومحمد باشا أبو مرق والى مصر والكتبة ورئيس الكتاب وكتخدا الدولة وغيرهم من الخدم والخشم والاتباع وقاضى القضاة والنواب والعلماء المصريين ومشايخ التكايا والدرأوش وامامه الملازمون بالبراقع والجاويشية والسعاة والجوخدارية وخلفه اثنان على يمينه ويساره يتثرون دراهم الفضة على رؤس الناس بالطريق ثم النوبة التركية وبعض المدافع وعربات الذخيرة وكانت الحصون والقلاع جميعها تطلق المدافع تباعا وما زال حتى نزل بيت رشوان بيك بحارة عابدين فلما استقر به المقام جعل يتصرف في الامور ورسم بأن لاتدفع الاموال والعشور للمتزمين الا بمرسوم منه واهتم بترتيب ديوان الاعشار والمكوس وبالغ في ذلك فانقبض الناس وأخذتهم الطيرة من فعالة ولم يلبث حتى طلب قرضة من التجار قدرها مائة كيس وعشرة أكياس فاعتذروا فلم يقبل فاجتمع أصاغرهم عند بيته وصاحوا واستغاثوا ونادوا ارجنا يرجك الله فرسم برفعها عنهم وتكليف أهل الميسرة منهم بها فدفعوها وهم صاغرون وشدد في تحصيل العشور فبلغ ما تحصل منه في بضعة أيام ستة عشر ألف كيس ولم يكن بأسرع من ان عمد العسكر على اختلاف أجناسهم الى العسف والجور والاختلاط بالسوق قال صاحب عجائب الآثار وكثر اشتغال طائفة العسكر بالبيع والشراء في أصناف المأكولات وتسلطوا على الناس بطلب الكلف ورتبوا على السوق وأرباب الخوانيت دراهم يأخذونها منهم في كل يوم يأخذون من الخباز الخبز بغير ثمن وكذلك يشربون القهوة من القهاري ويحتسرون

ما يريدون من الاصناف ويبيعونها بأعلى الاثمان ولا يسرى عليهم حكم المحتسب وكذلك تسلطوا على الناس بالايذاء لادنى سبب وتعرضوا للسكان في منازلهم فيأتى منهم أناس ويدخلون الدار ويأمرون أهلها بالخروج منها ليسكنوها فان لطفهم الساكن وأعطاهم دراهم ذهبوا عنه وتركوه وان عاند سبوه وضربوه ولو عظيما وان شكا الى كبيرهم قوبل بالتبكيث ويقال له ألا تفسحون لاخوانكم المجاهدين الذين حاربوا عنكم وأنقذوكم من الكفار الذين كانوا يسومونكم سوء العذاب يأخذون أموالكم ويفجرون بنسائكم وينهبون بيوتكم وهم ضيوفكم أياما قليلا قال فما يسع المسكين الا أن يكلفهم بما قدر عليه وان أسعفته العناية وانصرفوا عنه بأى وجه فيأتى اليه خلافهم وان سكنوا دارا أخرى قال وأما القلقات والانكشارية الذين تقيدوا بحارات النصارى فانهم كفوهم أضعاف ما كفوا به المسلمين فكانوا يطلبون منهم بعد كلف المأكل واللوازم مصروف الجيب وأجرة الحمام وغير ذلك وتسلط عليهم المسلمون بالدعوى والشكاى على أيدى أولئك القلقات فكانوا يتخلصون منهم بما لزمهم بادنى شبهة ولا يعطون المدعى الا القليل من ذلك والمدعى يكتفى بما حصل له من التشقى والظفر بعدوه قال واذا تداعى شخص على شخص أو امرأة على زوجها ذهب معهم أتباع القلق الى المحكمة ان كانت الدعوة شرعية فاذا تمت الدعوة وأخذ القاضى محصله يأخذ مثله أتباع القلق على قدر تحمل الدعوة قال وعاد يوسف باشا فأطلق للمتزمين التصرف فى سنة خمس عشرة ليقضوا مالهم وما عليهم من البواقي ومال الميرى والمضاف ويدفعوا جميع ذلك الى الخزينة بأوراق محتومة من ابراهيم بيك وعثمان بيك والقصد من ذلك اطمئنانهم بالجباية والرجاء بالتصرف فى المستقبل ووعدهم بذلك سنة تاريخه بعد دفعهم الحساوان مع ان الفرنساوية لما استقر أمرهم بمصر ونظروا فى الاموال الميرية والخراج وجدوا ولاة الامور يقبضون سنة مجة ونظروا فى الدفاتر القديمة واطلعوا على العوائد السالفة ورأوا ان ذلك كان يقبض أثلاثا مع المراعاة فى رى الاراضى وعدمه فاختاروا الاصح فى أسباب العمار وقالوا ليس من الانصاف المطالبة بالخراج قبل الزراعة بسنة وأهملوا وتركوا سنة خمس عشرة فلم يطالبوا المتزمين بالاموال الاميرية ولا الفلاحين بالخراج فتنفس الفلاحون وتراجعت أرواحهم مع عدم تكليفهم كثرة المغارم والكلف وحق طرق المعينين ونحو ذلك * انتهى

وأخذ يوسف باشا الصدر الاعظم فى تدبير الامور كما يشاء فقسم الوظائف العالية والرتب السامية على من كان يتوسم فيهم سمة الطاعة والاخلاص وخلع محمد باشا أبو مرق عامل الدولة على مصر وولى مكانه محمد خسرو باشا وهو كئيدا حسين باشا أمير السفن الذى كان حضر اقتال مراد بيك و ابراهيم بيك الكبير قبل قدوم الفرنسيين لمصر فكانت ولاية أبى مرق المذكور قصيرة جدا ولم يكن له فيها من الحكم سوى الاسم فقط وجعل يعمل الخيلة

على الفتك بجميع الامراء المصريين وقطع شأفتهم من مصر وعمل ديوانا وجع اليه جميع أولئك الامراء والصناجق والاعيان على اختلافهم وأوهم أنه إنما يريد المفاوضة معهم في شؤون البلاد ومصالح الرعية فلما تكاملوا أمر فقبضوا في الحال على ابراهيم بيك الكبير وبقية الامراء والصناجق وأصعدوهم الى قلعة الجبل ووضعوهم بسجن هناك فانزعج من حضر بالديوان وتفرقوا وهم لا يصدقون بالنجاة وسير خلف محمد بيك الاتي بالصعيد طائفة من الجنود ليقتلوه وكان قد عاث وعيث بالصعيد وأهالك الحرث والنسل وصادر الاغنياء والفقراء حتى المشايخ والعلماء وأخذ ما في بيت المال والاقواف وكل ما وصلت اليه يده وسير جماعة آخرين للقبض على سليم أبي دياب وكان مقيما بالمنيل فلما علم بالخبر طلب الفرار وترك متاعه وأثقاله ووصل اليه الجنود فلم يجدوه فذهبوا القرية وأخذوا جميع ما كان له فيها وتبعوه فلحقوا به ناحية طرا فقاتلهم وقتلوه ومات خلق كثير من الفريقين ثم هرب في نفر قليل جدا الى الصعيد من طريق الجبل وأقام طوائف الارنؤد بالاحطاط وخارج المدينة يقبضون على من يصادفونه من المماليك والاجناد وفودى في ذلك اليوم على الرعية بالامان وملازمة السكون وأحاط العسكر بالامراء المعتقلين واختفى من بقي منهم فتادوا بالتوعد لمن أخفاهم أو آواهم وكان لم يزل بالجسيرة فريق من العساكر الانجليزية مخيم بها فذهب اليهم سليم بيك أبو دياب واستغاث بمقدمهم هتشنسون فأعانه وأمنه وكلم يوسف باشا في أمره ❦ وبينما كان يوسف باشا يعمل على ابادته من بقي من المماليك والصناجق الذين بمصر والقاهرة وغيرهما من البلدان كان حسين باشا أمير السفن يدبر الحيلة أيضا للقبض على من كان عنده بأبي قير من أولئك القوم فأحسوا بذلك وأوجسوا منه خيفة فكافوا لا يذهبون اليه اذا دعاهم الا وهم حاملون أسلحتهم ومعهم العدد الكثير من المماليك والاتباع تحفهم فكان يبدش عند لقائهم ويظهر لهم الرفق والملاطفة ويستميلهم بزخرف القول الى أن دعاهم يوما الى ظهر سفينة لمأدبة أعدها لهم فذهبوا اليه بسلاحهم ومماليكهم على عادتهم فقابلهم بالترحاب وبالغ في تعظيمهم فلما تكامل عددهم جاء اليه أحد أتباعه وأخبره بورود ساع من مصر ومعه مكاتب من الصدر الاعظم فقام ليرى ذلك فما هو الا أن حضرا الى المجلس أحد مقدمي عسكر السفينة وأعلمهم بأنه قد ورد مرسوم سلطاني في تلك الساعة باستدعائهم الى دار السلطنة ثم أمرهم بنزع سلاحهم عنهم فقام في الحال محمد بيك المنفوخ وسل سيفه وضربه فقتله فما وسع بقية الامراء الا أنهم فعلوا كذلك فقام عليهم من بالسفينة من العسكر واشتبك القتال بين الفريقين فقتل أكثر الامراء المصريين وقبضوا على من بقي منهم وأنزلوهم الى بعض السفن الا من فروا مجروحين وهم في أسوأ حال وذهبوا الى معسكر الانجليز ملتجئين وكانوا لما أحسوا بعزم حسين باشا على اغتيالهم شكوا ذلك الى مقدم الجيوش الانجليزية ورغبوا اليه أن يذب عنهم ويقوم لنصرتهم فأمرهم

ووعدهم وطيب خواطرهم فلما ذهب اليه من نجا منهم من القتل وأخبروه بما فعل حسين باشا غضب جدا وانحاز بعسكره الى مدينة الاسكندرية وطردوا من كانوا بها من العثمانيين وأغلقوا أبواب الابراج وأحاط منهم طائفة كبيرة بالبنادق والمدافع بحسن باشا برا وبحرا وطلب الانجليز بروزه بعسكره لحربهم فلم يرض وقال لم يكن قط بيننا ما يدعوا الى ذلك فحضر اليه قائد الانجليز وتكلم معه طويلا وصمم على أخذ من بقي من الامراء المعتقلين فأطلقهم فأخذهم قائد الانجليز وأخذ جثث الاموات منهم ونقل مرضاهم الى الاسكندرية وبات وأصبح فانخرج الاموات في مشهد حافل وسارت أمامهم طوائف الانجليز في ابهة عظيمة وأرسل الى قائد جيوش الجزيرة يعلمه بما وقع ويطلب منه إلزام يوسف باشا بتسليم من عنده من الامراء المعتقلين فطالب القائد يوسف باشا بمن عنده من الامراء وألح في الطلب فطاول وراوغ واستعمل الخداع واستدعاه اليه وخلع عليه خلعة سمور عظيمة وشالنج من الجوهر يوضع على مقدمة الرأس ثم حمل المعتقلين كافة على تحرير كتاب الى القائد المذكور يقولون فيه انهم أتباع السلطان وتحت طاعنته ان شاء أبقاهم في اماراتهم وان شاء قلدهم المناصب العالية في ولايات مملكته السلطانية وان شاء طلبهم يذهبون اليه ولا دخل للانجليز فيما جرى عليهم من خير أو شر فأرسل القائد الى يوسف باشا يقول لاعتبره بهذا الخطاب فان القوم مسجونون تحجور عليهم في جميع تصرفاتهم لا يعملون الا ماشاء الوزير وأعوانه فأرسلوههم الينا لخطابهم ونعلم ما في خواطرهم فلما كانت ليلة الاثنين تاسع رجب أحضر الصدر ابراهيم بيك ولاطفه وسأله وكله مع بقية الامراء المعتقلين وأعلمه بأن سيره مع من هم معه الى قائد الجيوش الانجليزية بالجزيرة فيقضوا يومهم هناك ويخبروا القائد بأنهم في راحة وأنهم طائعون لسلطانهم وخاضعون لكلماته وان الخطاب الذي بعثوا به هو عن طيب خاطر منهم ولا اكراه لهم على تحريره فأظهر ابراهيم بيك عدم الرغبة في الذهاب وبالغ في التمتع وقال كيف نتوجه اليهم وهم أعداء لنا ولديننا وكيف نذهب اليهم على هذه الصورة فألح عليه الوزير وحالفه وحالف بقية الامراء على سرعة العودة ومناهم بالاماني الطويلة فلما كان صبح يوم الاثنين نزلوا جميعهم من قلعة الجبل وعبروا النيل الى الجزيرة فتبعهم ممالئهم وأتباعهم وأخصاؤهم وأقاموا بالجزيرة ولم يعودوا الى الوزير فلبث الوزير ينتظرهم خمسة أيام وأرسل اليهم يدعوهم الى الرجوع حسب عهدهم فامتنعوا وجاهر ابراهيم بيك بالعداوة ورعى الوزير بسوء النية وخبت الطوية فلما لم يرجعوا أمر الوزير فأنعقد الديوان ببيت الشيخ السادات واجتمع فيه جميع المشايخ والوجهاء وأصحاب المناصب العالية وتكلموا فيما جرى من ابراهيم بيك ومخالفته للعهد وإصراره على عدم الرجوع وكتبوا له خطابا بذلك وضمنوه النصيحة ووجوب الطاعة فأجاب هو ومن معه بأنهم مطيعون وانهم لم يجنحوا للبقاء عند الانجليز الا خوفا مما يحل بهم كما حل باخوانهم بالاسكندرية وهم الآن

في حبي أحب الدول للخليفة الاعظم وأقربهم لمودته ثم لبشوا بالجيزة أياما وخرجوا بعد ذلك الى جزيرة الذهب ونصبوا بها خيامهم أياما أيضا وأخذوا ماقدروا عليه من سلاح وكراع وركبوا ليللا وترفوا الى الصعيد من جانب النيل الغربي وتخلف عنهم بعضهم فلما علم الصدر بخبر مسيرهم الى الصعيد اغتم غما شديدا وأمر فنودي بالامان على من بقي منهم أو تخلف عنهم ان هم أتوا الى باب الوزير فلم يذهب اليه الا بعض المماليك والاتباع الذين لا كسب لهم ولا عيش وانقطع خبرهم عن الناس فصرفهم ولما كان يوم السبت ثالث شوال سنة ست عشرة ومائتين وألف خرجت خيام الصدر الاعظم وأمتعته الى قبة النصر وقد جاءه الامر بالرجوع الى دار السلطنة بمن معه من العساكر والاجناد وفادوا بخروج جميع العساكر وجلائهم عن مصر والقاهرة وبقيّة المدن والقرى والارياض في مدة ثلاثة أيام آخرها يوم الاثنين فأخذوا في الجلاء بأجبالهم وأثقالهم ودوابهم وفي يوم الاثنين خامس شوال المذكور خرج يوسف باشا الى قبة النصر وتتابع خروج الانتقال والعساكر وطوائف الجند فجعلوا عند خروجهم يعربدون ويخطفون أشياء الباعة في الاسواق وكتب الوزير في يوم خروجه أوراقا تتضمن كف الناس عن الشر والخلود الى السكينة ورفع قصصهم الى باب محمد باشا عامل السلطان على البلاد وأن يحافظوا على زبهم وقوانينهم القديمة ويلتزموا على الصلوات بالجماعة في المساجد ويوقدون الفناديل ليللا على البيوت والمساجد والوكائل والحنانات التي بالشوارع ولا يمر أحد من الجند والعسكر بعد الغروب وكذلك الاهالي الا من كان معه فانوس أو سراج ويبيعون ويشترون بلا قيد ولا تقييد وأن لا يخفي أحد عنده عسكرا من العثمانيين وأن لا يبقى منهم بعد جلاء الوزير أحد بمصر والقاهرة ومن وجد منهم متخلفا بغير مرسوم في يده عوقب بأشد العقاب وأن تبطل جميع القهاوى الحديثة ولا يبقى منها الا ما كان قديم العهد ولا يبيت أحد من العساكر في قهوة ولا يبيعون المسكرات وغير ذلك من الاوامر والنواهي ثم ركب الصدر من قبة النصر في يوم السبت عاشر شوال وقد سلم مقاليد الامور الى محمد باشا الوالي وسار الى الخانكاه وسار معه جميع العساكر فوصلوا الى بلبس وأقاموا بها أياما قلائل ثم ساروا منها الى طريق الشام

واستقر بمحمد باشا منصب الولاية فجعل ينصرف في الامور وبالغ في التدبير وضيق وشدد وأرهب وأخذ بالشبهات وأكثر من العيون والارصاد فتراحم على بابيه أهل السعاية وتفرّب اليه أهل الوشاية فأكثر من القتل والصلب والتعريق وزاد في المغارم والمكوس وأحدث الاحداث والبدع فخافه الناس جدا وانكش من كان يظنه في بادئ الامر شيئا هينا وقد تنبع الاعيان وأصحاب المظاهر بالمدن والبلدان فافنى منهم خلقا وطلب الامراء والمماليك بمصر والقاهرة فاختلفوا وتفرقوا في الجهات وسير طائفة كبيرة من العسكر خلف ابراهيم بيك الكبير ومن معه للقبض عليهم وأكثر من الخفي والتجسس والتطواف بغير زيه لكشف

العورات وأقام على الاسكندرية كما اسمه خورشيد بيك وقيده بأخذ قلاعها وحصونها من جماعة الانجليز النازلين بها فصار اليهم وكلم مقدم الانجليز في ذلك فجعل يماطل ويكثر من التسويف والتعليل أياما كثيرة حتى جاءهم الامر من كبير السياسة الانجليزية بلندن عاصمة بلادهم بالخلاء عن مصر فعبّر مقدمهم وبعض قوادهم من انبائه الى مصر القديمة فتنبأ الباشا ملاقاتهم واصطف الجند عنديته ووصل الانجليز الى الازبكية فقابلهم الباشا وأحسن لقاءهم وخلع عليهم وقدم لهم خيلا وهدايا نفيسة وأطلقوا عند ذلك مدافع كثيرة فلما كان يوم الاثنين ثامن المحرم افتتح سنة سبع عشرة احدى الانجليز القلاع التي بالاسكندرية والحصون وعبر محمد باشا النيل الى انبائه ومعه طاهر باشا مقدم الجند الانود ونحو الحسين من أتباعه فقابلهم مقدم الجيوش الانجليزية بأحسن استقبال وقدم له بعض التقدّم والهدايا ثم أخذ الانجليز في الجلاء فعبر فريق منهم الى القاهرة وخيم بجزيرة بدران أياما ثم ساروا منها الى مدينة السويس وسار فريق آخر الى القصير على السفن العظيمة وخذلت الجيزة منهم في يوم الاثنين ثاني عشر المحرم من السنة فتسلها منهم نائب أمير السفن العثمانية ونزل بالقصر وأنزلوا بها بعض العساكر والاجناد المصرية وبقى بالاسكندرية طائفة من الانجليز بغير أجل محدود

وجاءت الاخبار بقاء الجنود السلطانية الذين سيرهم محمد باشا الى الصعيد الاعلى بعساكر ابراهيم بيك الكبير فوقع بين الفريقين قتال شديد للغاية أياما ثم انجلي عن هزيمة العساكر السلطانية وانخذلوا لهم فقتل منهم جماعة كثيرة وتقوى المصريون بهذه النصر العظيمة واشتدت ظهورهم وكان مقدم المصريين في هذه الواقعة الالفي وقد لحق بهم جماعة من الفرنسيين ممن تخلفوا بمصر واجتمع اليهم أيضا عدة كبيرة من العساكر العثمانية طمعا في بذلهم فاشتد الخطب على العثمانيين وأرسلوا يطلبون المدد فاهتم بذلك محمد باشا ورسم بخروج طاهر باشا بعسكره فبرز الى البساتين وعبر النيل وعسكر بالجانب الغربي من النيل وتبعته العساكر والاجناد بالذخيرة وآلات الحرب وكثرت عربدة الامراء المصريين بالصعيد واجتمع اليهم العدد العديد من الهوارة وغوغاء الحرف والعربان وزحفوا حتى وصلوا الى غربي اسيوط وخافهم العساكر العثمانية وداخلهم الرعب منهم وتحصن كل فريق في مقره ولم تفعل خجرة النصر بابراهيم بيك والالفي وأصحابهما ما تفعله بجهلاء المحاربين ولم تقعدهما عن استعمال الحملة في طلب الصلح فكتبوا الى محمد باشا خطابا يشكون فيه مما أصابهم ويتوجعون مما لحقهم من الضيق وأنهم في طاعة الله وطاعة السلطان ولم يكونوا ليتوقعوا هذا التباعد والتشريد والقتل وما هم فيه من سوء المعاملة وقد خاطروا بارواحهم في خدمة الدولة وقاتلوا مع العثمانيين وأبلوا مع الفرنسيين بلاء حسنا وما هم الانهم يرغبون في احدى خصال ثلاث إما أن يعطى لهم بلاد يقيمون بها بعيدين عن كل مظنة وريبة وإما أن ترسل اليهم نساؤهم ويبعث اليهم بعض السفن ليركبوها من القصير الى جندة فيقيمون بها أو يقيمون

بالخجاز ولما ان تعين لهم نقطة يتربصون بها قدر خمسة أشهر حتى يرفعوا أمرهم الى دار السلطنة ويأتيهم الجواب فلما جاء هذا الخطاب الى محمد باشا ججع العلماء والمشايخ وبعض الوجهاء وتشاوروا في الأمر فاتخذت كلمتهم على أن يكتبوا بتأمين جميع الامراء والصناجق الذين بالصعيد وبأذنوا لهم بالرجوع الى القاهرة ولهم مالاخوانهم وأقربانهم وعليهم ما عليهم ماعدا ابراهيم بيك والأتقي والبرديسي وأبي دياب فانهم يبقون تحت الحجر حتى يخبروا في شأنهم الباب العالي ويأتى الجواب وأرسلوا بذلك الى ابراهيم بيك والأتقي فلم يقبلوا بانصال أصحابهم عنهم وترفعوا الى الصعيد الاعلى وانظروا ما سيكون ولبت طاهر باشا مخيما بعسكره في الجانب الغربى من النيل لا يبدى سرا كا وطال لبشه وثقل عليه مكثه وداخل جنده الممل وكاد يتولاهم الفشل ومحمد باشا في شاغل عنهم بمصادرة الناس وأخذ أموال أهل الميسرة وتبع أصحاب المظاهر باضعف الشبهات فكان الرجل منهم لا يعضى عليه بياض يومه الا وهو في حسب ما سيكون في سواد ليله ولا فرق بين القبطى والمسلم اذ كانوا عنده كلهم فريسة واحدة وأمر فقبضوا على ثلاثة من عظماء القبط وهم المعلم انطون أبوطقية والمعلم ابراهيم زيدان والمعلم عبدالله بركات معلم الديوان فقتلهم وأرسل الدفتر دار نفتم على دورهم وأملاهم ونقلوا ما فيها الى بيت الدفتر دار لباع في المزار فكان شيا عظيما للغاية من أواني الذهب والفضة والاقشة الهندية النفيسة وغير ذلك مما يجبل عن الوصف غير الجوارى والعبيد قبل واستمر سوق المزار في ذلك عدة أيام ولما طال الحال على طاهر باشا وجنوده رجع الى القاهرة وسرح بعض الجند واختفى الخبر القائل بتسليم طاهر باشا وجنوده لقتال ابراهيم بيك ومن معه وبينما كان محمد باشا يسوم أهل مصر والقاهرة الخسف ويذيقهم من العذاب كان نائبه على الاسكندرية يكثر من الاحداثات والمظالم والمكوس والمغارم ويضرب على أهلها الضرائب الفادحة وكانت عساكره تفسد في الارض وتهلك الحرث والنسل وتعرض للناس على ما قيل في اعراضهم فعظم الخلل واستفحل أمره وشكى الناس حالهم لمقدم الانجليز النازلين بالاسكندرية واستغاثوا به فكلم خورشيد بيك في أمرهم وقبح ما يفعله الجند بالرعية وحذره سوء العاقبة وطاوله أباما فاتفق ان جماعة من أولئك العسكر هموا باقبض على امرأة فاستغاثت بنفر من الانجليز في طريقها فنعوها منهم فتضاربوا واتصروا كل فريق لصاحبه واشتد القتال بينهم فقتل اثنان من الانجليز وهرب العثمانيون فنزل في الحال مقدم الجيوش الانجليزية وجمع عساكره وزحف بهم الى القلعة وأرسل الى خورشيد بيك بان اخرج من القلعة الى خارج البلد للقتال فامتنع من ذلك فأمره بترك القلعة والتخلي عنها فلا طفه ومأطله فأنزله قهرا وأسكنه في داره في البلد ومنع العساكر السلطانية من حمل السلاح وشدد في مراقبتهم والحجر عليهم وتبعهم أينما ساروا فسكنت خواطر الرعية واطمأنت قلوبهم بعد الخوف ومالوا الى محبة الانجليز وغنوا لو أنهم يملكون البلاد وأظهروا للعثمانيين عين المقت والقليل وزالت هيبة خورشيد او كادت

وكان محمد باشا منذولى الولاية على مصر مولعا بجمع عسكر وترتيبهم على نظام عسكر
الفرنسيس بجمع خلقا كثيرا ممن جاء الى مصر من الاكراد يريد الخروج مع الحج وألبسهم
اللبسة الجوخ الاحمر الضيقة القصيرة وأزناطا قصيرة من الجوخ الازرق وطراطير من صوف
أحمر على أشكال ملابس الفرنسيين وقيد بتنظيمهم وتعليمهم نفرا من كبار الفرنسيين الذين
تخلفوا عن الجلاء وكذلك ألبس عدة وافرة من العبيد السود الذين اغتصبهم من ساداتهم
وجمع جميع المماليك الذين للامراء بمصر والقاهرة وبعض البلدان وألبسهم الملابس الفاخرة
وأركبهم جياد الخيل وقيد بهم من الفرنسيين من يعلمهم الفروسية واستعمال السلاح
وسماهم بالنظام الجديد واهتم بأمرهم اهتماما زائدا وشرع فى انشاء عمارة عظيمة
على مقربة من مقره لسكنى أوائل العسكر سماها قسلاق النظام واهتم بهذا القسلاق اهتماما
عظيما فكان يجلس بنفسه لملاحظة البنائين والتجارين وأصحاب الصنائع وقد ضرب خيمة
بالخاموسه فى كل يوم من الصباح الى غروب الشمس ﷺ قال صاحب عجائب الآثار وضرب الباشا
خيمة عند بيته بقرب الهدم يجلس فيها حصصا كل يوم لمباشرة العمل وربما باشره بنفسه
ونقل بعض الانتقاض فلما عاينه الاغاوات والجوخدارية بادروا الى الشيل ونقل التراب
بالغلفان فلما أشيع ذلك حضر طاهر باشا وأعيان العساكر فنقلوا أيضا وطلبوا المساعدة
وحضر طائفة من ناحية الرميلة وعرب اليسار ومعهم طبول وزمور فسأل عن ذلك فقال
له المحتسب ان هؤلاء من طوائف حضرنا للمساعدة فشكرهم على ذلك وأمرهم بالذهاب
فبقى منهم طائفة وأخذوا فى شيل التراب بالاغلاق ساعة والطبول تضرب لهم فانسر الباشا
من ذلك وحسن القرناء للباشا المساعدة وان الناس تحب ذلك فرتبوا ذلك وأحضروا قوائم
أرباب الحرف التى كتبت أيام فرض الفرنسيين ونهوا عليهم بالحضور قال فأول ما بدؤا بالنصارى
الاقباط فحضروا ويقدمهم رؤسائهم جرجس الجوهري وواصل وفتاؤس ومعهم طبول
وزمور وأحضروا أيضا مهتار باشا النوبة التركية وأنواع الآلات والمغنين حتى البرامكة
بالرباب فاشتغلوا نحو ثلاث ساعات وفى ثانى يوم حضر منهم أيضا كذلك طائفة قال ولما
انقضت طوائف الاقباط حضر النصارى الشوام والاروام ثم طلبوا أرباب الحرف من المسلمين
فكان يجتمع الطائفتان والثلاثة ويحضر معهم عدة من القفلة يستأجرونهم ويحضر
الى العمل ويتقدمهم الطبول والزمور والمجربة وذلك خلاف مراتبه مهتار باشا فيصير
بذلك ضجة عظيمة مختلفة من نوبات تركية وطبول شامية ونقافير كشوفية ودباب حربية
وآلات موسيقية وطبالات بلدية وربابات برمكية قال كل ذلك فى الشمس والغبار والعفار
وزادوا فى الطنبور نعمة وهى أنهم بعد أن يفرغوا من الشغل يأذون لهم فى الذهاب يلزمونهم
بدراسهم يقبضها مهتار باشا برسم البقشيش الى أولئك الطبايع والزمارين فيعطونهم التز
اليسير ويأخذ لنفسه الباقي وذلك بحسب رسمه واختياره فيأتى على الطائفة المائة قرش
والخمسون قرشا ونحو ذلك فيركب فى ثانى يوم ويذهب الى خطتهم ويلزمهم باحضار الذى

قرره عليهم فيجمعونه من بعضهم ويدفعونه قال واذا حضرت طائفة ولم تقدم بين يديها هدية أو جعالة طولوا عليهم المدة وأتعبوهم ونهروهم واستخسروهم في الشغل ولو كانوا من ذوى الحرف المعتبرة كما وقع لنجار الغورية والحريية واذا قدموا بين أيديهم شيئا خففوا عليهم وأكرمهم ومنعوا أعيانهم وشيئوخهم من الشغل وأجلسوهم بخيمة مهتار باشا وأحضر لهم الآلات والمغاني فضربت بين أيديهم كما وقع ذلك لليهود قال واستمر العمل بقية الشهر الماضى الى وقتنا هذا فاجتمع على الناس عشرة أشياء من الرذالة وهى السخرة والعونة وأجرة الفعلة والذل ومهنة العمل وتقطيع الثياب ودفع الدراهم وشماتة الاعداء من النصارى وتعطيل معاشهم وعاشرها أجرة الحمام * انتهى

واستفعل أمر الأمراء المصريين بالصعيد الأعلى وكبرت عصابتهم وظهرت كلمتهم واجتمعت اليهم طوائف كثيرة من الهوارة وأهالى الخوف الشرق والغرب وقبائل العربان وقد تحصنوا عند الهو بسفح الجبل ولبثوا على هذا الحال أياما فبرز رجل من العثمانيين موصوف بالشجاعة والاقدام اسمه أجدر وأخذ معه ألفا من العساكر الموصوفة وسار اليهم يريد اغتيالهم فسبق العيون الى الأمراء وأخبرهم بخبر الأجدر فلما توسط الأجدر وأصحابه سطح الجبل نظروا واذا بالمصريين قد أقبلوا فى ثلاث فرق وأحاطوا بهم فأطلق العثمانيون بنادقهم طلقة واحدة ونظروا واذا بهم فى وسطهم وتحت سيوف المصريين ففتكوا فيهم ولم ينج منهم الا القليل وأخذ الأجدر أسيرا فلما أحضروا الأجدر بين يدي الاني قال له ولائى شئ سميت بالأجدر فقال هو اسمى للأفعى العظيمة وقد صرت الآن تحت ظل جالك فافعل ماأنت أهله قال بلى ولكنى أرى اسمك قد زاد الى حد يوجب خلع أسنانك ثم أمر به فخلعوا أسنانه جميعها ثم قتلوه وزحف المصريون من الهو الى بنى على ونزلوا عليها فنهبوا غلالها ومواشيها وقبضوا أموالها وكذلك الحوارشة وما جاور ذلك من البلاد فاضطرب الباشا وخشى العاقبة وأخذ فى إعداد المدد من الرجال والذخيرة وآلات الحرب وسيرها الى الصعيد مع أحد الأمراء (وهو محمد على سرجشمه) أحد مقدمى العساكر السلطانية وأرسل الى ابراهيم بيك الكبير مكاتبة بالامان والعود الى القاهرة والمقام بها لهم مالاخوانهم وعليهم ماعليهم فلما وصل رسول الباشا بالمكاتبة أحسنوا لقاءه وفض الاني المكاتبة وقرأها ثم التفت الى الرسول فقال أما قولكم نذهب الى دار الخلافة ونقابل السلطان كي ينعم علينا فهذا لاوجه له ولانرضاه أبدا فانه على تقدير أن فى نيته الاحسان فلم لايحسن ونحن هنا فى بلاده واحسانه لايتقيد بحضورنا لديه أما طلب اخواننا الى مصر فهم وشأنهم ان شاؤا أقاموا معنا على الرحب والسعة وان شاؤا رجعوا الى القاهرة وهم فى حل منا وأما قولكم انكم تعطوننا أقطعا نعيش منه باسنا فهذا الاقطاع لايكفيننا فان شاء أعطانا من أسبيوط الى الصعيد الأعلى وعلينا أن نقوم بخراجها والا فالارض لله ونحن خلق الله نذهب حيث شئنا ونأكل من رزق الله مايكفيننا ومن أتى الينا حاربناه حتى يكون من أمرنا وأمركم

ما يكون فلما رجع الرسول بالجواب اغتم الباشا غما شديدا وركب من ساعته وأسرع في تجهيز الجند وتسييرهم فعبروا النيل من الآثار الى الجانب الغربي في عدة عظيمة وذخيرة وافرة وكان بعد انذار رسول الباشا من معسكر المصريين أمر الأتقي فكسروا قنطرة اللاهون وخيموا على مقربة منها وشرعوا في قبض الاموال من بلاد الفيوم ومنع الوارد منها الى مصر فخاف أهل الفيوم ورحل الكثير منها الى القاهرة فتكاثروا ينامون بالازقة والحارات رجالا ونساء وأطفالا ولا يجدون ما يقتاتون به فانزعج الباشا من هذا الحال واستعظمه وكان كلما سأل أحدا من الامراء المصريين القيام مع الجند المسافرين اعتذروا وطلب العفو أو أظهر عدم الطاعة وخرج بعضهم خفية ولحق بالمصريين فلما تحقق الباشا ذلك زاد به القلق ورسم لطوائف العسكر أن يقيم منهم فريق بالفلاح التي على التلال ففعلوا ورفعوا عليها الاعلام العثمانية وأوقفوا الحراس على أبواب المدينة بمنعون من يخرج منها من الغز والكشاف أو من له علاقة مع المحاربين فكان من خرج من بولاق أو غيرها لا يخرج الا بمرسوم من كتحدا الباشا وأمر الباشا بنهب بيوت المحاربين السقي بالقاهرة ومصر فنهبوا ما فيها من فرش ومتاع وغيره وجلوه الى بيته وتمكن ابراهيم بيك والأتقي ومن معهما من جميع بلاد الفيوم فكانوا اذا دخلوا بلدة منها ورأوا من أهلها مقاومة أو عصيانا ركبوا عليها وقتلوا من فيها بحد السيف وأحرقوا دورها وسبوا نساءها فخصعت لهم جميع البلدان والقرى وأدوا لهم المغارم والقرض وأباحوا لهم أخذ الغلال والماشية وهم صاغرون وكان بمدينة الفيوم طائفة من الجنود السلطانية فلما رأوا من كثرة المصريين وفعالهم بأهل البلد ترسوا في موافعهم وأقاموا ينتظرون المدد وزحفت طلائع المصريين الى الخيزة وأخذوا منها الاموال والمغارم ووصلوا الى وردان وسار منهم جماعة الى ناحية الشرقية والمنصورة ومروا بحماكم الشرقية فلم يمنعهم وقد كانوا عدة قليلة فعلم الباشا بذلك وحقد عليه واستقدمه فحضر فأمر به فقتلوه ونهبوا داره وسبوا نساءه وعبر كتحدا الباشا النيل الى انبابه وعبر معه طوائف كثيرة من الجند ونصبوا خيامهم وجاء الخبر بوصول ابراهيم بيك ومن معه الى الجسر الاسود فأقاموا به أياما ثم ترفعوا الى المنصورة وبشتيل فخرج طاهر باشا وعبر النيل أيضا وعسكر بجنوده على مقربة من الوراق ثم ساروا طائفة بعد طائفة وكان الامراء المصريون قد نزلوا على مقربة من دمنهور فلاقتهم العساكر السلطانية وناوشتهم القتال وهم في قلة والعثمانيون في كثرة زائدة وكان مع جماعة المصريين بعض كبار جند الانجليز جاؤا اليهم من الاسكندرية فلم يتأخر المصريون عن القتال وهجموا على فرسان العثمانيين هجمة الاسود وكان الانجليز يتظرون اليهم نظرة المتعجب فهزموهم وولوا الدبار وتركوا المشاة خلفهم ففكر المصريون على المشاة أيضا فألقوا أسلحتهم وطلبوا الأمان فساقوهم وأخذوا ما معهم من أسلحة ومدافع وذخيرة وغير ذلك وقد تمزق شمل من بقي من العساكر السلطانية وتفرقوا أشتاتا وجاء الخبر بذلك الى محمد باشا فانزعج وقد كانت وردت عليه أوامر دار

السلطنة بسرعة اخراج ابراهيم بيك وأصحابه من الديار المصرية والالحق به العطب فعمد الى تجييش جيش آخر وبالغ في اتقائه وتنظيمه وعبر به النيل الى انبابه وانتقل طاهر باشا من انبابه بعساكره الى البحيرة وتترس بها ووصلت المجاريح والمرضى من العثمانيين وأكثرت الباشا من تخدير أعيان ومشايخ البلاد من مسالمة الامراء المصريين أو التقرب اليهم وترفع فريق من الامراء المذكورين راجعا الى الصعيد وذهب جماعة منهم أيضا الى دار السلطنة في احدى سفن الانجليز لطلب عفو السلطان ونزل محمد بيك الأتقي مع طوائف الانجليز الذين كانوا بالاسكندرية يريدون لندن عاصمة بلادهم اذ جاءهم الأمر بالجلاء تماما عن الاسكندرية فرحلوا عنها في يوم السبت حادي عشر ذي القعدة من السنة أي سنة سبع عشرة ومائتين وألف هجرية ورجعت جميع العساكر السلطانية الذين كانوا بالبحيرة الى القاهرة ومصر وانتشروا فيها يطوفون في الشوارع والحدائق وطالبوا الباشا بجما كيهـ المتأخرة وقد كان قطع عنهم رواتبهم وعولقاتهم لفراغ الخزينة وبغضه لهم لجبنهم وهزيمتهم في الحروب فصار كبارهم يطالبون الباشا والدفتدار وهما بماطلان ويطاولان فاجتمع العساكر حول بيت الدفتدار وصاحوا عليه وتهددوه وشاع قيامهم لنهب أمتعة الناس فنقل أهل الغورية وغيرهم بضائعهم من الخوانيت وقفلوها أياما كثيرة وخافهم الناس وامتنعوا من الخروج الى الاسواق بعد الغروب فكانوا اذا انفردوا بأحد عروء من ثيابه فان مانعهم قتلوه وأكثروا من خطف النساء والغلمان ❦ قال صاحب عجائب الآثار وهو أربعة أشخاص من العساكر وأخذوا غلاما لرجل حلاق بخط بين السورين عند القنطرة الجديدة فعارضهم الأوسطي الحلاق في أخذ الغلام فضربوا الحلاق وقتلوه ثم ذهبوا بالغلام الى دارهم بالخطبة فقامت في الناس ضجة وكثرة وحضر أعاة التبديل فطلبهم فكنركوا بالدار وضربوا عليه البنادق من الطبقان فقتلوا من أتباعه ثمانية أنفار ولم يزالوا على ذلك الى ثاني يوم فركب الباشا في التبديل ومر من هنالك وأمر بالقبض عليهم فنقبوا عليهم من خلف الدار وقبضوا عليهم بعد ما قتلوا وجرحوا آخرين فقتلوهـم شنقا ووجدوا بالدار مكانا خرابا أخرجوا منه زيادة عن ستين امرأة مقتولة وبينهن من وجدوها وطفلها مذبوحا معها في حضنها اهـ

واختل النظام من نوالى هجمات الأمراء المصريين على البلاد وعيث الجنود السلطانية فيها وتجاوزهم الحدود في القتل والنهب والتخريب والتعذيب والفتح وغير ذلك فمطاولت أيدي العربان أيضا الى السلب ووقف كثير منهم في طرق المارة يسلبون ما معهم ويقتلون من يمانعهم حتى زال الأمن وعم الخوف وانقطعت الطرق حتى في نواحي المدينة وطريق بولاق لقاهرة وغيرها وعجز محمد باشا وظهر ضعفه ثم جهز طائفة من الوجافلية وسيروهم لقتال العربان فافتتل الفريقان قتالا عنيفا انجلى عن هزيمة الوجافلية وتزريق شملهم ثم ترفع العربان بعد هذه النصرة الى البحيرة وعاد من بقي من الوجافلية ونحيوا بجهة العادلية وجاء من كانوا بالبحيرة من الامراء المصريين الى منية ابن خصيب وأرسلوا الى حاكمها بأن يهرب

النيل هو ومن معه من العساكر العثمانية الى الجانب الشرقى لينزلوا بالمنية أياما يقضون فيها أشغالهم ثم يرحلون عنها فأبى عليهم ذلك وأمر فخصنوا البلد وزادوا في عمل المتاريس وأكثروا من المدافع وبينما هم على همتهم من التمتع والتحصين اذ أحاط بهم المصريون وقتلواهم قتلا عنيفا أربعة أيام ليللا ونهارا حتى غلبوهم ودخلوا البلد عنوة وأعلموا فيها السيف وأحرقوا وخربوا وقتلوا خلقا كثيرا جدا من أهلها وجميع من كان بها من العثمانيين وتركوا النار تعمل فيها حتى صارت رمادا وأخذوا ما فيها من الأموال والمتاع والماشية وغير ذلك وأتوا بها كلها الى ابراهيم بيك الكبير وقد كان من محاليك ابراهيم بيك وانفصل عنه ودخل في خدمة الباشا فلما مثل بين يدي أستاذه وبخه وبناء على أمره ضربوه بالنبايت ثم كبلوه في الحديد وألقوه في صومعة ورجل ابراهيم بيك وأصحابه عن منية ابن خصيب الى الصعيد الاعلى وجاءت الاخبار الى محمد باشا بما جرى فزاد به القلق وضافت الدنيا في وجهه وأرسل الى محمد علي سرچشمه يستحثه على قتال المصريين قبل ان يلحقوا بمدينة أسبوط فيفعلوا بها ما فعلوه بمنية ابن خصيب فاعتذر بخروج الجنود عن طاعته بأسباب تأخير صرف جساكيهم وتهديدهم اياه بالقتل فألح عليه محمد باشا فبالغ في الاعتذار وقد كان على عهد مع ابراهيم بيك وأصحابه * فلما كان يوم الجمعة سابع المحرم افتتح سنة ثمان عشرة نار الجنود جميعا وحضروا الى بيت الدفتردار فاجتمع جماعة منهم بحوش الدار وقفوا أبواب القيطون وأخرجوا من كان به من العسكر التابعين للدفتردار وصعد طائفة منهم فوقفوا بفسحة المكان الذى كان به الدفتردار ودخل عليه منهم أربعة فكلموه في أمر صرف جساكيهم ورد جميع مرتباتهم فلاطفهم وقال انه لم يجتمع عنده من المال سوى ستين ألف قرش فاما ان يأخذوها ولما أن يصبروا أياما حتى يكمل لهم المطلوب فقالوا لا بد من الصرف فكتب في الحال الى محمد باشا بطلب منه قرضه فأبى عليه ذلك وأرسل يقول لا أريد هؤلاء الا وباش الهمج في بلاد قد توليت حكمها فلا بد من خروجهم وارتحالهم عنها والا أعلمت فيهم السيف وأقنيتهم عن آخرهم فأعاد اليه الرسول يقول أغثنى فان الدار ملئت بالعساكر أعلى وأسفل فلما أخبره الرسول بذلك غضب وأمر بالمدافع فأخذوا يطلقونها من قلعة الجبل على بيت الدفتردار وراسلوا الرمي بالقنابل فتساقطت على الدار تساقط المطر واشتعلت الدار بما فيها وتهدم أكثرها والعساكر لا ينفكون عنها واختنى الدفتردار تلك الليلة تحت درج البيت الى الصباح ونهب العساكر ما في الخزينة من الأموال وما في الدار من فرش وبسط ومتاع ومرى الوالى بالاسواق والشوارع ينادى فى الناس برفع متاعهم والمحافظة على أنفسهم والتحذر تخاف الناس وأغلقت الخوانيت والدروب وزاد تطيرهم وتخبيلوا هجوم العساكر ونهب المدينة وجميع الدور ونادى المنادى معاشر الناس وأولاد البلد كل من عنده سلاح فليقتله ويحملة واجتمعوا على شيخ مشايخ الحارات ليذهب بكم الى بيت الباشا وجاء الطلب بذلك أيضا الى تجار الغورية وتجار خان الخليلي وأهل طولون وشدودوا فى الطلب وحذروا من التخلف فسار بعض

الناس فقبضوهم بجفارة بيت الباشا وبيت ابن المحروقي المجاور له فباتوا ليلتهم تلك وحضر
الوالى عشاء تلك الليلة وطاف على الناس يحضهم على القيام لنصرة الباشا على الخوارج من
الجند والعسكر فاجتمع بعض الارباش والغوغاء بالعصى والمساوق وتحزبوا أحزابا وعملوا
متاريس عند رأس الوراقين وجهة العقادين والمشهد الحسيني فلما دخل الليل بطل رمى
القنابل من قلعة الجبل وأصبحوا وقد شرعوا فى الرمي فأطلق العسكر كذلك مدافعهم ووالوا
الرمي على القلعة وتترسوا بجامع أربك وبيت الدفتردار وبيت محمد على سرخشمة وكوم
الشيخ سلامه وداخل الناس خوف عظيم من هذه الحادثة وبقي الحال على هذا الوصف ثلاثة
أيام فلما كان يوم السبت رتب الباشا عساكره على طريقة الفرنسيين وخرجوا مشاة وركبانا
ومروا حوالى البركة وانقسموا فرقتين فرقة أنت على رصيف الخشاب وفرقة على جهة باب
الهواء ليأخذوا الارنؤد بينهم فلما وصلت فرقة ناحية رصيف الخشاب قاتلوا الارنؤد قتالا
شديدا فانهمز الارنؤد من تلك الجهة وانحصروا جهة جامع أربك فاشتبكوا فى القتال مع
الفرقة الثانية وتحققوا الهزيمة والخذلان وكادوا يسقطون فى أيديهم فلما وصلت عساكر الباشا
الى بيت الدفتردار والمحروقي وبيت نساء الباشا اشتغلوا بالنهب واخراج النساء وتركوا القتال
وتقاسموا المنهوبات ففترت هممة الفرقة الثانية من عساكر الباشا وانضموا فى الحال الى النهايين
من إخوانهم فتفقت بذلك عزائم الارنؤد وكروا على من بقى من عسكر الباشا فهزموهم
وأخذوا مرا كزهم وأجلوهم عنها وظهر طاهر باشا وركب الى الرميطة وتقدم الى باب العزب
فوجده مغلقا فعالج الطاقات الصغار التى فى حائط باب العزب القريبة من الارض المعدودة
لرمى المدافع من أسفل ففتح بعضها ودخل منها بعض عسكره فملاقوا مع الارنؤد المحافظين
داخل الباب فتحالفوا واتنشقوا على أن يكونوا على قلب رجل واحد ثم صعدوا الى القلعة
فاتفقوا مع من بها من الارنؤد ودخلوا على الخزندار وطلبوا منه مفاتيح القلعة فنانعهم
فشددوا عليه وهموا بقتله فسلمهم المفاتيح ففتحوا الابواب لطاهر باشا واعتقلوا الخزندار
وأنزلوا من القلعة بعض المدافع والذخيرة الى الازبكية وتسلم القلعة طائفة منهم وتقبضت
بخدمه المدافع فم يشعر محمد باشا والى الا والقنابل تنساقط على بيته من قلعة الجبل
فهاله الأمر وأزعجه جدا وعلم بما جرى فسقط فى يده ونزل طاهر باشا من قلعة الجبل ومر
من وسط المدينة وهو يقول بنفسه مع المنادى أمان واطمئنان افتحوا دكا كينسكم وبيعوا
واشتروا وما عليكم بأس وطاف يزور الاضرحة والمشايخ ورفع الناس المتاريس من الطرق
وانكفوا عن التعرض للجند وأكثر الوالى من التطواف والنساء بالآمان والبيع
والشراء فاطمأن الناس واستمر الحرب بين الفريقين يوم السبت واشتد ليلة الاحد طول
الليل فما أصبح النهار حتى زحف الارنؤد على جامع عثمان كفتخا وحارة النصارى وصعدوا
التلال التى بناحية بولاق القاهرة وملكوا بولاق وهجموا على مناخ الجبال فقتلوا من به من
العسكر وسارت طائفة منهم الى قصر العيني وقبضوا على من به من عبيد الباشا ونهبوا

بيت السيد أحمد المحروقي وأخرجوا منه النساء حاسرات وكذلك نهبوا بيت الباشا الملاصق له ونهبوا بيت المعلم جرجس الجوهري وأخذوا مافيه من النفائس والامتنعة الثمينة وأشعلوا النار ببيت الباشا فالتهمت الاخشاب والاسقف وسرت الى جميع المساكن فركب الباشا في مماليكه وخدمه ومعهم النساء والذراري وخرج الى جزيرة بدران وكان خروجه قبيل أذان العصر من يوم الاحد تاسع المحرم افتتاح سنة ثمان عشرة نخرج خلفه جماعة من الارنؤد يريدون القبض عليه ففكر عليهم وهزمهم مرتين أو ثلاثا

مطلب
طرد محمد باشا من الولاية
وتولية طاهر باشا

وسكنت الفتنة بخروج محمد باشا وجلائه عن القاهرة الى العادلية وطاف الولى والمحاسب وأغاة الانكشارية ينادون بالامان وفتح الدكاكين والعود الى البيع والشراء فكانت مدة ولاية محمد باشا المذكور على مصر سنة وثلاثة أشهر وأحدا وعشرين يوما * وكان سيئ التدبير لا يحسن التصرف سفيا كاللدماء جافى الطبع قليل التروى يضع الامور في غير موضعها فيحسن على من لا يستحق الاحسان ويبخل على من في حاجة الى القوت وكان نفورا مختالا سهل الانقياد لقرناء السوء كثير المظالم ولم يزل في طريقه الى أن نزل بقرب قلوب في غروب يومه فاستراح وأسرى ليلا الى دجوة وأنزل الذراري والمتاع في بعض السفن الى بنها العسل وقد تخلف عنه أكثر قومه واجتمع الأغا والوجا قلية بيت القاضي وتشاوروا في اقامة طاهر باشا نائبا عن الدولة حتى تأتبه الولاية أو يأتي وال آخر جدي فاتفقوا على ذلك وذهبوا الى بيت طاهر باشا وألبسوه خلعة النيابة وحرروا محضرا بما وقع ورفعوه الى دار السلطنة فلما استقر به المنصب وتصرف في الأمور قبض على الكثير من الامراء والاعيان وصادرهم ثم اعتقلهم وكتب ابراهيم بيك الكبير وأصحابه وسألهم الاقتراب من مصر حتى يدبر لهم الأمر في رجوعهم وسير طائفة من الجند لقتال محمد باشا الولى الخلوع فساروا خلفه وهو ينتقل من ناحية الى أخرى حتى نزل بالمنصورة فجى خراجها وضرب على أهلها المغارم وقبض على من كان بها من أصحاب الجباية وأخذ الأموال منهم وكذلك فعل ببلاد الغربية ثم سار الى دمياط وقد تخلف عنه جميع أعوانه فلم يبق معه الا بعض الاتباع والنساء والذراري وبسط طاهر باشا يده على جميع الأمور وضيق على أصحاب الميسرة من الوجا قلية والقبط وضرب على القبط غرامة قدرها خمسمائة كيس وخص بهذه الغرامة جماعة الكتاب ثم اعتقل جماعة منهم وكذلك فعل باليهود وقتل من أعظم القبط والشوام خلقا ونهب دورا كثيرة وبالع في استرضاء الارنؤد والتزلف اليهم فصرف لهم جاكهم وأطلق علوفاتهم ورد عليهم الارزاق اليومية وقرب اليه كبارهم وأصحاب الكلمة فيهم وكان بقلعة الظاهر ببيرس طائفة من الانكشارية جاؤا بأسلحتهم وآلات حربهم من دار السلطنة يريدون الاقطار الحجازية لقتال الوهابيين ومن معهم من الخوارج من أهل مكة والمدينة ونزلوا بالقلعة المذكورة على عهد محمد باشا الخلوع حتى اتتم معداتهم فيرحلون عن طريق القلزم والقصير فحدثت الفتنة وظهر أمر طاهر باشا وأصحابه وانقطعت عنهم العلوفات وقلت المؤن وضاق عليهم الحال وكان معهم

أحمد باشا وإلى المدينة فكلّموه في ذلك فطاولهم فذهب جماعة منهم إلى طاهر باشا وطالبوه بالجماكي والعلوفات فأبى عليهم ذلك فراجعوه فلم يلتفت إليهم فأضرموا له السوء فلما كان يوم الأربعاء رابع صفر من السنة ركب جماعة منهم بعددهم وأسلحتهم وخلفهم بعض كبارهم وذهبوا إلى طاهر باشا وسألوه صرف الجماكي فأعرض عنهم وقال ليس لكم عندي منها شيء إلا ما كان من يوم قبضي على زمام البلاد فقالوا حاشا أن يكون كذلك فقال اذهبوا إلى محمد باشا وطالبوه بما كان في أيامه فألحوا عليه فنهزم وصاح بقومه ليخرجوهم فابتدعه أحمد الانكشارية بضربة بسيفه أطاح رأسه فسقط من شبك المكان إلى صحن الدار وجردوا جميعهم سيوفهم وأقبلوا على أتباعه وخدمه ومن كانوا في البيت من الارنؤد فقتلوا منهم خلقا كثيرين واشتعلت النار بالبارود الذي كان يخادع أتباعه وبماليكه فوقع الحريق والنهب في الدور المجاورة وخرج الانكشارية وبأيديهم السيوف مسلولة ومعهم ما نهبوه من المتاع وغيره فانزعج الناس وأغلّقوا الدكاكين وأبواب الدور وهم لا يعلمون بالخبر ثم طاف الأتغا والوالى بعد ساعة وناديا بالأمان واجتمع جميع الانكشارية عند أحمد باشا وإلى المدينة المنورة لقتال الارنؤد وإخراجهم من البلاد فلما سمع الارنؤد بالناداة تحزّبوا واجتمعت طوائفهم عند الازبكية فكان الانكشارية إذا ظفروا بأحد من الارنؤد أخذوا مامعه من سلاح وقماش وربما قتلوه وكذلك كانت تفعل الارنؤد بالانكشارية وقد نهّب الانكشارية جميع ما وجدوه في بيت طاهر باشا من فرش وبسط وملبوس وغير ذلك وبقيت جثته ملقاة لا يجسر أحد من أتباعه على الاقتراب منها وجلها وزالت دولته فكانت أيامه ستة وعشرين يوما ثم قال صاحب عجائب الآثار وكان أسمر اللون نحيف البدن أسود اللحية قليل الكلام فيه هوس وانسلاّب يميل للملوكيين والمجازيب وأصحاب الشعوذة وقد عمل له خلوة بالشيخونية يبيت فيها كثيرا ويصعد على سطحها مع شيخه ويذكر معه اه ثم جمع أحمد باشا المشايخ والعلماء والوجهاء في داره وكلهم فيما وقع من طاهر باشا وأصحابه وانتدب جماعة منهم فساروا إلى محمد على سرّجشمه يسألونه الطاعة والخلود إلى السكينة كي لا يعرض نفسه ومن معه للبوار فقال لست أعرف لأحد باشا سلطة على البلاد وما هو الاضيف ثم يرتحل ولم أكن لأولى طاهر باشا وأجلسه على منصة الملك الا لأنه مبعوث من الدولة للحفاظ على الديار المصرية والجواب عندي ان أحمد باشا يرتحل عنا على الفور بعسكره وجنوده وله علينا المعاونة والممدد من مؤنة ودواب العمل وسنن للسفر فأخبر المشايخ أحمد باشا بمقالة محمد على فأضمر له السوء وبدأ من هذا الحين يظهر محمد على وتعلو كلمته والانكشارية يقتلون وينهبون كل ما قدروا عليه من دور الناس والأهراء وتتبع الارنؤد وفتك بهم وعملوا بعض المتاريس ونادوا على الناس بالسهر والتحفظ وفتح الخوانيت ليلا والا كثر من الأنوار وبات الناس على تخوفهم فلما أصبح يوم الخميس أرسل أحمد باشا يستدعي المشايخ والعلماء فذهبوا اليه فكلّمهم في جمع سائر الناس ونهز وجههم على طوائف الارنؤد فأجابوه إلى ذلك وأرادوا الانصراف

مطلب

قتل طاهر باشا وتصرف
أحمد باشا إلى المدينة
المنورة

فنعهم وقال حتى تأمروا العامة فقالوا هذا لا يكون الا ونحن بالجامع الازهر ومازالوا به حتى خرجوا ولم يفعلوا شيئا مما أمر به فجمع اليه جميع الامراء العثمانيين وتشاوروا في أمر الظفر بمحمد علي أيضا ومن بقي معه من الارنؤد وكان محمد علي قد استقر عن معه بقلعة الجبل وأحكوا أمورهم وكان محمد علي الامراء المصريين وكانوا على مقربة من الجيزة وانبأه فحضر الى القاهرة بعض أتباعهم وطائفة قليلة من عسكرهم وشاع خبر وصولهم الى الجيزة فغير اليهم مما اليكهم وبعض الكشاف من أصحابهم ثم قدم منهم جماعة فنزلوا بباب النصر وآخرون بباب الفتوح وأرسل ابراهيم بيك الكبير خطابا الى أحمد باشا يقول فيه رحمة الله عليه حيث قد علمنا بموت طاهر باشا وأنت اليوم بين ظهرانينا فضع اليك من بقي من طوائف الارنؤد وإياك أن تقرب اليك أحدا من الانكشارية فلما كان صباح ثاني يوم ذهب جماعة من الانكشارية الى الرملة يريدون قتال عسكر محمد علي فأطلق عليهم أصحاب محمد علي المدافع وتابعوا الرمي فولى الانكشارية الادبار ورجعوا مسرعين الى بيت أحمد باشا فحول أصحاب القلعة رمى القنابل على البيت رميا متراسا فخاف الانكشارية وانحلت عزائمهم وتفرقوا عن أحمد باشا وجاء الخبر بما جرى الى ابراهيم بيك فتقوت عزيمته وأرسل الى أحمد باشا يطلب منه قاتلي طاهر باشا ويلزمه الخروج من القاهرة في برهة لاتجاوز الساعة الحادية عشرة من النهار ولا يقيم بها الى الليل فلم يجد بدا من الامتثال وطلب دواب للعمل فلم يجد فركب في عصر اليوم وسار وتفرق عنه من كان معه من أعيان العثمانيين وذهبوا الى محمد علي والتجؤا اليه فأحسن لقاءهم وأنزلهم منزلا رحبا وخرج أحمد باشا وأتباعه مشاة بين يديه ومعه نفر قليل من الانكشارية فوجد عند باب الفتوح من زحام عسكر الامراء المصريين والعربان والهوارية ما أخافه فدخل عن معه الى قلعة الظاهر ببيرس وأغلقوا أبوابها فتبعه جماعة من الارنؤد ودخل داره جماعة فنهبوا ما فيها من متاع وأثاث وأحاط بقلعة الظاهر آخرون ليلتهم تلك وأصبحوا فضيقوا على أحمد باشا ومن معه وجعلوا يرمون على المحاصرين من السور وهم كذلك يرمون عليهم من أسفل وجعلوا شيئا كثيرا من التراب وعملوا منها أكمة وصعدوا عليها وصاروا يرمون عليهم من الخارج بالبنادق بقية النهار وطول الليل فلما أصبحوا أنزلوا مدفعا من قلعة الجبل وجعلوا يطلقونه على قلعة الظاهر فأخربت قنابله وهدمت بعض جدران القلعة فطلب الانكشارية الامان فأمنوهم ففتحووا الابواب وخرج أحمد باشا ومعه اثنان من الانكشارية وهما قاتلا طاهر باشا فأخذوهم وعبروا بهم الى الجيزة ولبث من بقي من الانكشارية داخل القلعة وحولهم الجند والعسكر ثم سجنوا أحمد باشا بقصر العيني وأبقوا قاتلي طاهر باشا بقصر الجيزة فتم بسجن أحمد باشا زوال دولته فكانت ولايته بعد موت أحمد باشا طاهر يوما وليلة لاغير

واشتدت عزائم طوائف الارنؤد بهذا الظفر فكثرت فسادهم في الارض وقتلوا من الترك وأصحاب خان الخليلي خلقا كثيرا وتبعوا الناس وأخذوا بالشبهات وظهر نجم محمد علي والتجأ

مطلب

طرد أحمد باشا والى المدينة
وتصرف ابراهيم بيك الكبير

اليه الامراء والاعيان فرارا من ايذاء طوائف الارنؤد وأتوا يوما بقاتلي طاهر باشا من قصر العيني الى الناصرية وضربوا أعناقهم ما في وسط النهار وحلوا الرأسين الى زوجة طاهر باشا بالشيخونية ثم الى أخيه بقلعة الجبل وأخرجوا طوائف الانكشارية الذين كانوا بقلعة الظاهر وأخذوا جميع ما كان معهم من سلاح وكراع وبعثوا بهم الى الصالحية مع نفر من الارنؤد والعربان فمات أكثرهم جوعا وتمزق من بقي وتشردوا في الجهات ❀ ولما كان يوم الاحد خامس عشر صفر سنة ثمان عشرة نزل ابن أخى طاهر باشا من قلعة الجبل ونزل من مكان معه من كبار الارنؤد وأعيانهم وعسكرهم ومتاعهم وما جمعوه من المنهوبات وكان شيا كثيرا جدا وسلموا القلعة الى ابراهيم بيك الكبير وأصحابه ولم يبق بها من الارنؤد الا طائفة قليلة ومعها أحد كبارهم المدعو حسين قبطان وأخرجوا أحمد باشا الى المدينة من معقله بقصر العيني وسيروه الى الديار الرومية في نفر من الانكشارية فلما استقر بابراهيم بيك المقام قسم الوظائف والمناصب العالية بين قومه وذويه بإشارة محمد علي ورتب الامور على ما أراد محمد علي فأحكم ترتيبها فقال الامراء المصريون الى محمد علي وأحبه العساكر وعمل بشورته العمال في جميع البلاد وتقرب اليه الاعيان وتزلف اليه أرباب المناصب وتقرب منه المشايخ والعلماء * وجاء الخبر الى ابراهيم بيك الكبير بنزل محمد باشا الى المعزول على مدينة دمياط ونغلبه على ماحولها من البلاد والقرى واعطاء الوظائف الى مماليكه وانضمام الكثير من الانكشارية الذين خرجوا من مصر والقاهرة الى لومعه مع الغوغاء وحرافيش البلاد والعربان فسير لقتاله البرديسي في طائفة عظيمة من العساكر فوجده متمنعا وقد عمل المتاريس والخنادق حول المدينة وضرب على الاهالي المغارم والقرى وبث المعينين لجمع الاموال من البلاد ونقل الغلال فهجم عليه البرديسي بجياله ورجله واقتل الفريقان قتالا عنيفا فانهزم البرديسي وأصحابه عند الفنطرة البيضاء من ضواحي دمياط وأجلوهم عن مواقعهم ثم عاد البرديسي وقد رتب عسكره وهجم على عساكر محمد باشا فانهزموا وانتصر البرديسي نصرة عظيمة وانخذلت عساكر محمد باشا وخامر بعضهم مع البرديسي وأشاروا عليه بالزحف على دمياط فزحف وراسل بعض كبار عسكر الباشا فأطمعوه في الاستيلاء على المدينة بغير عناء فدبر عسكره وهجم على المدينة وقايلها حتى دخلها عنوة وقتل في عسكر الباشا بالقتل وتبعوا خواصه وأتباعه فقتلوه عن آخرهم وقتلوا من خرج معه من أصحاب الوظائف ونهبوا المدينة وأسروا النساء والاطفال واقتضوا الابكار واستأسروا من شأوا وفعلوا من القسوة ما تشيب لهوله الولدان ونهبوا الخانات والبيوت والوكائل وجميع أمتعة التجار التي كانت بها والتجأ محمد باشا الى بلدة القرية فأحاطوا به من كل جانب فطلب الامان فأمنوه فنزل من القرية وحضر الى البرديسي فقام عليه بعض الجند وخطفوا عامله وهو في الطريق وكادوا يفتكون به فلما رآه البرديسي ترجل عن جواده وتلقاه بالاعزاز والاکرام وألبسه عمامة وأنزله في خيمة بجانب خيمته وسير الاخبار بما حصل الى ابراهيم بيك

ففرح بذلك وفرح أصحابه فلما كان يوم الاثنين تاسع عشر ربيع الاول أحضروا محمد باشا الى القاهرة ومعه المحافظون من الارنؤد والعساكر المصرية وليس معه من أتباعه سوى ستة مماليك فقط وقد تفرق باقيهم عنه فنزل بساحل بولاق وكان ابراهيم بيك قد حضر في ذلك اليوم الى بولاق فلم يقابل محمد باشا وتشاغل عنه ثم حضر الى الباشا أحد الكشاف وأركبه وساربه الى بيت ابراهيم بيك بحجارة عابدين فلم يقابله في ذلك اليوم أيضا فأخذوه الى بيت البرديسي فبات ليلته وأصبح فركب ابراهيم بيك الى قصر العيني وطلب محمد باشا فساد اليه وقابله وقد حضر الالني وبقية الامراء المصريين ثم ركب ورجع الى بيت البرديسي وبقي محجورا عليه أياما ١٠ فلما كان يوم السبت خامس عشر ربيع الاول طلب محمد باشا من سليم كاشف المخرجي المتولى حراسته أن يأذن له بالخروج الى الناصرية للرياضة فأرسل سليم كاشف الى ابراهيم بيك يسأله في ذلك فأذن له فأركبه سليم كاشف بمالكيه وعدة أخرى من مماليك المخرجي فلما خرج الى خارج الناصرية أطلق جواده وتبعه مماليكه من خلفه فظن ممالك المخرجي أنهم يتسابقون فلما غابوا عن أبصارهم ساقوا خلفهم وما زالوا كذلك وقد استل محمد باشا سيفه الى أن وصلوا الى الازبكية فقصده بيت أحمد بيك الارنؤدي فلما اقترب منه أطلق أحد الجند غدارته على جواده فسقط الجواد وسقط محمد باشا امام الباب ودخل مسرعا على أحمد بيك ومن كان معه فلما رآه أحمد بيك على هذا الحال وبخه وقبض عليه وفتشوه فوجدوا معه من المال ما قدره ألف وخمسمائة دينار وكذلك أخذ ما كان مع مماليكه وقد كانوا أعندوا هذا المال ليكون لهم عوناً على الهرب وجاء الخبر الى سليم كاشف المتولى حراسته فركب على مثل ذلك بباقي أتباعه واتصل الخبر بابراهيم بيك فأمر جميع الكشاف بالرجوع وأصعد طائفة منهم قلعة الجبل وتحفظ على أطراف المدينة وجاء سليم كاشف بمحمد باشا الى ابراهيم بيك بقصر العيني ومعهما أحمد بيك نفاع ابراهيم بيك على أحمد بيك فزوة سمور وقدم له حصانا مسرجا ووكل بمحمد باشا من يخفّره في معقله

مطلب
منع تصرف ابراهيم بيك
ولاية على باشا الطرابلسي

وجاءت الاخبار بولاية على باشا الطرابلسي ووصوله الى مدينة الاسكندرية فاستقر بها ولم يقدم الى القاهرة وأرسل الى ابراهيم بيك ومن معه يقبح ما فعلوه من رجوعهم الى القاهرة وتصرفهم في الامور بغير اذن السلطان لاسيما خروج الارنؤد وقتل طاهر باشا بخروج الانكشارية واخراج أحمد باشا وغير ذلك من الحوادث التي كانوا هم علة وقوعها فأرسلوا اليه يعتذرون ويظهرون الطاعة والولاء للسلطان وأن حضورهم لم يكن الا عن رضا الالهالي واستدعاء المشايخ والعلماء وتخوف ابراهيم بيك وأصحابه من على باشا المذكور وتحذروا وأقاموا ينتظرون ماسيكون من حضوره الى القاهرة * وكان البرديسي في غضون ذلك قد سار بعسكره من دمياط بعد أسر محمد باشا الى رشيد لقتال الحاج علي باشا قبطان ومن معه من العساكر العثمانية وكان الارنؤد لما قاموا وخرجوا على محمد باشا جاء على

باشا قبطان المذكور في نفر من العثمانيين ونزلوا على رشيد من البحر وتحصنوا بها حتى صاروا في منعة زائدة وجعل على باشا مقره بيرج مغيزل يراقب الفرص ليزحف على القاهرة ويقتل عن بها من أصحاب ابراهيم بيك وطوائف الارنؤد فوصل اليه البرديسي بعسكره وقاتله قتالا شديدا نيفا وعشرين يوما وما زال حتى انتصر عليه وفتح البرج عنوة وقبض على على باشا وعدة كبيرة من عسكره وأخرجوهم الى جهة الشرقية ليسيروا منها الى الشام ووردت الاخبار بذلك الى القاهرة فلما علم على باشا الطرابلسي وهو بالاسكندرية ما فعله البرديسي برشيد وكيف أخذ على باشا قبطان أسيرا خاف أن يعرج البرديسي وأصحابه الى الاسكندرية فيفعلوا بها ما فعلوه برشيد فأمر رشيد أبي فير فكسروه بخري الماء الملح الى الاراضي التي كانت جفت عنها منذ عهد قريب في ذلك الحين وأغرقت القرى وأفسدت المسالك على الاسكندرية واشتد الحال على أهلها وضاق بهم الكسب فرحلوا عنها الى جزائر المحيط بكريت وقبرس ورودس وغيرها ولم يبق فيها الا الفقراء والعجائز قلت وكان هذا السد من أهم العمار وأحكمها وأكبرها شهرة ولذلك كانت تتفقده الدول على مر الايام وتتعهده بالعمارة واحكام الوضع وتخشى من تهديمه فلما اختلفت الاحوال وكثر نوال القلاقل والاحن واستولت الفوضى على البلاد وأهملت أسباب العمارات كافة انهار من هذا السد بعض بنيانه فسال منه الماء الملح على المزارع والقرى الواقعة بين رشيد والاسكندرية فلم يتسددارك أولو الحال والعقد أمره لاستفحال الخلل فاستمر على هذا الحال وانحرق يتسع حتى كادت تنقطع الطرق بسبب الماء المنهمر منه واستمر على ذلك الى دخول الجيوش الفرنسية الى مصر فلما جاءت خافهم سفن الانجليز أراد أميرها تعويق الفرنسيين عن الوصول الى القاهرة بعد نزولهم بأبي فير فأطلق قنابل مدافعه على السد المذكور فكسر بعض بنيانه واتسع خرقه فأنهمر الماء على الاراضي وأخرب القرى والبلاد وأتلف المزارع وانقطعت الطرق حول مدينة الاسكندرية وامتنع دخول ماء النيل الى أهلها فلم يصل اليهم الا ما يصلهم من جهة البحر في السفن والنقائر أو ما خزنوه من مياه الامطار بالصهاريج وبعض العيون المستعذبة ثم جاء رجل من مهندسي دار السلطنة اسمه صالح أفندي ومعه بعض السفن تحمل الاخشاب العظيمة والآلات الضخمة برسم بناء السد المذكور فاستمر العمل في ذلك عاما ونصف عام حتى قارب التمام ففرح الناس بذلك واستبشروا أهل القرى والنواحي فما هو الا وقد وقعت هذه الحوادث واحتل على باشا قبطان ثغر رشيد وسار البرديسي لقتاله وخاف على باشا الطرابلسي من حضور البرديسي وفعله بالاسكندرية ما فعله برشيد فأمر فكسروا السد فانهمر وجهه تلك الاراضي بالماء الملح فتزح أهل الاسكندرية وتبدل عمارها خرابا

ووصل الحاج على باشا الى القاهرة أسيرا فأكرموا نزله ورتبوا له المرتبات من مأكول

ومشروب وأرسل البرديسي بطاب المسدد فأمده فصار من رشيد الى دمنهور بعد مارتب
 أمورها وحصن قلاعها وأبراجها ونهب ما في بيوت الراحلين عنها واستقر بدمنهور أياما يدبر
 أمر الهجوم على الاسكندرية وكيفية الوصول اليها وطالت أيام مكثه فداخل جنوده الملل
 واعتري أمورهم الفتور والكسل فطالبوا البرديسي بحما كيهم وعلوفاتهم ولم يكن عنده منها
 شئ نخشى العاقبة ورجع الى القاهرة وقد مات منهم خلق كثير بسباب الجوع والحرب ودخل
 الجيزة في السادس من جمادى الثانية فخرج الامراء والاعيان لملاقاته فلما أصبح يوم السبت
 سابعه عبر محمد على سرچشمة النيل الى الجيزة وعبر معه طوائف الارنؤد الى مصر وكذلك
 البرديسي فخرج عليهم الفقراء وبأيديهم المقاطف والغلقان وصاحوا بـ محمد على والبرديسي
 واستغاثوا وبكوا من الجوع فلا طفهم البرديسي وأصبح وقد بعث بـ محمد على وخازن داره
 الى بولاق ومصر القديمة وأخرجوا جميع ما فيها من الغلال الى السواحل فاجتمع العالم الكثير
 من الرجال والنساء فامتاروا بحسب الحاجة واطمان الناس واشتري الخبازون وفتحوا المخازن
 وكثر الخير وشبع الفقراء فالت قلوب الرعية الى البرديسي وأحبوه * وأخذ البرديسي في بناء
 الحصون والقلاع بجهة الناصرية وعند داره المعروفة بدار حسن كاشف شركس وأنشأ
 البوابات الكبيرة بجهة قنطرة السباع والمزار المعروف بكعب الاحبار فداخل الناس من ذلك
 الشكوك وخالفهم الظنون فعدوا الى تعمير الدور التي خربتها الحوادث المتراكمة والخطوب
 المتتابة وضيّقوا الشوارع عما كانت عليه من السعة ولرحب وقد كانت الى ذلك الحين غاية
 في السعة والانتظام وتناسب البناء وحسن وضعه كما هي الآن با كبر شوارع القاهرة
 ومصر وأحدثوا فيها الدروب الكثيرة والدعائم البارزة والسباطات وغير ذلك مما أذهب
 رونقها وجعل أغلبها ظلاما حتى في رابعة النهار وزاد الحال وقلد أهل الانحطاط فعال بعضهم
 واهتموا بذلك اهتماما عظيما ونقل البرديسي جميع المدافع التي كانت بالازبكية بيت الباشا
 الى تلك الحصون والابرار وعززها بالذخيرة الكثيرة والمهمات وآلات الحرب كل هذا وعلى
 باشا الطرابلسي العامل على مصر من قبل دار السلطنة لا يتحرك من الاسكندرية ولا يأتي
 الى القاهرة وكانت كتبه لا تنقطع عن ابراهيم بيك والبرديسي مشحونة بالوعيد والتهديد
 ان لم يتركوا القاهرة ويرحلوا عنها الى الصعيد الاعلى حتى تأتي رسل دار السلطنة وبأمر
 السلطان بما يراه فلم يسمع له كلمة ولا تبع له اشارة وجعلوا يتصرفون في البلاد تصرف المالك
 المطلق فلما كان يوم الاربعاء أول شعبان سنة ثمان عشرة قدم الى مصر كاتب ديوان على باشا
 الطرابلسي ومعه مرسوم السلطان بالعفو عن جميع الامراء المصريين اجابة لطلب صدر
 الدولة وعلى باشا الطرابلسي وأن يقيموا بمصر والقاهرة ولكل أمير منهم فايت خمسة عشر كيسا
 وحلوان المحلول ثمان سنوات وان الاوسية والمضاف والبراني يضم الى جانب الخزينة وأن
 لا يكون التصرف في جميع الامور والاحكام الا اعلى باشا والوزنائجي وأما الجمارك

والمقاطعات فالكلمة فيها للدفتدار الذي يعين لذلك من قبل الدولة فلما قرئ هذا المرسوم بحضور المشايخ والعلماء والوجهاء أظهروا البشر والسرور وأطلق لذلك عدة مدافع وكتبوا الى علي باشا يشكرونه ويطلبون منه الحضور الى القاهرة ليتولى أمور البلاد ويدير أمر خروج الحاج قبيل فواته فسار علي باشا من الاسكندرية برا الى القاهرة وعبر الالقي بعسكره وكذلك بعض الامراء المصريين النيل الى انبابه وساروا منها الى مقربة من شلقان ونزلوا بها فلما كان الباشا على مقربة منها أيضا نزل ببعض المزارع هو ومن معه من طوائف الانكشارية وكانوا عدة كثيرة ممن خرج هارباً من مصر والقاهرة وكان يتبعه بالبحر نحو ستين سفينة تحمل أثقاله ومتاعه وأتباعه وبعض العسكر فخرج اليه الالقي بعسكره ومحمد علي سرچشمه وأحمد بيك وأتباعه ونصبوا خيامهم وأنزلوا أثقالهم على مقربة من معسكر الباشا فتكدر الباشا من ذلك وأرسل الى الالقي يقول كيف تقدمون علي ان تعسكروا بجندكم قبالة عسكرى وأنتم أتباع السلطان وأنا نائبه على هذه البلاد فأجابه الالقي هذه منزلتنا ومحط عسكرنا ولم نفعل الا ما وجب فاشتد غيظ الباشا وتقهقر بعسكره الى الوداء فانتقل محمد علي وأحمد بيك بعسكرهما الى ناحية النيل وعسكروا هناك وأظهر الالقي سوء النية والخفاء للباشا حتى قتلوا بعض أتباعه بشهد منه مما كاد يقتله غما قال بعض كتاب الاخبار وكان الحامل على ذلك أنه لما طال مكث علي باشا بمدينة الاسكندرية وقد أعبته الحيل في رد جراح الامراء المصريين واكرههم على الجلاء عن مصر الى الصعيد الاعلى ورأى ان لا بد من المسير الى القاهرة والالتقاء بهم ووقوع مالا تحمد عواقبه كاتب محمد علي سرچشمه وكبار الارنؤد وغيرهم من قبائل العرب ومشايخ البلاد يستميلهم ويعددهم ويعينهم ان قاموا بذلك ويحذرهم من الانضمام الى أولئك الامراء فنقل الارنؤد ذلك الى ابراهيم بيك والبرديسى وأطلعوهما على رسائل الباشا وانفقوا على ان يردوا عليه من كبار الارنؤد بالطاعة والرضوخ لأمره والقيام لنصرته اذا حضر الى القاهرة حتى اذا خرج الامراء للسلام عليه يكبسون عليهم هم وعسكره فيستأصلونهم والمؤبد بشلقان وقد سهلوا له الامر وهونوا عليه الصعب فراجت عليه حيلتهم وسار من الاسكندرية في عدة وافرة من العسكر وحضر الى الرحمانية وأعاد مخابرتهم واستوثق منهم فخصوه على سرعة الحضور الى شلقان فسار اليها فرحاً فلما صار على مقربة منها أمر فرتبوا المراكب التي كانت تسير معه بالنيل ووضعوا عليها المدافع وعللوا المناريس وحصنوا موقعهم فخرج اليه الالقي كما تقدم بن معه ونزل بخيامه أمام خيام الباشا وأرسل اليه بأن يتقهقر بعسكره الى الوداء حتى تستقر القاعدة بينهما علي أمر من الأمور فلم يجد الباشا بدا من ذلك وطلب الارنؤد والعربان الذين عاهدهم فلم يجد منهم أحداً فأكبر هذا الأمر وتأخر الى زفينة ونزل بها وبينما هو على هذا الحال من الحركة والانتقال اذ انحدر حسين بيك الفرنجى أحد الامراء المصريين بعسكره في بعض السفن بانيل حتى صاروا خلف سفن الباشا وأحاطوا

بهم وأطلقوا عليهم القنابل والبنادق وساقوهم الى القاهرة واستأسروهم ثم ذهبوا بهم الى
الجيزة وقد أعملوا السيف فيمن كان بها من الجنود وقبضوا على مقدمهم المدعو مصطفى
باشا وأخذوه أسيرا وأحاطوا بعسكره على باشا بناحية زقينة ومنعوا عنهم الواصل وكانوا اذا
خرج أحد من عسكره يريد الذهاب الى جهة قبضوا عليه وقتلوه فاشتد حزن الباشا
واضطرابه وأرسل الى الالفي من يكلمه في ذلك فأرسل اليه الالفي يقول لم نكن لنعلم بخبر
هذه الجيوش الخفية حولك وبسبب اجتماعها الا من أحب الناس اليك وأطوعهم
لكلمتك فلما رأينا من كثرة قومك وأسلمتك ومهماتك وآلات حربك قابلنا عمالك بمثل ما
عهدنا بالولاة اذا حضروا الينا الا أن يكون حضورهم في قسلة من الاتباع لا أن يأتوا في
جيش جرار وقد قيل لك ذلك لما صرت على نية المسير الينا فان شئت مسلمتنا فاصرف
عك هذه الافواص وأتساقى بطانتك لا غير على الرحب والسعة فقال لم يكن من أمر
هذه الجيوش سوى الخروج الى الافطار الجبازية مددا لشريف مكة وعونا له على قتال
الوهابيين فاذا وصلنا بهم الى قلعة الجبل واستراحوا جهزناهم بما يلزم وسيرنا بهم الى
الشريف فقيل له لم يبق في القلعة من الابنية بعد تخريب الفرنسيين لها ما هو أهل لسكنائك
ولذلك فقد أعددنا قصر العيني مقرا لك ولأتباعك وحاشيتك واصرف عك العسكر فيسيرون
الى بركة الحاج ويلبثون هناك حتى تتم احتياجاتهم ويسبرون الى الافطار الجبازية وتترددت
الرسل بينه وبين الالفي أباما ثم حضر من قبل الباشا عابدى بيك مقدم الانكشارية واجتمع
بالالفي وكله فاستماله الالفي لجاتهم ومناه بالاماني الطويلة وعاهده على الخذلان بالباشا
والانضمام اليهم بمن معه من الجنود وتحالفا على ذلك وتعاقدا فانصرف عابدى بيك ودبر
أمره مع أصحابه خلفوا له بين الطاعة وترك الباشا وشأنه فلما استوثق الالفي من عابدى بيك
وأصحابه أرسل يقول للباشا قد طال القال والقليل بيننا ولم نهتمد الى أمر من الامور فاما أن
تأتى الينا في بطانتك وحاشيتك على الرحب والسعة واما أن تبرزلقتالنا وضربوا للجواب
موعدا فلما لم يأت الجواب زحف الالفي بعسكره وزحف بقية الأمراء بعساكرهم على
معسكر الباشا وأحذقوا به من كل جانب فطلب الباشا عسكره ونادى فيهم بالخروج فلم
يتحركوا وتناقلوا فلما تحقق خذلانهم له ركب في خاصته وذهب الى الالفي وترك خيامه
وأثقاله فعند ذلك استقبله جميع الأمراء بالاعزاز وأنزلوه في نخبة أعدوها له على مقربة من
نخبة البرديسي وحضر اليه جميع أرباب الديوان ونقلوا جميع متاعه وأثقاله الى قصر العيني
وسبوا من كان معه من الجنود الى شرقية بلبليس ليسبوا منها الى الصالحية ثم انتقل جميع
الأمراء المصريين مع الباشا الى منية السرج وباتوا بها ليلتهم فلما كان منتصف الليل والناس
جميعا نيام خرج من خيام الباشا فارس على فرس يعدو بسرعة فصهلت عند خروجه الخيل
واضطرب من في المعسكر فركب جماعة من العسكر وثرأ كضوا خلفه فلم يلحقوه فسألوا الباشا
عنه فأنكر معرفته وقال لعله لص فتخوفوا منه وأخذتهم الطيرة فأجلسوا حول مضربه في ذلك

الآيلة عدة من المماليك بالأسلحة وأصبحوا وقد قبضوا على رجل على ظهر هجين من ناحية
 البسائين زعموا أنهم وجدوا معه كتابا من الباشا خطابا الى عثمان بيك حسن المقيم بجرجا
 يستقدمه الى القاهرة ليكون له عوناً على الامراء المصريين ويمنيه بالأمان الواسعة ويعهده
 بتولية ادارة البلاد فلما كان يوم الاربعاء ثاني عشر شوال من السنة أي سنة ثمان عشرة
 بخمسة الباشا دخل على رضوان أغا كتحدا البرديسي ومعه آخرون وجلسوا عنده فسألهم عن سبب
 حضورهم فقالوا أتيننا لنسألك فيما اذا كنا على صلح تام مع الامير اليوم أم لا قال بلى فقال كتحدا
 البرديسي هلا كتبت الى أحد قبل ذلك كتابة قال لا فقال لعلك كتبت الى الصعيد شيئاً قبل
 الآن قال لم يكن ذلك أبدا فأخرج له عند ذلك مكتوباً وناولوه اياه فلما رآه قال نعم هذا
 مما كتبناه بالاسكندرية قبل الصلح فقالوا انا وجدناه بالامس مع رسولك وتاريخه يدل على
 تحريره فتلجلج فقالوا له قم فقال الى أين قالوا الى غزة حيث لأمان لنا معك بعد ذلك
 ولم يعلوه لكلام بقوله أو لعذر يبيده وقدموا له فرسا وأركبوه عليه فرأى حوله عدة من الامراء
 على أهبة الذهاب معه فاضطرب جدا وقال ان صيبي هؤلاء فليكونوا على بعد مني في الحل
 والترحال فأجابوه الى ذلك وركب أتباعه على دواب الحل وساروا وهم في أسوأ حال وقد خجز
 البرديسي جميع أنقاله ومتاعه وذخيرته وأصبح يوم الخميس ثالث عشره فدخل الامراء والجند
 والعسكر من الارنؤد ومحمد على سرجشمه وجميع كبارهم وخلفهم الطبول والزمرور أما الأتقي
 فانه ركب على زفيته فضرب أهلها وأحرق البلد وعرج على أجهور فضربها كذلك وشرد
 من فيها وذهب الى نزلة غرب بلى بالجيزة فطرقهم بخفة وقتل منهم أناساً ونهب مواشيهم وخرب
 منازلهم وفعل كذلك بعدة بلاد أخرى لتحالفهم مع علي باشا على قتال المصريين وتأهبهم لنصرته
 وسار المعينون مع علي باشا فلم يصلوا على مقربة من القرين حتى مات حتف أنفه على ما قيل
 وقيل بل خنقه وقال بعض الكتاب وكان علي باشا المذكور سيئ الخلق طاغية عنيدا جبارا
 نفورا معجبا بنفسه كثير المظالم مستبدا برأيه فعل بأهل الاسكندرية من الجور والظلم والمصادرة
 مالا يكاد يدخل تحت الحصر وكان يقول لعسكره اني ان فتحت مصر ووطئت قدمي أرضها
 أبعثها لكم ثلاثا يفعلون بها ماتحبون وعاد الأتقي الصغير من قتاله لعرب الجيزة ومعه كثير من
 الغنائم ونزل بقصره الذي أنشأه بالجيزة وتفرقت عنه عساكره ولم يبق معه الا القليل مع أمير
 المدافع ثم جاء الخبر من حاكم مدينة رشيد بوصول الأتقي الكبير الذي كان قد سافر الى لندن
 عاصمة الانجليز كما سبقت الإشارة الى ذلك فلما علم ابراهيم بيك والبرديسي بخبر وصوله خافا منه
 وأيقنا بخيبة الامل لما له من الشهرة ونفوذ الكلمة فأضمر له السوء ودبرا أمورهما وكتماها
 وكتب البرديسي الى مملوكه يحيى بيك حاكم رشيد يأمره بقتل الأتقي بكل ما وصلت اليه
 حيلته وعبر هو النيل وعبر كذلك عدة من الامراء الى الجيزة ولبوا ليلتهم تلك بخيامهم
 وأظهروا أنهم يتأهبون للسفر في آخر الليل مع الأتقي الصغير للقاء الأتقي الكبير وعبر أيضا
 حسين بيك الوشاش الأتقي ونصب خيامه على مقربة من النيل فلما كان خامس ساعة

من تلك الليلة أرسلوا الى حسين بيك يطلبونه فحضر مع مماليكه وكانوا قد رتبوا جماعة منهم تأتي بخييل ومصابيح ومشاعل من طريق القصر الذي يسكنه الالقي الصغير فقالوا له أين خيمك فانا على أهبة الاسراء ليلا في هذا الوقت الى لقاء أخينا الالقي وها هو أخوك الالقي الصغير قد ركب وهو مقبل الينا فنظر فرأى المشاعل والخييل فلم يشك في صحة ذلك ولم يخطر بباله غدرهم له فأمر مماليكه أن يذهبوا وبأتوا بالخييل وبقي هو وحده ينتظر فرسه فخرج عليه نفر من الخباء وقتلوه بينهم وأرسلوا الى البرديسي بالخبر وكان محمد علي سرچشمه وأحمد بيك وبقية كبار الارنؤط قد عبروا الى الشاطئ الثاني من النيل وترفعوا ليلا وكمنوا ينتظرون الاشارة فلما علموا بالخبر زحفوا على قصر الالقي الصغير وأحاطوا به وقد ضموا اليهم مقدم أصحاب مدافع الالقي وأمير عسكره فعطل المدافع وأخذ محمد علي سرچشمه يدبر أمر احاطة القصر بطوائف الارنؤط الى آخر الليل فجاء الى الالقي من أبقظه من نومه وأعلمه بخبر قتل حسين بيك واحاطتهم بالقصر فتأهب للقتال وطلب أمير مدافعه فلم يجده وأعلموه بما فعل بالمدافع فركب فرسه وخرج وخرجت معه أتباعه ببعض المتاع والأموال فركب محمد علي سرچشمه وأحمد بيك ونفر من الارنؤط خلفه فلم يدركوه وقد اشتغل بقية العسكر بنهب القصر وأخذ جميع ما فيه من أثاث ومتاع وهجموا على بيت كاتبه المعلم غالي ونهبوه وكذلك نهبوا جميع دور أتباعه ومماليكه وأخذوا ما كان عند كاتبه المذکور من الاموال ثم نهبوا جميع دور الخيزة وفعّلوا بها ما فعلوه بدمياط من سبي النساء وفرض الإبكار وأصبح الناس في القاهرة وهم لا يعرفون شيئا مما وقع الا ما علموه من صياح نساء وجواري حسين بيك في داره ﷺ أما الالقي الكبير فانه لما وصل الى رشيد قابله حاكمها بغاية الابهة والاحتفال ولم يكن معه الا خاصة مماليكه وجوخداره تمة ستة عشر ولم يقم برشيد سوى ليلة ضيفا عند أحد التجار وأنزل أمتعته في سفن أربعة صغيرة وانتقل في آخر الليل الى دار قنصل الانجليز وأصبح فأهدى اليه القنصل حراقة لطيفة فنزل بها وسار الى مصر فعانده الريح وكان لما جاء الخبر بوصوله الى مدينة رشيد سير الالقي الصغير لحضوره ذهابية فأنحدرت من بولاق الى رشيد فلاقوه عند بلدة نادر بعد نصف الليل فلما أصبح نزل بالذهابية وسار الى منوف العلاء فأقام بها يوما ثم سار والريح تعاكسه الى وقت الظهيرة فلاقاه عدة من الارنؤط المرسلين لقتاله في أربع من السفن الصغيرة في مضيق التربة فسلم عليهم فردوا عليه السلام فسألهم بعض أتباعه الى أين ذاهبون قالوا نريد الالقي وقد تنابى الملاحون فعرف ملاحوا مركب الالقي ماجرى بمصر فأخبروا الالقي بالخبر فكذبه وقال هذا شيء لا يكون أبدا وقد تغرّبت وركبت الاخطار وقضيت سنة بين ظهراني الانجليز أعمل على تعزيز جانبهم واعلاء كلمتهم رغما عن مكائد رجال السلطنة ويعاملونني بهذا القبيح فلعلها حادثة وقعت بينهم وبين طوائف العسكر ولم تمض الا ساعة أو نحوها حتى قيل له ان طائفة من الارنؤط أدركوا الحراقة خلف ونهبوا ما بها من أثقال ومتاع فكاد يسقط في يده وتحقق الغدر وأنه مأخوذ

لا محالة فنزل بأحدى السفن الصغيرة ونزل معه مماليكه كافة وأخذوا بالمجازيف وهو يستكنهم حتى خرجوا من تلك الترعَة الى ظهر النيل ولم يسر الا قليلا حتى لاقته طائفة أخرى في سفينتين ومعهم أحد أتباع البرديسي فلم ينظروا سفينة الالقي أو نظروها ولم يعرفوه فجعل يجد في السير حتى وصل الى شبري الشهابية فنظر واذا بساع مقبل من مصر فطلبه وسأله فأعلمه أنه مرسل الى بيت سليمان كاشف البواب ليخبر بما جرى فعند ذلك تحقق الخبر ونزل الى البر وأمر بالسفينة فأغرقوها وسار في مماليكه على أقدامهم ولم يزالوا يجدون السير حتى وصلوا الى ناحية قرانفيل ودخل الى نجع عرب الحويطات والتجأ الى امرأة منهم فأجارته ولبت دعوته وأركبته فرسا وسيرت معه اثنين على الهجن الى ناحية الجبل فساروا الى الخانكاه ليلا ومماليكه خلفهم مشاة فلاقتهم طائفة من العربان فأحاطوا بهم فاشتغل الممالك بقتالهم فتركهم الالقي وسار مع أصحاب الهجن ومضى وقد سمع الجند القريبون منهم وفيهم البرديسي أصوات البنادق فأسرعوا اليهم وسألهم عن أستاذهم فقالوا قد كان معنا ثم تركنا وسار الى الجبل فأمر البرديسي جميع من كان معه من الجنود بأن يتفرقوا ويضبطوا جميع المسالك والطرق ومن أدركه منهم يقتله في الحال فذهبوا خلفه وتفرقوا في كل صوب وناحية فلم يعثر به أحد ولحق به جماعة العربان الذين قاتلوا مماليكه وأرادوا القبض عليه فنثر عليهم ما كان معه من الذهب والجواهر وألقى عنه فروته السمور فاشتغلوا عنه فتركهم وسار وغاب أمره فجعلوا يبحثون عليه وانتشرت طوائفهم في الجهات شرقا وغربا وتبعوا أقاربه وأتباعه ففر من فر وقبض على من قبض عليه وأدرك جماعة الارنؤد سفينته التي كانت تحمل متاعه وأثقاله وكان شيا يجل عن الوصف من أموال وطرائف الانجليز وجوخ وأسلحة وجواهر أهدها له ملك الانجليز وأكبر دولته ومبلغا من المال لمشتري غلال لخدمة ملك الانجليز ثم أغرقوا تلك السفن في النيل ❀ أما الالقي الصغير فانه سار من فوره الى الصعيد وفرد على البلاد الفرد والكف وطالبهم بها وشدد في الطلب فكان كل من عصاه أو توانى في الدفع نهبه وأحرق داره وشرذ عياله فكتب ابراهيم بيك والبرديسي لكافة الامراء والحكام بالاقاليم بالاهتمام في القبض عليه وفي البحث والتفتيش على الالقي الكبير فأخذوا الناس بالشبهات وكثر الوشاة على أبوابهم فقتلوا بسبب الهارين خلقا كثيرا وأخرجوا جماعة كثيرة على ظهور الخيل والهجن يتبعون أثر الالقي الكبير وكلهم من أصحاب البرديسي وخواصه الذين عليهم معتمده وأصبح البرديسي ولم يبق حوله من أصحابه الا التزر اليسير

(مطلب)

(قصة الارنؤد وظهور كلمة محمد على سر حشمة)

ولم تكن هذه الحوادث المتركة والاحن المتوالية لتشغل جماعة الارنؤد عن طلب جماكهم

المتأخرة وعلوفاتهم الموقوفة ولم يحل عندهم محلها ما نهبوه من متاع وأموال وغيره في خلال تلك
 الحوادث فضلا عما كانوا يخطفونه في كل يوم من المارة وأبناء السبيل فاجتمعوا يوما وذهبوا
 الى كبارهم في طلب الجناح فوجهوا بهم الى الامراء المصريين وطالبوهم ففرضوا لهم مائتي
 ألف ريال على اقباط مصر منها خمسون ألفا على المعلم غالى كاتب الالفي وثلاثون ألفا على
 تركة المعلم بقطر المحاسب كاتب البرديسي والمائة والعشرون موزعة عليهم فلم يكتفوا بذلك
 وتحزبوا فرقا وطافوا في الشوارع والطرق يخطفون ما بأيدي الناس ويغتصبون النساء
 بلا تحاش ولا خوف وقصدوا الصعود الى قلعة الجبل ليملكوها لكي يدمروا المدينة فلم يتمكنوا
 من ذلك واشتدت حركتهم وكثر تطوافهم فقتلوا ونهبوا وفعلا ما لاخير فيه يوما وليلة وأصبحوا
 فركب محمد علي سرجشمه ونادى بالامان وجمع اليه كبار العسكر وأعلمهم بأن الامراء مهمتون
 بصرف الجناح بواسطة تقرير فردة على الالهالي فأسكنوا هياج العسكر وقام المحروقي يجمع
 هذه الفردة وشرعوا في الاحصاء وفرضوها على العقار والاملاك اجرة سنة يقوم بدفع نصفها
 المستأجر والنصف الثاني يدفعه صاحب الملك وطاف لذلك الكتاب والمهندسون ومع كل
 طائفة منهم نفر من الجند فتزل بالناس ما لا يوصف من الغم مع ما هم فيه من القحط والغلاء
 فضجوا واستغاثوا وذهب جماعة من اصحاب الجباية الى باب الشعرية ودخلوا درب مصطفى
 نخرج اليهم الفقراء وصاحوا في وجوههم وسبوا ورجوا بالاجار وخرج النساء جماعات
 بصرخن ويولولن وبأيديهن دقوف وطبول يضربن عليها ويندن وينغنين ويقلن كلاما
 على الامراء مرتبا ويجهرن بقولهن « ايش تأخذ من تفليسى يابرديسى » وصبغن أيديهن
 بالنيلة فاقتدى بهن غيرهن وخرج الرجال ومعهم الطبول والبيارق وأغلقت الاسواق
 والوكائل وحضر الجمع الكثير الى الجامع الازهر فركب المشايخ معهم الى حيث الامراء
 وكلوهم في الامر ثم رجعوا وأمامهم المناداة بابطال تلك الفردة فسكن الحال ونجحت
 نار هذه الفتنة * قال صاحب عجائب الآثار وكانت هذه الفعلة من جملة الدسائس
 الشيطانية فان محمد علي لما حرش العساكر على محمد باشا خسرو وأزال دولته وأوقع به
 ما أوقع بمعونة طاهر باشا والارنؤوط ثم بالاتراك عليه حتى أوقع به أيضا وظهر أمر أحمد باشا
 وعرف أنه ان تم له الامر وقويت شوكة الاتراك لا يبقون عليه فعاجله وأزاله بمعونة الامراء
 المصريين واستقر معهم حتى أوقع باشتراكهم قتل الدفتر دار والكتخدا ثم محاربة محمد
 باشا بدمياط حتى أخذوه أسيرا ثم التحيل على علي باشا الطرابلسي حتى أوقعه في فخهم
 وأنزلوه وقتلوه ونهبوه كل ذلك وهو يظهر المصافاة والمصادقة للمصريين وخصوصا للبرديسي
 فانه تأخى معه وجرح كل منهما نفسه ولحق من دم الآخر قال واغتر به البرديسي وراحت
 سوقه عليه وصدقته وتعاضد به واصطفاه دون خشداشيدنه وتحصن بعساكره وأقامهم حوله
 في الابراج وفعل بمعونتهم ما فعله بالالقي واتباعه وشردهم وقص جناحه بيده وشرد البواقى
 وفرقهم في النواحي في طلبهم فعند ذلك استقلوهم في أعينهم وزالت هيبتهم من قلوبهم وعلوا

خيانتهم وسفوها رأيهم واستضعفوا جانبهم وشمخوا عليهم وفتحوا باب الشر بطلب العلوفة مع الاجام خوفا من قيام أهل البلد معهم ولعلمهم بميلهم الباطني اليهم فاضطروهم الى عمل هذه الفردة ونسب فعلها الى البرديسي فثارت العامة وحصل ما حصل وعند ذلك تبرأ محمد علي من ذلك وساعدوهم في دفعهم عنهم فالت قلوبهم اليهم ونسوا قبائحهم وابتلوا الى الله في ازالة الامراء وكرهوهم وجهروا بالدعاء عليهم وتحقق العسكر منهم ذلك قال وانحرف الامراء على الرعية باطنا بل أظهر البرديسي الغيظ والانحراف من أهل مصر وخرج من بيته مغضبا الى جهة مصر القديمة وهو يلعن أهل مصر ويقول لا بد من تقريرها عليهم ثلاث سنوات وأفعل بهم وأفعل حيث لم يمتثلوا لأوامرنا هـ

ورأى البرديسي من خروج أهل البلد والتهاب نار الفتنة ما أذهله وأخافه ومن عبث الارنؤوط وتناول أيديهم الى النهب والسلب ونخطف النساء والصبيان والمطالبة بالجماكي المتأخرة وعدم الوقوف عند حد مع الاستخفاف بأمره ما أذهب صبره وضاق معه صدره فاجتمع بالامراء واشتوروا ثم أخذوا يدبرون على العسكر فأرسلوا الى أصحابهم المتفرقين في الجهات القبلية والبحرية يطلبونهم للحضور فأرسلوا الى حسين بيك الوالي ورستم بيك من الشرقية واسماعيل بيك ومحمد بيك المنفوخ لبأيتا من شرق اطفح وقد كانوا جميعا يرصدون الالقي ويتظرونه واستقدموا حاكم الصعيد بمن حوله من الكشاف والامراء وحاكم رشيد وحاكم دمياط وأصعدوا محمد باشا المسجون الذي سبق الكلام عنه الى قلعة الجبل فأحس جماعة الارنؤوط بما وراء ذلك فبادروا واجتمعوا بالازبكية في يوم الاحد ثامن عشرينه ثم ذهب جمع منهم الى ابراهيم بيك واحتاطوا ببيته بالداودية وكذلك بيت البرديسي بالناصرية وتفرقوا حول بيوت باقي الامراء والكشاف وغيرهم وكان ذلك وقت العصر فلما علم البرديسي باحاطة الارنؤوط لداره رتب أموره وأخذ معه أمواله وركب في خاصته على الهجن وذهب الى ناحية مصر القديمة وكان الارنؤوط قد نقبوا نقبا من حائط الجنيينة التي خلف داره ودخلوا منه الى الدار فوجدوا البرديسي قد خرج بمن معه من المماليك وبعض الجند والاتباع فقاتلوا من وجده ونهبوا ما في الدار من فرش ومتاع وخرجوا فقاتلوا وأفسدوا وقتلوا وسبوا وقاتلوا أيديهم أيضا الى بيوت الناس على اختلاف طبقاتهم واشتدت الفتنة وكثر صياح النساء وبكاء الاطفال فتحص الناس في البيوت ورموا بالاجار من الشبابيك الى أن خيم ظلام الليل * فلما كانت الساعة السابعة من الليل أرسل محمد علي سريشمة طائفة من الارنؤوط الى قاضي القضاة ومعهم مرسوم السلطان بولاية أحمد خورشيد باشا حاكم الاسكندرية على ديار مصر ورسم للقاضي أن يجمع المشايخ والعلماء في الصباح ليتلى عليهم ذلك المرسوم فاستغرب القاضي ذلك وامتنع من جمع العلماء والمشايخ نظرا لاشتداد الفتنة وقطواف جماعة الارنؤوط بالشوارع والطرفات وقتلهم لكل من وقع في أيديهم وأصبحوا وقد اشتدت الحركة وكثر الرمي بالبنادق على بيوت الامراء فهرب الكثير منهم

وخرجوا على وجوههم وعلم ابراهيم بيك الكبير بخروج البرديسي في مماليكه وأتباعه فخرج هو كذلك فيمن بقي من مماليكه وأتباعه ولم يزل سائرا حتى خرج الى الرميصة وقدهدم في طريقه أربعة متاريس وأصيب بعض مماليكه وخيله وأتباعه وأصيب كذلك كتحذاه فبات عند باب العزب * وكان بعض الامراء المصريين قد تعوقوا بقلعة الجبل فتحصنوا بها ووجهوا أفواه المدافع نحو مواقع وبيوت الارنؤوط وتابعوا الرمي بالقنابل عليها وعلى ناحية الازبكية وظلوا على هذا الحال الى الضحوة الكبرى فجاءهم الخبر بفرار ابراهيم بيك والبرديسي ومن أمكنه الفرار من بقية الامراء فركنوا هم كذلك الى الفرار وهموا بأخذ محمد باشا وعلى قبطان باشا وابراهيم باشا الذين كانوا في حبوس القلعة السابق الكلام عليهم فلم تمكنهم العساكر المغاربة من ذلك فلما نزلوا من باب الجبل قام المغاربة ونهبوا ما في دار الضرب وعاثوا في القلعة فأخذوا ما في المخازن السلطانية وغيرها ثم صعد محمد على سرچشمه اليها في نفر من الارنؤوط وتسلمها من غير ممانع وابث بها برهة ثم نزل منها وقد أنزل معه محمد خسرو باشا الذي كان معتقلا وأمامهم المناداة بالامان والاطمئنان وشاع خبر خروج محمد باشا خسرو من معقله ورجوعه الى مسند الولاية على مصر فخرج الاعيان والمشايخ للقائه وذهبوا الى بيت محمد على سرچشمه لينهوه فقابلهم ولطفهم فكانت مدة حبسه ثمانية أشهر كاملة حيث جاء الى مصر بعد أسره في دمياط في آخر ربيع الاول وكان خروجه على يدى محمد على سرچشمه في آخر يوم من ذى القعدة وظن محمد خسرو باشا أن قد أقبلت عليه السعادة بعد اديارها فجعل يتصرف في الامور ويعمل على تسكين خواطر الارنؤوط ويشير على محمد على بعمل ما يشاء عليه وهو فرح مسرور * فلما كانت ليلة الاربعاء ثاني المحرم افتتح سنة تسع عشرة لم يشعر محمد خسرو باشا الاوقد دخل عليه جماعة من الارنؤوط وقبضوا عليه وقبض جماعة أخرى على ابراهيم باشا ونزلوا بهما الى بولاق القاهرة وأنزلوهما في احدى السفن وأحاطوهما بالسيموف والبنادق فانزعج خسرو باشا وقال الى أين يا قوم وقد صرت في ذمة محمد على وأمانه فقالوا الى حيث يشاء الله فسقط في يده وكانت ولايته في هذه المرة أشبه بولاية أحمد باشا الذي تولى بعد موت طاهر باشا يوما ونصف يوم * قال بعض الكتاب وكان السبب في تبعيد خسرو باشا على هذه الصورة بغض اخوة طاهر باشا اليه وحقدهم عليه فخشي محمد على عاقبة بقائه وأسرع في تبعيده عن الديار المصرية فسكنت بتبعيده الفتنة وعادت الامور الى سابق مجراها وصعد عابدى بيك أخو طاهر باشا الى قلعة الجبل واستقر بها في جمع كثير من الارنؤوط ووردت الاخبار بمقدم أحمد خورشيد باشا وولايته على مصر فتاب محمد على للقائه وبانغ في ذلك حتى وصل الى القاهرة ودخل في الموكب المعتاد ونزل بالدار التي أعدت له بالداودية فلم يقيم بها سوى يومين وانتقل منها الى دار محمد على بالازبكية ولم يكد يستقر به المنصب حتى شاع الخبر بظهور الالني الكبير وقد كان مختفيا بشرقية بلبيس برأس الوادى عند شخص من العربان اسمه عشيبة فلم يزل عنده حتى زالت دولة البرديسي وتلاشت

مطلب

اخراج محمد خسرو باشا من
معقله وتوليته الامارة على
مصر بمعونة محمد على
سرچشمه

مطلب

تبعيد محمد خسرو باشا
وولاية أحمد خورشيد باشا

كلنه وتفرق أصحابه وانجلى الطرق من العيون والارصاد التي كانت تتبع الالتي فركب في عدة من الهجاة ومروا من خلف الجبل وسار الى شرق اطفح وزل عند قبيلة المعازة فلما علم محمد علي بحجره خافه وتطير منه وسير خلفه طائفة من الارنؤوط وعلم جميع الامراء الهاربين بظهور الالتي فجاءوا اليه واجتمعوا عليه عند الجيزة واجتمع اليهم العدد الكثير من عربان الهنادى والمماليك وقتلوا من خرج اليهم من الارنؤوط فهزموهم شرهزيمة وكاد يستفعل أمرهم فركب عليهم محمد علي في جماعة كثيرة وقتلهم وأجلاهم عن الجيزة وقتل من العربان خلقا وشرّد من بقي منهم وقد قتل وجرح كذلك من عسكر محمد علي فترفع الامراء الى الصعيد وعاد محمد علي ظافرا فلم تكن الا أيام حتى عادوا الى الجيزة وعاثوا فيها وأهلكوا الحرث والنسل وانتشروا بها انتشار الحراد ونزلوا على انبابة وضربوا أهلها ونهبوا ما عندهم فخرجوا هائمين على وجوههم وعبروا النيل الى مصر والقاهرة فأخذ محمد علي في جمع عساكره وعبروا النيل الى انبابة وعسكروا على مقربة منها وعملوا خندقا ومنتاريس فزحف عليهم الامراء والعربان وهجموا على المنتاريس هجمات متتابعة ووقعت بين الفريقين مقتلة عظيمة أبلى فيها الفريقان نحو نصف النهار ثم انجلى الحرب بينهم وترفع الامراء والعربان ولم يبلغوا من العساكر وقد قتل من الامراء عدة كثيرة ولم تكن الا أيام قليلة حتى عادوا ووصل فريق منهم الى قبة باب النصر والعدلية من خلف الجبل وجعلوا يغدون ويروحون خلف باب النصر من خارج وباب القديح والشيخ قر والدمرداش ونهبوا الوايلي وجبجج ما جاوره ودخلوا الدور وأخذوا ما فيها فخرج أهل تلك الجهات على وجوههم ودخلوا الى القاهرة فرسم الباشا الى محمد علي بالخروج في عسكره فخرجوا من باب النصر وعملوا المنتاريس عند الباب المذكور فتفرق العربان والامراء في اقليم الشرقية والقلوبية وسار منهم طائفة الى بلبس فحاصروا بها كاشف الشرقية يومين ثم دخلوها عنوة وقتلوا ونهبوا وقبضوا على الكاشف واثنين من بكار العسكر ثم حاصروا كاشف القلوبية وأخذوا أحواله ومتاعه وتركوه بعد قتال فهرب بمن بقي معه الى القاهرة وطلبوا مشايخ البلاد وألزموهم بالكف وفردوا على القرى الفرد الشافة وقبضوا بطلبها جماعة العربان فكان كل من استعظم الأمر أو عصى حاربوا قريته ونهبوها وسبوا نساءها وقتلوا أهلها وأحرقوا أجزائها فاشتد الكرب وعظم الخطب وسار محمد علي بعسكره خلفهم فوقع بينه وبينهم وقائع وحروب مات فيها خلق من الفريقين ونزل من بقلعة الجبل من الارنؤوط للقتال فصعد اليها أجد خورشيد باشا والى وسكن فيها بخدمة وأتباعه وأخذ يتصرف في الأمور ويقرر الكف والأموال على البلاد فضرب على أهل مصر والقاهرة خمسة آلاف كيس نقرة منها على أعيان القبط وعظمائهم ألف وخمسمائة وجملة أخرى على الملتزمين وثمانمائة كيس على بقية نساء الامراء المصريين الأحياء منهم والاموات فضج الناس وطلبوا التخفيف فلم ينالوه وطاف المعينون على بيوت نساء الامراء يجمعون المقرر فكان اذا تأخرت احداهن أو طلبت المهلة أياما لازموا بابها وطلبوها عما يأكلون وبما يشربون وما يفرشون لجلوهم

وقومهم فلا يسعها الا السعي والخلاص على أى حال كان ومع ما جمعه أحد باشا من هذه الأموال الطائلة والمغرم الفادحة فانه لم يلتفت لشكوى طوائف الأرئوط من تأخير صرف جبا كيمهم ولم يعطهم منها شيأ فذهب فريق منهم الى محمد على وأحد بيك وبنكاهم وشكوا اليهم فكلهم محمد على أحد باشا في أمرهم فلم يصغ لقوله وطال الحال عليهم وهم لا ينكشفون عن الشكوى فلما كان أحد الايام جاء منهم جماعة الى القاهرة يطالبون بما لهم وتربص آخرون بنواحي بهتيم وبلقوس ومسطرد بعد أن أخرجوا أهلها منها ونهبوا ما فيها من ماشية وغلال وغيرها وترسوا فيها ونصبوا خيامهم على أسطحة دورها وعملوا بعض المتاريس خارجها ونصبوا عليها ما كان معهم من المدافع وكان اذا مر أحد رموا عليه بالبنادق فلم يجسر أحد من العسكر على الدنو منهم وسعت بينهم وبين أحد باشا رسل الصلح فوعدهم بصرف جميع ما تأخر لهم فقالوا لا تنفك عما نحن فيه حتى تأتونا بالمال هنا فأصبحوا وقد أرسل الباشا أوراقا الى أرباب الحرف والصنائع سموها تشاييه بطلب غرامة قدرها خمسمائة كيس وطاف المكلفون بجمعها في الاخطاط فضج الناس وتحزبوا وصاحوا في وجوه أصحاب الجباية واجتمع الجمع الكثير منهم وساروا الى الجامع الازهر فقبعتهم الغوغاء والصبيان وهم في ضجة عظيمة وأمامهم الطبول وشكوا أمرهم للشايخ وقالوا قد بلغت الروح التراقي فلاطفهم المشايخ فلم ينكفوا عما هم عليه وصعد جماعة على منارات المساجد وصاروا يصرخون ويسبون وينادون بالويل والثبور على الباشا وأعوانه * قال صاحب عجائب الآثار وتحلقوا بمقصورة الجامع يدعون ويضرعون ويضجون «يا لطيف» وأغلقوا جميع الاسواق والخوانيت ووصل الخبر الى الباشا وسمع صياحهم وضجيجهم من قلعة الجبل فأرسل يقول الى السيد عمر النقيب قد رفعنا الفردة عن الفقراء فبلغهم ذلك فأرسل يقول ان الجميع فقراء أو ما كفى ما هم فيه من القحط والغلاء والوباء وعدم الامن على الاعراض والارواح حتى تطالبوهم بجوامك عسكركم فأمر الباشا الأغا فنزل ومعه عدة من العسكر وجلس بالغورية وهو يأمر الناس بفتح الخوانيت وبتوعد من يتخلف فلم يلتفتوا لقوله وكان كما شدت معهم في القول صاحوا في وجهه وضجوا وابتلوا الى الله وما زالوا على هذا الحال حتى جاء رسول من عند الباشا ومعه مرسوم بإبطال تلك الفردة وكف المعينين عن طلبها فسكنت عند ذلك الفتنة وتفرقت تلك الاحزاب وأصبحوا وقد فتحوا الخوانيت فعاد طوائف الأرئوط الى المطالبة بجبا كيمهم وأكثروا من العبث في المدينة وقطع من كان منهم مخيما ببلقوس الطرق على المارة ومنعوا السفن فسير الباشا جماعة من العساكر المصرية لقتالهم فلم يبلغوا منهم مأربا وانحاز المصريون الى ناحية شلفان بن معهم من الجرحى والموتى فكانوا كثيرين جدا وأخرج في هذه الواقعة عابدى بيك أخى طاهر باشا اه

وبينما كانت طوائف الأرئوط تطالب بالتأخر من جبا كيمها وعساكرها كان الأمراء المصريون ومن معهم يحاولون الدنو من مصر والقاهرة ويقبضون على من يصادفونه من الجند

والرعية ويسلبون المارة ووصلت بعض طلائعهم من عربان وممالك الى خارج باب النصر وظاهر الحسينية وناحية الزاوية الجراء وجزيرة بدران جهة الحلي وعانوا في تلك النواحي وحالوا بين من خرج من عسكر الباشا لقتال الارنؤط وبين معسكرهم وظفروا بهم ونالوا منهم وأخذوا جميع ما كان معهم من مؤنة وسلاح وذخيرة وجاء الخبر بذلك الى الباشا فنزل من قلعة الجبل ومعه الجمع الكثير من الجند وسار الى بولاق ثم الى الزاوية الجراء وأمر بأبواب المدينة فأغلقت وقاتل من وجده منهم فلم يظفر فرجع على غير طائل وقد ترفع المصريون الى مشتهر وبنها العسل ومعهم المنهوبات من متاع وماشية وغير ذلك وخرج خلفهم محمد علي سرجشمه وحسن بيك حتى وصلوا الى قليوب فلم يظفروا بهم ورجعوا على أعقابهم الى القاهرة وأرسل في هذا الحين الأتني الكبير الى الباشا يطلب منه الاجازة بحضوره الى مصر وأنه على ما يعهده فيه من الاخلاص والولاء فأبى عليه ذلك وأرسل اليه يقول ان كنت على ما عهدناه فيك من الولاء فالزم مقررك بجزا التي قد أقطعناها اليك ولا تقدم الى القاهرة في هذا الحين حتى نستقدمك عند الحاجة فلم يذعن الأتني لقوله وزحف هو وعثمان بيك حسن ومن معهما من الممالك والاتباع وبعض الجند والكشاف فوصل الأتني الى بني سويف ووصل عثمان بيك قبائله بالجانب الشرقي من النيل وأرسل الأتني عند وصوله خطابا الى المشايخ يقول قد حافظنا على ولائنا واستسكننا بعزوة الاخلاص الوثقي ولازمنا ما أقطعنا اياه الباشا من البلاد ولم نتعدها الى الآن أما وقد مس نساءنا الضر وأصبحت ذرارينا عرضة للتشريد بما ضرب عليهم من المغارم والكلف فلم نربدا من الانحدار الى القاهرة رغما عن كل ممانع حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا فلما وصل الخطاب الى المشايخ خافوا من كتمانهم وأطلعوا الباشا عليه وسألوه الاجازة لالاتني فأباهما عليه وقال قد كان نساؤهم بين ظهرانينا كما كانوا بين ظهرائي الفرنسيين وقد صادروهن وهم أعداء الدين واليوم هن معنا في قرار مكين لا خوف عليهن ولا تضيق فان عاد الأتني ومن معه الى مقرهم سعيينا في اصلاح شأنهم وأرجعناهم الى عيالهم والاشردناهم وعملنا على قطع شأنهم فانصرف المشايخ وأمر الباشا محمد علي سرجشمه فخرج بعسكره الى ناحية الامام الليث وحفروا هناك خندقا وعملوا متاريس وبالغوا في احكامها وترتيبها وأكثروا من اخراج الاسلحة وآلات الحرب وكان العدو أمامهم وقد سد على مصر والقاهرة من الجانبين القبلي والبحري فكان أصحاب ابراهيم بيك والبرديسي وطوائف الارنؤط يعيشون في البلاد من شلقان الى جوف الشرقية والغربية والمنوفية وجماعة الاتني يعيشون فيها من الصعيد الأعلى الى البحيزة وما جاورها فعمت الفوضى وارتفع الأمن وخيفت المسالك وكثر القتل والنهب في الليل والنهار وانضم الجمع الكثير من طوائف الارنؤط الى الامراء المصريين فنقوت بهم عزائمهم وتناولت أيديهم الى كل فساد وشر ووصل ايضا الاتني الصغير بطوائفه الى انبابه وأراد الزحف على المدينة فأطلق عساكر محمد علي عليهم المدافع من بولاق القاهرة ومراكب البحر ومنعتهم من الدخول

من المدينة واشتدت الأزمة واستحكمت على من بمصر والقاهرة حلقاتها وكثر تطير الباشا وأخذ للناس بالشبهات فأكثر من الحبس والقتل بأضعف الاسباب حتى كادت تزول هيئته وتضعف كلمته وانتقل محمد علي بعسكره الى بلدة طنط جبهة براشيم التين وخلفه ببولاق حسن بيك وعسكره فوقع بين محمد علي والامراء المصريين مقتلة عظيمة انجلت عن هزيمة المصريين فترفعوا بعد الهزيمة عن براشيم التين فتبعهم بعساكره فترفعوا فعسكر قجاء البراشيم ولبت أياما ثم انحدر منها الى القرافة بمصر ونزل على مقام عقبة بن عامر الجهني وقاتل من كان بتلك الجهة من أصحاب الالفي الكبير والصغير وأجلاهم عنها فساروا الى طرا ونحصنوا بها وكافوا قد أخذوا برجها وتمكنوا مما حوله فكاتبهم محمد علي وطلب صلحهم وخذعهم وأظهر لهم عجزه عن قتالهم فاغرتوا وأبوا الا القتال فأقى محمد علي ليلا الى الباشا وأخذ منه فدرا من المال ورجع الى أصحابه فأنفق عليهم فتقوت عزيمتهم فلما كانت الساعة الخامسة من تلك الليلة ركب محمد علي في نحو أربعة آلاف مابين فارس وراجل وساروا حتى اقتربوا من حرس العدو في آخر السادسة فترجلوا وقسموا أنفسهم الى ثلاث طوائف طائفة سارت نحو الدير وطائفة سارت نحو المتاريس والثالثة نحو الخيل وقد كان صالح بيك الالفي الصغير ومن معه في سنة من النوم فلم يشعروا إلا وقد صدموهم صدمة شديدة فاستيقظ القوم وبادروا الى الهرب والنجاة فأخذ أصحاب محمد علي الدير وملكوا الابراج وكان بها العساكر العثمانية وقد أشرفوا على الاستمئان والتسليم وغنموا ما وجدوه من أسلحة وخيل وهجن ومتاع وكان شيا كثيرا وعاد محمد علي عند بزوغ الفجر بعساكره ومعه خمس رؤس وصعد الى قلعة الجبل بالرؤس نفلع عليه الباشا فروع سمور وعلقوا تلك الرؤس على سبيل الرميعة فلم تكن الأيام حتى عاد الالفي يشن الغارة على طرا وأبراجها وكذلك عاد ابراهيم بيك والبرديسي وعسكرهما يشنون الغارة على قليوب وبها وضواحي القاهرة جميعها ﴿ فلما كان يوم الاحد عاشر ربيع الثاني خرج محمد علي بعسكره وكذلك خرج عابدي بيك وحسن بيك الى شبرا وقاتلوا حسين بيك المعروف بالافرنجي قتالا عنيفا وثاروا على رعى القنابل الى ضحوة النهار ثم التحم الفريقان واشتد الجلاذ بينهما الى ما بعد نصف النهار وصبر الفريقان وقتل بينهما خلق كثير من الارنوط وطوائف المماليك وأكابر العسكر ثم انحاز كل الى معسكره وبعد هجعة من الليل اجتمع العسكر من طوائف الانكشارية والارنوط وغيرهم وزحفوا على متاريس حسين بيك الافرنجي وكبسوها وكان بها حسين بيك وعلي بيك أيوب وعدد كثير من الجند والمماليك ولم يملأوهاهم حتى زحفوا على بقية المتاريس فملكوا منها متاريس شلقان وبسوس وانهمزم المصريون وارتحلوا الى الخانكاه وأبى زعبل ثم عادوا فجمعوا من تشرّد منهم وساروا من خلف المقطم الى الصعيد

وبعد أيام من وقوع هذه الحوادث سافر أخو طاهر باشا الى الديار الرومية وشاع الخبر بارتحال محمد علي سر جسمه كذلك فتطير الناس من ذلك وأعقب هذه الاشاعة عبث العسكر

بالاهالى وتطوافهم فى الاسواق يخطفون مايشأون من السوقة وأصحاب الخوانيت فضلا عن النساء وغيرهم فلما كان ثمانى يوم مرت محمد على وخلفه عدة كبيرة من العسكر وهو ماش على أقدامه وأمامه المناداة بالأمان وعود الأمور الى سابق مجراها فلم تطمئن قلوب الرعية بل زادوا فى التحذر وكذلك تحذر طوائف الانكشارية لتعدى جماعة الارنؤط عليهم وقتل بعضهم البعض فى الطرق والشوارع وفى وسط الاسواق جهارا ثم برز محمد على بعد أيام بعسكره الى ناحية البساتين ولبث بها أياما والمناداة فى كل يوم فى جميع العسكر بالخروج والاستعداد لقتال الامراء المصريين * فلما كان يوم السبت رابع عشر شعبان سار محمد على بعسكره الى الصعيد وسار آخرون أيضا الى الاقاليم البحرية فالتقى محمد على بالالى الكبير ولمومه عند منية ابن خصيب فوقع بينهما القتال وانتشبت الحرب وطالت أيامها فى البر والبحر وطلب محمد على المدد من الباشا فأمدّه وسير اليه كثيرا من الاسلحة ومعدات القتال والمؤنة وانتشرت عساكر الامراء المصريين حتى وصلت الى زاوية المصلوب وحاصروا من كانوا فى بوش والفشن وبني سويف وكذلك من بالفيوم ووصلت مقدماتهم الى ناحية الجزيرة وطلبوا من أهالى تلك البلاد الكف وضربوا عليهم المغارم كما دتّم وجبواها وأخذوا ما وجدوه فيها من غلال وغيره فعبّر كخدا الباشا النيل الى الجزيرة وحصن حدودها وعمل فيها المناريس والخنادق ورتب بها الجند المرابطين وبعد قتال عنيف بين الالى ومحمد على أياما كثيرة ارتحل الالى عن منية ابن خصيب وترفع فدخلها محمد على بعسكره فلم يجد فيها شيئا لامن الذخيرة ولا من المؤنة فاستقر بها حتى يأتيه أمر الباشا وطال القتال وقوتلت مصر والقاهرة من جميع الجهات واشتد الكرب وعم الهول والخطب فشكا الباشا أمره الى الباب العالى وطلب منه المدد فأمدّه بطائفة من الدلاة فدخلت الى القاهرة من العادلية فى سابع عشر ذى الحجة ختام سنة تسع عشرة ومائتين وألف وستم فى عدة وافرة ومعهم مقدم اسمه ابن كور عبد الله فأنزلهم ناحية القسطنطينية والامار وناحية البساتين واهتم الباشا بأمرهم فرتب لهم الجساكى الكثيرة والعلوفات الزائدة وبالغ فى تنظيم أمورهم وأكثر لهم من الاسلحة والكراع وجعل ينظر لكل طائفة من الارنؤط والانكشارية وغيرهم دونهم فى الاهمية والاهتمام فلما علم محمد على وحسن باشا وهما فى منية ابن خصيب بخبر حضور أولئك الدلاة الى القاهرة واهتمام الباشا بأمرهم وركونه اليهم دون بقية الجند وتقرب كبيرهم منه ووثوقه به تطيرا من ذلك وأدركا ما خفى من نوايا الباشا وخشيا العاقبة فانسحبا بعسكرهما من منية ابن خصيب ورجعا الى القاهرة فأغضب الباشا رجوعهما وجمع اليه المشايخ والوجاقلية وأرباب الديوان وكلهم فى أمر رجوع محمد على وحسن باشا بغير اذن وتركهما القتال وقال انهما لم يرجعا الا لأمرين أو لثلاثة فاما أن يرجعا لقتال الاعداء وإما أن يرجعا الى بلادهما قال وقد أتاني كتاب بخط السلطان يفوض الىّ فيه أن أولى من أشاء وأعزل من أشاء وأعطي وأمنع من أشاء فالمصلحة فى أن تبقوا عندي مع كبار الوجاقلية حتى نرى ما يكون من وراء ذلك ثم رسم

بمخرج العسكر الدلاة المذكورين فخرجوا الى طرا والجيزة ومعهم بعض الانكشارية والارنؤط ومعهم المدافع وآلات الحرب والذخرة والمؤنة فلم يكن بأسرع من أن نزل محمد علي وحسن باشا بعسكرهما الى طرا فلم يجسر الدلاة على ردهم ولبنوا بطرا أياما ثم صاروا يدخلون المدينة خفية حتى تكامل دخولهم ودخل كذلك محمد علي وحسن باشا ونزلا في بيوتهما فازعج دخولهما الباشا وأغضبه جدا ومنع المشايخ والوجاقلية من الذهاب الى محمد علي فقامت من هذا الحين الوحشة بين الباشا ومحمد علي وظهرت على كل منهما دلائل الانقباض وتحذركل من صاحبه فأخذ محمد علي في التدبير على أحمد باشا وخلعه من الولاية وكذلك بدأت الوحشة بين جماعة الارنؤط والدلاة والانكشارية فكانوا على طرفي نقيض وكانت لاتمر ساعة من النهار الا ويقع التشاحن بين أفرادهم في الحوارى والطرقات وزاد بهم الحبل الى حد القتل وتعدى فعلهم هذا الى المارة وأبناء السبيل وازدجت طرق مصر والقاهرة باخلاطهم وعاث الدلاة بمصر الفدعة فأخرجوا أهلها من دورهم وسكنوها بما فيها من أثاث ومتاع فخرج أهل مصر رجلا ونساء وجاؤا الى الازهر وصاحوا على المشايخ واستغاثوا فكلهم المشايخ الباشا في ذلك فرسم بمخرج الدلاة على الفور وكتب مرسوما بذلك فلم يسمعوا قوله ولا أعاروه جانب الاعتبار فخطب الباشا ثانيا فلم يأت شيئا فاجتمع العدد العديد من الصبيان الصغار وطافوا يصيحون في الاسواق ويأمرون الناس بغلق الخوانيت ويستصرخونهم فقام الناس على ساق وقدم ووصل الخبر بقيامهم الى الباشا فأرسل كتبه الى الجامع الازهر فلم يجد به أحدا من المشايخ فسار الى بيت الشيخ الشرفاوى فرأى من تراحم العامة وتطوافهم بالشوارع والطرقات ما أزعجه فرجع فرجه الصبيان بالاجار وسبوه ولعنوه وبقيت الحال كذلك الى يوم الجمعة عاشر صفر

(مطلب)

(ولاية محمد علي على جدة وتوجيه رتبة الباشوية اليه وما جرى بسبب ذلك من الحوادث والمحن)

واتفق أن قدم في هذا الحين قاصد من دار السلطنة ومعه تقليد لمحمد علي بولاية جدة فاستدعى الى قلعة الجبل ليتسلم التقليد فأبى وتأخر فترددت الرسل بينه وبين الباشا ومحمد علي يشدد في الامتناع وكأنه كان يخشى صعوده الى قلعة الجبل أو هو يكره الولاية على جدة ولا يرضاه وبعد أخذ ورد وقع الاتفاق على أن ينزل أحمد باشا من القلعة الى بيت سعيد أغا ويخلع على محمد علي خالعة التقليد هناك فكان نزوله في ذلك اليوم الذي قام فيه العامة فلما مر بين صفوف الغوغاء وزحام العامة صاحوا في وجهه وقالوا « ما يحل لك يا باشا » فهاله أمرهم وأسرع بالدخول الى بيت سعيد أغا وحضر محمد علي وحسن باشا وعابدى بيك فقرأ عليهم فرمان التقليد وقد خطب فيه « بمحمد علي باشا » ثم قام أحمد

باشا وخلع عليه خلعة التقليد وهى فروة وقاووق فلبسهما وركب يريد الانصراف فثار عليه
العساكر وطالبوه بالجماكي والعلوفة فأحالهم على أحمد باشا وسار الى داره بالازبكية وخلفه
بعض خواصه وجاعة من أتباعه فكان ينثر قطع الذهب ودرهم الفضة بطول الطريق ووقف
العسكر لأحمد باشا ومنعوه من الركوب فلاطفهم حسن باشا ومناهم ولم يتمكن أحمد باشا
من الصعود الى قلعة الجبل الا بعد منتصف الليل وظلت الحوانيت والاسواق مقفلة والصبيان
لا ينكفون عن الصياح فى الشوارع والطرق والاستغاثة والنداء «بيالطيف» فلما كان يوم
الأحد ثانى عشره ركب المشايخ الى بيت القاضى واجتمع به جماعة من المتعمين والعامّة
والصبيان وجعلوا يصرخون ويصيحون «شرع الله بيننا وبين هذا لباشا الظالم» قال بعض كتاب
الاخبار مع أنه لم يكن كسلافة كثير الظلم والجور والعسف والاسفا كالدماء ومع ذلك فقد كثّر
الصياح وعلا الضجيج فكان منهم من يقول يا ظيف ومنهم من يقول يارب يا متجلى أهلك
طائفة العثماني ومنهم من يقول حسبنا الله ونعم الوكيل وغير ذلك وطلبوا من القاضى أن
يرسم باحضار أصحاب الحل والعقد من بطانة أحمد باشا لمجلس الشرع فاستحضروا وجلسوا
بالمجلس الشرعى ووقع الجدل فانفقوا على تحرير ورقة بجميع طلبات الرعية ففعلوا ذلك
وذكروا فيها تعدى طوائف العسكر والايذاء منهم للناس واخراجهم من مساكنهم والمظالم
والفرد وقبض الخراج مجبلا وحق طرق المباشرين ومصادرة الناس بالدعاوى الكاذبة وغير
ذلك وأخذوا هذه الورقة معهم ووعدوا القاضى بالجواب فى غد فأرسل الباشا فى تلك الليلة
الى القاضى والمشايخ يستقدمهم اليه بقلعة الجبل فاشتوروا فى أمر ذهابهم فعلم محمد على
باشا بذلك وخاف أن يكون بنهابهم الى الباشا خلود نار الفتنة وتفريق تلك الجوع * قال
أصحاب الاخبار وهذا لا يوافق مصلحته * فأرسل الى القاضى والمشايخ من يعلمهم بأن الباشا
يريد الفتك بهم ان صعدوا الى قلعة الجبل نخافوا ولم يصعدوا اليه فى تلك الليلة فلما كان يوم
الاثنين اجتمعوا ببيت القاضى وكذلك اجتمع العدد العديد من الغوغاء والعامّة فنعوهم من
الدخول وأقفلوا الابواب وحضر بعض الامراء فركبوا جميعا وساروا الى محمد على باشا بمقره
وخلفهم العامة والصبيان فى صياح وضجيج فدخلوا عليه وقد كان على علم بما هم فاعلوه وقالوا
له إنا لا نريد أن يكون أحمد باشا واليا علينا وقد اجتمعنا اليوم نخلعه فان أطاع نجا وان
خالف عاملناه بما كسبت يده * فقال ومن تريدون * قالوا قد اخترناك بدلا منه بشروط * قيل
فامتنع فألحوا عليه وأكثروا من الالحاح فرضى فأحضروا فروة سمور وقفطانا وكان السيد
عمر النقيب قد أعدهما فألبسه اياهما هو والشيخ الشرفاوى وذلك عند عصر يوم الاربعاء
سادس صفر سنة عشرين ومائتين وألف هجرية ثم طاف المنادون ينادون بذلك تلك الليلة
فى جميع أزقة وحارات وشوارع القاهرة ومصر وأصبحوا وقد سبوا الى أحمد باشا يخبرونه
بذلك ويطلبون منه أن ينزل من قلعة الجبل فلم يهمه الامر ولم يكثر به وركب المشايخ فى
الصباح ومعهم الجمل الغفير من العامة وبأيديهم القرايين والعصى والمساق وساروا الى بركة

مطلب

ما فعله العامة والشيخ
الشرفاوى والسيد عمر
النقيب مع محمد على باشا

الازبكية حيث بيت محمد على باشا وخبجوا وصاحوا ونادوا بالويل على أحمد باشا وزادوا في سبه ولعنه والسيد عمر النقيب يحرض الناس ويشجعهم على ما هم عليه من الجلبة فتحصن الباشا بقلعة الجبل وشحنها بالذخيرة والمؤنة والاسلحة الكثيرة وانضم اليه عمر بيك الارنؤدى وصالح أغا قوش بعساكرهما وأقاموا معه بقلعة الجبل فأرسل محمد على باشا الى عمر بيك وصالح أغا بجماعة يذكرون لهما ما اجتمع عليه رأى الجمهور من عزل أحمد باشا وخلع طاعته من أعناقهم ويحذرهما من فعل شئ ينجم عنه خروج الرعية وفعل مالاخير فيه فأرسلا يقولان أرونا سنداً شرعياً نرتكن عليه في التحلى عنه فاجتمع المشايخ وجميع العلماء في يوم الخميس سادس عشر صفر ببيت القاضى ونظموا سؤالاً وكتب عليه المفتون بالعزل وأرسلوه اليهما فلم يقبلاه واستمرا على الخلاف فلم يلبثا طويلاً حتى انفجرت عن الباشا طوائف الانكشارية وزاد هياج الرعية وأكثروا من التطواف ليلاً ونهاراً وهم ينادون بتنزيل أحمد باشا من قلعة الجبل واستفحلت الفتنة وتطايير شررها الى القرى والارياف فجاء الجمع الكثير من أهلها ودخلوا الى القاهرة واختلطوا بالعامّة وقيل استقدمهم الشيخ الشرفاوى والسيد عمر النقيب لتعميم الفتنة وتعميم أمرها ولازموا التطواف مع العامة والصياح والجلبة وقدم في هذه الاثناء محمد بيك الانقى ومن معه من الامراء والعسكر والعربان وانتشروا جهة الجزيرة واستقر الانقى بالمنصورة على مقربة من الاهرام وانتشرت أتباعه جهة البحر الاسود وأرسل مكاتبة الى السيد عمر النقيب والشيخ الشرفاوى ومحمد على باشا يطلب أن يقرروا له جهة يتخذها مقراً له هو وأتباعه فكتبوا له أن يختار من البلاد ما يشاء ويتأنى حتى تسكن الفتنة القائمة بمصر وشددوا على أحمد باشا الطلب فلم يلتفت الى قولهم فجعل السيد عمر يحض العامة على الاجتماع والتطواف وركب هو والمشايخ الى بيت محمد على باشا ومعهم أرباب الاشارة ومشايخ الطرق والعامّة والمتمزمون وبأيديهم الاسلحة والعصى والمساوق والنبايت ولازموا التطواف ليلاً في الشوارع والحارات أحزاباً وطوائف ومعهم المشاعل وهم في ضجيج هائل ثم رسم محمد على باشا بمحاصرة قلعة الجبل وفرق عساكره في جهات الرميّة والحطابة والطرق النافذة مثل باب القرافة والحصرية وطريق الصليبة وجلست طائفة منهم بالمحمودية والسلطان حسن وأنشؤا المناريس في تلك الجهات ومنعوا من يصعد أو ينزل من قلعة الجبل فأغلق عند ذلك أهل القلعة الابواب ووقفوا على الاسوار يسب بعضهم بعضاً ويترامون بالبنادق وصعد جماعة من عسكر محمد على باشا على منارة جامع السلطان حسن وصاروا يرمون منها الى القلعة رمياً متتابعاً ومازالوا على هذا الحال الى ثمانى عشرى صفر فركب السيد عمر النقيب والمشايخ ومعهم الجمع الكثير وساروا الى الازبكية ودخل المشايخ بيت محمد على باشا ووقف الجمع أمام البيت فلقى بهم العامة والعصب وطوائف الجند والمتمزمين وعصب خارج المدينة وأهل الحسينية والعطوف والقرافة والرميلة والحطابة والصليبة ومعهم الطبول والبيارق فوقفوا ساعة ثم رجعوا الى الجامع الازهر ثم عادوا الى الازبكية وهم في

صباح وصبحج والسيد عمر النقيب والشيخ الشرفاوي يحضنهم على الهياج والصياح ثم خرج المشايخ من بيت محمد على باشا وذهبوا الى بيت حسن باشا أخى طاهر باشا ثم رجعوا واستمر الحال على هذا الوصف الى ليلة الجمعة فلما كان بعد الغروب بقليل نزل جماعة من العسكر الذين بالقلعة من ناحية الرملة وهجموا على المتاريس فصدهم أصحابها وتابعوا عليهم الرمي بالقنابل والبنادق وهكذا الى ما بعد العشاء الاخيرة وخرج الاهالى بما معهم من الاسلحة والعصى فقاتلوا مع أصحاب المتاريس حتى أجالوا أصحاب القلعة عن المتاريس فلما كان يوم الجمعة رابع عشرى صفر المذكور صعد عابدى بيك الى قلعة الجبل وغاب ساعة ثم فتحت أبوابها ونزل منها عمر بيك وأمروا بالمتاريس فرفعت وتفرق من كان بها من المقاتلين وشاع خبر نزول أحمد باشا وابشوا ثلاثا وهو لا ينزل وقد كانت خدعة منهم اذ كانوا قد أشرفوا على الاستئمان لفراغ ما عندهم من الذخيرة ونقاد ما كان معهم من الزاد ففعلوا ما فعلوه بوساطة عابدى بيك حتى تمكنوا من نقل المؤن والذخيرة وغيرها في بحر هذه الهدنة وأنزلوا عابدى بيك أو هو نزل بنفسه وعادوا الى الخلاف وامتنعوا من ترك القلعة وأغلقوا الابواب فزاد بالناس القلق والغم وعادوا الى التطواف وقيل بل أعادهم السيد عمر النقيب الى ما كانوا عليه من الهرج والصياح والاستغاثة واستقدم السيد عمر الجمع الكثير من قبائل عربان الشرق والغرب وأخذ محمد على باشا في حصار القلعة من بعد عشاء ليلة الثلاثاء وكثر الاهتمام في صباحها بذلك وجعوا القلعة وأصعدوا جماعة من الجنود والعربان وغيرهم الى المقطم وأصعدوا بعض المدافع ورتبوا لهم عدة جبال لنقل الاحتياجات والخبز وروايا الماء وظنوا الظفر بأحمد باشا ومن معه وبينما هم على هذا الحال من الاهتمام في أمر الحصار والتضييق على أصحاب القلعة اذ تحرك العسكر وطالبوا محمد على باشا بالعلافة والجأى المناخرة فطاولهم حتى ينزل أحمد باشا من القلعة فأبوا الا أخذ مالهم فنهزم فتركوا المتاريس التى كانوا بها حوالى القلعة وتفرقوا فذهب جماعة من العامة وأهل العطوف فتتسروا في مواضعهم ورسم السيد عمر النقيب فأنجاز أهالى كل خطة الى خطتهم وعمال المتاريس على رؤس السارات والشوارع ولازموا التطواف نهارا والقيام باخطاطهم لئلا تنفقوى أصحاب قلعة الجبل وتراسلوا الرمي بالقنابل على المتاريس ففعلت بالمدينة والخطة القريبة منها فعلا رديا جدّا ونزع أهلها الى الاطراف فرارا * وكما كان خوف مصر والقاهرة يلتهب بنار الفتنة ويزداد في كل يوم ضراما كانت البلاد في ضيق ما عليه من مزيد بسبب فعال الاتى الكبير ومن معه من لموم العربان فقد أخشوا في القتل والنهب والتخريب بما لم يسمع له مثيل ولا وقع له نظير فنزع الناس عن البلاد وهرعوا الى مصر والقاهرة وهم في أسوأ حال فامتلات بهم الازقة فكانوا لا يجدون ما يأكلون ولا ما يشربون ومات منهم العدد العديد جوعا وعربا تحت أقدام الثائرين من العسكر والاهالى وكان المنظر قظيعا والخطب عيما وخاف محمد على باشا من سوء العاقبة فأرسل الى بكار عسكر الدلاة المعسكرين بقلوب يستقدمهم فحضروا اليه فكلهمهم في أمر الانضمام اليه فوافقوه فخلع

عليهم الخلع السنية وأنفق عليهم وسيّرتهم لقتال الالقي فارتحلوا الى قليوب خلف الالقي
فصاروا كلما نزلوا ببلدة طابوا من أهلها السكف والمغارم وساموهم الخسف وعملوا معهم ما لم
نعمله لموم الالقي فكانوا أشد هولا وأقوى نكالا وتقاعسوا فلم يلحقوا بالالقي
واشتمد الخطب على من بمصر والقاهرة وطالت أيام الفتنة وتمنع الباشا وأصحابه بقلعة
الجبل وأبوا التسليم وأهل البلد في هياج وصياح وجلبة وكان بجهة القسطنطين من مقدمي
عسكر الارنؤط مقدم اسمه على باشا السلحدار قد خرج بعسكره عن مخالفة محمد علي باشا
بأسباب الجناح والعلوفة فعمل على باشا المذكور على الوصول بأجد باشا الوالي بقلعة الجبل
وما زال حتى تمكن من نقب سور القلعة من ناحية عرب اليسار وسعت بينه وبين أجد باشا
الرسول وصار يمد أجد باشا وأصحابه بالذخيرة والمؤنة من الميرة والاغنام وقرب الماء وكل
ما يحتاجون اليه ولبث على هذا الحال أياما ثم دبر هو وأجد باشا على الهجوم على المتاريس
ليسلا من ناحية الصليبية وان أصحاب القلعة يوالون في وقت الهجوم اطلاق القنابل على
المتاريس من ناحية الازبكية وجامع الازهر وجوف المدينة وقد تم الامر بينهما على ذلك
فأصبحوا وقد أرسلوا الى السيد عمر النقيب يخادعون ويطلبون السعي في اطفاء نار الفتنة
وعمل ما فيه المصلحة للاهالي والجند قبل وأرادوا بذلك تشييط همم أصحاب المتاريس وإشغالهم
بأمر الصلح عن الدفاع فسبق من أعلمهم بسرهم وما عقدوا النية عليه فأرسل السيد عمر الى
أصحاب المتاريس من الاهالي والجند وكذلك أصحاب الاربطة وحثهم واستنهض هممهم
وحذرهم فاستعدوا وراقبوا فرأوا الجبال التي تحمل الذخيرة الواصلة من على باشا الى القلعة
ومعها بعض الخدم والاتباع ونفر من الجند فخرج عليهم حجاج الخضرى زعيم عصابة الرميلة
بن معه من سكان الرميلة فقاتلوه وظفروا بهم وأخذوا منهم تلك الجبال وقتلوا اثنين وقبضوا
على ثلاثة وحضروا بهم الى بيت السيد عمر النقيب فبعث بهم الى محمد علي باشا فأمر بهم
فقطعوا رقابهم فلما علم من بقلعة الجبل ما حل بأصحابهم رموا في الحال بالقنابل على المدينة
وبيت محمد علي باشا وبيت حسن باشا وناحية الازهر ووالوا الرمي ولم يزالوا على هذا الحال من
أول النهار الى ما بعد الظهر ثم عادوا ورموا من العشاء الى سادس ساعة من الليل فلم يجبه
أحد من أصحاب المتاريس ولا المرابطين بالمعظم وأصبحوا يوم الاحد وهم يتابعون الرمي طول
النهار وكذلك ليلة الاثنين ويوم الاثنين الى يوم الخميس بطل الرمي ثم عادوا اليه في يوم السبت
وقد تدمر العدد العديد من الدور والرباع بنحط الازهر وعلى مقربة من الازبكية فترح أهل
خطة الازهر الى بولاق القاهرة والحسينية فرارا من النيران المتراصة على دورهم ❦ وأنفق
أن حضر من الاسكندرية في هذه الاثناء طائفة من عسكر الانجليز ونزلوا ضيوفا عند قنصل
دواتم فكانوا يجتمعون كثيرا بمحمد علي باشا ولبثوا على هذا الحال أياما ثم طافوا يوما مع
عسكر محمد علي باشا بالمدينة والقسطنطين وحول الاسوار وقلعة الجبل وكان بناحية قلعة
الفرنسيس التي بقنطرة الليون مدفع كبير فرسم محمد علي باشا بنقله فنقلوه الى باب الوزير

حيث مجرى السميل وفيدوا به جماعة من أولئك الانجليز فرموا به على برج القلعة وكذلك
رمى المرابطون بالجبل وتتابع الرمي وتراسلت القنابل فخربت وأحرقت وأبادت وأهلكت
وفعلت بالناس والمباني ما لا يمكن وصفه واشتد الكرب بالناس وعم الويل والبلاء الرفيع
والوضيع فنزع الناس الى القرى والكفور وأكثر المشايخ والعلماء والوجهاء من الاجتماع
بمحمد على باشا والعمامة وقوف بأبواب المشايخ يضجون من قفل الاسواق وامتناع باعة الخبز
من فتح دكاكينهم والمشايخ يلاطفونهم والسيد عمر النقيب لا ينكف عن تحريضهم خوفا من
سكون الفتنة واختاد نارهنا قبل بلوغ محمد على باشا ما يتناه من الولاية على الديار المصرية
وكان لما اجتمع المشايخ والعلماء والوجهاء ونادوا بولاية محمد على باشا وألبسوه القاووق
والقفطان كتبوا بذلك محضرا وأرسلوه الى الباب العالي وتقدموا الى السلطان في تولية محمد
على باشا على ولاية مصر وألحوا في الطلب وبالغوا في الشكوى من فساد الامور وما تقاسمه
الرعية بأسباب مظالم الولاة وتصرفهم بالعسف والفجور وقبحوا مسالك أحمد باشا الوالى
وطلبوا خلعه

فلما كان يوم الاثنين رابع ربيع الآخر سنة عشرين ومائتين وألف هجرية قدم رسول
من دار السلطنة بفرمان الولاية الى محمد على باشا وشاع خبر وصوله الى بولاق فهرع لمشايخ
والعلماء وأصحاب الوظائف للقائه وتسابق العمامة وكثرت الفوغاء في الشوارع والطرق
وبأيديهم السيفوف والمساوق والعصى وهم في ضجيج هائل وصياح متتابع فركب رسول
السلطان وركب خلفه المشايخ وأرباب الوظائف وساروا فساد العمامة أمامهم وهم يضررون
الطبول والزمر ويضجون بكلماتهم التي تعودوا على الضجيج بها وما زالوا حتى أتوا الازبكية
فنزل رسول السلطان بيت محمد على باشا وأقام برهة لطيفة ثم أمر فانتظم المجلس وحضر
المشايخ والعلماء كافة والوجهاء وأرباب المناصب العالية والوجاقية وكثرا لجمع فقرئ الفرمان
فكان يتضمن الامر بخلع أحمد باشا من منصب الولاية وتوجيهه الى محمد على باشا اعتبارا
من اليوم العشرين من ربيع الاول سنة عشرين ومائتين وألف هجرية اجابة لطلب المشايخ
والعلماء والاعيان وان أحمد باشا الوالى ينجلي عاجلا عن القاهرة الى مدينة الاسكندرية ويبقى
بها حتى يأتيه أمر السلطان فما أتم القارئ كلامه حتى ضج الناس بالدعاء للسلطان وعلت
أصواتهم واشتدت بينهم الجلبة ولبثوا على هذا الحال ساعة ثم انصرفوا وباتوا وأصبحوا ورمى
القنابل من قلعة الجبل متتابع وكذلك من الابراج والمعازل والمتاريس ثم بطل الرمي بعد
ظهر اليوم وبقي المحاصرون لا ينفكون عن حصارها ومنع الواصل اليها وأرسلوا الى أحمد باشا
صورة ماورد من السلطان من أمر خلعه وتولية محمد على باشا وطلبوا منه أن ينزل من قلعة
الجبل ويرحل الى الاسكندرية فامتنع وطلب الاجتماع برسول السلطان فلم يرض الرسول
وأبى الاجتماع به فاجتمع المشايخ والعلماء والوجهاء وذهبوا الى محمد على باشا وقالوا له ما بالك
لاتدع عن الرعية حل السلاح وقد توليت الامر فاعمل بتدبيرك على اخراج أحمد باشا من

مطلب خلع أحمد باشا وولاية محمد على باشا

القلعة واقبض على زمام الامور فحنن من اليوم رغبةك وقد تركنا لك الحل والعقد فتصرف
 وأصبحوا وقد فتحو أبواب الازهر بعد غلقها أياما وطاف الوالى ومعه جماعة من التجمين
 ينادون بالامان وإلقاء السلاح وعود العامة الى أشغالهم وملازمة أصحاب الحوانيت خوافتهم
 تخاف الناس من ذلك وتظيروا وظنوا فتك العسكر بهم ان هم ألقوا عنهم السلاح فامتنعوا
 وتترسوا فى الازقة والحارات ورجوا بعض أصحاب الوالى بالاجار وصاحوا فى وجوههم فشد
 الوالى فى المناداة ورجوع الناس الى أشغالهم نهارا ومراقبة الحوادث ليلا وجاءت الاخبار فى
 هذه الاثناء بقدوم الامراء المطرودين من الاقاليم القبلية الى جهة طرا والبساتين وأنهم
 على أهبة القتال فركب محمد على باشا فى نفر من الجند ومعه حسن باشا وأخوه عابدى بيك
 وساروا الى جهة البساتين والتقوا بالامراء المصريين وقاتلوهم فتقهقر الامراء وترفعوا ثانيا
 الى الصعيد فوقف محمد على باشا بن معه من الجند أمامهم أياما ثم عاد الى القاهرة كل هذا
 وأجد باشا المعزول متترس بقلعة الجبل لا ينزل منها ولا يعترف بولاية محمد على باشا وكلما
 سأله فى أن ينزل زاد فى التحذر وتقوى فى التترس فلما كان اليوم خامس عشر ربيع الثانى
 من السنة أى سنة عشرين حضر رسول من دار السلطنة ومعه مرسوم الى أجد باشا بترك
 قلعة الجبل والجلء الى مدينة الاسكندرية حتى يرد عليه أمر السلطان فأرسلوا الى أجد
 باشا ذلك المرسوم فأبى النزول وقال حتى يأتى الى رسول أمير المؤمنين ويشافهنى فى الامر
 فصعد اليه الرسول وما زال الحال هكذا أياما والناس فى خوف من انتشاب الحرب الى يوم
 الثلاثاء ثالث جمادى الاولى نزل أجد باشا من باب الجبل الى بيت مصطفى أغا الوكيل ونزل
 من كان معه من الجند ثم خرج الى جهة باب النصر ومن خارجة الى جهة الخروبي
 وذهب الى بولاق وأقام بمنزل السيد عمر النقيب وتسلم أصحاب محمد على باشا قلعة الجبل
 وأقام أجد باشا ببولاق أياما ثم رحل عنها الى الاسكندرية باتباعه ومتاعه وعياله فكانت
 مدة تصرفه سنة ونحوها من ثلاثة أشهر

الى هنا تم الجزء الثالث من تاريخنا الكافى ويليه ان شاء الله تعالى

الجزء الرابع وأوله ترجمة حال محمد على باشا ثم أخبار ولايته

وأخبار من تولاها بعده من ذريته الى وفاة

ساكن الجنان المرحوم

محمد توفيق باشا

الاول

(استلفات)

قد وقع خطأ في نقل ترجمة حال ومدة ولاية بعض بطارقة المتأصلين في هذا الجزء من أيام يوحنا سادس تسعهم الى أيام مرقس السادس بعد المائة لتكرار أسمائهم وتشابهها وخطأ ترتيب الاوراق التي نقلنا عنها فسرأيانا أن ننسبه الى ذلك ونعيد هنا ترتيب أسماء وأيام هذا العدد منهم على الوجه الاصح اعتبارا من سلطنة السلطان سليمان الثاني تاركين ما جاء منها على ترتيبه الاول أى من سلطنة السلطان سليمان المشاراليه الى سلطنة السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى بدون مساس فانه لم يؤثر بشئ على ترتيب أيام وحوادث وأخبار الملوك والولاة والحكام الذين تجمعهم صفائف هذا الجزء ولا على ترتيب حوادث وأيام ما سبقه من الاجزاء والله المنة والحمد وعلى كل حال فهو خطأ أرجو أولى الفضل والادب أن يسبلوا عليه ذيل المغفرة ويتنازلوا بقبول ما أبدى من المعذرة فقد كانت عودتي الى خدمة وطني العزيز وتوالى أسفاري وعدم استقرارى خصوصا في الوقت الذي تناوت فيه أيدي الطباعين ملازم هذا الجزء حائلا دون استعادة تلاوة بعض ملازمه التي قد اعتورها هذا السهو فكانت عثرة في أسلوب ترتيب أسماء هؤلاء الناس الذي وفقناه على قاعدة ما مر بيانه الى أيام يوحنا هذا سادس تسعهم والعصمة لله وحده

سلطنة السلطان سليمان خان الثاني

ومات في أيام السلطان سليمان خان الثاني غبريال بطرك المتأصلين بعد أن قام ثلاثا وأربعين سنة وقد عمر في أيامه دير انبا انطانيوس ودير انبا بولا بالجبل الشرقى من النيل باقليم بنى سويف والبهنسا واشتد عليه الولاة والعمال فانكش حينما وكان راهبا من دير السريان واسمه روفائيل فأقيم بعده يوحنا وهو سادس تسعهم ووقع في أيامه من الحوادث ما سيذكر في محله

سلطنة السلطان مصطفى الثاني ابن محمد الرابع

ومات في أيام السلطان مصطفى الثاني ابن محمد الرابع يوحنا بطرك المتأصلين بعد أن أقام خمس عشرة سنة وكانت أيامه كلها شدائد ألزمه العمال وأصحاب جباية الاموال بجمع الجزية من الاقباط فجمعها كارها جزينا واشتدوا عليه بسببها فكانت محنة كبرى قاسى الناس في أثنائها من الجور والعسف اشكالا وبموته قام بعده غبريال وهو سابع تسعهم واسمه شنوده من بلدة بين وكان راهبا بدير انبا بشوى ووقع من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

سلطنة السلطان
أحمد بن
السلطان محمد

ومات في سلطنة السلطان أحمد بن السلطان محمد غبريال بطرك المتأصلين بعد أن قام إحدى عشرة سنة وكانت أيامه كلها هداً وسكينة ولم يقع فيها من الحوادث شيء يذكر فأقيم بعده مرقس ثامن تسعين وأصله من بلدة البياضية وكان عالماً ورعاً تقياً محباً للخير صبوراً على المكاره اشتد العمل في أيامه على القبط شدة عظيمة فكان يكثر من التطواف بين الناس ويحضهم على الصبر والسكون حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً ومات بعد أن قام إحدى عشرة سنة فأقيم بعده يوحنا تاسع تسعين وأصله من بلدة ملوى بصعيد مصر وكان من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

سلطنة السلطان
محمود خان الاول

ومات في سلطنة السلطان محمود خان الاول يوحنا بطرك المتأصلين بعد أن أقام عشر سنوات لم يقع فيها من الحوادث شيء يذكر فأقيم بعده متاوس المسم للثانية وأصله من بلدة طوخ فلبث خمس سنوات أو ستاً لم يقع فيها شيء يذكر ومات فأقيم بعده مرقس الحادى بعد المائة وأصله من بلدة بهجورة بالاقاليم الوسطى من صعيد مصر ووقع في أيامه من الحوادث ما سيذكر في محله

سلطنة السلطان
عثمان الثالث
ابن السلطان
أحمد خان

ومات في سلطنة السلطان عثمان الثالث ابن السلطان أحمد خان مرقس بطرك المتأصلين بعد أن أقام عشر سنوات وكان حازماً شديد البأس صبوراً على المكاره قوى الجثة لم يقع في أيامه شيء يذكر فأقيم بعده متاوس وهو الثانى بعد المائة وأصله من بلدة مير واسمه جرجس وكان راهباً بدير البراموس وكان من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

سلطنة السلطان
مصطفى الثالث
ابن السلطان
أحمد

ومات في سلطنة السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان أحمد متاوس بطرك المتأصلين بعد أن أقام أربع عشرة سنة وفي أيامه نقل دار البطريركية من حارة زويلة الى حارة الروم بالقاهرة وسكن بها وكان تقياً ورعاً عالماً فأقيم بعده يوحنا الثالث بعد المائة واسمه ابراهيم من رهبان دير أنطونيوس وكان من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

سلطنة السلطان
عبد الحميد ابن
السلطان أحمد

ومات في سلطنة السلطان عبد الحميد ابن السلطان أحمد
يوحنا بطرك المتأصلين بعد أن أقام اثنتين وأربعين سنة وكان
عالما فاضلا تقيا ورعا أعاد في أيامه عمارة دير انبا بولا ورعم مبانى
بعض الديارات الأخرى وكانت أكثر أيامه شداثد وخطوب بامتراكته
بعضها فوق بعض كانت بسببها تتعطل شعائر الدين لولا لطف الله
فأقيم بعد موته بطرس الرابع بعد المائة واسمه مرجان من
رهبان دير انبا بولا فأقام سبع سنين ومات ولم يقع في أيامه من
الحوادث شئ يذكر فأقيم بعده يوحنا الخامس بعد المائة واسمه
عبد السيد من رهبان دير انبا بولا ووقع في أيامه من الحوادث
ما سيذكر في محله

سلطنة السلطان
سليم الثالث ابن
السلطان مصطفى

ومات في سلطنة السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى
يوحنا بطرك المتأصلين بعد أن أقام ثمان عشرة سنة واشتد في
أيامه على بك بلاط على المسيحيين شدة بالغة وضيق عليهم جدا
وصادر الكثير منهم ثم ضرب عليهم غرامة قدرها مائة ألف ريال
فانبتت أعوانه لجمعها وقد عاثوا وأفسدوا وفعلوا مالا خيرا فيه
وبيعت بسبب هذه الغرامة الجواهر والأحجار الكريمة بأخس
الآثمان وبموته أقيم بعده مرقس السادس بعد المائة واسمه سمعان
من دير انبا بولا وأصله من بلدة فلوصنه وكان من الحوادث في
أيامه ما سيذكر في محله

الى هنا قد تم تصويب ما قد وجد ساقطا سهوا من
أسماء وأخبار أيام أولئك البطركة في هذا
الجزء والله سبحانه الهادى
الى الصواب

تصويب
الجزء الثالث

صواب	خطا	سطر	صفحة
اكنسحوا	اكنسحوا	٦	٣
على	..	٢٣	١٠
ميلادية	..	٢٥	١٥
تحت	تحت	١	١٧
وسقطوا	وسقط	٢٣	٢٠
والممالك	الممالك	١	٣٩
حظية	حظية	١٢	٥٢
..	من	٩	٥٩
للتأثرين	للتأثرين	٢٧	٦١
النماء	الفسا	٤	٦٥
حسنة	حسنة	٦	٧٤
لما	رأى	١٤	٩٤
تثاقلوا	تثاقلوا	١٢	٩٥
عنايته	غايته	١٣	٩٨
حتى	حق	١٤	٩٨
تم	بتم	١٩	٩٨
وهم	ولما	٣٠	٩٨
عتموا	غنموا	٦	١٠٠
وكان	كان	٦	١٠٢
باشا	..	٧	١٠٦
اتحاد	اتحاد	١٥	١٠٨
وكان	وكانت	٣٠	١١٠
جوريجي	جريجى	٥	١١٤
طريق	طريق	٢٢	١١٤
اعلماء	اعلماء	٦	١٢٠
وسرحه	وصرح له	١٨	١٢٠

تابع تصـويـب
الجزء الثالث

صواب	خطأ	سطر	صفحة
يفحص	يفحصر	٣	١٢٢
فجھزوا	فجھروا	٩	١٢٧
باکبر	باکر	٢٢	١٢٧
٠٠	عليه	٥	١٣١
تنويها	تنويها	٩	١٣٢
ثلاث	ثلاثاء	٢٧	١٣٧
يتصرف	يتصرف	١٢	١٣٩
جاء	جاء	١	١٤١
الداودية	الداورية	٢٢	١٤٥
خذل	ختمل	٢٢	١٥٤
وصعد	وقصد	١٥	١٥٥
منهم	معهم	٣١	١٥٥
شيخ	والشيخ	٣١	١٧٤
وتخيل	وتخييل	٢٠	١٨٥
بمدينة	بمدينة	١٨	١٩١
عدة	غدة	٣١	١٩١
قنصل	قفصل	١٣	١٩٩
السفنال	النفال	١	٢١٢
غيرهما	غيرهم	٢٨	٢١٩
الثورة	الثور	٦	٢٢٨
لغزو	غزو	٥	٢٢٣
ولم	فلم	٦	٢٣٦
٢٢	به	١٠	٢٣٨
يبنى	يبنى	١٣	٢٥٣
على	عليه	١٤	٢٥٣
انجاز	اتخاذ	٢٢	٢٥٣

تابع تصويب
الجزء الثالث

صواب	خطأ	سطر	صفحة
غيرهما	غيرهم	١	٢٥٦
المنظر	النظر	١٠	٢٦٤
الدوان	الدون	١٤	٢٦٩
في	في	٢٤	٢٧٣
المصريين	المصريين	١٠	٢٧٦
يبيعون	يبيعون	٢٠	٢٨٠
والفتك	وقتك	٢٨	٢٩٠
دخل بخيمة الباشا	بخيمة الباشا دخل	٥	٢٩٨
..	اليوم	١٢	٣١٥

﴿ تم التصويب والخطأ ﴾

100

100

مركز الوثائق والبحوث



30018000012294

المكتبة

